

مجلة المجمع العلمي

فصلية محكمة تصدر منذ ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الأول ـ المجلد السادس والستون

١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م

القسم الاول

(شروط النشر وضوابطه)

١. تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والتدوينية وبما يسهم في تحقيق أهداف المجمع .
٢. لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة
٣. يشترط في البحث أن لا يكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلة أخرى ورفض لعدم صلاحيته أو أنه مسروق .
٤. تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .
٥. هيئة تحرير المجلة غير ملزمة برد البحوث الى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر .
٦. لا تنشر المجلة الدراسات السياسية التي تمس كيانا معينا او تنظيما خاصا .
٧. لا تنشر المجلة البحوث الدينية التي تمس العقائد لان هذا مجال تنشره المجلات الخاصة .
٨. لا تنشر المجلة بحوثا تتحدث عن الفساد لأي من المؤسسات .
٩. لا تنشر المجلة بحوثا مضطربة اللغة والاسلوب ولا يمكن اصلاحها .
١٠. يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات الاتية :

أ - ان يكون مطبوعا على الحاسوب ومخزونا على قرص CD ومرفق (٢) بنسخة ورقية ويقصد على word 2007 (واستخراج الهوامش من word مراجع نافذة حواشي سفلية - علامة مخصصة) ويتم ترقيم هامش البحث حسب التسلسل (١) (٢)..... الخ

ب - ارسال نسخة واحدة من البحث تحمل اسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

ت - يجب أن لا يزيد عدد الصفحات على (٣٠) ثلاثين صفحة .

ث - أن يكون مستوفيا للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقا تاما حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

ج. يلحق بالبحث ما يلزم من اشكال أو صور أو رسوم أو خرائط او بيانات توضيحية أخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار إلى المصدر إذا كانت مقتبسة .

ح. يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

خ. ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربيا .

١١. يعطى صاحب البحث (عند نشره) ثلاث نسخ من المجلة مع خمس مستلات من بحثه .

البحوث لا تعبر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

توجه البحوث والمراسلات الى رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي

الاشتراكات : داخل العراق (٣٠٠٠) الف دينار سنويا . iraqacademy@yahoo.com

خارج العراق (١٠٠) دولار امريكي سنويا . journalacademy@yahoo.com

محتويـــات

الجزء الأول / المجلد السادس والستون

❖ الكلمات والمقالات ٥٣٩

مسيرةُ عُمْر

الأستاذ الدكتور عبد المجيد حمزة الناصر
رئيس المجمع العلمي العراقي وكالة

- في أوائل الثّمانينيّات كانَ لقائي الأولُ مع العلّامةِ الأستاذ الدكتور المرحوم (أحمد مطلوب) الخالِدِ بما خلّفه منْ أثرٍ مجيد وعِشْقٍ عتيدٍ لِوَطنه العراق ، ولأمّته العربيّة والإسلاميةِ ، وللانسانيّة جمعاءَ ما بين مسموع ومرئيّ ومقروء ؛ إذْ عملنا معًا في مجلس جامعة بغداد وتشرّفتُ بالعمل في المجمع العلميّ العراقيِ في منتصف التسعينيّات وكان اللقاء الثاني مع البلاغي المبدع .

- كان متّزنًا هادئًا ، تكسو محيّاهُ البشاشةُ وتعلوه الهيبةُ والوقارُ والانضباط واتّسم المربّي الجليلُ بقوّة الشخصية العلميه الناجحة، بعمقِ المعرفةِ واتّساعها والحماس والصبر الجميل وجمال النفس ، والقناعة ، والإخلاص والثّبات والشجاعه والتواضع العلميّ وحبّ الخير والسعي اليه وبه .

- وسعفت الأيام ، ورائدَ البلاغةِ والنقد واللغة بأن ذا تألقًا بعمله المقدّس، فألّفَ ونشرَ كثيرا من الكتب والمؤلّفات والمراجع العلميةِ والبحوث الرّصينةِ في داخل البلد وخارجه . ودرّس وأشرفَ على عددٍ كبيرٍ من رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه ، فاختطّ بذلك طريقةً فريدةً في البحث اللغويّ .

- أحبَّه وأحبّهُ كلُّ من عملَ معهُ عن قربٍ وبادله حبّ المعرفة .

- وقستِ الأيامُ وفارقَ الحياةَ (أبو اثير) فكانت الفاجعةُ والصدمةُ كبيرةً وكانَ جزءًا عزيزًا رحل منّا معهُ ، التأنّي ، والمطاولة ، والصبر ، وقدسية العمل ، وروحُ التسامح وتبنّي سياسةَ الاعتدال والوسطيةِ النابعة من فكره المعرفيّ الناضج .

- فسلامٌ على تلك الأيام الخوالي ، وسلامٌ عليك(أبا نصير) معلّم الحياة وحياة التعليم . (الغائب- الحاضر ، وشيخ الروّاد . إنّها إرادة الملك الحقّ المبين .

- لا نقول وداعًا ، فأنتم الحاضر بمُثُلِكم وقيمكم وتأثيراتكم في زملائكم وطلبتكم وعارفي فضلكم وفيما خلّفتم وراءكم من مؤلّفات وبحوث رصينة أضاءت الدّرب وأنارت العقول وقدحتْ زناد الفكر . نعم : كُنتم مدرسةً وموسوعةً في أصول اللغة وأبوابها ومفاتيحها .

ووفاءً من المَجْمَع العلميّ العراقيّ تجاهَ العلّامة الراحل . وهو بعضُ الوفاء - إنْ صحّ التّعبير - وليس الوفاء كلّه ؛ لأنّ ذلك ضربٌ من المُحال ، ارتأينا أنْ نُصدر عددًا خاصًّا من مجلّة المجْمع للحديث عن سيرته وجهوده اللغويّة والعلميّة والمجْمعيّة ، وقد تسابق العلماء الفضلاء والباحثون الأجلّاء من زملاء المرحوم ومن الّذين تلمذوا له لكتابة بحوث علميّة تليق بشخصه ومكانته العلميّة والثّقافيّة في داخل العراق وخارجه فضلًا عن جهوده المجْمعيّة بوصفه رئيسًا للمجْمع العلميّ العراقيّ لسنوات طويلةٍ وعضوًا في عِدّةِ مجامعَ عربيّة ومؤسّسات علميّة وفكريّة عالميّة ؛ لذا ضَمّ هذا العَددُ الخاصّ عن الرّاحل تسعة عشر بحثًا لشخصيات علميّة مرموقةٍ عراقيّةٍ وعربيّةٍ ، وكذلك ضمّ مجموعةً من كلمات المجامعِ العَربيّة والمؤسّسات العلميّة والفكريّة التي خصّتهُ بتأبين أ... الشادة ، وأوردْنا في نهاية هذا العدد مقالات عارفيه ومحبّيه .

- ستظلّ إنجازاتُ الفقيد وإنجازاتُ مَنْ سبقهُ من الأعلام الكبار ماثلةً ما بقيَ هذا المجْمعُ العلميُّ الشامخُ اعمدةً في بنائه . أقمارًا في سمائه .

ليت السماءَ الأرضُ ليت مدارَها

للعبقريِّ مكانُ شهاب

يومًا لهُ ويقالُ ذاك شعاعهُ

لا محضَ أخبارٍ ومحضَ كتابِ

أحمد مطلوب وخديجة الحديثي

تألق حب وجمال وفاء

الأستاذ المتمرس الدكتور

سحاب محمد الأسدي

كلية الآداب / جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)

صدق الله العلي العظيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين

وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين وبعد ...

فقد تسلمت الدعوة المباركة من السيد رئيس المجمع العلمي العراقي الاستاذ الدكتور عبد المجيد حمزة الناصر ، للمشاركة في كتابة بحث عن آثر فقيد العربية وعلاّمة العراق الكبير أحمد مطلوب ، فسررت بها ، وآليت على نفسي أن اقتنص فسحة من زمن حفل بالمشاغل ، لأستجيب لما طلب مني ، وألبي دعوة وجهت لي وانا الذي تربطني بالفقيد يرحمه الله ، علاقة حب ومودة بدايتها أنني تتلمذت بين يديه طالبا في مرحلة الماجستير ، في قسم اللغة العربية بكلية الآداب / جامعة بغداد ، وهي فرصة جعلتني اتعرف عليه عن قرب ، وفيها تحددت لدي مجموعة خصال تميزت بها شخصيته ، وهو يلتقينا باطلالة لها تفردها بين اساتذة آخرين مفصحا عن رؤيه خاصة

ه ، في طريقة تدريسه لنا وعرض مفردات محاضراته ، بأسلوب شائق ممتع عبر محاورة ومناقشة ، كنا نستمتع بها ، ونعبر عن سرورنا واعجابنا بما نثيره من تفاعل مع آرائه وأفكاره وطروحاته ، التي كان يرصد بها ظواهر النقد القديم وقضاياه محاورا ومناقشا ، تاركا لنا فسحة واسعة لقول آرائنا وتبادل أفكارنا ، وهو يستمع اليها ويستمتع بما يسمع ، فيربينا بمثل هذا النمط من أسلوبه وسلوكه وتعامله ، تواضع العالم وسمو أخلاقه وغزارة علمه ، فمضينا معه فصلا دراسيا حافلا بعطاء علمي وفكري ، أفدنا منه كثيرا وانتفعنا بما أفاض علينا من تجاربه وخبراته ، وتوقد ذاكرته وتنوع منجزه العلمي ، في ميداني البلاغة والنقد . وهنا لا اقصد المضي بتتبع مسار علاقتي بالراحل الكبير ، التي تعمقت وتواصلت ، عبر لقاءاتي معه في المجمع العلمي بين حين وآخر لنزجي السلام عليه وتفقده اعتزازا ووفاء ، او مشاركا له في مناقشة علمية لعدد من أطاريح الدكتوراه ، وقد شرّفني قبل رحيله بقليل ، حين اختارني عضوا في اللجنة العلمية المشرفة على المؤتمر الخاص بالعلامة محمد رضا الشبيبي ، الذي عقد بالتعاون بين المجمع العلمي ومجلس النواب ومؤسسة بحر العلوم الخيرية ، اعود الى القول عن حماستي في الاستجابة لدعوة السيد رئيس المجمع العلمي لكتابة بحث عن فقيدنا الكبير ، فقد أعددت ما يلزم لجمع المادة العلمية وتبويبها وصولا الى مرحلة كتابتها ببحث يليق بمقام الفقيد ، وبمستوى علاقتي به ، لكني وجدت أن الوقت المتبقي لموعد النشر لا يكفي لانجاز البحث بالصورة التي الملمح لديها ، فارتأيت أن تأخذ مشاركتي في العدد الخاص بالفقيد ، عبر منحى له خصوصيته ، لارتباطه بعلاقة الحب والوفاء التي جمعت بين الدكتور أحمد

مطلوب ورفقية عمره الدكتورة خديجة الحديثي ، وهي علاقة توثقت عراها عبر مسيرة عطاء ووفاء ، كابد فيها الاثنان الوان تعب وشقاء ومعاناة ، صبرا عليها بإخلاصهما وصدقهما وعظمة حبهما ، ليمضيا في درب حياتهما ويصنعا تاريخا ومجدا يليق بهما ، ولهذا ستكون وقفتي عند طبيعة هذه العلاقة الجميلة بين مطلوب والحديثي وهما :

غصنان في دوحة العلياء يعمرها

نورٌ يصوغُ كأنفاسِ الصَّبا طَرَبُ

غصنان إذ أزهرا رقّتْ ثما[illegible]

ونبض سليهما في الجنة الضَرَبُ

....

غصنانِ نحن ويبقى الذكرُ ما بقيتْ

أنفاسُ نيسان تروي طيبَ منْ ذهبوا

غصنانِ نحن كما شاء الهوى ولنا

بالله معتصم والخير ما يَهَبُ

غصنانِ إن ذبلا ظلا كما شهدت

أنفاسُ نيسان نبعا دونه الغَرَبُ [1]

وتأتي مشاركتي في هذا العدد الخاص بالفقيد أحمد مطلوب ، لأقول ما أوحت به وقفتي مع من حضر مراسم الدفن ، عند صباح توسد فيه شيخنا

---

[1] غصن نيسان / ٨١-٨٢

الثرى ، لصق رفيقة عمره الحبيبة ، وقد خيل لي ، أن تدعي فقيدتنا الحديثي مدنا ، لتشارك حملة رفيق عمرها الحبيب ، فتضمه اليها ، كي يكونا معا ، كما بقيا مرتبطين بوثاق حب جميل على مدى ست وستين سنة :

ستٌ وستون مرتْ وهي زاهيةٌ

فكيفَ غامتْ وكادَ البدرُ يحتجبُ

كانتْ ربيعا وكان الحبُّ يغمرها

والأمنياتُ كما شاء الهوى سربُ [١]

وتظل كلماتي عاجزة عن وصف مآثر الفقيد ومزاياه ، وما قدم من خدمات جليلة ، لوطنه الذي أحبه وأخلص له ، وللغته التي أحبها وكافح من أجلها ، لتبقى سليمة صافية عربية نقية ، وقد أبدع فيها بلاغيا وناقدا ولغويا وشاعرا ، ليكون عطاؤه منجزا علميا وافرا ، غنيا بأصالته وتميزه ، يجد فيه الباحثون والدارسون والمتخصصون زادا ومنهلا .

وحين يكون أي كلام أختاره لا أبلغ فيه ما يفيه حقه ، أخترت أن يأخذ حديثي منحى آخر ، أدع فيه مطلوب والحديثي : في مناجاة عشق ووفاء ، وقد رحل فقيدنا بعد رحيل رفيقة عمره بشهرين وأيام قلائل :

لم يَطقْ غربتَهُ لمّا هوتْ

راحلة من بين كفيهِ الحبيبةْ

فاضَ دمعُ العينِ شوقا

قلبهُ من وجعٍ أمسى سعيدةْ

---

(١) غصن نيسان / ٨١

بعدما ظلّ بحزن موجع

روحُهُ أصبحتْ بلا حلٍّ غريبةْ

ظلّ مشغولاً بحالٍ متعب

ما به من ألمٍ أعيى طبيبهْ

فاستغاث الله أنْ يُلحقهُ

بحبيبٍ كان قد نادى حبيبهْ

وكانت الاستجابة لاستغاثته أسرع من توقعه لها ، إذ التحق بالحبيبة بعد أمد قصير ، وقد خُيّل لي ثانية [illegible] (سلوب) حين توسد تربا من رفيقه عمره وامتزج ترابهما ، ليكون غطاء لهما ، أُحس بدفء لقائها فقال :

سمعتُ مناجاة

وهمس حبيبة

ترتلُ من وجدٍ

لشوقٍ ولهفة

تقولُ وقد اضنى الفراقُ فؤادَها

إليّ إليّ منى روحي أتيتَ مرادَها

أطلت غيابا

كيفَ روحُكَ طوعت لكَ

تسلاني وتنس

أمثلي يُنسى

حاشا لله أن أقول نسيتني

و[illegible]ك أنت قد أطبقت

[illegible] قد ضممتني

[illegible] بعدي

صار ليلك موحشا

وصار نهارك ليلا

فالهموم عليك تزاحمت

وأنت على ضعفٍ بك تثنيها

[illegible] الآن خيمة أحبة

وبعد أن سمع مناجاتها

قال مخاطبا إياها :

يا توأم الروح

قد جاءت ملبية منك النداء

هلم أحمد إن العين شاخصة إليك

وأدري أن شوقا فيك

شوق الحب

شوق العمر ما بيني وبينك

مذ قلت لي إني أحبك

ولكن لست أدري

كيف يا حبيبتي التقينا

(هل تذكرين ساعة اللقاءْ

وألف معنى طاف في عيوننا

فأسبلتْ حياءْ

يبحث عن حبيبة فكنت يا (وفاء)

ورفَّ قلبٌ ظامئٌ مشوق

يبحث عن حبيبة فكنت يا (وفاء)

وكنت لي أغنية رددتُها سنين

وكنت لي ابتسامة الشروقْ

في عالم ضنينْ

كيف التقينا ؟ جئتُ من مرابع الشمال

وجئتِ من مرافئِ الجنوبْ)[٣]

وها أنا ثانية قد جئتُ يا وفاءْ

بكِ التحقتُ كي نجددَ اللقاءْ

بكِ التحقتُ كي نجدد الحبَّ

الذي كتبنا فيه عهداً

أن نراه خالدا

نفنى وحبنا يبقى

---

[٣] رفيقة عمري /٢٨-٢٩

تصيبُ بعدنا على الفناء

يشهد لي

بأني لم أطق فراقك

قد مرّ شهران وأيام

وأنت يا حبيبتي غائبة عني

أراكِ في صمتي وفي همسي

أراك في غفوة لحظة

تصحبينني في يقظتي

أحسُّ فيك

حين تمسينَ جرحي

وبي تطوفُ ذكريات وأنت كنت

(تسهرين الليل في جزعْ) [٤]

وترقبيني وأنا أصارع الوجعْ

(وتقرئين سورة الاخلاص

في خشوعْ) [٥]

وتألمين حين يشتد بي الوجعْ

---

[٤] رفيقة عمري /٣٤

[٥] المصدر نفسه /٣٤

كيف يا حبيبتي التقينا

(هل تذكرين ساعة اللقاءْ

وألف معنى طاف في عيوننا

فأسبلتْ حياءْ

يبحث عن حبيبة فكنت يا (وفاء)

ورفّ قلبٌ ظامئٌ مشوق

يبحث عن حبيبة فكنت يا (وفاء)

وكنت لي أُغنية رددتُها سنين

وكنت لي ابتسامة الشروق

في عالم ضنينْ

كيف التقينا ؟ جئتُ من مرابع الشمال

وجئتِ من مرافئ الجنوبْ)[٣]

وها أنا ثانيةً قد جئتُ يا وفاءْ

بكِ التحقتُ كي نجددَ اللقاءْ

بكِ التحقتُ كي نجددَ الحبَّ

الذي كتبنا فيه عهدا

أن نراه خالدا

نفنى وحبنا يبقى

---

[٣] رفيقة عمري /٢٨-٢٩

تصبح سعدنا على الفناء

يشهد لي

بأني لم أطق فراقك

قد مرّ شهران وأيام

وأنت ي حبيبتي غائبة عني

أراكِ في صمتي وفي همسي

أراك في غفوة لحظة

تصحبينني في يقضتي

أحسُّ فيك

حين تلمسين جرحي

وبي تطوفُ ذكريات وأنت كنت

(تسهرين الليل في جزعْ) [٤]

وترقبيني وأنا أصارع الوجعْ

(وتقرئين سورة الاخلاص

في خشوعْ) [٥]

وتألمين حين يشتد بي الوجعْ

---

(٤) رؤية عمري /٣٤

(٥) المصدر نفسه /٣٤

(فتسقط الدموعْ) [1]

من أين لي (بهمسةٍ بلمسة تخفف الوجعْ) [2]

وأين يا حبيبتي لك يدٌ

توقد عند رأسي الشموعْ

أين التي تهمس

كي تقول لي :

نم يا حبيبي

والوسادة الضلوعْ

أدريكِ أنك يا حبيبتي

حب ورقة وطبعك الحنانْ

أدريك أنك

ما خلفتِ وعداً بيننا

فكيف ترحلين يا حبيبتي

وتتركينني وحدي

أصارع الزمانْ

ألم نكن معاً (رفيقين

---

(1) المصدر نفسه /٣٤

(2) المصدر نفسه /٣٤

كما شاء الهوى تصارع الزمان)[8]

بلى قد كنا عاشقين

(منذ التقينا رفرف الحنان

فنحن في نبع الهوى

غصنان مزهران)[9]

إن كنت قد حللت قبلي

في ضيافة الرحمن

فها أنا بك التحقت

بيننا تجدد اللقاء

تشابك

القلبان

والروحان

واليدان

والتقت

عيناي في عينيك

باشتياق عاشقين مغرمين

لهفة بليغة

من بعد طول غيبة

---

(٨) رفيقة عمري /٣٤

(٩) رفيقة عمري /٢٩

ما أجمل اللقاء

وألف معنى

طاف في عيوننا

لكنها ما أسبلت حياء

قالت لكل العاشقين

ها هنا التقينا يا أحبتي

مطلوبها أنا

وهذه حبيبتي وفاء

نحن كتبناها حكاية حبنا

على مدى أعوامنا السنين

كان لنا فيها بداية

قد صاغها القضاء

واليوم نكتب سطرها الأخير

كما بدأنا أول اللقاء

ختامها الذي نقوله لكم

وتشهدون

مثلما قرأتم

هذه حبيبتي

رفيقة العمر

أنا مطلوبها

حبيبها

رفيق عمرها

وتعرفون

هذه حكاية

مضى زماننا بها

عبرنا فيها عقده السنين

عدنا لها حبيبين

كما القضاء شاءَ

والحب نادانا

فلبينا النداءْ

إنّها أحبتي

حكاية السنينْ

إنّها حكاية

عنوانها الوفاءْ

حكاية

عنوانها الوفاءْ

وبقي لي في ختام وقفتي عند حكاية الوفاء ، أن أخص استاذي وشيخي الجليل ، أحمد مطلوب بقصيدة الفيتها في الحفل التأبيني الذي أقامه المجمع

العلمي العراقي ، لرئيسه الفقيد أحمد مطلوب يرحمه الله ويكرمه بجزائه وعطائه ونعيمه .

شيخ المجد

إليك مرثّلا أزكى سلاما

وعــــزّا من قوافيك كراما

وشوقَ أحبةٍ ذكروك حمدا

فطب نفسا سموت بها مقاما

وقرّ عينا بما أبدعت صنعا

وما سطرت من مجدٍ كلاما

وما أسديت من فكرٍ عطاءً

يظلُّ الوافدون له زحاما

لقد أفنيت عمرا في رحاب

لمجمعنا فكنت أبا هُماما

بقيت مرابطا تجلو ظلاما

وما يكفي على صدرٍ وساما

لقد نلت الجوائز فاردات

كم أغرتك تيها واحتداما

بها ألقا سماحتك استنارت

كسنبلةٍ حنت بالخير هاما

أيا علماً وذكرك فينا حيٌّ

وتبقى فعالك الأبهى عظاما

ويا شيخاً حويت المجد عزما

وأبرمت الصعاب له لجاما

بها لغةٌ حوت بليغ حقٍّ

فأمُّ الضاد همت بها هياما

وأمُّ الضاد زدت بها بهاءً

وأمُّ الضاد صرت لها اماما

وأمُّ الضاد ان فقدتك درعا

سيبقى العاشقون لها خداما

ويبقى المقتدون سبيل نهج

حماة دون خدرها أنْ يضاما

أتاك المحتفون بك اعتزازا

قلوبا أخلصت زرعتْ دماما

المصادر :

١- رحلة عمري الدكتور أحمد مطلوب

المطبعة المركزية / جامعة ديالى ٢٠١٥م

٢- غصن نيسان ، خديجة الحديثي

فداء وعطاء أعدّه وقدم له الأستاذ الدكتور محمد حسين علي زعين

مطبعة العهد ، بغداد ٢٠١٨م

أحمد مطلوب
والتأصيل اللغوي

الأستاذ الدكتور
تركي بن سهو بن نزّال العتيبي
المملكة العربية السعودية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، أمّا بعد :

فتجمعني بالأستاذ الدكتور أحمد مطلوب وزوجته الأستاذ الدكتورة خديجة الحديثي علاقة قديمة جدا . وكانت بيننا اتصالات ومراسلات في أوقات متباعدة وكثيرة ، ولم يكن مرضهما بالمفاجئ ، لأنني أهاتفهما للاطمئنان عليهما ، ومضى القضاء والقدر فسبقت الدكتورة خديجة زوجها إلى الدار الآخرة ، ولحقها بعد مدة قصيرة لم تتجاوز الشهرين والنصف ، دوّن الدكتور أحمد مشاعره الحزينة في قصائد متوالية تكاد تكون يوميّات حتى أقعده المرض الأخير .

وبعد وفاته تلقيت دعوة كريمة من الأخ الأستاذ الدكتور عبدالمجيد حمد الناصر ؛ رئيس المجمع العلمي العراقي بالوكالة ، للإسهام في الكتابة عن رئيس المجمع السابق الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب – رحمه الله تعالى – وهي دعوة لا يمكن لمن عرف الفقيد أن يعتذر عن القيام بها ، تقديرا للداعي ، وتثمينا لجهود المدعو للكتابة عنه أو له ، ولذا فقد أعددت هذا

العمل ، وجعلته في تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة ، وجعلت عنوانه عن التأصيل اللغويّ الذي خاض غماره الدكتور أحمد – رحمه الله تعالى – .

تحدثت في التمهيد عن اسمه ونسبه وحياته ، معتمدا في ذلك على السيرة الذاتية التي كتبها هو – رحمه الله تعالى – للمجمع ، وتحدثت في المبحث الأول عن النحت عند أحمد مطلوب ، وفي المبحث الثاني عن الأرقام العربية عند أحمد مطلوب ، وفي المبحث الثالث عن تعليم العربية عند أحمد مطلوب ، وفي الخاتمة أشرت إلى أهم ما جاء في هذه المباحث .

أكرر شكري للأستاذ الدكتور حمزة الناصر رئيس المجمع العلمي العراقي بالوكالة ، ولجميع الفضلاء الذين أحسنوا الظن بي ، والله سبحانه وتعالى الموفق لكل خير وهدى .

التمهيد :

الحديث عن حياة الأستاذ الدكتور أحمد سهلة ميسورة ؛ لسبب يسير هو أنه هو من عرّف بنفسه ، وكتب مسيرته الرائعة ، ولذا فهي من أعلى الأسانيد وأرقى انواع التوثيق .

فهو الأستاذ الدكتور احمد بن مطلوب بن احمد الناصري التكريتي .

أستاذ البلاغة والنقد كلية الأداب جامعة بغداد ، ورئيس المجمع العلمي العراقي حتى وفاته ، ووزير الثقافة والإرشاد في الجمهورية العراقية عام ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

ميلاده :

ولد يوم الأحد ١٠ شعبان١٣٥٥ هـ / ٢٥ أكتوبر ١٩٣٦م ، في تكريت بالعراق .

دراسته :

درس الابتدائية والمتوسطة في تكريت (١٩٤١-١٩٥٠م) .

درس الثانوية في كربلاء وأتمها في الكرخ ببغداد (١٩٥٠-١٩٥٢م) .

وحصل على البكالوريوس في اللغة العربية من كلية الآداب والعلوم ببغداد (قسم اللغة العربية) بدرجة امتياز عام ١٩٥٦م ، وكان الأول على جميع أقسام الكلية .

حصل على الماجستير في علم البلاغة والنقد بدرجة جيد جدا من جامعة القاهرة عام ١٣٨٠ هـ ١٩٦١ .

وحصل على الدكتوراه في البلاغة والنقد بمرتبة الشرف الأولى من جامعة القاهرة سنة ١٣٨٣هـ -١٩٦٣م .

حياته الاجتماعية :

تزوج الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب الدكتورة خديجة بنت عبدالرزاق بن عبدالقادر الحديثي الحسني الهاشمي ، وذلك يوم الأحد ١٣٧٦/٣/١٧هـ الموافق ١٩٥٦/١٠/٢١م .

ورزق منها ابنان الدكتور أثير والدكتور نصير ، وللدكتور أحمد منهما أحفاد ، وللأحفاد أولاد .

وتوفيت الدكتورة خديجة رحمها الله تعالى يوم الأربعاء ١٤٣٩/٨/٢٣هـ الموافق ٢٠١٨/٥/٩م ، ودفنت في مقبرة الكرخ .

وخاطبها بأبياتٍ نفيسة جدًا ، مطلعها :

وقفتُ أخاطبها والدموعُ دمٌ نزفَ القلب أشجانها

وقلتُ لها : يا نجيَّ الحياة أتفتقد الدوحة أغصانها

أبرز مؤلفاته :

للأستاذ الدكتور أحمد مطلوب اكثر من تسعين مؤلفا ، كما ذكر هذا هو في سيرته التي أعدّها ، ومن هذه المؤلفات الآتي :

١- البلاغة عند السكاكي- بغداد ١٣٨٤هـ -١٩٦٤م .

٢- القزويني وشروح التلخيص . بغداد ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

٣- النقد الأدبي الحديث في العراق . القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨ م .

٤- الرصافي - اراؤه اللغوية والنقدية . القاهرة ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م .

٥- مصطلحات بلاغية . بغداد ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م .

٦- عبد القاهر الجرجاني - بلاغته ونقده . بيروت - الكويت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

٧- اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة . بيروت - الكويت ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م .

٨- البحث البلاغي عند العرب . بغداد ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٩- البلاغة عند الجاحظ . بغداد ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٠- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها - ثلاثة أجزاء ؛ الجزء الأول بغداد ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، الجزء الثاني . بغداد ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، الجزء الثالث . بغداد ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

وهذا الكتاب هو الذي رُشح به لجائزة الملك فيصل العالمية ، وفاز بها مناصفة عام ١٤٢٨هـ .

ومن الكتب التي عرض فيها الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب لبعض جوانب الدرس اللغوي :

١ - الأرقام العربية ،عمان ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .

٢- حركة التعريب في العراق . الكويت ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .

٣- معجم الملابس في لسان العرب . بيروت ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

٤- بحوث لغوية ، طبع في دار الفكر .

٥- معجم النحت في اللغة العربية ١٤٣٢هـ .

٦- معجم في الأخطاء اللغوية ، ١٤٣٣هـ .

٧- الحقيقة الشرعية وتنمية اللغة ، نشر في مجلة المجمع ١٤١٤هـ .

٨- منهج دوزي في معجمه المفصل في أسماء الملابس ، نشر في مجلة المجمع ١٤٠٩هـ .

٩- زيادة الألف والنون في النسب ، ونشر في مجلة المجمع ١٤٠٦هـ .

وغيرها من مصنفاته الكثيرة التي تزخر بها المكتبات .

المناصب التي تولاها .

تقلد الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب عدداً من المناصب الكبيرة في الدولة ، فقد كان وزيرا للثقافة والإرشاد عام ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ م ، وكذلك كان عميدا لكلية الآداب بجامعة بغداد ، وأمينا عاما للمجمع العلمي العراقي ، وبعد ذلك رئيسا للمجمع على مرتبة وزير من عام ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م حتى وفاته ، رحمه الله تعالى[1] .

وفاته :

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب في بغداد ، عصر يوم السبت ١٤٣٩/١١/٨هـ - ٢٠١٨/٧/٢١م ، ودفن إلى جوار زوجته في مقبرة الكرخ ، وذلك بعد وفاة زوجته الدكتورة خديجة بشهرين ونصف فقط .

---

(١) جميع المذكور هنا مأخوذ من سيرته الذاتية التي أعدها للمجمع العلمي العراقي ، مع إضافات يسيرة .

المبحث الأول : النحت عند أحمد مطلوب :

اللغة العربية لها مظاهر كثيرة تتسم بها من بين اللغات المختلفة ، ومن هذه السمات الاشتقاق ، وهو على عدة أنواع ، الاشتقاق الصغير والاشتقاق الكبير ، ويعدون النحت نوعاً من أنواعه .

ذكر النحت اللغويون المتقدمون ، وأشاروا إلى تعريفه والحاجة إليه ، وقد أفرده الدكتور أحمد مطلوب ببحث بعنوان : النحت في اللغة العربية ، ونشر في مجلة المجمع ، عرض فيه لتعريف النحت وضوابطه ورأي لغويي العراق فيه ، وجاء فيه الآتي :

عرض لتعريف النحت ، ونقل الدلالة اللغوية لمادة (نحت) ، وأحال على كتاب العين ، وبعد ذلك قال :" ولعل أوّل من تحدث عن النحت في اللغة العربية الخليلُ بنُ أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٥هـ) إذ قال :" إنّ العينَ لا تأتلفُ مع الحاءِ في كلمةٍ واحدةٍ ؛ لقرب مخرجيهما ، إلا أن يُشتقَّ فعْلٌ من جمع بين كلمتين مثل : (حيَّ على) كقولِ الشاعر :

ألا ربَّ طيفٍ باتَ منه معانقي إلى أن دعا داعي الفلاحِ فَحَيْعَلا

يريد قال : (حيَّ على الفلاحِ) أو كما قالَ الآخر :

فباتَ خيالُ طيفِك لي عليقـا إلى أن حَيْعَلَ الداعي الفلاحا "[٢] .

بعد هذا ذكر الدكتور مطلوب أنَّ هذا النحت عند الخليل من اشتقاق فعلٍ من كلمتين حينما لا تأتلف العينُ مع الحاءِ في كلمةٍ واحدةٍ ، ثم قال :

---

[٢] النحت ٦ .

"وكلام العرب عنده مبنيّ على أربعة أصناف : الثنائي ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماسي ، وليس للعرب في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف ، وما وجد زيادة على خمسة أحرف في فعل أو في اسم فإنّها زائدة على البناء ، وليست من أصل الكلمة"[3] .

بعد هذا انتقل الدكتور أحمد إلى الحديث عن النحت عند ابن فارس - رحمه الله تعالى - فقال : "هذا الكلام على النحت ، وقد توسع فيه أحمد بن فارس (...-٣٩٥هـ) ثم نقل عن ابن فارس قوله عن النحت : "العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة ، وهو جنس من الاختصار ، وذلك : رجلٌ عبشميّ : منسوب إلى عبشمس ، وأنشد الخليل :

أقولُ لها ودمعُ العينِ جارٍ ألم يحزنك حيعلةُ المنادي[4]

من قولهم : حيّ على"[5] .

وجاء في معرض النصّ الذي نقله الدكتور أحمد عن ابن فارس مذهبه في أنّ أكثر الرباعي والخماسيّ منحوتٌ ، وذكر أمثلة لما رآه في هذه المسألة ، وخلص إلى قوله : "فابن فارس يرى أنّ أكثر الرباعيّ والخماسيّ منحوتٌ ، ومعنى النحت عنده : أن تؤخذ كلمتان ، وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ"[6] .

---

(3) المصدر السابق ٦-٧ .

(4) المصدر السابق ٦-٧ .

(5) المصدر السابق ٦-٧ .

(6) المصدر السابق ٦-٧ .

ثم ذكر أنواع النحت عن ابن فارس ، وأنها عدة أنواع هي

النوع الأول : المنحوت من كلمتين ، ومثّل له بقولهم : بحتر ، وهو القصير المجتمع الخلق .

النوع الثاني : المنحوت من ثلاث كلمات ، ومثّل له بقولهم : القلفع . وهو ما يبس من الطين على الأرض فيتقلّف ، وهذه منحوته من ثلاث كلمات : قفع وقلع وقلف .

النوع الثالث : المنحوت من كلمتين ، ودخلته زيادة حرف ، ومثّل له بقولهم : الحنزقْرة ، وهو القصير ، وهي من الحزق والحقر مع زيادة النون[٢] .

وختم حديثه – رحمه الله تعالى – عن النحت عند القدماء بقوله :" وتحدّث السيوطيُّ عن النحت .... وما أشار إليه الخليلُ وأحمد بن فارس وابن السكيت في إصلاح المنطق والفراء ، والثعالبي في فقه اللغة ، وصاحب الصحاح ، وابن دحية في التنوير ، وابن دريد في الجمهرة ، وابن الأعرابي ، وابن الفرحان في المستوفي ، ونقل عن ابن مالك أنّه قال في التسهيل :" قد يبنى من جزأي المركّب فعلل ، بفاء كلٍّ منهما وعينه ، فإن اعتلت عين الثاني كمّل البناء بلامه أو بلام الأول ونسبه إليه ، وقال أبو حيّان الأندلسي في شرح التسهيل : وهذا الحكم لا يطّرد ، إنما يقال منه ما قالته العرب ، وكان ابنُ مالكٍ قد قال وهو يتحدّث عن فَعْلل : انفرد الرباعيُّ بفَعْلل لازماً ومتعدّيا لمعان كثيرة ، وقد يصاغ من اسم رباعيّ لعملٍ بمسمّاه أو

---

(٢) المصدر السابق ٨ .

لمحاكاته ، او لجعله في شيء أو لإصابته أو لإصابة به ، أو لإظهاره ، وقد يصاغ من مركّب لاختصار حكايته [8] .

هذا مجمل حديث الدكتور أحمد مطلوب عن النحت عند القدماء ، وقد اختصر هذه المسألة اختصارا يناسب هذا العمل . فهو لبيان أنّ النحويين واللغويين المتقدمين أدركوا أهمية النحت ، وعرّفوه ، ووضعوا له أنواعا ، واستدلوا على استعمال العرب له بكثير من شواهد الشعر التي ذكروها ، وبيّنوا أنّ بعض ألفاظها لا تحتمل وجها غير أن تكون منحوتة من كلمتين فأكثر . وهذا العرض الذي دونه د. مطلوب في تحقيق هذا العرض في الحديث عن النحت عند القدماء ، إلا أنّه بيّن أن النحت لم يأخذ مجالا واسعا في كتاباتهم ، فقال :" لقد أشار القدماء إلى بعض صيغ النحت ، ولكنّه لم يأخذ مجالا واسعا في دراساتهم النحويّة والصرفيّة حتى جاء القرن العشرون ، وقد انهالت المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية ، أخذ اللغويّون يتحدثون عن النحت ، فيأخذ به بعضهم ويجعله قياسا ، ولا يأخذ به بعضهم الآخر ، وإنما يجيز ما سمع عن العرب . وقد كان عبدالله أمين من أشهر الذين أطالوا الكلام على النحت ، وعقد القسم الرابع من كتابه الاشتقاق له ، وسمّاه الاشتقاق الكبّار ، يقول : وقد أسميته الكُبّار بالانتقال أكبر من الكبار بالتخفيف ، والنحت آخر أقسام الاشتقاق [9] .

---

[8] المصدر السابق ١٠ .

[9] المصدر السابق ١٠-١١ .

بعد ذلك تحدث الدكتور أحمد عن قرار مجمع اللغة العربية في القاهرة فقال : " وقرار مجمع اللغة العربية في القاهرة هو : " يجوز النحت عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية " وجاء في تفسيره : " النحت ظاهرة لغوية احتاجت إليها اللغة قديم وحديثا ، لم يلتزم فيه الأخذ من كل الكلمات ولا موافقة الحركات ولا السكنات ، وقد وردت من هذا النوع كثرة تجيز قياسيته ، ومن ثم يجوز أن ينحت من كلمتين أو أكثر اسم أو فعل عند الحاجة ، على أن يراعى ما أمكن استخدام الأصل من الحروف دون الزوائد ، فإن كان المنحوت اسما اشترط أن يكون على وزن عربي ، والوصفُ منه بإضافة ياء النسب ، وإن كان فعلا كان على وزن فعْلل ، أو تفعْلل ، إلا إذا اقتضت غير ذلك الضرورة ، وذلك جريا على ما ورد من الكلمات المنحوتة "[10] .

وطرح سؤالا قال فيه : هذا ما كان من موقف بعض القدماء والمحدثين ومجمع اللغة العربية في القاهرة ، فما موقف علماء العراق في القرن العشرين من النحت ؟ وما موقف المجمع العلمي العراقي ؟ "[11] .

أجاب من خلال ذكر عدد من علماء العراق الذين عرضوا للنحت ، وخلص إلى أنهم انقسموا فريقين : الأول : لا يؤيد النحت ، ويمثله الأب أنستاس ماري الكرملي والدكتور مصطفى جواد . والثاني : يأخذ به كمحمود شكري الألوسي وطه الراوي وساطع الحصري ، ووقف المجمع العلمي

---

[10] المصدر السابق ١١ .

[11] المصدر السابق ١١ .

العراقي وسط بين الطرفين ، وقررت لجنة اللغة العربية فيه : " عدم إجازة النحت إلا عند عدم العثور على لفظ عربي قديم ، واستنفاد وسائل تنمية اللغة من اشتقاق ومجاز واستعارة لغوية وترجمة ، على أن نلجئ إليه ضرورة قصوى ، وأن نراعي في اللفظ المنحوت الذوق العربي وعدم اللبس "( ) .

ثم سرد ألفاظاً منحوتة ذكرها المتقدمون وبعض المتأخرين ، كقولهم : فحمس او أو فسكر لفحم السكر ، وسمفار أو سعأر لسم الفأر ، وسنفل لسن الفيل ، ونتأكصد لنترات الصوديوم . ثم عقب عليها بملخص رأيه الذي أورده الدكتور أحمد شاعر متمثلاً ببيت لصفي الدين الحلي ، يقول الدكتور أحمد مطلوب : " ورحم الله صفي الدين الحلي حينما قال عن مثل هذه الألفاظ :

لغة تنفر المسامع منها حين تروى وتشمئز النفوس "( ) .

وختم بحثه بخلاصة ما توصل اليه ، فقال : " يتضح من ذلك أن ليست هناك ضرورة تدعو إلى استعمال النحت للدلالة على المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية ، إذا كان النحت يؤدي إلى الخروج عن أبنية اللغة العربية وذوقها الخاص ، وإلى الغموض والإبهام كالمنحوتات العلمية التي ذكرها عبدالله أمين في كتابه الاشتقاق ، وفي اللغة العربية من الوسائل التي تغني عن ذلك ، ومن أهمها الاشتقاق – واللغة العربية اشتقاقية ، وليست إلصاقية – والقياس والمجاز والتوليد .

( ) المصدر السابق ٢٢ .

( ) المصدر السابق ٢٦

ولعل الترجمة أفضل من النحت ؛ لأنها تكون دقيقة وواضحة المعنى ، حينما يقوم بها متخصص له في معرفة اللغة العربية نصيب كبير "[١٤] .

جاء هذا العمل فيما يقارب ثلاثين صفحة ، وكانت عبارة المؤلف فيه – رحمه الله تعالى – واضحة وسلسة ، وأفكاره فيها مرتبة ، واستوفى الأمور العامّة في مسألة النحت ، وكان معتدًا بعلماء العراق الذين أفرد لهم جزءًا من هذا العمل ، ولم يكن متساهلا أو باحثًا عما يرضي بعض المعاصرين من فتح أفقٍ جديدٍ لاستيعاب ما جدّت به الحضارة المعاصرة ، ولكنّه رأى أن في قواعد العربية ما يغني عن فتح أبوابٍ هناك ما يغني عنها ويسدّ مسدّها .

رحم الله تعالى الجميع وأسكنهم فسيح جناته .

المبحث الثاني : الأرقام العربية عند الدكتور أحمد مطلوب :

ظهرت دعواتٌ تلبست ألبسة مختلفة من دعوة لتأصيلٍ مزعوم ، ومن عودة إلى أصولٍ لا أصول لها ، ومن هذه الدعوات الخادعة تغيير الأرقام العربية المعروفة في البلاد العربية عدا بلاد المغرب ، وكتابتها بالأرقام المكتوبة باللغات الأجنبية ، وقد تفطّن الكثيرون لخطورة هذه الدعوات وتنبهوا لها ، وحذروا من عواقبها . ومن أبرز من تحدث في هذا الأمر الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب ، وكتب فيه رسالة طبعها عدة مرات ، وقال في آخرها : " الانطلاق نحو تحقيق ما سعى إليه المستعمرون وأنصارهم ، وهو الأخذ بالحرف الأجنبي أولا ، ثم الأخذ بلغة أجنبية ثانيا ، لتقدّم العربُ بعد

---

[١٤] المصدر السابق ٢٨ .

أن تأخروا لأخذهم بلغة القرآن . وليس ذلك ببعيد ، فقد وجد بعضهم في صلة الرقم الأوربي بالعرب وتسميته (الرقم العربي) سبيلا تفضي به إلى هذه الغاية ، بعد أن أخفق في فرض الحرف الأوربي لأنه غريب عن لغة العرب "[١٥] .

ثم خلص الدكتور أحمد – رحمه الله تعالى – إلى أن هذه الدعوات فتنة ، فقال : " إنّ الدعوة إلى تغيير الأرقام فتنةٌ وإن اتخذت سمة عربيّة ، وأنها ستصيب العرب والمسلمين جميعا . وقد قال سبحانه وتعالى : " واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أنّ الله شديد العقاب "[١٦] .

درج العالم العربيّ على كتابة الأرقام العربيه بصورتها المعروفة ، ثم ما لبثت بعض الحملات أن أخذت منحى جديدا ، تطالب بترك كتابة هذا الرقم بهذه الصورة ، والأخذ بصورة الأرقام المكتوبة باللغات الأجنبية ، زعما منهم أنها الأصل في كتابة الأرقام العربية ، ولم تكن حملة واحدة ، بل كانت حملات متتابعةً ، واحدة تلو الأخرى . كلما خفت نار إحداها تأججت نار أخرى ، ولله سبحانه وتعالى رجال خصصهم بالدفاع عن دينه ولغة دينه ، والذود عن حماهما . قال الدكتور أحمد : " وإذا بدعاة العاميّة يرفعون أصواتهم وبعشاق الحرف اللاتيني يزينون الباطل تزيينا ، وتنوعت الأطراف وكان الاستعمار واحدا ، وكان عرب الأطراف الجانبية الأخرى ، فقد ظهر

---

(١٥) الأرقام العربية ٢٧ .
(١٦) المصدر السابق ٢٨ .

وعشراتٍ ومئاتٍ وألوفاً ، وعرض بعد ذلك لحساب الجمل ، وأنّه إذا أرادوا الرقم (١٢٤٠) كتبوا (مرغ) ؛ لأنّ الميمَ أربعون ، والراء مائتان ، والغين ألفٌ[٢٠] .

ورأى أنّ العرب :" أقاموا الحروف على وحداتٍ تتكوّن من تسعة أرقام " كما رأى " ... أنّ العرب في تلك المرحلة لم يتصلوا بالهنود ، ولا يمكن تفسير ذلك إلا بأمرين :

الأول : أنّ النظام العشريّ غير منقولٍ عن الأمم الأخرى ، وإنّما هو أصيلٌ عرفه العربُ في بيئتهم ، كما عرفه غيرُهم في بيئاتهم أيضاً .

الثاني : أنّ هذا النظام كان بابليّاً ، ولا يستبعد أن يكون الهنود قد أخذوه عن البابليين مثلما أخذه العرب ، على الرغم من أنّ بعض الباحثين يشير إلى أنّ الأرقام الهندية وصلت مدارس الرهبان في وادي الرافدين عام ٦٢٢ للميلاد "[٢١] .

والأرقام العربيّة المستعملة نوعان ، قال الدكتور أحمد مطلوب :" إنّ الأرقام العربية – كما يتضح من البحث – سلسلتان : الأولى : المستعملة الآن في معظم البلاد العربيّة والاسلامية ، وهي ما تعرف بالهنديّةِ ، والثانية : الغباريّة التي استعملت في الأندلس والمغرب وأخذها الأوربيّون ؛ وهذا ما ذكره الخوارزمي والمستشرقة الألمانيّة زيغريدهونكة والعقيد سالم محمد الحميدة ، ولكنَّ الأخير قال أيضاً : إنّ الخوارزميَّ أوّلُ من أنشأ كتبه

---

[٢٠] انظر : المصدر السابق ١٠ .

[٢١] انظر : المصدر السابق ١٠ .

بالسلسلة الهنديّة ، وإنّ شهرته وأهميّة مؤلفاته كانا عاملاً مهمّاً في انتشارها في المشرق العربيّ والبلدان الإسلاميّة الأخرى ، إذ إنّ مؤلفاته كانت هي المعمول بها في الدولة العبّاسية خلال تلك المرحلة "[22] .

بعد أن ذكر الدكتور محمد مطلوب مقدّمة عن الأرقام قال : " ولكن الأرقام التي استعملها العرب لم تكن الهندية صرفة ، فبعد أن كانوا يكتبون الأعداد بالحروف وجدوا في طريقة الهنود سهولة ويسراً . فاستخدموا النظام الذي اتبعوه ، أي أنّهم لم يأخذوا شكل تلك الأرقام كما هي عند الهنود ، على الرغم من أنّ بعض الباحثين يرجّح أنّ الأرقام (٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩) في أشكالها الهندية اشتقت من الحروف الأولى للكلمات المقابلة لهذه الأرقام الأبجدية البكترية المستعملة في شمال الهند . أمّا الأرقام الثلاثة الأولى (١، ٢، ٣) فيعتقد أنّها جاءت على التوالي من سحبة قلم واحد وسحبتين وثلاث سحبات متوازية "[23] .

ونقل عن البيروني أن صور الحروف تختلف باختلاف البقاع ، ولَيس يجرون على حروفهم شيئاً من الحساب ، كما نجري على حروفنا ، ونقل عن هونكة قولها فيما يتعلق بالأرقام إن شكل الحرف العربي ليس هندي المولد الهندي[24] ، وعلّق عليها بقوله : " ولكنّ ذلك الأخذ لم يكن حرفيّاً ، لأنّ صور الأرقام الهندية تختلف اختلافاً واضحاً عن أشكال الأرقام العربيّة ، وقد ذهب الدكتور عدنان الخطيب الى أنّ منشأ الأرقام العربيّة كان صور حروف

---

(22) المصدر السابق ص ١٥ .

(23) انظر : المصدر السابق ١٣ .

(24) انظر : المصدر السابق ١٣ – ١٤ .

الأبجدية العربية ، وليس الأشكال والرموز التي كان الهنود يستخدمونها كما يزعم بعض الباحثين بلا دليل ، وأنّها لم تقم على تعداد الزوايا التي تحتويها صورة كلّ حرفٍ ، وبذلك تسقطُ دعوى من ذهب إلى أنّ الأرقام الغبارية هي العربيــة الأصيلة ، وأنّ الأرقـام المألوفـة فـي العـالمين العربـي والإسـلامي هندية ، وهي دعوى لم تظهر أن الاثنتين عربيّتان ، وأنّ الدخول من هذا الباب الذي لا يشكُّ فيه سهلٌ لا يثير الدعوة إلى الحروف اللاتينية من شبهة معروفةٍ في القرن العشرين "[٢٥] .

ثمّ عقّب على ذلك بقوله : " وقد ساعد ذلك سلسلة الأرقام الهنديّة على الانتشار ومكّنها من إزاحةِ سلسلة الأرقام الغباريّة في هذه الأجزاء من الدولة الإسـلامية ، ومعنـى ذلـك أنّ الأرقـام المسـتعملة الآن فـي العـالمين العربـيّ والإسلاميّ هي الأشكالُ الأصيلةُ ، وليست الغباريّة ، كما يذهبُ إلى ذلك بعضُهم ، وينادي بإلغاءِ الأرقام المشرقية .

لقد ثبتَ أنّ الأرقامَ المشرقيّة هي الأصلُ ، وأنّها هـي التـي شـاعت قديما وحديثا ، واستعملت فـي المخطوطـات العامّة ، أو فـي مخطوطـات الحساب "[٢٦] ، ويبني الدكتور أحمد رأيه هذا على أمور كثيرة منها :

١- متابعة ما جاء في الصحف العربية التي كانت تصدر في أوائل القرن الماضـي ، كصحيفتي المنتقد والشهاب ، اللتين أصدرها عبدالحميد بـن باديس عام ١٩٢٥م ، وكذلك صحيفة البصائر التـي أصدرها

---

(٢٥) المصدر السابق ١٤-١٥ .

(٢٦) المصدر السابق ١٥ .

محمد سعيد الزاهري وانتخب المغربي عام ١٩٣٥م ، حيثما كانت تكتب الرقم كما هو في بلاد المشرق العربي .

٢- استعمال هذا الرقم في الإجازات العلمية ، والنصب التذكارية ، والمقابر والمخطوطات .

٣- وجود هذا الرقم على العملات في أول أمرها قبل التحول ، ومن ذلك العملة الجزائرية التي سكت عام ١٩٦٤م ، واستعملت هذا الرقم[١١] .

ثم نعقّب هذا بقوله : " هذا ما كان من أمر الرقم العربي ، ويتضح مما تقدّم :

١- أنّ العرب أخذوا عن البابليين أو الهنود النظام العشريّ .

٢- أنّ العرب أخذوا عن الهنود فكرة الأرقام ، ولم يأخذوا أشكالها وصورها .

٣- أنّ العرب استعملوا الأرقام المألوفة في كتب الحسابات والمخطوطات طوال القرون السابقة ، وما يزال ألف مليون عربي ومسلم يستعملها في القرن العشرين .

٤- أنّ الأرقام الغبارية لا تتفق كل الاتفاق مع ما طوره الأوربيون ، أي أنّ الصورة عربيّة النجار ، عربيّة الآثار .

---

[١١] انظر : المصدر السابق ص ١٨ .

٥- أنّ الأرقام الغبارية لم تشع إلا في بعض الأجزاء من العالم العربي ، ولم تعرف إلا في بعض المخطوطات التي اتخذت دليلا على هجر ما ألفه النّاس ، وكتبوا به زمنا طويلا .

٦- أنّ بعض الأقطار استعملت الأرقام المألوفة في صحافتها وإجازاتها العلمية ومخطوطاتها ومقابرها وعملتها ، ولم تستعمل الرقم المغترب إلاّ قبل أعوام قليلة [٣٨] .

هذه خلاصة ، بل هي نتيجة دراسة متأنية علمية ، ولم تكن عاطفية تقودها رغبة الانتصار لقول على قول ، أو الدخول في مجادلات لا تفضي إلى هدى ، بل كان الدكتور أحمد - رحمه الله تعالى - يقظا لحملة مسمومة تستهدف اللغة والدين ، ويرى أنّها فتنة عمياء ، ويطرح أسئلة عن سبب ذلك ودواعيه ، فيقول : " فالسلسلة التي تستعمل الآن هي الأساس ، ولا يزال أكثر من ألف مليون عربي ومسلم ومستشرق يكتبون بها ، فلماذا يسعى بعضهم إلى تغييرها ويدعو إلى نقل الأرقام التي استقرت في أوربة ؟ لماذا تُغيّر وقد استقرّت في الكتب وارتبطت ارتباطا وثيقا بحركة تطور الخط العربيّ وأصبحت جزءا منه ، واستقامت في أيدي الكتّاب ، وانسجمت في الطباعة مع الحروف العربيّة ؟ يقول الدكتور عدنان الخطيب ظلّت أحرف الأرقام المشرقيّة سائدة في مجملها جميع بلاد المشرق العربيّ والإسلاميّ ، وتطوّرت مع تطوّر الحرف العربيّ وأنواع الخطوط العربيّة والفارسيّة والعثمانية ؛ مسايرة بذلك ليونة ... الحرف وزواياه الهندسية في مختلف

---

[٣٨] المصدر السابق ١٩ .

الخطوطِ المعروفةِ حتى إنها أصبحت اليوم – وبعد ألف سنة من عمرها المديد – جزءا من التراث العربيّ الإسلاميّ في كتابةِ العربيّة ولغات الشعوب الإسلاميّة من فارسيّة وعثمانية وأرديّة وأفغانيّةٍ وشعوب أخرى ما زالت تكتب لغاتها بالحرف العربي ، وإن اختلفت صور بعض الأرقام من بلد إلى بلد[29] .

وختم حديثه بالآثار المترتّبة على الأخذ بالأرقام التي تكتب في المغرب العربيّ ، بأنها آثارٌ ذات أضرار متعدّدة : معنويّة واقتصادية ، وهي في النهاية تحقق أهداف الاستعمار التي يسعى إليها ، فقد قال – رحمه الله تعالى – : " وصفوةُ القول : إنّ الأخذ بالرقم المغترب يؤدي إلى :

١- قطع الصلة بكتب التراث العربيّ الإسلاميّ .

٢- إعادة طبع كتب التراث بالأرقام الجديدة .

٣- تحويل ألف مليون عربيّ ومسلم إلى أسلوبٍ جديد في كتابة الأرقام .

٤- تحويل النطق بالأرقام العربيّة ، ولا سيما أعداد العقود المعطوفة ، أي تغيير أسلوب العدد في الكلام والتركيب .

٥- تغيير أجهزة الطباعة وتغيير أرقام الآلات الكاتبة ، وفي ذلك خسارة اقتصادية عظيمة

٦- دفع الدول الإسلامية إلى تغيير الحرف العربيّ ليلائم الرقم الجديد .

---

[29] المصدر السابق ١٩-٢٠ .

٧- الانطلاق نحو تحقيق ما سعى إليه المستعمرون وأنصارهم ، وهو الأخذ بالحرفِ الأجنبيّ أولا ، ثمّ الأخذ بلغةٍ أجنبيّةٍ ثانيا ، ليتقدّم العربُ بعد أن تأخّروا لأخذهم بلغة القرآن ، وليس ذلك ببعيد ، وفقد وجد بعضهم في صلة الرقم الأوربيّ بالعرب وتسميته (الرقم العربي) سبيلا تفضي به إلى هذه الغاية ، بعد أن اخفق في فرض الحرف الأوربي ؛ لأنه غريبٌ عن حضارة العرب .

إنّ الدعوة إلى تغيير الأرقام فتنةٌ ، وقد اتخذت سمة عربيّة ، وأنّها ستصيبُ العرب والمسلمين جميعا . وقد قال سبحانه وتعالى :" واتقوا فتنة لا تصيبنّ الّذين ظلموا منكم خاصّة ، واعلموا أنّ الله شديدُ العقاب "[٣٠] .

لقد كتب الدكتور أحمد بحثه هذا بوعي تامّ للحملة على الدين واللغة ، ورأى أشكالها المختلفة ، وصورها المتعددة ، التي تسعى لهدم العربية ، ورأى أنّها هدم للدين الحنيف ، فهي فتنة لن تصيب الذين ظلموا خاصّة ، بل ستصيب الجميع ، الذين ظلموا والذين صمتوا عنها جهلا بها ، أو خوفا من تبعاتها ، أو رضا بها .

المبحث الثالث : تعليم العربية عند أحمد مطلوب :

الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب بدأ حياته مدرسا في ثانوية الكرك عام ١٣٧٧هـ ، ثم معيدا في كلية الآداب عام ١٣٧٨ هـ ، وتدرج في السلم الجامعي محاضرا وأستاذا مساعدا ثم أستاذا مشاركا ، حتى وصل إلى

---

[٣٠] المصدر السابق ٢٢ .

الأستاذية عام ١٣٩٢هـ ، وتقلد عددا من المناصب في جامعة بغداد ، ومنها عميد كلية الآداب بها ، مما جعله يعيش التعليم في جميع مراحله .

فقد أدرك في أول حياته العملية في التعليم كثيرا من مشكلاته ، التي كانت سببا مهمًا في ضعف الطلاب ، وتدني مستواهم ، ونفرتهم من تعلم العربيّة ، فقال عن نفرة الطلاب من دراسة مقررات اللغة العربيّة : " إنه من المؤسف أن نجد كثيرا من طلاب الثانويّة عندنا[31] يعزفون عن درس اللغة العربية ، ويعدّونه عبئا ثقيلا ، كأنها غريبة عليهم ، أو أنها طلاسم لا يفهمها إلا الراسخون في العلم ، فهم دائمو التذمّر ، دائمو التهرب من درس العربية[32] ". بعد ذلك طرح عدة أسئلة فقال : " فما منبعث هذه الشكوى ؟ وما سبب هذا التذمر ؟ أهي اللغة العربية ؟ أهو الطالب ؟ أهو المدرس ؟ " ، ثم أجاب عن جميع ذلك بقوله : " اللغة العربيّة بريئة من كلّ نقص ، فهي لغة متطوّرة ، واكبت العصور ، وتطوّرت بتطوّر الحياة ، واتسعت باتساعها ، فالعربيّة ليست السبب في العزوف عنها ، وإنما تكمنُ العلّةُ في الطلاب ، فهم يتذمرون منها ويعزفون عنها لا لسبب إلا أنّ الكثير منهم يريد أن يفقد قيمه ويتخلّى عن شخصيّته ، فهو يحاول – دائما – أن يظهر اللامبالاة بلغته ، بقيمه ، بتأريخه ، بأمته ، بأرضه التي آوته وحمته

---

(31) يعني في العراق ، وكانت كتابة هذه المقالة عام ١٣٧٨هـ .

(32) في حديث القلم ١/١٠٨ ، بعنوان : (اللغة العربية) نشر في مجلة : الطالب التجاري ، العدد الخامس ، السنة الثالثة ، ١٩٥٩م .

عليه ، إنّه يحاول أن ينصرف عن لغته ، ظانًّا أنّ التقدّم والتمدُّن هو التخلّي عن لغته وقيمه التي تميّزه عن الآخرين "[٣٣] .

ويذكّر – رحمه الله تعالى – بموقف الناس عامّة من لغاتهم فيقول : " وأذكّر هنا بالمناسبة أنّ أستاذنا البروفيسور أوين كان يقيم الدنيا ولا يقعدها إذا أخطأ أحدنا في نطق كلمةٍ إنكليزية او قراءة بيت شعر عندما كان يدرّسنا شعر الطبيعة الإنكليزي ، ومثله كان أستاذنا إيفري في تدريسنا الأدب المقارن ، ولا سيّما نطق الكلمة العربيّة ؛ لأنّه كان يعرف اللغة العربيّة ، وقد ثار مرّةً حين نطق أحدنا كلمة (عقْل) – بكسر القاف – ، وقال : لو كانت لكم عقول لنطقتم الكلمة نطقا صحيحا "[٣٤] .

ويعزو سبب ذلك إلى أمور كثيرة ، منها :

١– عدم المبالاة بالعربيّة درسا وتعلّما ، فيقول :" يهتمُّ النّاس في البلدان الأجنبية بلغاتهم ، أمّا نحن فلا أباليّون ؛ لا يهمّنا شيءٌ من أمر لغتنا ، ولعلّ من يهتم بها يصبح عرضةً للتندُّر ، ويعدُّ متشدّقا يقضي وقته بأتفه الأمور "[٣٥] .

٢– تهاون مدرسي العربيّة بمقرراتها ، وعدم الجدّية فيها ، واتخاذ بعض المقررات ذات الأهمية مجالا للاستراحة من عناء الشرح والوقوف في الفصول الدراسيّة ، وغاب عنهم أنها ذات أهميّة كبرى في تربية الجيل ،

---

[٣٣] المصدر السابق ١/٢١٨ .
[٣٤] المصدر السابق ١/٢٢٠ .
[٣٥] المصدر السابق ١/٢١٩.

فقال :" هذا من ناحية الطلاّب أمّا من ناحيةِ المدرِّسين فليس الأمر بأهونَ ، إذ كثيــر منــا لا يهــتمُّ بتــدريس العربيّــة ، ولا ســيّما درســا (الإنشــاء) و (المطالعة) ، مع أنّهما مهمّان جدّا في تعلُّم العربيّة ، وبدونهما لا يمكن تعلُّم أيةِ لغةٍ من اللغات .... ولستُ أذيعُ سرّا إذا قلتُ : إنَّ الكثير منّا يعتبر درسي المطالعة والإنشاء فترة راحة واستجمام "[٣٦] ، ولعلّ هذا ديدن مدرسي التعليم العام والجامعي كذلك بصفة عامة .

٣- العنايــة بالجانــب النظــري حفظــا دون إعطــاء جانــب التطبيــق مــا يستحقُّه مـن وقـتٍ وجهـدٍ لترسـيخ مـا تعلمـوه مـن قواعـد ، فقـد قـال :" يهـتمُّ المدرِّسـون بالقواعـد ، أمّـا التطبيـقُ وأمّـا النصـوص وأمّـا المطالعـةُ فشـيءٌ لا يخطر ببالٍ إلا قليلا ، وبذلك جعلوا الطلاب ينفرون من العربية ، لماذا ؟ لأنّهم أثقلوا كواهلهم بحفظ القواعد ، وتركوا أساس اللغة ، وهذا ما لا يفعله مـدرس اللغــة الأجنبيــة ، فهـو مهـتمٌّ بـالتعبير ، مهـتمٌّ بالمطالعـة ، مهـتمٌّ بالنصـوص ، ممـا دفـع كثيـرا مـن الطـلاب إلـى أن ينصـرفوا إلـى اللغـات الأجنبيّة "[٣٧] .

٤- إهمــال الكتــب الأصــيلة ، والمقــررات المعتمــدة ، واللجــوء إلــى الملخصات المبتسرة التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، فقال – رحمه الله تعالى – :" ومن الأشياء التي نفّرت الطلاب من العربيّة الملخّصات السقيمة في النحو والبلاغة ، فمتى يتعلّم الطلاب إذا لم يخوضوا فيها وينهلوا منها ؟

---

[٣٦] المصدر السابق ١/٢١٩-٢٢٠ .

[٣٧] المصدر السابق ١/٢١٩ .

ومتى يحسنون التكلم والتعبير ما دامت تسدُّ طريقهم تلك الملخصات ، وتمنعهم من السعي في تفهُّم العربيّة وتذوقها ؟ "[٣٨] .

٥- عدم جديّة مدرسي المقررات الأخرى بالعناية بالعربية التي هي لغتهم ، فقال : " لا أريد أن أضعَ اللومَ كلَّه على عاتق مدرس اللغة العربيّة ، فمدرسو الموضوعات الأخرى مسؤولون عن اللغة أيضا ، لأنها ليست قواعد فحسبُ ، وإنّما هي تعبير ، فكيف يدرّسون وكيف يفهم الطلابُ إن كانوا لا يهتمون بالعربيّةِ ، ويتقنون التدريس بها ؟ ! "[٣٩] .

وليس الأمر مقصورا على العراق وحده ، فالبلدان العربيّة تشترك في هذه العلل الطاحنة التي دكت ما بقي من رمقٍ للعربية في مهدها الأول ، وفي كل مكان كانت فيه مصدر اعتزازٍ وهيبة واقتدار .

الخاتمة :

هذه وقفاتٌ مع علمٍ من أعلام هذه الأمة الرائدة مضى إلى ربّه راجيا رحمته وغفرانه ، تاركا آثارا علميّةً كبيرة وكثيرة ، شهر عند أهل العلم - وحقّ لمثله أن يشهر - بأنّه من أعلام البلاغة العربية درسا وتدقيقا ، وضبط مصطلحات ، ولكنه كان يدين لهذه اللغة العربية ، فكتب في بعض مجالاتها اللغوية ، ووثّق ما يكتب ، بتأنٍّ لا تعوزه الدّقة ، وبتروٍّ يزيّنه التتبع لمصادر

---

[٣٨] المصدر السابق ١/٢١٩ .

[٣٩] المصدر السابق ١/٢٢٠ .

المسائل التي يعرض لها ، ووقف حازما جازما في مسألة النحت ، فلم يتوسّع فيها كتوسع بعض المعاصرين ، بل اتخذ موقفا محافظا فيه .

أما في المسألة تغيير الأرقام العربية ، فقد تجلت عاطفته الدينية ، وربط المسألة بأنها فتنة ، واستحضر قول الله سبحانه وتعالى : " واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلوا منك خاصة ، واعلموا أنّ شديد العقاب " في أوّل الأمر وفي آخره ؛ تأكيدا منه على هذا المبدأ .

أما في تعليم العربية فقد كان متصوّرا للمشكلة تصورا دقيقا ، وشخّص جميع أسبابها في مقالة واحدة مبكّرة ، ولخّص جميع عناصر الضعف والعجز عند الطلاب والأساتذة والمقررات التي أسقطت وحلَّ محلّها الملخصات التي هي المرض الخطير الذي أهلك العلم وأهله ، وعلّق الناس بالقشور ليخرج جيلا هزيلا يرعى الهزال ويقتات عليه ، ولا يرغب في غيره بديلا .

هذا هو الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب الناصري رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأمطر على جدثه شآبيب الرحمة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أهم المراجع :

الأرقام العربية : تأليف الدكتور أحمد مطلوب ؛ مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .

السيرة الذاتية ، أعدّها الدكتور أحمد مطلوب ، المجمع العلمي العراقي .

في رحاب القلم : أحمد مطلوب ، ط . الأولى ، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م ، الجزء الأول .

قراءة نحوية

في جهود الدكتور أحمد مطلوب البلاغية

الأستاذ المتمرّس

الدكتور محمد كاظم البكّاء

استطاع أستاذنا الفقيد أحمد مطلوب أن يتحف المكتبة العربية بالموروث البلاغي وهو يدرس إمام البيان العربي (عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده) ، ثم اتسعت جهوده لـ (معجم المصطلحات البلاغية) ، فكان منهلا عذبا تزدحم عليه الدراسات البيانية .

وقد جارينا أستاذنا الفقيد بالتأليف عن (منهج البحث النحوي عند عبد القاهر الجرجاني) في مرحلة الماجستير ، وهكذا يتربّع الجرجاني على عرش الدراسات اللغوية ، فالتقته الدراسات اللغوية الحديثة فيما كتبه دوسوسير عن (علم اللغة العام) ، وتشومسكي (التراكيب النحوية) ، وقد قال الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب رئيس لجنة المناقشة لرسالتنا (منهج البحث النحوي عند عبد القاهر الجرجاني) :

" حظي عبد القاهر الجرجاني باهتمام منذ مطلع هذا القرن فقد اتخذ الإمام محمد عبده كتابيه (أسرار البلاغة) و (دلائل الإعجاز) أساسا في تدريس البلاغة في الأزهر الشريف . وتوالى الاهتمام وصدرت كثير من البحوث والكتب عن عبد القاهر ، ولكن معظمها يتحدث عن بلاغته ونظريته في النظم ، وشاعت في السنوات الأخيرة نظريات (فرديناند دي سوسير)

(... تشومسكي) في اللغة ووصلت أخبارها إلى العرب فيتجه إلى البحث عنه [illegible] في التراث العربي، ووجدوا ضالتهم في عبد القاهر الجرجاني بعد أن كان في مجال الدراسات اللغوية نسياً منسياً، ولم يقف هؤلاء على كتب عبد القاهر النحوية وإنما توقفوا عند (دلائل الإعجاز) فجاءت دراساتهم [illegible] ولعل نصيب محمد [illegible] كان من أوفر الذين التفتوا إلى ذلك ورجعوا إلى آثار عبد القاهر [illegible] ليصوغوا منه منهجاً سلكه ذلك [illegible] في حياته العلمية.

وفي بحث الجرجاني [illegible] اكتشفنا أن الكلام العربي هو نسيج من العلاقات النحوية [illegible] البيانية في إطار (نظرية النظم) التي [illegible] في وجوه تعلق الكلم، قال الجرجاني [1]: "ومعلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"، ثم قال (المصدر نفسه، ١٥): "فهذه الطرق والوجوه في تعليق الكلم بعضها ببعض، وهي كما تراها معاني النحو وأحكامه"، وقال (المصدر نفسه، ٤٩): "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك: أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك".

[illegible] كشفت نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني أن البلاغة في بلوغها جمال الأسلوب ومزاياه [illegible] الفنية هي نتاج نحوي وتصرف في [illegible] النظم وطرق الإسناد [illegible] رجع البلاغيون إلى أقوال سيبويه

---

(١) دلائل الإعجاز، ١٢.

وغيره من النحويين ؛ ويدلّ على تلك العلاقة (علم البيان) : فأساليبه المجاز والتشبيه والكناية ، وإنما حاز مزاياه البلاغية من معاني النحو ونظرية النظم ،ومثال ذلك قول الجرجاني : " إنّ في الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلا من بعد العلم بالنظم ، والوقوف على حقيقته ، ومن دقيق ذلك وخفيه أنك ترى الناس إذا ذكروا قوله تعالى " واشتعل الرأس شيباً [مريم : ٤] " لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة ، ولم ينسبوا الشرف إلا إليها ، ولم يروا للمزية موجب سواها . هكذا ترى الأمر في ظاهر كلامهم ، وليس الأمر على ذلك " ثم قال : " ولكن لأن يسلك بالكلام طريق ما يسند الفعل إلى الشيء ، وهو لما هو من سببه " أراد : الشيب الذي هو من سبب الرأس الذي أسند إليه الفعل ، يُرفع به ما يسند إليه ، ويجاء بالشيب الذي له الفعل في المعنى منصوب ، وقال الجرجاني : " ووزان هذا : أنك تقول : اشتعل البيت نارا ، فيكون المعنى أنّ النار وقعت فيه وقوع الشمول ، وأنّها قد استولت عليه ، وأخذت في طرفيه ووسطه ، وتقول : اشتعلت النار في البيت ، فلا يفيد ذلك ، بل لا يقتضي أكثر من وقوعها فيه ، وإصابتها جانبا منه ، فأمّا الشمول وأن تكون قد استولت على البيت وابتزته فلا يعقل من اللفظ البتة " وهكذا جعل النظم سببا للمزية ، وذلك وجه من وجوه التصرف في تعلق الإسناد .

وليس هذا التفسير النحوي هو ما يذهب إليه البلاغيون ، وإنما هو عندهم تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه ، فالتشبيه لابد فيه من ذكر الطرفين الأساسين وهما (المشبّه والمشبّه به) ، فإذا حذف أحد الركنين لا يُعدّ تشبيها

---

(٢) دلائل الإعجاز ، ٧٨- ٨٠.

بل يصبح استعارة ، والمشبّه هنا هو (الشيب) ، والمشبّه به هو (النار) ، وقد حذف (النار) وأبقى شيئا من لوازمها وهو الاشتعال ، وهذا التفسير البلاغي لا يستقيم بتقديرنا في مثل قوله تعالى : " وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا [القمر : ١٢] " ؛ فليس ثمة استعارة ولا تشبيه أصلا ، وإنما حصلت مزية الشمول وهذه الملاحة بسبب طريقة الإسناد ، والوجه النحويّ لمثل ذلك أنّه (تمييز نسبة) أي : ثمة عموم وغموض في تفجير الأرض ، فكانت (عيونا) تمييزا وتبيانا لذلك الغموض في نسبة التفجير للأرض ، وأصله : مركب إضافي : وفجّرنا عيون الأرض ، فالتفجير للعيون ، وأسنده إلى الأرض ، فصار المفهوم أنّ الماء قد كان من عيون منفرقة في الأرض ، وقد تبجس من أماكن منها . وهذه حقيقة لغوية لم يفطن إليها في دراسة أمثلة الاستعارة عند البلاغيين ؛ قال الجرجاني [٣] : " فإنّك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها إنما تمّ لها الحسن ، وانتهى إلى ما انتهى إليه إلى حيث انتهى بما توخّى في وضع الكلام " أي : نظمه على وجه نحويّ من وجوه التعلّق في الكلام .

ومن ذلك ندرك أنّ الاستعارة بما لها من مزية بلاغية قد تجمع الحسنيين لتبلغ حدّ الإعجاز في كونها تشبيها حُذف أحد ركنيه ، وأنّها أيضا صيغت على وجه نحوي منحها فضيلة التميّز ؛ فقولك : (اشتعل الشيب في الرأس) ، هو تشبيه توافر على طرفي التشبيه : اشتعل الشيب في الرأس كالنار توهجا . لكنّه لا يبلغ في المزية حدّ الإعجاز في قوله تعالى : " وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا " ؛ فهي صورة فنيّة تمنحك غاية التمكّن في

---

[٣] دلائل الإعجاز ، ٧٨.

الكبر واستيلاء الشيخوخة والوهن ؛ ولذلك قال تعالى على لسان زكريا عليه السلام "قَالَ ربِّ إنِّي وَهن الْعَظْمُ منِّي [مريم : ٤] " ، وكان تعبيره عن الشيخوخة والضعف صريحا واضحا ، ولكنّه انحاز به إلى التصوير الفنّي بإسناد الاشتعال إلى (الرأس) وليس إلى (الشيب) على وجه من وجوه التعلق في النحو ، ووظّف لغة الجسد بانتشار الشيب في الرأس كالنار المتوهجة المشتعلة سيمياء للتعبير عن الوهن والضعف ، فبلغ حدّ الإعجاز .

وفي ضوء ذلك نستنبط أنّ الجرجاني قد ألّف كتاب (أسرار البلاغة) شارحا مباحثها في المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية ونحوها من الصور البلاغية ، وعندما أراد الكلام على الإعجاز في القرآن الكريم صنّف (دلائل الإعجاز) فنحا به نحو نظم الكلام ووجوه تعلقه ، لتبلغ بالصور البلاغية حدّا حيث ينتهي الكلام إلى ما ينتهي إليه من الإعجاز .

وقد اتهم النحويون البلاغيين أنّ (علم المعاني) ثالث الثلاثة في علوم البلاغة قد استلّت فصوله ومباحثه من أبواب كتاب سيبويه الذي بنى مؤلفه على الإسناد ، وبحث التقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، ووجوه الإسناد الأخرى ، وقد فاتهم أنّ الجرجاني تدارك ذلك بحسّه اللغوي ؛ وأوضح أنّ هذه المباحث البلاغية وإن تعلّقت بأبواب نحوية تظل مباحث بلاغية ؛ فمن ذلك التقديم والتأخير ؛ فقد شاع لدى النحويين أنّ التقديم والتأخير إنما يجري في تقديم الذي بيانه أهم ؛ قال الجرجاني ناقدا سيبويه[٤] " اعلم أنّنا نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام وعبارة سيبويه

---

[٤] دلائل الإعجاز ، ٨٣ .

نصًا [5] " ثم كان حدّ اللفظ أنْ يكون الفاعل مقدمًا ، وهو عربي جيّد كثير ، كأنّهم إنما يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى ، وإنْ كانا جميعًا يُهمّانهم ويعنيانهم " ، وقال الجرجاني في التقديم والتأخير ما لم يكن لدى النحويين [6] : " وهذه مسائل لا يستطيع أحد التفرقة بين تقديم ما قدّم فيها وترك تقديمه ، ومن أبين شيء في ذلك الاستفهام بالهمزة ، فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت : أفعلت ؟ فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه ، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده ، وإذا قلت : أأنت فعلت ؟ فبدأت بالاسم كان الشكّ في الفاعل من هو ، وكان التردد فيه ... وجعل منه قوله تعالى : " قالُوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبْراهيم [الأنبياء : ٦٢] " ، لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يقرّ لهم بأنّ كسر الأصنام قد كان ، ولكن أن يقرّ منه كان ، وقد أشاروا إلى الفعل : أأنت فعلت هذا ؟ ، وقال عليه السلام : بل فعله كبيرهم هذا ؛ ولو كان بالتقرير بالفعل لكان الجواب : فعلتُ أو لم أفعل "

وفي ضوء ذلك ينفسح للنحو روحه البياني ، وللبلاغة أصالتها النحوية ، وليس لك أن تصف الكلام بليغًا حتى تكتشف علاقاته النحوية والفرق بين وجوه الكلام وطرقه ؛ وعندئذ فالكلام على المصطلحات البلاغية عند أستاذنا الفقيد أحمد مطلوب في مؤلفه الموسوعي (معجم المصطلحات البلاغية) ينبغي أن يدرك في ضوء تعليق الكلم بعضها ببعض حتى تدرك المعاني النحوية التي نتجت منها .

---

(٥) كتاب سيبويه ، ٥٩ .

(٦) دلائل الإعجاز ، ٨٥-٨٦ .

وسنتناول في ضوء ذلك بعض المصطلحات من معجم أستاذنا الفقيد أحمد مطلوب التي جاوزت الألف :

أولاً : الائتلاف : قال الدكتور أحمد مطلوب[1] : "وهو الاجتماع والاتفاق ... وهو في الاصطلاح : أن يجمع الناظم أو الناثر أمراً وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد؛ لتخرج المطابقة سواء كانت المناسبة لفظاً للفظ أو معنى لمعنى؛ إذ القصد جمع شيء إلى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من أحد الوجوه"، وكرر الكلام عينه بأمثلة أخرى في مصطلح (الاستئناف، المصدر نفسه، ٢٠٠) والائتلاف في أنواع كثيرة، منها ائتلاف الفاصلة، وائتلاف القافية وغيرهما، ففي ائتلاف الفاصلة نص على قيد التعلق، "ويتضح أن هذا المصطلح قد اكتسب مزيته من جهة نظمه وائتلافه مع غيره بذكر القيد ... متعلقاً معناها بمعنى البيت كله تعلقاً تاماً بحيث لو طرحت من البيت لاختل معناه واضطرب مفهومه"، وقد تناوله البلاغيون في (باب الفصل والوصل)، وكلمتهم فيه باتفاق. (الوصل) : عطف جملة على أخرى بالواو، و(الفصل) : الإتيان بالجملة الثانية دون العطف، فمن الوصل قوله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين [التوبة : ١١٩]"، ومن الفصل قوله تعالى : "ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن [فصلت : ٣٤]". ومن أمثلته التي تكون مستأنفة عندما يقتضي كون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى لوقوعها جواباً عن سؤال نشأ من الجملة الأولى فتفصل عنها كما يفصل الجواب عن السؤال كقوله سبحانه : "وما أبرئ نفسي إن

---

[1] معجم المصطلحات البلاغية [illegible]

من الإعراب أو وظيفة نحويّة ، ولكن يستأنف بها الكلام لعلاقتها بما سبقها كأن تكون جوابا لسؤال تقتضيه الجملة الأولى أو غير ذلك ، وقال [٩] " وهي سبع .. والثاني : الجملة المنقطعة عمّا قبلها نحو : مات فلان رحمه الله ، وقوله تعالى : " وَيَسْأَلُونكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرا [الكهف : ٨٣] إنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبا" [الكهف : ٨٤] " – ويخصّ البيانيون الاستئناف بما كان جوابا لسؤال مقدّر – ولهذا فصلت عن الأولى ، فلم تعطف عليها " ، وعليه يكون قوله تعالى " إنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبا " جوابا لسؤال مقدّر تقديره : وما الذكر الذي تتذكرون به وتعتبرون ؟ .

وذكر ابن الأنصاري [١٠] : " وقد يعترض بأكثر من جملتين كقوله تعالى " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ [٤٤] وَاللّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللّهِ وَلِيّا وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيرا [٤٥] مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ " [النساء : ٤٦] ؛ إنْ قدّر " من الذين هادوا" بيانا للذين أوتوا ، وتخصيصا لهم ، إذ كان اللفظ عاما في اليهود والنصارى ، والمراد اليهود أو بيانا لأعدائكم ، والمعترض به على هذا التقدير جملتان ، وعلى التقدير الأوّل ثلاث جمل ، وهي : (والله أعلم) و (كفى بالله) مرّتين " .

---

[٩] مغني اللبيب ، ٢/ ٣٨٢-٤١٠.

[١٠] مغني اللبيب . ٣٩٤.

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ [التوبة : ١١٦] "

وقد بيّنا أيضا (قرآن النصوص ، سورة النور)[١٢] :

أنّ من دقيق ذلك قوله تعالى : " رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ [النور : ٣٧] "

وضع الرمز (لا) على (الزكاة) في المصاحف التي بين أيدينا وبفيد النهي عن الوقف ، وليس صوابا ؛ لأنّ (يخافون يوما تتقلب فيه القلوبُ والأبصار ، ليست نعتا ثانيا للرجال ، إنما هي جملة مستقلة بنفسها تصلح جوابا للسؤال (لماذا) ، والصواب الفصل لا الوصل" .

* * *

ثانيا – الاحتراس : قال الدكتور أحمد مطلوب [١٣] " الاحتراس من احترس منه ، أي : تحرّز .... وقد تحدّث الجاحظ عن إصابة المقادير ، وذكر أنّ طرفة قال المقدار وإصابته :

فسقى ديارَك – غير مفسدها– صَوبُ الربيع وديمةٌ تَهمي "

فإنّه طلب الغيث على قدر الحاجة ؛ لأنّ الفاضل ضارّ " ، أي : أصاب المقدار الذي سقاها به على قدر حاجتها محترسا من الزيادة التي

---

[١٢] قرآن النصوص ، سورة النور .

[١٣] معجم المصطلحات البلاغية ، ٦٢ .

تفسدها وتضرّها ، وقال أحمد مطلوب : " ومن محاسن الكلام عند ابن المعتز اعتراض كلام في كلام لم يتمّ معناه ، ثم يعود إليه فيتمّه في بيت واحد كقول كثيّر :

لو أنّ الباخلين – وأنت منهم – رأوك تعلّموا منك المطالا "

فقد ذكر أنّ (الاحتراس) هو اعتراض كلام في كلام ، وذلك من (باب الاختصاص) عند النحويين نحو قوله تعالى " وامْرَأَتُهُ – حَمَّالَةَ الْحَطَبِ – [٤] في جيدها حبْلٌ من مَسَد [المسد : ٤-٥] " نصب (حمَّالةَ الْحَطبِ) على الاختصاص للذم ، وقد يقع في الجمل المعترضة نحو قوله تعالى " ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فيه هُدًى لِلْمُتَّقِينَ [البقرة : ٢]

* * *

ثالثا – الاختزال : قال أحمد مطلوب [١٤] : " الاقتطاع ... والاختزال : الحذف استعمله سيبويه كثيرا وقال ابن سيده لا أعلم ذلك عند غيره) ؛ قال سيبويه[١٥] : " وإذا قال : ليهنئ لك الظفرُ ، فقد قال : هنيئا له الظفرُ . فكلُّ واحدٍ منهما بدلٌ منْ صاحبه ؛ فلذلك اختزلوا الفعلَ هنا كما اختزلوهُ في قولهمْ : (الحذر) " ، وهكذا يتضح لنا أنّ هذا المصطلح البلاغي هو من مصطلحات النحو ، وقد توسع فيه النحويون وصار ملازما لجميع الأبواب النحوية : حذف المبتدأ ، وحذف الخبر ، وحذف الفاعل وغيرها ،

---

[١٤] معجم المصطلحات البلاغية ، ٦٧.

[١٥] كتاب سيبويه ، ١/ ٤١٨.

يفصّل القول فيه ابن هشام الأنصاري(11): "تفصيل القول في الحذف: ذكر شروطه، وهي ثمانية .... ذكر أماكن من الحذف يتمرن بها المعرب: حذف الاسم المضاف كقوله تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] ... إلخ"

* * *

رابعاً – الاختصاص: قال أحمد مطلوب(12): "الاختصاص: من اختص فلان بالأمر، وتخصص له إذا انفرد" ثم قال (المصدر نفسه، ٧٥): "وعبارات التخصيص ثلاثة:

الأولى – إنما جاءني زيدٌ

الثانية – جاءني زيدٌ لا عمرو

الثالثة – ما جاءني إلا زيدٌ"

وهذه العبارات الثلاث تناولها النحويون في الكلام على باب (إنّ) وكفّ عملها بـ (ما)، وباب العطف، وباب القصر.

* * *

خامساً – الاستثناء: قال الدكتور أحمد مطلوب (المصدر نفسه، ١٠٥): "استثناء الشيء من الشيء أي: حاشيته"، وقد عرّفه الأشموني بقوله: "الاستثناء هو الإخراج بإلا أو إحدى أخواتها لما كان داخلاً أو منزلاً

---

(11) مغني اللبيب، ٦٠٣ – ٦٤٩.

(12) معجم المصطلحات البلاغية، ٧٤–[illegible]

منزلة الداخل " ، وقد أدخل فيه الاستدراك ، ومن بمعناه نحو قوله تعالى " قالت الأعرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤمنوا ولكن قُولُوا أسلمْنا ولمّا يدْخُلِ الإيمانُ في قُلُوبِكُمْ وإنْ تُطيعُوا اللّهَ ورسُولَهُ لا يلِتْكُم مِنْ أعمالِكُمْ شيْئًا إن اللّه غفورٌ رحيمٌ [الحجرات : ١٤] " ، وهو كما يتضح باب نحوي عالجه النحويون في مصنفاتهم ، ولكن البلاغيين اتجهوا في معاني بلاغية ، منها تأكيد المدح بما يشبه الذم نحو قول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم   بهنّ فلول من قراع الكتائب

وقد أدرك المصري الفرق بين الاستثناء عند النحويين والبلاغيين ، وقد ذكر ذلك الدكتور احمد مطلوب[٨] : " الاستثناء استثناءان لغوي وصناعي ، فاللغوي : إخراج القليل من الكثير ، وقد فرع النحاة من ذلك مفصلا في كتبهم ، والصناعي : هو الذي يفيد بعد إخراج القليل من الكثير معنى زائدا يعدّ من محاسن الكلام يستحق به الاتيان في أبواب البديع ، ومتى لم يكن في الاستدراك والاستثناء معنى من المحاسن غير ما وضعا له لا يعدان من البديع "

وقد اتضح لنا أنّ (الاستثناء النحوي) يتعلق بالأعداد والكميّات بإخراج القليل من الكثير نحو : جاء القوم إلا زيدا . أمّا ما لا يكون من الأعداد والكميّات فهو (استثناء بلاغي) ، وقد عالجنا به (قرار النصوص ، سورة الأنبياء) قوله تعالى " لوْ كانَ فيهما آلهةٌ إلّا اللّهُ لفسدَتا

---

[٨] معجم المصطلحات البلاغية ١٠٣ – ١٠٧.

فسبحان الله رب العرش عما يصفون [الأنبياء : ٢٢] . فهو وصف وليس استثناء ، ومثله قول النابغة الذبياني .

* * *

سادساً – الاستفهام : قال الدكتور أحمد مطلوب (المصدر نفسه ، ١٨١) : " الفهم معرفتك الشيء بالقلب . وفهمت الشيء عقلته وعرفته . وأفهمه الأمر وفهمه إياه جعله يفهمه ، واستفهمه سأله أن يفهمه ... والاستفهام : طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل . وهذا التعريف هو للاستفهام النحوي ، وإنما الاستفهام البلاغي هو ما كان لغرض آخر نحو قوله تعالى "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان [الرحمن : ٦٠] " وهو بمعنى النفي .

* * *

سابعاً - الأمر : قال أحمد مطلوب [٥٩] : " الأمر نقيض النهي " ثم قال (المصدر نفسه ، ٣١٤) : " وقد عقد له سيبويه باباً ، وتحدث عنه ابن قتيبة وثعلب وأشاروا إلى معناه الحقيقي وإلى بعض الأغراض التي يخرج إليها " ، فالأمر باب نحوي ، والأصل فيه الإلزام ، فإذا خرج عن هذا الغرض صار الأمر بلاغياً نحو قوله تعالى : " يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً [الأحزاب : ١]" وغرضه الدوام .

* * *

[٥٩] معجم المصطلحات البلاغية ، ١٩٠.

ثامنا – الانقطاع : قال أحمد مطلوب (المصدر نفسه ، ٣٣٨) :

الذة بعض أجزاء الجرم " ، ثم ذكر (كمال الانقطاع) (المصدر نفسه ، ٣٣٩) وهذا ما سماه القزويني : كمال الانقطاع " ، وهو من أمثلة (الائتناف) الذي سبق الكلام عليه ، ومن المصطلحات البلاغية التي التبست بأبواب النحو .

* * *

تاسعا – إيجاز الحذف . وهو أحد أنواع الحذف ، قال الدكتور أحمد مطلوب (المصدر نفسه ، ٣٤٩) : "سماه أبو عبيدة (إيجاز المختصر) ، وسماه الجاحظ (الإيجاز المحذوف) وسماه (الكلام المحذوف) ، وهو نفسه (مصطلح الاختزال) الذي سبق الكلام عليه .

* * *

عاشرا – الاستئناف المقدر : تحدث عنه البلاغيون في مصطلح الحذف ، وتناوله الدكتور أحمد مطلوب في الكلام على حذف الجمل ، وقال عنه الدكتور أحمد مطلوب (المصدر نفسه ، ٣٥٧) [20] : " وهو جواب السؤال المقدّر ، ويسمى (الاستئناف) " وذكر له أمثلة . وقد سبق الكلام على ذلك في مصطلحي (الاستئناف والائتناف) .

* * *

الحادي عشر – البدل : قال الدكتور أحمد مطلوب (المصدر نفسه ، ٣٧٧) : " بدل الشيء غيره ، والبديل البدل ، ويقال : بدل .... وقد أطلق

---

(20) معجم المصطلحات البلاغية ، ٣٥٧ .

الجاحظ البدل على التشبيه والاستعارة وجعل من أمثلته قوله تعالى ﴿ هَذَا نُزُلُهُمْ يومَ الدِّين ﴾ [الواقعة : ٥٦] " وعلق عليه " والعذاب لا يكون نزلا ، ولكنه أجراه مجرى كلامهم " ، ثم استدرك الدكتور احمد مطلوب وقال (المصدر نفسه ، ٣٧٧) : " ولكن هذا المصطلح لم يستعمل في الكتب المتأخرة للتشبيه والاستعارة ، وكأنه استقر في الدراسات النحوية ، وقالوا : إنه (التابع المقصود بالحكم بلا واسطة) " . فهو ثم ترى مصطلح نحوي ، وهو قطعا يخالف التشبيه والاستعارة ، وإنما معنى (نزلهم) في الآية يعني مكان نزولهم للتوبيخ والتهكم .

نتائج البحث :

أولا– لقد كشفت نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني أنّ البلاغة في بلوغها جمال الأسلوب ومزايا الصورة الفنيّة هي نتاج نحوي وتصرف في وجوه النظم وطرق الإسناد ؛ وطالما رجع البلاغيون إلى أقوال سيبويه وغيره من النحويين ؛ ويدلّ على تلك العلاقة (علم البيان) فأساليبه المجاز والتشبيه والكناية ؛ وإنما حاز مزاياه البلاغية من معاني النحو ونظرية النظم ، ومثال ذلك قول الجرجاني (المصدر نفسه ، ٧٨ – ٨٠) : " إنّ في الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلا من بعد العلم بالنظم ، والوقوف على حقيقته ، ومن دقيق ذلك وخفيه أنّك ترى الناس إذا ذكروا قوله تعالى " واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا [مريم : ٤] " لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة ، ولم ينسبوا الشرف إلا إليها ، ولم يروا للمزية موجبا سواها ، هكذا ترى الأمر في ظاهر كلامهم ، وليس الأمر على ذلك " ثم قال : " ولكن لأن يسلك بالكلام طريق ما يسند الفعل إلى الشيء ، وهو لما هو من سببه " وتوضيح ذلك في متن البحث .

ثانيا– يفتح البحث بابا لدراسة (المدخل النحوي للإعجاز القرآني في ضوء نظرية النظم) وقد شرعنا به ، وكذلك يؤسس فرعا من فروع اللغة العربية جدير بالدراسة هو (علم النحو البلاغي) .

ثالثا– التبست المصطلحات في الموروث البلاغي لعدم الالتزام بالقسمة المنطقية التي توجب أن يكون التعريف جامعا مانعا ، وأنّ ثمة تباينا بين الأقسام ، ومن ذلك الالتباس : الائتناف والاستئناف وقد وردا في موضعين باعتبارهما مصطلحين ، وهما مصطلح واحد ، وكذلك الاختزال

والحذف . وكذلك الاستثناء والاستدراك وقد وردا في مصطلح واحد وهما مصطلحان اثنان .

رابعا– وردت مصطلحات بلاغية مشتركة بين البلاغة والنحو . ولكن ثمة فرق بينهما ؛ فقد تحدث البلاغيون عن مصطلح الاستثناء في مفهومين اثنين : لغوي وصناعي . ولم يتضح الفرق بينهما . وإنما كان التوضيح على الوجه الآتي :

" الاستثناء استثناءان لغوي وصناعي . فاللغوي : إخراج القليل من الكثير . وقد فرغ النحاة من ذلك مفصلا في كتبهم . والصناعي : هو الذي يفيد بعد إخراج القليل من الكثير معنى زائدا بعدّ من محاسن الكلام يستحقّ به الاتيان في أبواب البديع ، ومتى لم يكن في الاستدراك والاستثناء معنى من المحاسن غير ما وضعا له لا يعدان من البديع " .

وقد عقّبنا عليه موضحين الفرق بينهم فرقا واضحا :

" وقد اتضح لنا أن (الاستثناء النحوي) يتعلق بالأعداد والكميّات بإخراج القليل من الكثير نحو : جاء القوم إلا زيدا ، أمّا ما لا يكون من الأعداد والكميّات فهو (استثناء بلاغي) ، وقد عالجنا به (قرآن النصوص ، سورة الأنبياء) قوله تعالى " لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ [الأنبياء : ٢٢] " . فهو وصف وليس استثناء . ومثله قول النابغة الذبياني "

وكذلك مصطلح (الاستفهام) فقد استشهد البلاغيون بأقوال سيبويه وغيره في (باب الاستفهام) ، ولكنّ الاستفهام عند النحويين إنما هو

لغرض الاستفهام عن شيء لم يكن المخاطب يعلمه ويفهمه ، في حين أنّ الاستفهام البلاغي يكون لغرض آخر نحو قوله تعالى " هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان [الرحمن : ٦٠] " ويراد به النفي .

* * *

وفي الختام لابدّ من القول : ان (معجم المصطلحات البلاغية) الذي صنّفه أستاذنا الفقيد أحمد مطلوب هو موسوعة لغوية بلاغية اتسع لأكثر من ألف مصطلح ومنه ، رجع فيها إلى أمات المراجع والمصادر الرئيسية ، وأتحف فيها المكتبة العربية بالموروث البلاغي منذ نشأته ، وحدّد مصطلحات البلاغة ووازنها بمصطلحات الأصوليين والنحويين ، وقد أرّخ لها ؛ فهو بحق يعدّ (المعجم التأريخي للبلاغة العربية) منذ نشأتها حتى استقرّت على ما هي عليه من الحدود والمصطلحات ، من ذلك كلامه على أنّ الجاحظ أطلق (البدل) على (التشبيه والاستعارة) واستدرك عليه العلاّمة أحمد مطلوب (معجم المصطلحات البلاغية ، ٣٧٧) بقوله " ولكنّ هذا المصطلح لم يستعمل في الكتب المتأخرة للتشبيه والاستعارة ، وكأنّه استقرّ في الدراسات النحوية ، وقالوا : انه (التابع المقصود بالحكم بلا واسطة)"

تغمّده الله برحمته الواسعة ؛ فقد افتقدنا نسخة لا تكرر إنسانا وعالما :

هو البحر من أيّ النواحي أتيته

فلجّته (الأخلاق) و (العلم) ساحله

المصادر :

١- القرآن الكريم

٢- قرآن النصوص – القرآن الكريم تصنيف موضوعي في ضوء نظرية النص ، اعداد الدكتور محمد كاظم البكاء ، قيد الطبع ، لبنان مكتبة زين الحقوقية والأدبية .

٣- أسرار البلاغة في علم البيان ، الإمام عبد القاهر الجرجاني ، تعليق محمد عبد العزيز النجار ، مصر ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ١٩٧٧ .

٤- دلائل الإعجاز في علم المعاني ، الإمام عبد القاهر الجرجاني ، تصحيح أحمد رشيد رضا ، مصر ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، الطبعة السادسة ١٩٦٠

٥- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ، الدكتور أحمد مطلوب ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ط ٢ ، ١٩٧٣.

٦- القطع والائتناف ، أبو جعفر بن محمد بن اسماعيل النحاس ، تحقيق عبد الرحمن إبراهيم المطرودي ، السعودية ، دار عالم الكتب ، ١٩٩٢.

٧- كتاب سيبويه – تصنيف منهجي وشرح وتحقيق علمي ، الدكتور محمد كاظم البكاء ، لبنان ، مطبعة زين الحقوقية والأدبية . ٢٠١٥.

٨- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، الدكتور أحمد مطلوب ، لبنان ، الدار العربية للموسوعات ، ط ١ ، ٢٠٠٦.

٩- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري : تحقيق محمد محيي الدين ، مصر . مطبعة المدني .

١٠- منهج البحث النحوي عند عبد القاهر الجرجاني ، الدكتور محمد كاظم البكّاء ، رسالة الماجستير بإشراف الدكتور حسام النعيمي ، ورئاسة الدكتور أحمد مطلوب في لجنة المناقشة ، الآلة الكاتبة ، ١٩٨٠ .

قراءه في كتاب (بحوث اسلامية)
للدكتور أحمد مطلوب

الأستاذ الدكتور عبد الله حسن الحديثي
الجامعة العراقية / عميد كلية الأعلام

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى اله وأصحابه أجمعين .

وبعــد :

فمشاركة مني في إبراز مكانة العلامة الأستاذ الدكتور المرحوم أحمد مطلوب (رحمه الله تعالى) وبيان ما امتاز به من علم جم وثقافة واسعة وفكر ثاقب وشخصية فذة أقدم هذا البحث الموسوم (قراءة في كتاب بحوث إسلامية للأستاذ الدكتور أحمد مطلوب) وقد دفعني تخصصي لاختياري هذا الكتاب من بين المئات من الكتب والبحوث والمقالات التي أبدع بها المرحوم فضلا عن أني أردت أن أبرهن أن المرحوم لم يكن مبّرزا وعالما في اللغة فقط وإنما كان ضليعا وبارعا في علوم وفنون شتى وفي مقدمتها العلوم الإسلامية التي لا تنفك عن علوم اللغة وقد قسمت بحثي هذا الى مقدمة وتمهيد ومبحثين بيّنتُ في المقدمة سبب كتابتي لهذا البحث والذي أعده جزءا من الوفاء للعلامة المرحوم ومشاركة مني للمجمع العلمي العراقي في إصدار هذا العدد الخاص من مجلته ، في التمهيد المرحوم أحمد مطلوب كما عرفته وخصصت المبحث الأول بوصف عام للكتاب أما المبحث الثاني فقد جعلته

دراسة لبعض المسائل التي بحثنا في هذا الكتاب هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وثوابه صدقة للمرحوم الدكتور احمد وزوجته العلامة الفاضلة الدكتورة خديجة الحديثي رحمهما الله ، وان ينال رضا وقبول طلابه ومحبيه وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

تمهيد :

(**أحمد مطلوب كما عرفته**) لقد التحقت في الدراسة الجامعية في كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد منتصف الثمانينات من القرن الماضي ، وطالما كنت اسمع والدي رحمه الله وأخواني الكبار يحدثونني عن أبناء عمومتنا الذين سكنوا البصرة وفي مقدمتهم الدكتورة خديجة الحديثي وزوجها الدكتور أحمد مطلوب ، وكان الحلم يراودني للقاء بهما ، والتعرف عليهما إيصالا للرحم وتقربا منهما ، والافادة من علومهما فعلا بدأت التعرف عليهما من بعد حيث اني كنت أسأل عنهما الدكتور محمود مطلوب شقيق الدكتور احمد وزوج شقيقة الدكتورة خديجة وكان يشغل منصب رئيس قسم أصول الدين في كليتنا بدأت التعرف على أخبارهم ونشاطاتهم من خلاله وانتهز كل فرصة سانحة من محاضرة أو ندوة أو مجلس علمي .

الا حاولت الحضور فيه ، لأزداد معرفة والتصاقا بهما ، وتمر الايام ، وتزداد العلاقة بيننا وتتواصل معهم حيث كنت اتردد عليهما في دارهما بين الحين والاخر ومنذ تلك الايام الى ان فارقتنا الدكتورة خديجة لتلحق بالرفيق الأعلى ، ثم يلتحق بها الدكتور احمد بمدة لا تتجاوز الشهر والنصف .

فإنني طوال تلك الحقبة التي تتجاوز العشرين سنة ، فإنني قد ازددت إعجاباً بهما ، ولاسيما الدكتور أحمد الذي تعرفت على طبيعة شخصيته ، ومقدار علمه ومكانته ، وما يتمتع به من موسوعية ، لذلك فإنني ربما لا أستطيع أن أرفيه حقه في أسطر قليلة أسطرها في هذا التمهيد إلا أنني سأسلط الضوء على أحد جوانب شخصيته.

الجانب الأول : أحمد مطلوب العالم الموسوعي .

لم يكن فقيدنا دارسا للبلاغة ، وعلوم اللغة ، بل كان عالماً بكل صنوفها محيطا بكل ما يتعلق بهذه العلوم

عندما نعرض أسماء الأعلام سوف تستوقفنا مجموعة منهم في كل اختصاص من الاختصاصات إلا أن هذه الأسماء قلّما نجد فيها موسوعيا فقد تجد أحدهم عالما وضليعا بالنحو لكن غير محيط بالصرف ، أو الصوت وتجد آخر ضليعا بالصرف والصوت والنحوي ، إلاّ أنه ليس محيطا بالبلاغة والأدب وتجد آخر أديبا بلاغيا إلا أنه ليس عالما بالنحو والصرف اما أحمد مطلوب فقد كان ضليعا بالبلاغة ودروسها عالما بالنحوي ، وأبوابه موسوعيا بالصرف ، والصوت متبحرا بالشعر وفنونه وبحوره فضلا عن إلمامه الواسع بالقرآن وعلومه والتفسير والسيرة والتاريخ والأديان واللغات الاخرى ، لذلك يحق لنا أن نطلق عليه انه كان موسوعيا وكانت كتبه وبحوثه متنوعة تنوع العلوم والمعارف . فلم يقتصر في مصنفاته على نوع واحد من العلوم ، بل كتب وصنّف وألفَ في البلاغة والنحو والصرف والشعر والادب والمصطلح والمعاجم والتراجم والسيرة والاديان والتفسير والتاريخ والفكر ، لذا فإنه بعد

سريع وإذا به يتحدث معي بعد أن رد السلام عن العربية وعن الجاحظ والمتنبي وعن الكتب والكتاب والفكر ، بل أكثر من هذا رأيته قبل وفاته بيومين أو ثلاثة والدكتور محمد العاني يقرأ عليه شيئاً مما ألفه وقد جاء به من المطبعة ولعلي استطيع أن أقول انه تصدق عليه قول الإمام أحمد بن حنبل من المحبرة الى المقبرة .

الجانب الثالث : أحمد مطلوب الشخصية القوية.

لقد تميز بشخصيته القوية الآسرة والمؤثرة في الآخرين فأينما حلّ ، أو ارتحل فرض وجوده وحضوره سواء في مجلس ام اجتماع أم مؤتمر تمثلت معالم شخصيته القوية في ادارته للمؤسسات التي عمل بها ، والمواقع التي شغلها وهي كثيرة فلم يقبل يوماً من الايام طوال حياته على المساومة على مبادئه وكان يرفض كل الرفض المصلحية والانتهازية ، بل احيانا يتنازل عن بعض حقوقه وامتيازاته التي تمنحه إياها المناصب من أجل المحافظة على كيانه وشخصيته كانت شخصيته القوية حاضرة عندما كان مدرساً في الاعدادية وأستاذا في الجامعة وعندما كان عميدا لكلية ووزيرا ورئيسا للمجمع العلمي العراقي الذي تولى رئاسته في أصعب وأشد المراحل التي مرّ بها العراق بسبب الاحتلال ، وما رافقه الا انه بفضل هذه الشخصية القوية استطاع ان يحافظ على المجمع واستقلاليته بعدم انجراره للصراعات السياسية والحزبية والطائفية وغيرها .

الجانب الرابع : أحمد مطلوب الانسان والزوج والاب والمربي.

لقد كان شديد الالتصاق بعائلته ومحبيه وطلابه يحنو عليهم ويعطف عليهم ويتعامل معهم بمقتضى روح الابوية ولا سيما مع زوجته المرحومة الدكتورة خديجة التي احبها حباً قل نظيره ، فعلى مدار اكثر من ستين عاماً قضاها سوية بقي صادقاً معها لانها كانت هي مفتاحه وهي كل حياته فلا يستطيع ان يستغني عنها في سفره او اقامته ولا في صحته ولا في مرضه اقترن اسمه باسمه في تدريسهم وفي كتبهما في أشعاره وقصصه وقصائده بل انه لم يستطع تحمل فراقها بعد وفاتها حتى عاجلته المنية ملتحقاً بها ولم يمضي بعد وفاتها إلا شهر ونصف وهو ايضاً اب حنون على ولديه انيس ونصير و احفاده الذين هم بهجته وبذل كل ما يستطيع في سبيل تعليمهم وتربيتهم وايصالهم للمستوى الذي يريده ، بل لم ينسهم حتى في وصيته التي كتبها والتي تدل على مقدار الحب والعناية بهم والرعاية لمصالحهم اما عن علاقته بطلابه وتلامذته واصدقائه واقرانه ومن عمل معه فكانت مليئة بالعطف والحنان والرعاية والاهتمام فبيته كان مفتوحاً للغادي والعائد منهم ولولا ان المقام لا يسع لسطرت العشرات من قصص العطف والحب والحنان والرعاية التي كان يغدق بها على طلابه ومحبيه فهذا الطالب قد ساعداه اي الدكتور أحمد والدكتورة خديجة على الزواج وذاك قد ساعداه في اتمام اطروحته واكمال دراسته والآخر قد ساعداه في تعيينه ووظيفته واخر قد عطفا على اطفاله وعائلته وهلم جرا مع كل من عاشرهم او تتلمذ على ايديهم كان يهتم حتى بقضاء حوائج الموظفين الذين يعملون معه فكم من مرة يتصل بي شخصياً للمساعدة في قضاء حوائج من يعملون معه في المجمع . إن زوج

الأبوة والعاطفة الأبوية حاضرة وشاخصة بشخصيته ولا أدل على ذلك من مقدار الرثاء والأشعار والمقالات واحتفالات التأبين وبرقيات التعازي التي عمت الوطن العربي من مشرقه الى مغربه بل تعدى ذلك الى البلدان الإسلامية الأخرى فقد قضى حياته رحمه الله انسانا وفيا وزوجا محبا وأبا رحيما وأستاذا حنونا قبل أن يكون عالما ومفكرا .

المبحث الاول : وصف عام لكتاب (بحوث أسلامية).

لقد نحا في هذا الكتاب منحى آخر عن علوم اللغة الى العلوم الاسلامية مما يدلل كما قلت سابقا على انه موسوعي حيث تناول بهذا الكتاب موضوعات اسلامية متعددة .

سبب تسميته :

لعلّ سبب تسميته بهذا الاسم : لكونه يضم بحوثا في مجال الدراسات الاسلامية ، فهو يتكون من .

١. معالــم السيــرة النبويــة .
٢. البينــة في صحيــح مسنــد.
٣. إبراهيــم الخليــل .

قال في نهاية المقدمة (واليوم تجمع هذه البحوث في كتاب يوحدها ليرجع اليها من تهمه أو يجد فيها خيرا ، وما ذلك الا خدمة للعقيدة التي جمعت الناس على الهدى وجعلتهم اخوانا).[1]

---

(1) بحوث اسلامية ص٨ .

تاريخ ومكان طبعه الكتاب :

طبع هذا الكتاب في طبعته الأولى سنة { ٢٠١٧ م / ١٤٣٨هـ } في المطبعه المركزية جامعة ديالى وضمّ { ٢١٢ ص } مع المقدمة والفهرسة .

منهجه و مصادره

لا استطيع تحديد منهج واحد للكتاب لأنه ضمّ ثلاثة بحوث لكل واحد منها منهجه ومصادره لذلك سأتحدث عن كل واحد منها بشكل منفصل .

١.البحث الأول : معالم السيرة النبوية .

هذا البحث ورقة قدمها المرحوم سنة {١٤٣٨هجري - ٢٠١٦ } مبادئي الى المؤتمر السابع لمؤسسة آل البيت الملكية للفكر الاسلامي في الاردن / عمان

تحدّث في هذا البحث عن سيرة الرسول - صلّى الله عليه وسلم - من ولادته الى وفاته .

بدأه بالحديث عن اهتمام المسلمين في سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم وأهم المؤلفات في السيرة ومصادره التي اعتمد عليها .

ثم عن التجارة عند العرب ثم ولادة الرسول- صلى الله عليه وسلم - وتربيته و نشأته وخروجه للتجارة وأمواله ووضعه المالي . وأم مذاف أمواله وعبيده ومنعه وموقف المشركين منه وما لاقاه هو ومن آمن معه وعشيرته من الأذى ثم هجرته وأفعاله في المدينة و غزواته والأمراء الذين استخدمهم وعماله و رسله للملوك واهتمامه بعدة الحرب وعمرته وحجه وفتحه لمكة ووفاته واختتم البحث بمعالم السيرة .

مصادره في بحثه :

أعتمد في بحثه على كتب السيرة الآتية :

١. الروض الأنف في تفسير ما اشتمل حديث السيرة النبوية / لابن هشام لأبي . القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي .
٢. السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميدي .
٣. السيرة الحلبية (انسان العيون في سيرة الآمين و المأمون) لعلي بن برهان الدين الحلبي الشافعي

ملاحظات عامة :

سجلت على هذا البحث مجموعة من الملاحظات .

أولا : اعتماده على مخزونه اللغوي في تفسيره للكلمات الغريبه فلا يرجع الى المصادر كما في تفسير التحنث وعكم وكوه وغيرها .

ثانيا : لا يرجع الى كتب الحديث في تخريج الاحاديث ويكتفي بالاعتماد على كتب السيرة .

ثالثا : لا يعرف بالأماكن وانما يكتفي بذكرها كما في حديثه عن الهجرة .

رابعا : مما امتاز به استطاعته هضم واستيعاب ما موجود في كتب السيرة وتقديمه باسلوبه السلس الممتع .

خامسا: امتاز أيضا باهتمامه بإحصاء من استخلفهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الامراء وولاة وعمال .

الصدقة وكذا حديثه عن السرايا والأسلحة والملابس ، وغيرها ممن يُعدّ مهما في إظهار الجانب الحضاري للسيرة .

وختم بحثه بقوله .

(هذه معالم السيرة النبوية المشرقة وهي مستقاة من واقع حياة النبي **{ محمد صلى الله عليه وسلم }** التي ذكرتها كتب السيرة وقد تجنب البحث عن ذكر ما انطلق بعصمته رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بما لم ينطق ، أو ذكر الغيبيات التي لا يعلمها الا الله وحده فهو **(عالم الغيب والشهادة)** **(عالم غيب السموات والارض)** و **(علاّم الغيوب)** الى ان يقول **(انها لدعوة صادقة الى ان تكون السيرة النبوية بعيدة عن الروايات التي لا تمثل حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) وانما تثير الخلاف والصراع بين المسلمين)**. [٢]

المبحث الثاني : البيئة في صحيح مسلم .

هذا البحث ورقة قدمه المرحوم سنة (٢٠١٣م - ١٤٣٤هـ) الى المؤتمر السادس لمؤسسة ال البيت الملكية للفكر الاسلامي/ عمان/ الاردن.

يعدّ هذا البحث من دراسات الحديث الموضوعي والتحليلي في ان واحد حيث إنه اختار موضوعا معينا جمع فيه الروايات من صحيح مسلم الذي

---

(٢) بحوث اسلامية ص٤٩ .

يعد أصح كتاب للحديث بعد صحيح البخاري وحلل هذه الاحاديث وقدم مدة سلسلة جميلة .

بدأها بالحديث عن مفهوم البيئة باللغة والمعاجم ثم المقصود بالبيئة في العلم الحديث واهم تعريفاتها ثم عرج على اثر البيئة في الشعر والأدب الحديث .

وحدد مقصده بالبيئة بقوله : (والبيئة في (صحيح مسلم) هي التي ولد فيها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وتلقى الرسالة الالهية ولبى نداء ربه فيها وهي بيئة الحجاز وما جاورها وما يتجلى في (صحيح مسلم) بيئتان هما البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية).[٣]

تكلم بعدها على المناخ ثم الاماكن ثم المياه ثم المعادن ثم البساتين والاشجار والزروع ثم الحيوانات ثم الطيور والزواحف ثم الحشرات ثم اعطى وصفا لمكة والمدينة والطائف .

ثم بدأ الحديث عن البيئة الاجتماعية من عادات ونظم وتقاليد فتحدث عما تمتاز به هذه المدن وبيوتها وما تتكون منه وكذا مواضع الحيوانات والاماكن العامة .

ثم تحدّث عن جمال الرسول (صلى الله عليه وسلم) واوصافه الخلقية ثم تحدّث عن الوسامة والنظافة والزينة بالنسبة للنساء والطيب .

وتحدّث عن المهن المختلفة والاثاث والفرش والأطعمة والأشربة والملابس وانواعها وألوانها والنقوش والادوات المنزلية وغيرها والعملات من الدرهم والدينار والمكاييل والموازين والمقاييس والتجارة والجباية والاسعار ،

---

[٣] بحوث اسلامية ص٢٥ .

والبيوت وانواعها وما يحل وما يحرم ثم السلطة والامارة والقضاء . والعادات المحبوبة كالضيافة والمحرمة كالسحر والشعوذة ثم خصال الفطرة والانكحة المحرمة ثم الحديث عن حرمة النفاق والكذب .

ثم قال هذه وقفة عند (صحيح مسلم) الذي يعدّ من اهم مصادر التشريع الاسلامي واهم كتب يصور البيئة في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) احسن تصوير ؛ لانه يضم اقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وافعاله وهي مصدر التشريع بعد القران الكريم).[4]

استطاع الباحث ان يصل بحثه الى مجموعة من النتائج هي :

١. ان صحيح مسلم يصور الحضارة الاسلامية ، وقيم الايمان اكثر مما يصور البداوة.

٢. يصور موقف المسلمين وارتباطهم بعقيدة الاسلام.

٣. يبين تمسك المسلمين بأحاديث الرسول (صلىّ الله عليه وسلم) وثوابتها العمل بها.

٤. أظهر صحيح مسلم أنواع البيئة وهي :

أ. طبيعة البيئة التي ظهرت فيها الدعوة الاسلامية.

ب. الطبيعة الاجتماعية .

ت. التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية.[5]

---

[4] بحوث اسلامية ص٩٥.

[5] بحوث اسلامية ص٩٥-٩٧

مصادره :

اعتمد الباحث على تسعة عشر مصدرا أهمها صحيح الامام مسلم الذي هو أساس الدراسة .

أما سائر المصادر فهي كتب ومعاجم لغوية وبعض الكتب التي تخص موضوعات معينة .

ويلاحظ على مصادره انه لم يرجع الى كتب شرح الحديث التقليدية ، بل استطاع جمع الأحاديث وتحليلها وتقديمها بشكل موضوعي معتمدا على مخزونه اللغوي وقدرته على التعبير والترتيب .

مما نعدّه مبدعا ومبرّزا في هذا المجال ، واستطيع القول : إنّ هذا البحث يمكن ان يعتمد منهجا لتدريس مادة الحديث الموضوعي والتحليلي في الكليات المتخصصة ويمكن ان يكون نواة لدراسة مشابهة على مستوى الماجستير والدكتوراه .

ثالثا : إبراهيم الخليل :

البحث كما يصفه الباحث (دراسة ايمانية انبثقت من القرآن الكريم ، ونشر سنة (١٤٣١هـ –٢٠١٥م) في مجلة المصباح التي تصدرها الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة بعددها الحادي والعشرين (السنة السادسة) وكان أساس كتابي (نبي من العراق – الذي صدر في السنة نفسها).[٦]

---

[٦] بحوث اسلامية ص١ .

نستطيع ان نقول : إنّ هذا البحث يمثل الجزء الاكبر من الكتاب حيث شغل ما يقرب من نصف الكتاب فضلا عن ان الباحث (رحمه الله تعالى) عرّج فيه على مراجع متعددة ولم يقتصر على المصادر الاسلامية ، فقد رجع الى الكتب المقدّسة التوراة والانجيل فهو بحث في التفسير والاديان معا.

بدأ الحديث عن العراق لكونه معهدا للحضارة ثم تحدث عن ابراهيم وأصل اشتقاق اسم إبراهيم وهل هو عربي أو اعجمي ونسب ابراهيم وولادته ومكان نشأته وانتمائه القبلي وادراكه ومناقشته لوالده في شأن الاصنام ومحاججته لقومه وما حصل بينه وبينهم ثم براءته من ابيه وقومه وهجرته هو ، ومن امن معه وزوجاته واولاده وناقش موضوع الذبيح وهل هو اسماعيل أو اسحاق ، وهجرته لمكة وبنائه للكعبة مع ولده اسماعيل ثم تحدث عن عمره ووفاته ومكان دفنه .

ثم تحدث عن أهمية سيرة ابراهيم الخليل عليه السلام بالنسبة للمسلمين ذاكرا مجموعة من الاشعار ، وتوصل الباحث الى مجموعة من النتائج هي :

١. الاعتماد على ما ورد في القرآن الكريم في موضوع سيرة الخليل .
٢. اظهار الاسم الحقيقي لابراهيم .
٣. اظهار مواقف ابراهيم الايمانية .
٤. اظهار الهدف الحقيقي لهجرة ابراهيم الى مكة والابتعاد عن الاسرائيليات .
٥. الاخذ بالمنطق العقلي والمنهج العلمي في البحث والدراسة .

واخيرا فإتماما للفائدة فقد جعل ملحقا لبحث اسماء ابراهيم وبنوه اخذه من.

١. القران الكريم .
٢. التـــوراة .
٣. الانجيـــل .

وختم البحث بقوله .

(هذه خلاصة الصحف وجاء بعدها ما ورد في (القران الكريم)

من أيات ابراهيم وبنيه (عليهم السلام) وتلاها بعض ما ورد عنهم في التوراة (العهد العتيق) و الانجيل (العهد الجديد) وما ورد في (انجيل برنابا) وبعد هذا ما انتهت اليه الصحف فان كان حقا فلي اجر، وان كان باطلا فالله اعلم ما بقلبي وهو الغفور الرحيم)

مصادره :

اعتمد الباحث على اثنين وخمسين مصدرا معتمدا على التفاسير وكتب اللغة والتاريخ والأديان الدراسات الحديثة .[1]

أهم ما سجلت هذا البحث .

١. انـه بحث فـي التفسير الموضوعي والتحليلـي حيث جمـع بـين المنهجين .
٢. ان هذا المنهج من المناهج المعتمدة التي يجب الاعتماد عليها في رسم صورة صحيحة عن اي موضوع في القرآن الكريم .

---

[1] بحوث اسلامية ص١٩٤ .

٣. اثبت الباحث تمكنه وضلوعه في الدراسات القرآنية مما يدلل عن موسوعيته .

٤. دافع الباحث عن فكره عربية أسماء الأنبياء وخلو القرآن من الألفاظ الأعجمية .

٥. استطاع الباحث توظيف ما موجود في الكتب المقدسه لدعم فكرته وما يريده .

المبحث الثالث : (دراسة لمسائل مختارة من الكتاب) .

لقد رتأيت أن اخذ بعض المسائل التي تناولها الباحث بشيء من التفصيل والدراسة اظهارا لجهده المتميز في بحثه وبيانا لأهمية الكتاب .

١. المسائلة الاولى : أسفار النبي صلى الله عليه وسلم للتجارة .

بعد ان ذكر الروايات التي تتحدث عن سفره وتجارته قال .

(يبدو من هذه الرواية انه عليه السلام سافر الى الشام ثلاث مرات)

الاولى مع عمه ابي طالب والثانية مع ابي بكر الصديق والثالثة مع (ميسره) وانه سافر مع عمه الى اليمن ولكن لم يثبت أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) سافر أكثر من مرتين)[٨]

الأدله والمناقشة :

لدى الرجوع الى كتب السيرة نجد أنه (صلّى الله عليه وسلم) يخرج الى الشام الا مرتين .

---

[٨] بحوث اسلامية ص١٨

المرة الاولى : خروجه مع عمه أبي طالب.

حيث كانت سنه (صلى الله عليه وسلم) في ذلك الوقت اثني عشر سنة وذلك لشدة حب ابي طالب لابن اخيه محمد فقد قرر أن يأخذه معه للتجارة .

وهذه الرحلة هي التي حصل فيها علماء السيرة ان بحيرا الراهب رأى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وتوسم به النبوة ووصى ابا طالب بالرجوع والمحافظة على ابن اخيه لقومه فرجع بابن اخيه الى بلده ، واحذر عليه يهود فوالله : لئن رأوه وعرفوا ما عرفت ليبغنه شرا فانه كائن لابن اخيه شأن عظيم .

ولم يشر المرحوم أحمد مطلوب الى قصة لقاء الرسول وهو غلام بحيرا الراهب في بصرى في بلاد الشام .

لعلّ السبب في ذلك الاختلاف في هذه الرواية ؛ لأنّ الكثير من العلماء لم يعتمدوا هذه الرواية لما فيها من من اضطراب فضلاً عن ان المستشرقين قد اتخذوها طريقا ووسيلة للنيل من رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ، مما حمل كثيرا من العلماء على عدم الاعتماد عليها سندا و متنا .

قال الدكتور حسام حمسو .

(إن الروايات الحديثة تدلّ في مجملها عن واقعة تاريخية غامضة لا تستطيع الاعتماد عليها في الاستدلال والاستنباط الذي يبنى عليه . وذلك للعلل الكثيرة التي اشتملت عليها ، لكن في نفس الوقت لا يمكن اسقاطها

من ذاكرة التاريخ ؛ لأن للتاريخ معاييره الخاصة التي تختلف عن معايير النقد الحديثي).[1]

المرة الثانية :

هي خروج النبي (صلى الله عليه وسلم) بالتجارة للسيدة خديجة ، وكانت سنه حينئذ في الخامسة والعشرين وكان خروجه لأربع عشر ليلة في ذي الحجة ، ومعه غلام خديجة (ميسرة)

وهذه الرحلة محل اتفاق بين علماء السيرة حيث رجع النبي (صلّى الله عليه وسلّم) [illegible] ربح وفير وقد أعجبت السيدة خديجة بصدقه وأمانته [illegible] وكان بعد ذلك عرضت نفسها على الرسول صلى الله عليه وسلم زوجها .

وقد قيل أيضا في هذه الرحلة : إنه قد التقى براهب يقال له (نسطورا) في سوق قريب من بصرى وإنه توسم فيه النبوة . ولا داعي للاستطراد في هذه الرواية أكثر ، لأن هذه الروايات فيها مقال وقد تعلق بها المستشرقون ونسجوا حولها خيالات وافتراضات كثيرة عن تأثر النبي (صلّى الله عليه وسلّم) بهذا الراهب وتعلمه منه . ولا داعي هنا للاستطراد فيها ، لأنها واهية أولا ولأنه ليس محل ذلك هنا فالمقام لا يتسع .

---

[1] الإجادة [illegible] من خلال [illegible] دراسة تحليلية ، تأليف [illegible] حسمد [illegible] ص ٣١ ويمكن [illegible] التاريخ [illegible] ٥/ ٥٩٠ الحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٦ [illegible] وأبو الحسن [illegible] ص ١٥ ، [illegible] ٢/ ٢٦ - ٢٦٦ السيرة النبوية للذهبي ص ١٨ زاد المعاد في هدي خير العباد ١/ ١٧ .

لي من الروايات والكتب التي رجعت لها يتبين أن كلام المرحوم الدكتور أحمد مطلوب من انه لم يثبت ان النبي – صلى الله عليه وسلم – سافر اكثر من مرتين في غاية الدقة.[1]

المسألة الثانية : مراعاة حالة الجو في توقيت الصلاة

قال : وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حريصا على حياة الناس وراحتهم ، وكان يقول للمصلين "اذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة ، فان شدة الحر من فيح جهنم ".[2]

اي أخروها الى ان يبرد الوقت ، وكانوا يصلون الجمعة اذا زالت الشمس ثم يتتبعون مواقع الظل .

كنا نجمع ، في الجمعة – مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اذا زالت الشمس ثم نرجع نتتبع الفيء .[3]

وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يصلي الظهر اذا دحضت الشمس وكان بلال يؤذن اذا دحضت الشمس[4] ، اي اذا زالت لشدة الحر .

---

(1) زاد المعاد ١ / ٧ .

(2) صحيح مسلم ١ / ٤٣٠ ، ٤٣١ .

(3) صحيح مسلم ١ / ٤٣١ – ص ٤٢٣ /

(4) صحيح مسلم ١ / ٣١٦ .

الاراء والمناقشة :

لقد جاء الاسلام الحنيف بالسماحة والتيسير ورفع الحرج . والاصل في العبادة اليسر وعدم التكلف فوق ما يطيقه الانسان . قال تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها)[15]

وقال تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج).[16]

لذلك شرعت الرخص والسماحات مثل القصر في الصلاة والفطر في رمضان لمن لا يطيق الصوم وعدم التكليف بالحج لمن لايملك زادا ولا راحلة ولعل هذه المسألة التي بصدد مناقشتها من هذا القبيل .

حيث إن الأصل ان يؤدي المسلم الصلاة وهو في راحة وطمأنينة وخشوع وبما ان اشتداد الحر يذهب بذلك فلا مانع من الانتظار حتى ينكسر الحر ويبرد الجو لكي يستطيع المسلم الصلاة وهو في راحة واطمانينة .

قال الصنعاني في سبل السلام (والحديث يدل على وجوب الابراد بالظهر عند شدة الحر ، لانه الأصل في الامر ، وقيل للمستحب واليه ذهب الجمهور

---

[15] سورة الحج اية ٧٨ .

[16] سورة البقرة اية ٢٨٦ .

بالأحاديث فضل الصلاة في أول وقتها عامة مخصوصة بحديث الإبراد وتعليله بالحديث أن شدة الحر من فيح جهنم . لأن شدته تذهب الخشوع في الصلاة وهو لبها وروحها).

قال ابن رجب : (الأمر بالإبراد أمر ندب واستحباب لا أمر حتم وإيجاب وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء).

ولقد تنوعت أقوال العلماء في تحديد العلة التي شرع من أجلها الإبراد (فقسم قالوا المشقة ، وقسم قالوا : لأن الحر يمنع الخشوع وآخرون قالوا لأنه وقت تسعير وتنفس جهنم .

ويمكن القول أن كل هذه الأقوال مقبولة ، و مردها واحد وهو أن المصلي لا يستطيع أداء صلاته بأريحية وطمأنينة وقت اشتداد الحر.

أما الأحاديث التي ذكرت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بأداء الصلاة لأول وقتها فقد أجاب العلماء عن ذلك ، بأنها أحاديث عامة وتخصص أحاديث الإبراد.

وكذا بالنسبة للأحاديث التي أشارت إلى أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يصلي في شدة الحر .

فإن توجيهها أن الإبراد رخصة ، وأن النبي (صلى الله عليه وسلم) أحيانا يأخذ بالرخصة وأحيانا بالعزيمة .

وأخيراً فإن المقصود بالإبراد وهو انكسار الشمس وظهور الفيء وبرودة الجو . قال العلماء (**تأخير صلاة الظهر في شدة الحر الى ان يبرد الوقت . وينكسر الحرارة**)

وقالوا أيضاً : ليس للإبراد في الشريعة تحديد . وبين الصنعاني أن الأقرب في الاستدلال في بيان مقدارها ما أخرجه البخاري ومسلم

من حديث أبي ذر (رضي الله عنه) قال (كُنا في سفر مع النبي (صلى الله عليه وسلم) فأراد المؤذن أن يؤذن للظهر . فقال ابرد . ثم اراد ان يؤذن فقال له ابرد حتى رأينا فيء التلول) فهو يرشد الى قدر الابراد وانه ظهور الفيء للجدران .

المسألة الثالثة (تحديد الذبيح إسماعيل أم إسحاق)

قال الباحث بعد ان تكلم على أولاد ابراهيم (عليه السلام) .

كان (إسحاق) هو الذبيح الذي بشره الله .

(فبشرناه بغلام حليم (١٠١) فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين (١٠٢) فلما أسلما وتله للجبين (١٠٣) وناديناه ان يا ابراهيم (١٠٤) قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين (١٠٥) ان هذا لهو البلاء المبين (١٠٦) وفديناه بذبح عظيم (١٠٧))[16]

---

(١٦) سورة الصافات (١٠١ – ١٠٧) انظر بحوث اسلامية ص١٣٥ .

الآراء والمناقشة :

ذهب جمهور المفسرين الى ان المقصود بالغلام هو اسماعيل فإن أول ولد بشر به إبراهيم وهو اكبر من اسحق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب . بل في نفس كتب اهل الكتاب ان اسماعيل ولد ولإبراهيم ست وثمانون سنة وولد اسحاق وعمر ابراهيم تسع وتسعون سنة كما ان قصة الذبيح جرت في مكة واسماعيل هو غلامه الذي هاجر معه اليها صحبة امه .

ويؤيد ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (انا ابن الذبيحين).[17]

وورد عن الحاكم في المستدرك عن معاوية بن ابي سفيان ان أحد الاعراب قال للنبي (صلّى الله عليه وسلّم) انا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ولم ينكر عليه .

قال الحاكم وقد ذكر الواقدي هذا القول بأسانيدهم وعددهم . ثم قال : وقد كنت أرى مشايخ الحديث قبلنا و في سائر المدن التي طلبت الحديث فيها و هم لا يختلفون ان الذبيح اسماعيل و قاعدتهم فيه قول النبي (صلى الله عليه وسلّم) (انا ابن الذبيحين).

اما لا خلاف انه ولد اسماعيل وان الذبيح الاخر ابوه الادنى عبد الله بن عبد المطلب.[18]

---

(17) فتح الباري ١٢/٣٩٦ .

(18) المستدرك الحاكم ٢/ ٦٠٤ – ٦٠٩ .

وبعد ذلك أن البشارة الثانية بعد تمام قصة الذبح كانت لاسحاق في قوله تعالى (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) .

وما جماعة من أهل العلم ومنهم الطبري الى ان الذبيح المبشر به اسحاق ونقل ذلك عن طائفة من السلف وبعض الصحابة .

ولا دليل لهم على ذلك من كتاب ولا سنة ، انما هو تكلف عن اخبار اهل الكتاب من غير حجة اقحموا اسحاق لانه أبوهم واسماعيل ابو العرب وقد رد ابن كثير ومفسرون آخرون بأدلة وآثار عن السلف واستنتاجات عدة و اخذ بما في نصوص التوراة .[19]

---

[19] تفسير ابن كثير ٤/ ٩ (هامش)التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم هامش اعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن باشراف الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم جامعة الشارقة ط ٦/ ٢٠١٠ - ٣٨٩

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. بحوث إسلامية (الأستاذ الدكتور محمد مطلوب) ط١ ٢٠١٧م المطبعة المركزية جامعة ديالى .

٢. تفسير ابن كثير الحافظ عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي طبعة جديدة مصححة ومنقحة مأخوذة عن مخطوطة دار الكتب المصرية الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٨م . مكتبة دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع دمشق. مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع الرياض

٣. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم اعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف (الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم) ط١ جامعة الشارقة .

٤. سنن الترمذي ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي طبع مصطفى البابي الحلبي مصر ١٩١٥ .

٥. السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة دراسة محررة جمعت بين اصالة القديم وجدة الحديث (الدكتور محمد بن محمد ابو شهبة) دار القلم دمشق ط ٨ ٢٠٠٦م .

٦. السيرة النبوية من خلال كتب السنة دراسة تحليلية تأليف (الدكتور حسام عبد الله حمسو) الدار العثمانية للنشر الأردن – عمان سنة ٢٠٠٨م .

٧. صحيح مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

٨. زاد المعاد في هدي خير العباد ابن قيم الجوزية تحقيق محمد محيي الدين المكتبة التجارية القاهرة .

٩. فتح الباري بشرح صحيح البخاري للامام الحافظ أحمد بن علي العسقلاني بيروت لبنان .

١٠ . المستدرك على الصحيحين ابو عبد الله الحاكم النيسابوري دار الكتاب العربي وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي .

شعر المهجر الجنوبي
رؤية فكرية لأحمد مطلوب

الأستاذ الدكتور محمد ابراهيم حوّر

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

(١)

كثيرة هي البحوث والدراسات التي درست شعر المهجر : الشمالي والجنوبي . مسلطة الضوء على مبعثه ، وخصائصه الموضوعية والفنية ، ومظاهر التجديد فيه . وعوامل الالتقاء والافتراق بينه وبين الشعر العربي في بلاده الأصلية[١]. وكان لكل من هذه الدراسات منهجها ، ولكل من أصحابها رؤيته .

وكان أحمد مطلوب واحدا من الدارسين لهذا الشعر ، وصدر له فيه كتابان : واحد قصره على شاعر بعينه هو : رشيد سليم الخوري ، الملقب بالشاعر القروي ، وجاء بعنوان : "القروي : شاعر العروبة في المهجر"[٢]. وثان كان الحديث فيه عن ثلاثة شعراء هم : توفيق ضعون ، وجورج صيدح ، وجورج كعدي . وجاء بعنوان : "صور عربية من المهجر الجنوبي"[٣].

---

[١] انظر على سبيل المثال لا الحصر : أدب المهجر لعيسى الناعوري . أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية لجورج صيدح . التجديد في شعر المهجر لأنس داود . التجديد في شعر المهجر لمحمد مصطفى هدارة . التجديد في شعر المهجر لعبد الحكيم بلبع . القومية والإنسانية في شعر المهجر الجنوبي لعزيزة مريدن .

[٢] صدر عن دار الفكر بعمان عام ١٩٨٥.

[٣] صدر عن وزارة الثقافة ببغداد عام ١٩٨٦.

فالكتابان يلتقيان في الموضوع المعالج : العروبة ، وصور عربية . والشعراء يقيمون في بيئة واحدة ، هي المهجر الجنوبي . وقد كان المنهج الذي سار عليه الناقد في الكتابين واحدا : السيرة ، والوطن ، والعروبة ، لدى كل شاعر من الشعراء الأربعة . وقد جمع بين هذه العناصر الثلاثة حين متين ، فكأنه يتحدث عن شاعر واحد حسب ؛ لولا التفاوت في القيمة الفنية التي يتمتع بها الشاعر القروي عن سواه . أما البيئة ، والحياة ، وظروف العيش ، وقسوة العمل ، والندم على ما فات ، والرغبة في الخلاص ، وشكوى الغربة ، والحنين إلى الوطن ، والتعلق بالعروبة ، والتفاعل مع الأحداث ... فهي عند الشعراء الأربعة واحدة .

وكان من المفيد أن نتتبع حديثه ، في الكتاب الأول : القروي : شاعر العروبة فيما أسماه " الإطلالة "[1] ، جاءت توطئة لمبتغاه في منهجه : الهجرة ، والغربة ، والحنين ، إذ عقد مقارنة بين هجرة المسلمين في بقاع الأرض لنشر الدعوة الإسلامية ، نتج عنها : استقرار عدد من المسلمين الفاتحين ، في البيئات الحديثة التي باتت جزءا من الدولة الإسلامية الجديدة ، وطاب لهم العيش والاستقرار في ظل الأمن والعدل والمنعة . ولم يخل الأمر من ذكريات مصحوبة بحنين إلى الطفولة والأتراب والأهل ، لكن عزاءهم في هذا ، أن حملوا الرسالة وأسهموا في نشرها في بقاع المعمورة . أقول : عقد موازنة بين هذه الهجرة ، وهجرة أخرى في العصر الحديث ، فقال : " لقد هاجر بعض العرب إلى أرض نائية لغير ما هاجر من أجله الذين استقروا في الأندلس أو أطراف الصين ، فأية قوة دفعت بهم إلى

---

[1] القروي : ١٠٠.

الأمريكيين ؟ بأي نداء ضج في الأعماق ، فألقوا بنفوسهم في البحر ، فإذا هم في أرض لم يطؤوها من قبل ، وإذا هم في عالم كان حديثاً تردده الشفاه[5].

وفي محاولة للإجابة عن هذه الأسئلة ، أعرض عدداً من الآراء في أسباب هذه الهجرة ، وفيها ما هو لتسويغها كالطموح الكامن في طبيعة الناس ، والمرونة والقدرة على الاقتباس والتكيف ، وضيق المجال في بلد صغير ، والسياسة التركية ، وظلم الولاة[6] وخلص إلى أن أهم سببين دفعا الناس إلى الهجرة هما :

الأول : التدهور الاقتصادي الذي أصاب البلاد العربية في أواخر القرن الماضي ، ومطلع القرن العشرين . ولكن أهل لبنان ، وهم أكثر ميلاً إلى الرفاهية ، عبروا المحيط ليغيروا حالهم ويعيشوا في أمان . وساء ما تصوروا ، فقد ظل كثير منهم على فقره ، وكانت الفاقة في وطنهم أكثر رحمة من أرض كولمبس .

الثاني : المبشرون الذين كانوا يجوبون بلاد الشام في تلك الأيام وتأثيرهم على أتباعهم ، وقد دفع ذلك كثيرين إلى الهجرة إيماناً بعقيدة ، وأملاً في فردوس ، ولكنهم لم يلقوا في العالم الجديد غير ما كانوا يلقونه من رجال الدين في بلادهم[7] . وهو يستبعد أن تكون أسباب الهجرة طلباً للحرية بعد أن اضطهدهم الأتراك ؛ لأن أكثرهم هاجر وهو طفل ، أو صبي مغمور .

---

(5) المصدر السابق ١١.

(6) نفسه ١٢.

(7) نفسه ١٤.

ويختم الإطلالة بملامح شعرية دالة على التيه والضياع اللذين أحاطا بهؤلاء المهاجرين منذ أن وطئت أقدامهم السفينة، إلى أن وصلوا تلك الديار البعيدة، فوجدوا أنفسهم غريبي الوجه، واليد، واللسان. فكانت الشكوى والألم، وهما عدة العاجز المقهور.

(٢)

أما المنهج الذي اتبعته في دراسة الشعراء الأربعة فتمثل في: السيرة – الذات والحنين والعروبة.

وفي جانب السيرة عرفت بكل شاعر: ولادة، ونشأة، وظرفاً، وهجرة، ومعاناة ... فالقروي، ولد في قرية البربارة في لبنان ليلة عيد الفصح في الخامس من نيسان سنة ١٨٨٧ م، في أسرة ميسورة الحال، وعلى قدر من العلم والمعرفة. في الثالثة عشرة من عمره طلب العلم سنتين في مدرسة الفنون الأمريكية بصيدا، فسنة في مدرسة سوق الغرب، وأنهى الاستعدادية في الكلية السورية الإنجيلية – الجامعة الأمريكية اليوم. انصرف إلى التعليم سبع سنوات في طرابلس وسوق الغرب. توفي أبوه سنة ١٩١٠، وترك له ديوناً لا بد من أدائها، من أجر التعليم، فوطن نفسه على الاغتراب وهو يمنيها بالأوبة، حالما يبرئ ذمة والده، وساعده على ذلك عمه، الذي كان قبطاناً في الجيش البرازيلي. وأبحر من بيروت في أول آب سنة ١٩١٣م، وعمره ستة وعشرون عاماً.[٨]

---

(٨) القروي [illegible] بتصرف.

وتوفيق بربر ، ولد في قرية الحاكور (الحاقور) سنة ١٩٢١ ، تعلّم القراءة والكتابة في المدرسة الإنجيلية في لبنان ، ولم يدرس بعدها في مدرسة أو في معهد ، وهاجر يافعاً سنة ١٩٣٧ م إلى البرازيل ، وعمره ستة عشر عاماً .[9]

وجورج صيدح ، ولد في دمشق سنة ١٩٠٣م ، تخرج في كلية عينطورة في لبنان عام ١٩١١ . هاجر إلى مصر عام ١٩١١ وعمره أحد عشر عاماً . وقضى في مصر أربع عشرة سنة . في عام ١٩٢٥ هاجر إلى فرنسا ، إثر نكبة مالية نزلت به ، وقضى فيها عامين . وفي عام ١٩٢٧ هاجر إلى فنزويلا .[10]

وجورج كعدي ، ولد في سكّا في لبنان سنة ١٩١٠ أو ١٩١١ أو ١٩١٢ ، من أبوين يجهلان القراءة والكتابة . دخل مدرسة القرية وبقي فيها سنتين . وفي عام ١٩٢٥ هاجر وهو في حدود الرابعة عشرة من عمره طلباً للرزق .[11]

هذه جوانب من سير الشعراء الأربعة ، ألمّت بالولادة والنشأة والتعليم وسنة الهجرة . ونؤكد فيها ما جاء في " الإطلالة " من زاويتين . أولاهما ، أن سبب الهجرة اقتصادي صرف عند القروي الذي نصّ عليه صراحة . والأمر منسحب على جورج صيدح . وثانيهما ، أن سبب الهجرة اقتصادي نعم ، لكنه لم يكن ذاتياً ، وإنما هناك من ساعد على القيام به ، وهذا نجده عند

---

(9) صور عربية ١١ – ١٢ بتصرف .

(10) المصدر السابق ٨٧ – ٨٨ بتصرف .

(11) نفسه ١٧١ بتصرف .

توفيق بربر ، وجورج كعدي ؛ لأن الأول كان عمره ستة عشر عاماً ، والثاني أربعة عشر عاماً . والأمران يتلاقيان مع سنتي الهجرة اللتين نص عليهما الباحث في الإطلالة .

(٣)

شكّل النص لوحات شبه ، لدى الشعراء الأربعة ، متطابقة ، تكاد تكون لشاعر واحد ، إذا ضُمّ بعضها لبعض . وإذا ما بحثنا عن أسباب ذلك نجدها تتمثل في حالة الصحو بعد الغفلة ، أي تنقل بين مرحلة الفتوة ونشاطه الشباب ، وبين الوعي والنضج ، وبين ما تزين للمرء من بريق السفر وما يوعد من به من رخاء عيش ، وحرية واستقلال ، وبين الواقع الذي تصدم به ، من شظف العيش ، وقسوة الحياة وما يليه كمن سفر !.

واجه الشعراء كل هذا ، وذكروا الوطن : الأرض ، والأهل ، والأمن ، والطمأنينة . وكانت مساعيهم في هذه الذكرى كثيرة ، بدأت منذ أن وطئت أقدامهم السفينة وركبوا البحر ، فهالهم ما رأوا ! فالمحيط عند الشاعر القروي غير البحر في لبنان . فنسمه مختلف . فالمحيط مشبع بالبخار ، وبحر لبنان "يفوح بالشيح" ، وهو زكي شذاه والطف صبح" :

يا سيد المحيط ما هذا في ساحة البحر عند الأنام

أنت إن زرت في المدى سحيحا عنعنت في عظامه الأسقام

مشبـع بالبخـار روح سبيـل بـرد تستعد منه المسام

ليس ذاك الذي يفـوح الشيـخ إن حـرّ نسلـه والثُمـام

ذاك أزكى شمًا وألطف ضمًا   ذاك تشفي بلمسه الأجسام[11]

وتوفيق برير يهجر دياره ويستقل البحر " تاركا للأسى حبيبا ودارا " ! ، وهو يبحث عن المجد " والصدر في غليان " ، وكلما مالت به السفينة " نحو الغرب فاضت دموعه تذكارا " ! إنه الصراع بين المنى في عالم الغيب ، وبين الواقع الذي خلفه ، فيه من الأحزان ، على ما فيه من شظف العيش ، وضيق ذات اليد :

هجر الطود واستقل البحر   تاركا للأسى حبيبا ودارا

ودموع الفراق تعصب عينيه ، فلا يبصر النهار نهارا

لا يبالي والصدر في غليان   أن يرى الموج الزاخر هدارا

كلما مالت السفينة نحو الغرب ، فاضت دموعه تذكارا[12]

ويقسو المحيط على جورج صيدح ، فهو فيه "متعذب فيه عذاب النار"! :

وقسا المحيط على الأديب فروحه   متعذب فيه عذاب النار[14]

وما أن يغادر دياره ، حتى يغلبه الحنين ، وهو راكب البحر ، فيبعث لأهله بالشام ولبنان بالتحية مع نسمة الفجر ، صادقة طيبة زكية . وهو مدرك أنه عق بلاده ، وهو في صراع بين العقوق والوفاء . العقوق لأنه غادرها لا عن ضيق حال ، أو فاقة . والوفاء لأنه مرتبط بها مخلص في وده لها :

---

[12] القروي ٦٨.

[13] صور عربية ٢٠.

[14] المصدر السابق ١٠٣.

اقطعي البحر ومرّي بالحزامي وانتحي يا نسمة الفجر الشاما

واهبطي في غوطة الشام ندا واعتلي للأرز بردا وسلاما

واحملي الطّيب من أندقنا للحمى لا تحملي منها الضراما

حظّ من دهرنا كأس الهوى نحتسيها وتحيانا ندامى[15]

وجوهر كعدي هالته الغربة ، "فأرته الهول بحرا صاخبا" ، وكانت أمواجه مزمجرة ، أفقدته صبره ، وجعلته في حالة مضطربة ، اضطراب الموج في البحر الهائج :

غربة لله ما أصعبها أوقفتني من بلاها العجبا

فأرتني الهول بحرا صاخبا يقذف الأرزاء فيه النوبا[16]

أما الوسيلة الثانية ، فهي الغربة والوحدة ، حيث لا معين ولا مغيث وقت الحاجة . وقد كانوا كلهم حسرة وكمد ، إذ لا مال ، ولا أهل ، ولا أنيس . فالقروي "تائه يشتكي النوى ، دأبه النوح والأنين" :

مهجة كلّها جوى كبدٌ كُلّها حنين

تائهٌ يشتكي النوى دأبه النوح والأنين

وهو يدرك أن لا علاج له ، ولا شفاء من محنته إلا أهله : أمه ، وإخوته . لكن أين هم وهو في بلاد الغربة ؟ وما دام الأمر كذلك ، فما له إلا " النوح والأنين " :

---

(١٥) نفسه ص ١٠٠ .

(١٦) نفسه ص ١٠١ .

قلتُ لا يدفع الأسى غيرُ أمي وإخوتي

فتداويتُ بالمُنى عائدا نحو قريتي

إنما الوجدُ لم يزلْ مثله قبل عودتي

مهجةٌ كلها جوى كبدٌ كلها حنين

هائمٌ أشتكي النوى دأبي النوح والأنين[11]

إن تكرار بيتي "مهجة ... هائم" بوصفهما لازمة في القصيدة ، ينم عن اللوعة والحسرة ، اللتين أحاطتا به في بلاد الغربة ، وما ترددهما إلا من باب الحنين والأنين ، الذي يتوسل به المرء للشكوى مرة ، ولهدوء النفس لعله يهدئ من روعه أخرى .

وتوفيق بربر ابن السادسة عشرة من عمره ، ما أن وصل إلى البرازيل ، وصدم بمشاق الحياة ومتاعبها . حتى يشعر بالغربة والغبن ، والعجز عن التفاهم مع هؤلاء الأقوام الجدد . ويقف اللغة حائلا بينه وبينهم ، ناهيك عن أنه هو المحتاج إليهم ، وهم المستغنون عنه ، فتزداد ردة فعله ونقمته على نفسه أولا ، وعلى الواقع الذي آل إليه ثانيا ، وعلى العجز الذي أحاط به من كل جانب ثالثا ، فما كان منه إلا أن يصرخ :

أنا الغريب الذي جفت مباهجه وجدا وشوك الأسى في صدره نام

أقضي الحياة بأرض لا حياة بها أقول شعرا فصيحا بين أعجام

أسعى إلى المال محموما فيزجرني عنه ضميرٌ وقى عرضي من الذام

---

[11] القروي ٦٠-٦١.

وطالبُ المالِ والأخلاقِ عاصمةً   رامَ الحصولَ على [illegible] بإعنام

وهكذا تذهبُ الأيامُ مرتبكةً   رغائبي بين إقدامٍ وإحجامِ

والله لولا حبيبٌ منعشٌ أملي   يلوحُ كالآلِ في بيداءِ أوهامي

لما صبرتُ على الهجرانِ ثانيةً   وكنتُ أختمُ آمالي وأيامي[18]

وجورج صيدح الذي تنقل بين مصر وفرنسا ، وحطت به عصا الترحال في أمريكا ، ظل مشغولاً بأرض الأم ، ويبقى يشعر بالغربة في كل مكان حلّ به ، وعينه ترنو إلى دمشق ، الذي ظلّ يلح عليه بالعودة إليه ، والعيش بين أحضانه ، وهذا ما نحدسه حين يواجه العام الجديد في الغربة بقوله :

أبعيدُ للوطنِ الغريبِ تهنئي   يا ربِّ هوّنها على الغرباءِ

حتى متى يبري الحنينُ صدورهم   والعامُ يتلو العامَ دونَ لقاءِ

وكأنهم أخذوا على طولِ النوى   عهداً لأنفسهم بطولِ بقاءِ

يا سائلَ الأيامِ تحقيقَ الرؤى   انشر جوابكَ في فمِ العنقاءِ

بين المهاجرِ والديارِ حوائلٌ   غيرُ اجتيازِ البحرِ والبيداءِ

إن المطالبَ والمواجبَ تنتهي   تدنو من الطرفينِ حبلَ رجائي

والنفسُ حائرةٌ لدى [illegible]   [illegible] أمامي والشجونُ ورائي

والعمرُ أضيقُ فسحةً من أن يعي   [illegible] من الأطماعِ والأهواءِ[19]

---

[18] صور عربية ٢٠.

[19] المصدر السابق ١٠٩.

وجورج كعدي يهاجر إلى البرازيل ، ولم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره . فتكون الغربة قاسية عليه ، وتبقى تلح عليه في كل الظروف والأحوال ، حتى في اللحظات التي يبدو فيها . وقد أنعمت عليه الحياة بالرخاء والثراء ، ولكن هيهات . فالهموم تحيط به من كل جانب ، والأمراض أنهكت قواه ، وبددت أمواله . فهو مرة يقول :

أحيا غريبا بأرض لا سمير بها   إلا الهموم وإلا اليأس والوجعا

أطوي لياليّ والآلام تنهشني   وأزجر الدمع في جفني إذا همعا

لكن لي همة كالطود شامخة   تأبى الهوان وتأبى الحرص والشجعا[20]

وأخرى يعدّد : داء الغربة ، وداء الهم ، وداء المرض ، إنها جميعا "هدّمن بنياني" ، اسمعه يقول :

أحيا غريبا بقفر لا سمير به   إلا الهموم وقد هدّمن بنياني

داءٌ وغربةُ نفسٍ لا حدود لها   في بيئة جرّعتني كل ذيفان

تشدني لفراشي كلُّ مؤلمة   من الحوادث هدت ركن أركاني

تحت المباضع بلو كل نازلة   أيوب لم يبلها من دهره الجاني[21]

وثالث هذه الوسائل ، الطبيعة بأشيائها : الشجر والقمر والجبل وعيون الماء والطير والشمس ... ! إن هذه الأشياء هي هي موجودة في كل بيئة من البيئات ، ولعلها تكون في بيئات أخرى أجمل مما هي عليه في بيئات

---

(٢٠) نفسه ١٧٦.

(٢١) نفسه ١٧٧.

هؤلاء الشعراء ؛ لكنه الوطن ! بأشيائه الخاصة به التي تختلف عمّا سواه . ومما لا شك فيه أن الطبيعة في أمريكا الجنوبية لا تقل جمالاً عن جمال الطبيعة في لبنان ... من حيث اتساع رقعتها ، وتعدد ألوانها . لكن هيهات أن تغني عن لبنان . لأنّ أرض من أجسام شعرائه ترابها!

فلبنان شمسه التي تختلف عن الشمس المعروفة عند الشاعر القروي ؛ ولذلك لاحظناه يخصها بالخطاب "شمس لبنان" قائلا :

شمس لبنان حضري حال الغريب وارحميه

وانظـــري قبل شروق وغروب لذويـــــه

إنه صـــب بتذكـــار الحبيـــب ملء فيـــه[22]

ونعثر من الوسائل الفنية المتعارف عليها عند الشعراء العرب من بعيد ، في حديث الحنين والغربة خاصة :

أسرب القطا هل من يعير جناحه لعلّي إلى من قد هويت أطيرُ

ولآخر :

ألا يا حمام الأيك إلفك حاضرٌ وغصنك ميّاد ففيم تنوحُ ؟

أقول : توسّل القروي بالعصفور ، واتخذه أنيسا ، وشجيا ، وشريكا في غربته هذه .

هل أنت يا عصفور مثلي غريب هل لك مثلي إخوة في الوطن

هل أنت مثلي هائم بالحبيب من ذا الذي تهواه يا طير من؟[23]

---

(٢٢) نفسه ...

(٢٣) القروي ٦٠.

وتمثل الوفاق بين ذاته وبيئته الذي تشبه غناء العصفورة فيروز ، بهديله وسجعه :

يا شهاة الأرز بت فيروزه ... غردي ما شئت فيه واسجعي

رب ورقاء من الحب زنوت ... لحنها ناح في قلب النشع (٢٥)

وجورج صيدح حاله حال "البلبل الغريب" الذي إن فارق روضه "فكل رياض الكون في عينه قفر" ، وليس أدل على ذلك من أنه لم يطب له عيش بمصر ، وبقي مضطرب النفس في الحمى والخصب والرعة ، وإذا به يرثي :

هجرت ربوع الشام والقلب مثخن ... جريح سياه كأن أقتلها الهجر

ديمت قطر النيل أطلب منهلا ... ومن عشني لا يبرده قطر

أنا البلبل الغريد فارق روضه ... فكل رياض الكون في عينه قفر (٢٦)

وجورج كعدي ، بلبل من بلابل "الأرز" أقصته الظروف . لكنه ظل يشدو بلبنان وطنه وأرضه وأهله ، ولم يحل بينه وبين لبنان قسوة الظروف ، ولواعج النفس ، بل إن هذه زادته تعلقا بوطنه . [illegible] في الغربة كان أشد وقعا في النفس يقول :

بلبل من بلابل الأرز أقصته عن لبنان مدرجات حمام

فمضى في مناكب الأرض يشدو ... [illegible] الأعج وصرام

---

(٢٥) صور عربية ٢٦.

(٢٦) نفسه ١٠٢.

تاركا في ربوع لبنان قلبا   حطمته الآلام والأنكاد

لابني يرقب النجوم إلى الصبح كئيبا مضعضعا لا ينام

فإذا أقبل النهار تعشّى   بقصيد يهتاج منه الحمام

فتموج الرؤى على صفحة الأفق وفي الأفق زرقة وابتسام[26]

وتوسل الشعراء في الحنين بمسقط رأس كل منهم ، حيث الطفولة باللعب مع الأتراب ، لاهم ولا مشغلة ، بل هي السعادة بعينها .

فالشاعر القروي ابن "بربارة" ، قرية تستند إلى جبل صنين في لبنان ، وإذا بهذه القرية البسيطة خلّدها الشاعر بشعره ، بوصفها : مغناه ، ومرتبعه ، وفردوس أحلامه ! وماذا بعد ؟ أهي كذلك على الحقيقة ؟ أجل عند القروي وحده ، ولا أظن أحدا سواه يشاركه الرأي . ومن أين يأتي ذلك . وهي التي عرفناها من هذا الشعر حسب ؟! قال :

بربارتي مغناي مرتبعي   فردوس أحلامي فتى وصبي

كلُّ القرى آبت أحبتها   وحبيبها القروي لم يؤب

أترى أعود إلى مواطنها   وأنال من وادي الوطا أربي

عودَ الأمين إلى دبكته   أو عودَ جبران إلى الترب[27]

---

(26) نفسه ١٧٤.

(27) القروي ٧٠.

وفي قصيدة جنة الأطيار :

بربارتي تزدهي ... بجنة الأطيار

كم فيك من حسونة ... كم فيك من هزار[28]

هذا على الإجمال ، لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد ، بل وصل به الأمر أن فصّل في الأماكن البسيطة في هذه القرية . جاء ذلك في رثائه لصديقه " راجي بربارى " نسبة إلى قريته بربارة ، فقال :

وهل مثل راجي إن جنست بقربه ... ... الصبا أيامه والليالـيا

ومدرسـي العـليا وفرو صـيـهـا ... بربارتي أحراجها والشواطيا

إذا قلت نبع المرج والمعز والوطا ... ... ومعرابا وحرفي مثاليا

فتصعد آهاتي وآهـاتـه معـا كأن ... حناء الضلوع مثانيا[29]

إن القروي في هذا نسج على منوال امرئ القيس في مفتتح معلقته المشهور :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمأل

وما نبع المرج ، والمعز ، والوطا ، ومعراب ، وحرفي إلا من هذا الباب الذي يحلو للشعراء الأخذ به والنسج على منواله على مر العصور .

---

(28) نفسه ٧١.

(29) نفسه ٧٠.

وولد توفيق [illegible] بقرية "الحاكور" التي يمر منها نهر صغير اسمه "[illegible]فا". ويخلّد الشاعر هذه القرية المتواضعة، ونهرها الذي لم يرد له ذكر عند غيره من الشعراء أو الأدباء، وإذا بهذا النهر:

صفا ماؤه كالدمع في صفحة الخد وطاب ففي الأحشاء أحلى من الشهد

أما عن ولادته ونشأته وطفولته وصباه في ظلال قريته، ونهرها الرقراق فهي على هذا النحو:

نشرت شبابي فوقه كفراشة على زهرة باللهو تغرى وبالرغد

في طالما بردت جسمي بمائه كصبيين حتى غار من مائه بردي

وشنفت سمعي من خرير مياهه وما زال في سمعي صداه على البعد

فيا أيها النهر الطروب كأنه بإنشاده قيثارة الحب والوجد

حملتك في وجدي وسمعي وخاطري إلى آخر الدنيا وذا منتهى الود

خريرك يوحي الحب والشعر والعلى ثلاثة أحمال أنوء بها وحدي

أنا زهرة الصحراء إيماضة الدجى نشرت على الحاكور باكورة المجد[٣٠]

وجورج صيدح يولد في دمشق، ويهجرها إلى سواها، لكنها تظلّ تلحّ عليه بالحنين والعودة، ويظل الشاعر يعبر عن ذلك متوسلا بعلل. هو بحاجة إلى أن يقنع نفسه بها قبل أن يقنع الآخرين بذلك. انظره يقول:

دمشق إن أشحت الأوطان مغتربا إني لأوجعُ من أشجته أوطان

---

(٣٠) صور عربية ٢٤.

والله لولا فروض العيش ما بقيت بيني وبينك أبحار وبلدان

حسبي من الوجد هجرانٌ مُنيتُ به وحسبك العهد لا ينسيه هجران[٣١]

وتظل دمشق تلحّ عليه في كل الظروف الصعبة التي تواجهه في غربته . وأقول في الظروف الصعبة دون سواها . انظره يقول ، وقد خرج من مصر خاسرا ، فاتجه إلى فرنسا ، لا إلى دمشق ، فقال :

دمشق إن قلت شعرا فيك ردده قلبي كأن خفوق القلب أوزانْ

أنا وليدك يا أماه كم ملكت ذكراك نفسي وكم ناجاك وجدان

أنا عليل النوى لا برد ينعشني ولا نسيم عليل منك ريّان

منذ افترقنا نعيم العيش فارقني والهمّ والغمّ أشكال وألوان

لا المال أنجدني لا الحال أسعدني والربُّ أهملني والإنس والجان[٣٢]

ويولد جورج كعدي بقرية " بسكنتا " المتكئة على صدر " جبل صنين " في لبنان ، ويتخذ الشاعر جبل صنين علما على قريته لصعوبة الصيغة الصرفية في اسم قريته " بسكنتا " ، وللصيغة الموسيقية في اسم الجبل الذي تقع عليه القرية " جبل صنين " ، فاستعاض الشاعر باسم الجبل عن اسم القرية . انظره يقول في حال غربته عن قريته – جبله :

---

[٣١] السابق ٨٨.

[٣٢] نفسه ١٠٦.

ليس أشقى في الورى من شاعر   لحــجّ البـــؤس به فـاغـتربـا

عن بلاد إن تغب عن نـاظري   فهـي في قلـبي جمـال وصبـا

عن جنان الوحي عن مهد الرؤى   عن حمى صنّين عن شيخ الرُبى

ضاربا في منـكب الأرض على   صهوة المجـد أرجّـي الغلبـا[٣٣]

وإذا ما عاش في الغربة ، ما له إلا أن يتوسل بالطائر " فوق الغمام ". وما هذا الطائر إلا الشاعر نفسه ، الذي هجر القرية والجبل والأم والأهل والأحباب . ثم يشكو الهمّ والفراق والألم ، في حالة من الندم واليأس ، وما له – والأمر كذلك – إلا أن يذرف دموع اليأس ، في هذه الغربة القاتلة :

يا أيها الطائـــر فـــوق الغمـام   هلّا ذكرت الأهل في بلدتـك

في الواد في صنّين ملهى الصّبا   أيام تشدو الشعر في روضتك

الأمّ والأحبــــاب فيـــه ثـــوَوا   وأنت تجني الهمّ في شكوتـك

تشكـو وما من سامع شـاعــرا   هيهات تنفي الهمَّ في شكوتك

فاذرف دموع اليأس في غربــة   كلّ معاني الشوق في دمعتك

واحمَـد لأمـــر الله مستسلمـا   حتى يمنّ الله في دعوتك[٣٤]

وإذا كانت وسائل البحر ، والغربة والطبيعة تدخل في باب التفصيل ، فإن الوطن عامة جاء على العموم ، وكان لبنان الوطن يلحّ على الشعراء ،

---

[٣٣] السابق ١٧٦.

[٣٤] نفسه.

بوصفه الرمز ، والأنموذج الذي ينتمي الجميع إليه ، ويتفيؤون بظلاله! فهو عند الشاعر القروي :

لله فـــي لبنــــان عهدٌ شمَلنا الجميعْ

والأرض والسماء والأعمار في ربيع[٣٥]

وإذا ما عاش في أمريكا الجنوبية ، وزار مدينة " كاشمبو " نراه يقول :

على تلّ "كاشمبو" وقفت مناجياً بلبنان طوداً شامخ الرأس عاليـا

يذكرني صنّينُ والذكر نسبـة فإن شمت مصباحاً ذكرتَ الدراريا

أراني في لبـنان ما زلت ثاويـاً فما لـي بكاشمبو أراني ثاويـا[٣٦]

وإذا ما غلبه الحنين ، حنّ إلى لبنان وحده:

أحنّ إلـى لبنان وجداً وما أنا بعيداً ، ولكن موطن البؤس مهجرُ

وأشتاقه شوق الغريب وما ترى نعيمي بقرب الحب والحب يقبر[٣٧]

والأمر منسحب على توفيق بريد ، الذي رأى أن حسن لبنان الفتّان ، أنساه كل حُسن ، وتمنى أن يعود إليه ، ويعيش بين ظهرانيه مزهوا عزيزا ؛ لأنه تاج على رؤوس البلدان ، قال :

أين من عينــيّ لبنان الــذي حسنُهُ الفتّان أنساني السما

---

[٣٥] القروي ٧١.

[٣٦] السابق ٦٨.

[٣٧] نفسه ٦٥.

أشتهي جرّ الخطى في أرضه وإكم عانقتْ فيه الأنجما

وطس زان الهدى مفرقه وعلى أقدامه المجد ارتمى[٣٨]

وإذا ما عاد توفيق بربر إلى لبنان ، نلحظه يصرخ هاتفاً بفرحة اللقاء ، بعد طول غياب :

لبنان يا جبلي الأشم ويا حبيبي الملهما

صلّى الإله عليك يا وطن الجمال وسلّما[٣٩]

ويظل لبنان يلحّ على الشاعر ، ولا يجد الشاعر غضاضة في كثرة الحديث عنه ، والفتنة به ، ويجد في الكلام على لبنان ذا شجون ، شهيا محببا ، انظره وهو يقول :

لله ما أشهى الحديث عن الحمى عن مصدر الإشعاع عن لبنان

عن موطن الأرز الذي زان الورى أبناؤه بالعلم والعرفان[٤٠]

وإذا ما رأى الخطر يهدده ، والفتنة تحدق بين أبنائه ، نلحظه يفزع محذرا من النتائج التي تتهدد الجميع ، بحيث يكون الجميع خاسرا ، انظره يقول :

يفدون لبنان حلوٌ وأنت تراه الكمال ، فقلت : نعمْ

فيا أهل لبنان هذا حماكم وسيد المحيا كريم الشيم

---

[٣٨] صور عربية ٢٢.

[٣٩] السابق ٢٦.

[٤٠] نفسه ٢٧

حباه الإله ضروب الجمال   وأضفى عليه جزيل النعم

فجاء سويّاً كبدر تمام   ولا شيء في الخلق منه أتمّ

فكونوا حماة أباة بنيه   فيحلو بكم زاهلا بالعلم

وهذا خليق بأقداركم   فإن المهمّ بجلّ الأهم[41]

أما جورج كعدي ، فلا يرى السعادة إلا في لبنان . ويندب حظه لهجرته عنه ، ويغبط من يعيش بين ظهرانيه .

وإن تذكرت لبنانا فلا عجبٌ   من الحنين لمسراه ليكويني

إن السعيد الذي يحيا بأربعه   لا مثري يتباهى بالملايين

فهل أعود إليه طارحا ألمي   وأكحل العين من أضواء صنّين[42]

ولبنان لم يغادره الشاعر عن قلى أو بغض ، إنما ضيق ذات اليد ، والسعي في سبيل الرزق :

لم نخلّفه على قلى يعلـم الله فلبنان موكن العقبان

إنما ضاق رزقناه في حماه   فشددنا الرحال للهجران[43]

وإذا ما كوته نار الغربة ، نلحظه يجد نفسه ممزقة : فجسمه في المنفى ، وقلبه في لبنان :

---

[41] نفسه ٢٠.

[42] نفسه ١٧٥.

[43] نفسه ١٧٩.

كفاني في منفاي همّا وحسـرة   تمزّق من صدري وتخفض من بأسي

أعيش بجسمي في بلاد غريبة   وقلبي في لبنان حيث نما غرسي[44]

ولعل أصدق المشاعر عند هؤلاء الشعراء ، هو شعورهم بما كان يعانيه أهلهم من فقر وجوع وعوز . عاش الكثرة من المجتمع في سورية ولبنان ، وهم يتجرعون مصائبه وآثامه . وربما يكون هذا الجانب هو أصدق ما قيل في الهجرة ودوافعها ، إذ كان ما سواه قابلا للأخذ والرد . وللصواب والخطأ. أما الجوع والفقر والحرمان ، فهو حقيقة قائمة ، ولا مراء أو جدال فيها. ولعلّ الشاعر القروي كان سبّاقا إلى الكشف عن هذا الجانب ، حين انتقل من الخاص إلى العام ، ومن الذاتية إلى الغيرية في قصيدته " تلك القرى "[45]. التي نبه فيها إلى أمر يعتز به كل عربي من بعيد ، وهو الكرم . وكان حاتم الطائي رمزا لهذا الكرم . ولا يجد القروي غضاضة في هذا ، لكن الذي هاله هو أن هذه دعوى بها حاجة الى دليل؛ بل إن الواقع يتناقض معها ، حين يرى الكثرة من أهل القرى يعيشون في الفاقة ، في الوقت الذي يحيط بهم قلة قليلة ، متخمة ، ولا تشعر بهؤلاء ، أو تلتفت إليهم وهم يكفيهم القليل من الكثير الذي يتمتعون به ، قال :

أسليل حاتـم إن تـزر سـوريـة   أنـعم بأكـرم زائـر ومـزور

طُف في مدائنها تَكم من جائـع   مترقب إحسـان كـل غيـور

ولـرب راب في النعيـم مجـدلٍ   كالشلو بين جنـادل وصخـور

---

(44) نفسه ١٨٠.

(45) القروي ٨١.

ربَّ القصور المرسلات قبابهـا   في الجو ضاحكة على العصفور

كَم اشبع الآلاف فضلُ فطوره   واليوم لا يحظى بفضل فطور

وانظر إلى لبنان نظرة جابر   عثرات قلب بائس مكسور

تلك القُرى اشتهرت كحدك في القِرى   فاصنع صنائع جدك المشهور

وإذا مررت بمضرب الأمواج قف   عند الوطا بالمنزل المشهور

فهناك بين جُبيل والبترون لي   عهدٌ يُقَوّمُ يومه بدهور

ويلتفت توفيق بربر إلى جانب آخر ، عكّر صفو مزاجه ، وأفسد عليه حبه وشوقه إلى بلاده ، وهو غريب عنها ، ويتوق للعودة إليها. إنه الطائفية المقيتة التي أشعلت نار الفتنة بين أبناء الوطن الواحد ، وإذا بهم في تباغض وتناحر ، وما جنوا من ورائه إلا الخراب والدمار والحقد. ولهذا جاءت قصيدته "دفن الأحقاد"[٤٦] ، قال فيها :

يا مسلمون ويا نصارى في الحمى   يا مدّعون عبادة الرحمن

حلّفتكم بالأنبياء جميعهم   وبحرمة الإنجيل والقرآن

جربتم عهد الشقاق فجرّبوا   عهد الوفاق بوجهه النوراني

وإذا ما قامت الحرب في لبنان بين أبنائه ، لا بينهم وبين أعدائه ، لحظناه يصرخ :

كافأوه بالهدم والتشويه   ويح لبنان ما أعقّ بنيه

---

[٤٦] صور عربية ٢٧.

غاب صوت الأجراس في البيع الـ غرّ وغار الأذان في منشديه

لـم يعـد يمـلأ المسامـع إلا لعلعات الرصاص في ناديه

كلما نامت الضغائن فيه شمّر المغرضون للتنبيه[٤٧]

ويعجب جورج صيدح من مفارقة تذهله ، ولا يجد تفسيرا مقنعا لها . هذه المفارقة تتمثل في دمشق الخصب والخير والرواء ، التي يفيض ماؤها ، ويعم خيرها ، ومع ذلك يجد الجوع والعطش متفشيان فيها. أما الجواب فلا يحتاج إلى كبير جهد في الحصول عليه أو تفسيره ، إنه الظلم والقهر والفساد ، وأينما حلّت هذه الثلاث ، انتزعت البركة ، وشاع الجوع والعري والمسغبة . حتى لو وجدت خيرات الدنيا في المكان . قال :

يا جنة الله غاضت في خمائلها منابع الرزق هل يرضاك جنّان

أنهارك السبعُ ما درّت لنا عسلا ولا جرت لرضيع الثدي ألبان

ضاقت سماؤك فالأطيار نافرة لم يثنها إلفها في البان والبان

تحدو بها لطلاب الرزق مسغبة كأنها في مراقي الجو عقبان

خضر مراعيك فالأنعام أشبعهاخصب وجاع أمام الخصب رعيان[٤٨]

---

(٤٧) السابق ٢٠٨.

(٤٨) نفسه ١٠٦.

(٤)

يرى أحمد مطلوب أن المهجر الجنوبي عرف بنزعته الوطنية والقومية أكثر من المهجر الشمالي ، الذي ساد فيه الاتجاه الإنساني ، والتأمل الفكري ، والنزعة الصوفية "[49]. ويعلل ذلك بأن شعراء المهجر الجنوبي لم يتأثروا بالاتجاهات السائدة في أمريكا الشمالية ، ولهذا " ظلّ حسهم عربيا ، وشعورهم وطنيا "[50]. وقد تجسد هذا الشعور في الشعر عند الشعراء الأربعة الذين درسهم أحمد مطلوب ، فساروا في نسق واحد ، موضوعا وفنا ، وكأنهم واحد في أربعة .

فالقروي " شاعر عربي " ضائع بين الأجانب ، الذين يجدون تباعدا بينه وبينهم في التفكير والشعور . ولا مناص له أو خلاص من هذا الواقع المؤلم ، إلا بالبوح بهذا الذي يعتمل في نفسه ، وهو جهد المقل العاجز . انظره يقول :

ما لعينيك ترعيان الكواكب	أيّ خطب وراءهن تراقبْ
تتلظّى حماسة تتنزّى	ألما تقذف الشرار الذائب
أنت والله شاعر عربيّ	ضائعٌ بين قومه والأجانب
حاملٌ فوق همّه همّ شعب	سامه الخطب في كل جانب
بلبلت عقله المذاهبُ والأحزا	ب حتى سدّت عليه المذاهب

---

(49) القروي ١٠١.

(50) السابق ١٠٢.

وكانت الوحدة العربية تشغله في كل الظروف والأحوال ، وإن كانت تخبو جذوتها في حالات الغنى والهدوء والاستقرار ، لكنها سرعان ما تشتعل في الأزمات ، وما أكثرها في بلاد العرب . وكان أشدها حين يبحث المرء عن رغيف الخبز ولا يجده . ولم يخلُ العرب شيء من هذا ، بحيث بات المرء يطلب رغيف الخبز ليسد رمقه فلا يكاد يحصل عليه ، فكانت هبّة العرب لنصرة بعضهم ، أو قل : للشعور بما حلّ بأهليهم على الأقل . فكانت قصيدة " الحمد للجوع "[1] مثالاً حياً على هذا التضامن . ذلك أن نقول : من الشاعر تجاه أهله ، ولك أن تقول : من العرب تجاه بعضهم البعض . قال :

الحمد للجوع حمداً واضح السبب ... إن كان أيقظكم يا معشر العرب

إني لأحمده من أجل عصبتكم ... وإن يكن عضّ إخواني ومضّ أبي

قد اجتمعتم على خير ولا عجب ... فكم أتى الدهر قبل الآن بالعجب

داء التفرق لم تنجع به خطب ... وفي الخطوب دواء ليس في الخطب

أثماركم سقطت ما ذاقها أحد ... في الناس فاعجب لكرم مجدب خصب

ما لابن آدم إلا ما يجود به ... إن الذهاب لمشتق من الذهب

غداً تبرهن أيدي المحسنين لنا ... أأعجميّ هو السوريّ أم عربي

[1] نفسه ١٠٦.

[2] نفسه ١١٠.

وتقف اللغة العربية حصناً منيعاً يحمي العرب والعروبة من التفكك والاندثار . وإذا ما عاش العربي غريباً عن دياره ، فإنه يظل مشدوها من عجزه عن فهم الآخرين ، وفهمهم له ، ناهيك عن التفكير باللغة ليصل إلى جوهر الأمور لا سطحيتها. ووصل الأمر بالقروي أن عدّ العربية هي " أم اللغات " حين قال : " لم أتعلّم من اللغات الأجنبية غير نزر من الإنكليزية أهملته ، فنسيت أكثره ، ونزر من البرتغالية أقل . أما أم اللغات ، فأتمنى لو تجدد عمري لأشبع نهمي من درسها ، وأغترف من كنوز حكمتها المحبوءة عن أكثر أبناء العربية ، ولا سيما المعتربين . وقد يسامح من يسبه بالعربية ، قال :

أضحكُ مما يُضحكني مستعجم   يستبني بلغة يسبنيـا

وحقّهــا إن لم أكن أحبــه   سامحته لأنني أحبّها[53]

وشكلت فلسطين واسطة العقد عند الشعراء العرب ، منذ صدور وعد بلفور قبل قرن ونيف حتى الآن . وكان شعراء المهجر الجنوبي من السبّاقين للتفاعل معها ، والتنبيه إلى المخاطر المحيطة بها ، ولا تتوقف عليها ، وإنما سيبتلى كل العرب ببلواها . كان هذا شعورهم قبل قرن مضى ، وهذا هو الآن ماثلٌ أمامنا . وكان الشاعر القروي من الشعراء العرب السباقين إلى هذا الخطر منذ صدور وعد بلفور ، فكانت قصيدة "وعد بلفور"[54] دليل وعي ، وعنوان بصيرة . قال :

---

[53] نفسه ١١٤.

[54] نفسه ١٤٣.

نحن مثلك ومن وعودك كـــــ   فحسبنا حسب الحق يا متجبر

نعد الوعود ونقتضي إنجازها   ميج العباد حسابك يا مستعمر

لو كنت من أهل المكارم لم تكن   من جيب غيرك محسنا يا نكير

تلهو بالشعب بما يشاء ...   ... وعدك أخضـــر

فلقد نجوز ونحن أضعف امة   ونؤوب مغذيا وأنت الأقـــذر

وإذا كان القروي انتصر لدمشق وقت الجوع ، فإن توفيق بربر انتصر لبغداد وقت المحنة ، ولا نشعر ... بُعد المزار ، لأنه عربي أولاً وأخيرا فهو لبناني المنبت ومسقط الرأس ، لكن بلاد العرب بلاده ، وكأنه ينسج على منوال أبي تمام وهو يردد :

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا   بالرقمتين وبالفسطاط إخواني

انظره يقول :

لا تقولي بغداد إني غريب   غريب ناء أغربته بالبعاد

يشهد الله ما ذكرتك إلا   لأناجي ما فيك من أمجاد

في عروقي دم العروبة يجري   وهي عندي أعز من أولادي

إن لبنان مسقط الرأس لكن   كل أرض للعرب فهي بلادي[1]

وأما اللغة عند توفيق بربر ، فهي هي عند القروي .

---

(1) ... عربية ٣٢.

عربـــيٌّ أنا ورغــم اغترابـــي لم أزل مولعا بحب الضاد[56]

ومثلما كانت اللغة العربية "أم اللغات" عند القروي ، فهي كذلك -نصا وروحا- عند توفيق بربر ، انظره وهو يقول :

فيا أم اللغات جـزيت خيــرا فـأنت ملاذنا من كلّ عـاد

ضياء الشمس ينقص كل يوم ونكن نور شمسك في ازدياد[57]

وفلسطين مبتلاة بالاحتلال والاغتصاب . وهذا أمر يؤلم توفيق بربر ويحزنه ، لكنه لم يوصله إلى اليأس . ويحاول أن ينقل هذا الشعور إلى فلسطين وأهلها ليتأسوا بالصبر ، لأن النصر آتٍ لا محالة. قال:

رويدا فلسطـين فليلُك ينجلـــي وما أقرب اليوم الذي كان أبعدا

ولا تيأســي يـا أمّ كـلّ عجيبـــة فخردنـة الإيمـان تختصـر المـدى

غدا تملأين الجو أنسـا وغبطــة كمــا أطلق الفكر الهزار المغردا

ولون غد صافي البياض لمؤمـن ويبصره من حالك اليـأس أسـودا

أطلّت على الدنيـا طلائع مجدنا كشمس الضحى انزاحي سنى وتوقدا[58]

وحين طال انتظاره ، بدأ اليأس يتسرب إلى جوانحه ، لكنه لا يريده أن يصل لفلسطين وأهلها ، مثلما وصل اليأس إلى فتيان العروبة . قال :

---

(56) نفسه .

(57) نفسه ٣٨.

(58) نفسه ٤٣.

صبرا فلسطين علينا لم تمت ما زال في بعض النفوس حياةْ

كم بين فتيان العروبة باسل يرنو إليك وملؤه الحسرات[٥٩]

وجورج صيدح عربي أصيل ولادة ونشأة وانتماء . وإذا ما اضطرته الظروف أن يبتعد عن بلاده ، لظروف تخصه ، لكنه ظل معتزا بوطنه وأهله ، فخورا بهما ، في كل الظروف والأحوال :

لم أجف قومي ولا استنقصت قدرهم إني فخور بقومي كيفما كانوا

ولي وديعة حبّ عند بعضهم وذكريات وأفراح وأحزان

بنو الخؤولة والأعمام نا بهم إن صحّ صحّ له في القلب غفران

أهوى هواهم وأغضي عن مساوئهم والناظرون بعين الحب عميان[٦٠]

والعروبة عنده "شرع فيه الوفاء ، تحتّم" وكفى بهذا عقيدة ويقينا:

إنّ العروبة شرع فيه الوفاء تحتّمْ

لم ينتهز عربي غدر الزمان بأعجم

يحنو على ظالميه متى أصيب بأظلم[٦١]

---

(٥٩) نفسه .

(٦٠) نفسه ٢٣ .

(٦١) نفسه ١٢٤ .

واللغة العربية هي " اللسان الموحد" الذي يجمع العرب بالنطق به ، ولا يوجد أقوى منه رابطة . وهي رابطة من الله – جلّ شأنه – حين عدّ اللغة العربية أقدس اللغات ، وأنزل بها كتابه الحكيم :

برلمان في كل حي وشعب مستقل في كل ناد ومعهد

وحدود ما بين فرد وفرد كظلال من القطيعة تمتد

تتحدى مشيئة الله فينا وتنافي حكم اللسان الموحد[12]

وكان جورج صيدح مواكبا لاحداث فلسطين متفاعلا معها في كل الظروف والأحوال . فهو يرى الخطر محدقا بفلسطين ، والواقع لا يبشّر بخير ، ولهذا لحظناه في عام ١٩٣٨م ينبه أهلها إلى ما يُبيّت لهم ، ويدعوهم إلى أن يكونوا سدًا في وجه الشر القادم :

بني فلسطين سيل الغاصبين طما كونوا له السد لا يعنو لمقتحم

لو في الصفوف اتحاد لم تكن غرضا لكل طاغية يرمي ومحتكم

لا الفقر لا الأسر لا التعذيب أقعدكم وفي عطاياكم وثابة الهمم[13]

وفي عام ١٩٤٨م يقع ما حذّر منه جورج صيدح ، حين وقعت الواقعة ، وحلّت النكبة ، فكان هو هو الشاعر العربي الأصيل ، لكنه ضعيف الحيلة ، وما له إلا البكاء ، وهو جهد المقل :

---

(١٢) نفسه ١٢٩.

(١٣) نفسه ١٣٠.

إن أراقت يوم الزفاف دموعـاً فلسطـين بالدمـوع حريّـة

في جوار الأفراح نوح الحزانى يبعث الشجو في النفوس الأبيه

أي صدر يطيب والظـهر دام بحـراب السفـاح والبربريه[٦٤]

وكان جورج كعدي مفتوناً بالعرب والعروبة ، لا يكل ولا يمل من الحديث عنها وفيها . وكان اللافت للنظر أنه أكثر من مديح العرب ، ولم ير فيهم إلا الجانب المشرق ، وهم في الظرف الصعب ، أو في حالات الفتنة التي تستوقف المرء للمراجعة أو التعنيف أو التأنيب... انظره يقول :

أطلْ في مديح العرب قومي فإنهم نجوم سماء المجد أصّلها العلم

لئن عصفها الغرب الخبيث بظلمه وأقسم أن تفنى يدغدغه حلـم

فقد خـاب فـألا ، فالعروبـة درة تضيء بها الدنيا ويزدهر الفهم

ستزجع أقدار العروبة فاصبـروا فعمّا قليل سوف ينحسر الظلم[٦٥]

والعروبة عنده بنت السماء :

وإن العروبة بنـت السمـاء وحصـن من الشـرف الأمجـد

والعروبة عاطفة ووجدان قبل أن تكون عقيدة راسخة :

وهي العروبة وجدان وعاطفة وتضحيات لها في الحرب والسلم

فعش لها أبدا سهران مستهاً إن نمت عنها فإن العلج لم ينم

---

(٦٤) نفسه ١٣٠ .

(٦٥) نفسه ١٤١ .

والعرب أصحاب الفضل والوفاء والسخاء والإباء :

وما العرب لو عاد المرجفون سوى معشر الفضل منذ القدمْ

هم علموا الناس معنى الوفاء ومعنى السخاء ومعنى الشمم[66]

وكانت غيرته على اللغة العربية لا تقل عن غيرته على أمته العربية ، انظره وهو يقول :

لغتي وما لغتي سوى لحن العلى رقصت بنو الدنيا على أنغامها

لغة الملائك والزمان حروفها كسيوف فتيتها ليوث خيامها

لبنان معقلها وحصن فخارها حلفت توابعه على إعظامها

بدوية كانت فهذب روحها فغدت تميس وتزدهي بقوامها

وأعادها حضرية فالشعر من عبّادها ، والفن من خدامها[67]

وكانت فلسطين صنوا للعروبة قوة وانتماء عند جورج كعدي. وكانت دعوته تفوق واقعه وقدراته ، فهو الثائر على الواقع الفاسد ، الطموح إلى تجاوز هذا الواقع . لكنه سرعان ما يصحو من غفلته ، ويرى بأم عينه ألا أمل في ثورته التي يدعو إليها ، بينما العرب في شقاق وهزيمة . وما دام الأمر كذلك فلا بأس ، ولكن لا يأس . ولنحرب الشعر " فجّر الشعر ثورة حمراء !! " لعله يكون له صدى في النفوس ، ويجد آذانا صاغية ولو بعد حين ، لأن معنى العروبة الحق : بذل وجهاد . قال :

---

[66] نفسه ١٩٢.

[67] نفسه ١٩٥.

فجّر الشعر ثورة حمراء　　　وأثره زلازلا هوجاء

وتعلم من الأسود زئيرا　　　ومن الريح جأرة غلباء

فلسطين لا يقيها قصيد　　　ذو رموز يُضحك الثكلاء

مائع هازل كنعس [illegible]　　　عبدوا الغرب ضلة وعماء

إنما الشعر ما تنزى عرامه　　　وتسامى فزاحم الجوزاء

فاترك النوح إنما النوح ضعف　　　وفلسطين تشتكي البرحاء

تتغنى باسم العروبة زورا　　　على عنقها تشد الرشاء

إن معنى العروبة الحق بذل　　　وجهاد يؤدب البخلاء[٦٨]

(٥)

كان المنهج متسقا لدى أحمد مطلوب في الكتابين ، في دراسته للشعراء الأربعة. إذ كانوا متفقين في الموضوعات ، وفي تفاصيل المعالجة . وقد نتج عن هذا أمران اتصل أولهما بالنزعة الإنسانية عند القروي التي تمثلت في : المحبة ، والتسامح ، والحرية ، والمساواة ، والرحمة.

فالمحبة تمثلت في قوله :

لي قلب يسع الكون فلا　　　تسألوني ما الذي تهوى ومنْ

كل شيء حسن　　　وأنا أهوى من الشيء الحسن[٦٩]

---

(٦٨) نفسه ١٩٠.

(٦٩) القروي ١٥٧.

والتسامح عبر عنه بقوله :

رفقا بني وطنــي بأنفسكـــم ألا ... يكفيكم خطر العدو الأعجمي

ما الحرب حرب تعصّب للدين بل ... هي جولة اليقظان بين النُّــوّم

هي حنة الرئبـال ينهشها النمـــي ... ليست مسيحيا يكيد لمسلم[70]

والحرية جاءت عنده على لسان سل :

تائها في المساء يطلب ملجأ ... والغيوم السوداء تهطل ثلجا

هجر الحقل والربى والمرجا ... إنما المرء في الشدائد يُرجى

حين يمسي روض الطبيعة قفرا[71]

والمساواة عنده :

مضى عهد النخاسة من زمان ... ولاح على البرية غير شمسه

زمان كان فيه العبد يشقــى ... ليسعد قلب سيده بنحســـه

ويبخس حقه بخسا فيغضـي ... على شواه مرتضيا ببخســـه

فما بال الغنيّ بعيد عهــد ... طواه المصلحون بقاع رمسه[72]

أما الرحمة ، فجاءت في قصيدة مخاطبا الأغنياء ، لعلهم يلتفتون إلى الفقراء البؤساء :

---

[70] نفسه ١٧٠.

[71] نفسه ١٧٨.

[72] نفسه ١٨١.

بطون صناديقكم أتخمت وبطن الفقير كجيب الفقير

جسوم براها الطوى فاغتدى يفتش باللمس عنها البصير

لقد وجد الطير بعض الحب فيا ليتهم بعض تلك الطيور [٧٣]

إن هذه النزعة ، وإن تبدو مستقلة بذاتها ، إلا أنها لا تبعد كثيرا عن بابي الوطن والعروبة .

أما الأمر الآخر ، فهو ظاهرة "الوجدان" عند الشعراء الثلاثة : توفيق برير ، وجورج صيدح ، وجورج لعدي .

والوجدان تتسع دائرته لتشمل شعر الشاعر كله ، بوصفه معبرا عن ذاته ومشاعره ومواقفه . وتضيق لتقتصر على عواطفه وحبه تجاه الآخرين . وهذا ما عناه البحث .

ومما يلفت النظر عند هؤلاء الشعراء ، هو حديثهم عن الحب والحنين إلى الأهل ، والأب والأم ، خاصة إذا مات أحدهما.

فتوفيق برير تموت أمه وهو الغربة فيرثيها بقوله :

عليك حشاشتي جمر يسيل ودوني في الأسى أمّ ثكولْ

فلا عيني تجف بها سيول ولا قلبي تبرده سيول

فما بعد الأمومة من دليل به يسترشد العقل الضليل

ولا آس على الأبناء يحنو فتشفى النفس والقلب العليل

---

(٧٣) نفسه ١٢ .

وكل مودة لم تـأت منهـــــا   سراب لا يبـل به غليـــل

وقد يجد المحبّ لـه مثيـــلا   وقلب الأم ليس له مثيـــل

وما يغني الأخ المعوان عنها   ولا الإلف الوفيّ ولا الخليل[٧٤]

وجورج صيدح تموت أمه وهو بعيد عنها ، فيرثيها بقوله :

آه مـن ذكـــرى وداع   بيـن أم وولـــدْ

حين صلّت بالتيـــاع   تسأل الله المدد

وأنـــا رهـن صـــراع   بين وهن وجلد

واجفُ النفس أراعـــي   عدّة اليتم تُعـد

ما حسبتُ الدهر ساعي   بفـــراق للأبـــد

بعد ما غال متاعـــي   غالني ما لا يرد[٧٥]

وجورج كعدي تموت أمه وهو في الغربة فيرثيها بقوله :

نعى لي أخي أمي فأصبحت واجما   أكفكف من دمعي وأطرق من حزني

ففي موت أمي وهي عنـي بعيـــدة   دليل على ما في الحياة من الغبــن

وتسأل عني الأهل في حضرة الردى   وتهتف باسمي صانك الله يا ابنـــي

أأحـرم مرأى من غذتني بعطفهـــا   لأقضي حقوق الأم في ساعة الدفن

---

[٧٤] صور عربية ٥٤-٥٥.

[٧٥] السابق ١٤٥-١٤٦.

عليها درست الشعر حتى احذته   فمن فهمها فهمي ومن لحمها لحمي

وعلمني معنى السماح سماحها   فلم اطو نفسي في حياتي على صغن[٧٦]

وكان شعرهم الوجداني ، لا يخلو من طرافة في الموضوعات التي قل الحديث عنها في الشعر العربي ، هو حبهم لبناتهم.

فنوفي يربر له بنتان " ليلى وريزا " هما أعز ما يملك ، وهما مصدر البهجة والسرور في بيته :

وبنتان ... زغلولتان بمسرتي   هديلهما يحيي النفوس البواليا

فليلى وريزا لا عدمت هواهما   وأمواج أفعمن صدري أمانيا

وأسعدن أيامي وأبعدن همي   وأنعشن آمالي وأنعمن باليا

وأرهفن إحساسي وهذبن فطرتي   وذهبن آفاقي ورضن خياليا

فيا رب صن ثالوث بيتي من الأذى   وما كانت إلا مستجيبا دعائيا

وبنتاه هما الوردتان :

لي وردتان سناهما   سحر يفيض على الوجودْ

وشذاهما يغني الورى   عن طيب جنات الخلود

أرأيت أجمل منهما   في كل أنواع الورود؟[٧٧]

---

(٧٦) نفسه ١٠١-٢٢٣.

(٧٧) نفسه ٥٢-٥١.

ويسعد جورج صيدح بابنته "جاكلين" التي ملأت عليه البيت بهجة وسرورا ، وإذا ما رآها تلعب في الحديقة ، وتحدث صخبا ، وفوضى وصياحا ، نراه يقول:

وأنا في مقعدي أسعد حيّ في الخليقة

أتغاضى وعيوني لم تفارقها دقيقة

أجتلي في وجهها وجهي وعرقي والسليقة

خلف منظاري توارت دمعة الشكر الرقيقة

دمعة العاشق لا يردعه ضحك العشيقة

دمعة تغسل أوتار الصبابات العتيقة

دمعة أفرغت الأحلام في جفن الحقيقة

دمعة تستعطف الدهر وتستعطي رحيقه

ليته يجمع عمري في سويعات الحديقة[78]

وجورج كعدي كان مفتونا بابنته " دلال " التي رأى فيها :

بريق الطهارة في مقلتك ... ونور الخلود على وجنتك

وسحر الطفولة في بسمتك ... وزهزهة الفجر في نظرتك

ودلال عنده :

دلال لأنت دلال المنى ... ورقص الشعاع بأفق السنى

خلعت لدن جئت عبء العنا ... ورحت كأني ملكت الدنى[79]

---

[78] نفسه ١٤٣.

[79] نفسه ٢١٥.

لقد استقلَّ شعر الشعراء الثلاثة بشعر وجداني جدير بأن يدرس على حدة . بوصفه يعرض لموضوعات طريفة ، كانت قليلة في شعرنا القديم ، لكنها لم تكن مفقودة .

فرثاء الأم كان عند ابن الرومي ، وأبي فراس الحمداني ، والشريف الرضي ، وأبي العلاء المعري ...

أما حب البنت فالشائع أنه غير موجود ، ناهيك عن كونه على النقيض من ذلك . لكن ذلك يتناقض مع الطبيعة الإنسانية . فالبنت هي فلذة الكبد في كل زمن ومكان . لكن الظرف والثقافة يدفعان المرء في بعض الأحيان إلى غير ذلك ، أو يناقضانه . فظرف العربي وثقافته دفعته ، في بعض الأحيان ، إلى أن يكون على غير سجيته ، لكن عاطفته تتفلت منه ؛ ليفصح عن مكنون نفسه ، وعمق جوهره :

أحبّ بنيّتي ووددت أني ... دفنت بنيتي في جوف لحد

إنها مفارقة عجيبة جمعت بين النقيضين : الحب والقتل!!. لكن العجب يزول حين يكمل :

مخافة أن تصير إلى لئيم ... فيهتك والدي ويشين جدي

أرأيت السبب ؟!.

لقد تحلل شعراء المهجر من هذه القيود والقيم ، فكان شعرهم الوجداني على سجيته ، فقدموا مادة طريفة صادقة شجية .

وكان التفات أحمد مضنوب إليها ، فكشف عن مكنونها ، عليه رحمة الله

قراءة في كتاب (الرصافي – آراؤه اللغوية والنقدية –)
للدكتور أحمد مطلوب

الأستاذة الدكتورة لطيفة عبد الرسول عبد

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

استطاع استاذنا الدكتور أحمد مطلوب " رحمة الله عليه " أن يتحف المكتبة العربية بالموروث النقدي والبلاغي والنحوي فضلا عن اللغوي بأسفار عز نظيرها في الاتقان والشمول والموضوعية " في العصر الحديث " ، ولا غرو فهو صاحب التصانيف القيّمة في كل فن من فنون العربيّة وأصنافها ، ونحن نتصفح تلك الاسفار ، فكأننا نتجول في روض من رياض العلم والمعرفة نستنشق منها عبير الأزهار المتنوعة ، ونتجول في أروقتها الغنّاء المزهرة بألوان الثمار وعذب الألحان والأنغام ، فقد أتقن صاحبها ترتيبها وأبدع في تنسيقها على أحسن وجه ، وأبهى صورة .

وكانت لأستاذنا المغفور له أحمد مطلوب مؤلفات في اللغة لا تقلّ أهمية عن مؤلفاته الأخرى في النفاسة والفرادة أذكر منها : " بحوث لغوية " و " معجم النسب بالألف والنون " و " فصول في العربية " و " التشريع اللغوي وبحوث أخرى " و " معجم تصحيح التصحيح " وقد جمع في سفر واحد بين اللغة والنقد ، إذ درس جهود الرّصافي الشاعر واللغوي والسياسي والاجتماعي فيه ، التي قدّمها أستاذنا بكل تواضع وعلى استحياء العالم الثبت

الواثق من علمه الذي تعنيه خدمة أمته ووطنه ، وتقديم ما فيه النفع العميم بقوله :

((وليس للبحث فيها إلا العرض والتوجيه والموازنة ؛ لأن الهدف من هذه المحاضرات [الكتاب] إحياء آرائه اللغويّة والنقديّة ، وعرضها عرضا يقوم على منهج واضح ، وأسلوب جديد)) وقوله أيضا :

((إن هذه الدراسة ليست نتائج بحث مجردة ، وليست فتحا عظيما ، بل هي محاضرات تأخذ جسبها ، وطرافتها من أنّها أول ما يُكتب في هذا الموضوع بالتفصيل)) .[1] وفضلا على ما تقدّم فقد جمع الدكتور أحمد " رحمه الله " كل مقالات الرّصافي الأدبيّة والنقديّة واللغويّة وهدفه من ذلك هو :

((... تقديمها للباحثين العرب في كل مكان ، واستكمال صورة البحث الذي استمد أصوله منها . وحفظها في كتاب واحد . بعد أن تفرّقت في الصحف ، وأصبحت بعيدة عن أيدي الدارسين)) [2]

فوقع اختياري على هذه الموسوعة الشاملة لجهود الرّصافي في كل تراثه على اختلاف مشاربه . وتنوع مجالاته ، وقد أهداه إلى الشاعر الخالد في ذكراه الخامسة والعشرين ...

---

(1) الرصافي آراؤه اللغوية والنقدية : ١٣ من المقدمة .

(2) الرصافي آراؤه اللغوية والنقدية : ١٣ .

فحين تحدّث عن حياة الرّصافي على :

١ـ ما تحدّث به الرّصافي نفسه في جلساته وندواته وكتبه وقصائده ، وما نشره في الصحف .

٢ـ ما تحدّث به معاصروه ومؤلفات سلطت الضوء على أدبه من مثل : ما كتبه الأستاذ روفائيل بطي عنه في كتابه " الأدب العصري في العراق العربي " ، وما كتبه عنه الأستاذ عبد المسيح وزير في جريدة الاستقلال في عامي ١٩٣٢ و ١٩٣٣م .

٣ . ما كتبه عنه الأستاذ مصطفى علي في محاضراته ومؤلفاته عن صلته به وعن آثاره .

٤ . وما كتبه د بدوي طبانة عنه في كتابه : " معروف الرصافي " . التي مثّلت الباب الأول من الكتاب .

أما عن آثاره فقد اعتمد استدنا على مؤلفات الرّصافي وما أثارته من مساجلات في الصُحف ، ولعلّ أهم ما فيها الاستقصاء والتبويب الذي يقوم على جمع الأشباه والنظائر . وضمنها الفصل الثاني من الكتاب

وعن آرائه اللغوية والنقدية اعتمد استاذنا على ما تحدّث الرصافي فيه عن نفسه ، وقد مثّلت الباب الثالث من الكتاب .

أما الباب الرابع فقد جمع فيه آراءه النقديّة ، وجرى فيه الحديث عن النزعة الأدبيّة والشعر ، والقوافي والاوزان ، والأسلوب ، وغيرها من الآراء .

والباب الخامس كان مخصصا للمقالات اللغوية و الأدبيّة ، وأهم ما كتبه الرّصافي في اللغة والأدب والنقد ، وهي : " جمودنا في اللغة " و " اللكنة العاميّة " و " والوصل في لغة عوام العراق " و " الأمثال العاميّة "،

و" حديث مع الرصافي " و " نظرة انتقادية في الأدب والشعر " و " الشعر والشعراء "

وعني فقد اخترت الجانب اللغوي في الدراسة الموسعة المعمقة التي قدّمها أستاذنا الجليل " رحمة الله عليه " أعني بذلك الباب الثالث منها .

اتجه الرصافي في حياته العلمية الأولى الى دراسة اللغة العربيّة على أيدي شيوخ عصره الكبار ، من أمثال : محمود شكري الآلوسي الذي درس عليه مبادئ اللغة العربية والفروع ، ودرس كتب النحو المعروفة ، وكان تلميذا نابها ، فقد أحاله شيخه الآلوسي إلى درجة تلميذ متقدم ؛ لتدريس كتاب الأجرومية لما لمسه فيه من النباهة والبراعة ، ثم اعتنى به اعتناء خاصا ، فقد أمده ببعض كتب الشواهد في اثناء درس الألفية ؛ للمطالعة ، ولفهم الشواهد التي ترد يقول : ((ولهذا صرت أحفظ أنا الشعر العربي شيئا بهذه الواسطة ... فاتفق أن سمّاني شخصيا " الشواهد" وكان يقصد اتقاني لهذه الأشعار ...)) .[3]

وقد انتبه الدارسون إلى ظاهرة في شعر الرصافي يقول في ذلك الدكتور إبراهيم السامرائي :

((واللغة عند الرصافي قديمة حتى يخيل إليك أنك تقرأ لشاعر من شعراء العربيّة في عصورها المتقدمة ، فهي متينة صلبة تغرس أصولها في الغريب من اللفظ الذي يعسر فهمه ويدقّ تناوله ...))[4]

---

[3] الرصافي آراؤه اللغوية والنقدية : ١٢١ .

[4] الديوان : ١٩٦ .

يعدّ معروف عبد الغني الرصافي من اللغويين المعنيين بقضية المصطلح ، إذ درس المصطلح في مؤلفاته عن طريق إعادة النظر في المصطلحات المتداولة منذ العصر العثماني . فقد اندفع الرصافي نحو اللغة يبحث فيها ، ويوضح خصائصها ، وسبل تنميتها ؛ لأنها مقياس رقي الأمة ، وهذه قضية لا يمتري فيها عاقل . وهي تصدق على لغات جميع الأمم الحاضرة والغابرة وفي ذلك يقول :

((فإذا أردت تعرف مبلغ كل أمة من العلم والصناعة والتجارة والسياسة ، وغير ذلك من أحوالها الاجتماعية ، فانظر في لغتها فإنك تعرف بها مبلغها من ذلك كله ؛ وذلك لأن اللغة تابعة في أطوارها أهلها المتكلمين بها ، فإذا ارتقى أهلها في العلوم والفنون كانت لغتهم بالضرورة مشتملة على مصطلحات تلك العلوم ، وإذا كان أهلها راقين في الصنائع كانت لغتهم مشتملة على كلّ ما يتعلق بتلك الصنائع من الكلمات .

وبالجملة فهي تلو حالتهم الاجتماعية ، وتتبع ارتقائهم في مدارج المدنية ، فأينما تقدّموا تقدّمت معهم ، وحيثما تأخروا تأخرت معهم)) [٥]

وأولى اللغة عناية كبيرة ن ودرسها في أدوارها المختلفة ، وقسّمها قسمين كبيرين هما : **الدور الجاهلي** الذي لخص فيه مميزات اللغة بالآتي : [٦]

---

(٥) الرصافي آراؤه اللغوية والنقدية : ٢٣٠ .

(٦) نفسه : ٢٣١ .

تمتاز في مفرداتها باستعمال الغريب من الكلمات والوحشي النافر ، ويرجع ذلك إلى خشونة حياتهم في البداوة التي كانوا يحيونها ، وقد صقلت الأيام هذا الغريب ، وتلك الخشونة .

تمتاز في أسماء باستعمال الألفاظ في معانيها الوضعية ، وفي معانٍ مناسبة للمعنى الأصلي بطريق المجاز .

- تمتاز بجزالة الألفاظ والتراكيب والخشونة أحيانًا في التعبير
- تمتاز بكثرة استعمال المترادف من الكلمات ، وقلة وجود الأعجمي ، وغلبة الإيجاز من الكلام ، وخلوه من اللحن .

والدور الإسلامي

الذي قسّمه على أربعة أدوار يمتاز بعضها عن بعض بمميزات خاصة به . إذ وجد أنّه أكثر تهذيبًا من الدور الجاهلي ؛ لتأثره بالقرآن الكريم

- دور صدر الإسلام ويشمل :

بني أمية ، ويبتدئ بظهور الإسلام ، وينتهي بقيام الدولة العباسية ، وكان ظهور الإسلام قد أحدث مؤثرات في اللغة العربية عملها حتى حصلت فيها بتلك المؤثرات ستة أمور :

الأول : توحد لغات قبائل العرب بتغلب لغة قريش عليها

الثاني : انتشار اللغة العربية في خارج شبه جزيرة العرب بسبب الفتوح الإسلامية .

الثالث : نموها باتساع أغراضها ، بطريقة التعريب ، وبطريقة تكوين الألفاظ الإسلامية والمصطلحات العلمية

الرابع : ارتقاء معاني اللغة تصورت أهلها .

الخامس : تهذيب ألفاظها وأساليبها معاً بتأثير الآيات القرآنيّة والأحاديث النبوية .

السادس : ظهور اللحن بسبب اختلاط العرب بالعجم ، وبكثرة المستعربين والمولدين .

الدور العباسي : الذي ينتهي بسقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، وفي هذا الدور استمرت اللغة على التقدم والرقي في الأمور الستة المذكور سابقا ، غير أنها لم تستمر على هذا التقدم إلى آخر العهد ، بل عرض لها التوقف في أثنائه عندما دخلت الدولة في طور الشيخوخة والهرم ؛ لذلك نجد الرصافي يقسم الدور العباسي دورين :

– دور تقدم ورقي في اللغة . – ودور توقف .

وفي ذلك يصرّح بالقول :

((ولكوني ناقما على رجال السياسة في ذلك العهد أحب أن أحدد دور تقدمها ورقيها برجال الأدب ، لا برجال السياسة فأقول :

إن عهد التقدم والرقي في الدولة العباسية ينتهي بإمام الحفلة الاجتماعية والآداب العربيّة معا أبي العلاء المعريّ شاعر البشر من أولهم إلى آخرهم ، وأما ما بعد عهد المعريّ فهو دور التوقف في حياة اللغة العربيّة إلى انقراض الدولة العباسية الذي تخلفه دور الجمود والانحطاط ، وما بعد التوقف إلا الانحطاط)) .[٢]

---

[٢] الرصافي آراؤه اللغوية والنقدية : ٢٣٣

- دور الدول الأعجمية .

وفيه أخذت اللغة بالانحطاط ، ودخلت في دور يقال له : دور الجمود والتقليد . ولولا تلك الأمم المتغلبة الأعجمية في الإسلام ، وخدمتها للعلوم الإسلامية لقريب العلماء لدخلت اللغة في خبر كان)) .

وقد استولت العجمة على القوم في هذا الدور ، وسقط الإعراب في اللغة ، واستحكم اللحن فعم الفساد ، وأصبح أهل الأدب أسرى التقليد .

ويرى الرصافي لكي تتقدم اللغة العربيّة وتتطور لا بد من أن تأخذ بأصول الاشتقاق والتعريب الذي عرفه العرب في عصر الازدهار والتنور ، ففيها من قواعد التركيب والتصريف والاشتقاق والتعريب والمزج والنحت ما يحير الألباب ويستوجب الإعجاب .[8]

وقد خصص أستاذنا الجليل الدكتور أحمد مطلوب فصلا أفرده للحديث عن الاشتقاق والتعريب ، وأهميته عند الرصافي ؛ بوصفه وسيلة مهمة توسلت بها العربيّة في سبل نموها وتطورها ؛ لتواكب الحياة العلمية المتطورة ؛ لأنّها لغة غير عاجزة عن تسمية أكثر ما نراه من مخترعات القرن الذي عاشه وفي ذلك يقول :

((... والعربيّة بقواعدها المحكمة ، وتصاريفها المتناسقة ، وأقيستها المطردة جديرة بأن تعدّ من أطول اللغات باعا ، وأبعدها للمعاني انتجاعا ، وأكثرها للألفاظ توليدا وانتزاعا ، وهي مع ذلك فيها من القابلية للتجدد والاتساع ما ليس في غيرها من لغات البشر)) .[9]

---

[8] رسائل التعليقات : ١٠٨ ، والرصافي آراؤه اللغوية والنقدية : ٢٣٤ .

[9] الرصافي آراؤه اللغوية والنقدية : ٢٠ .

وقد دعا الى تنمية اللغة العربية وتطويرها بعد أن وجد أن اللغويين اتخذا الاشتقاق والتعريب الى ذلك سبيلا .

والكلام في الاشتقاق كثير قديمه وحديثه . وقد نشر الأستاذ المرحوم عبد القادر المغربي كتابه (الاشتقاق والتعريب) سنة ١٩٠٨م ، وأعجب الرصافي به وعبر عن ذلك بقوله :

((وهو كتاب على صغر حجمه قد استوفى الكلام عليهما بما لا مزيد عليه . وقد ذهب صاحبه مذهبا حسنا فيهما طالما جال صدري ودار في خلدي وحدثت به نفسي ، وكنت اعتقد انه الصواب من قبل أن أقف على الكتاب . غير اني لا اوافق مؤلفه الفاضل على ما وافق هو عليه من قول القائلين بان الاشتقاق سماعي لا يجري فيه على القياس))[1]

وكان الأستاذ عبد القادر المغربي قد تحدث عن الاشتقاق والتعريب في كتابه ، وقال :

((إن الأمة تنمو وتتكاثر أفرادها بطريقين : التوالد والتجانس . وهذا ينطبق على نمو اللغة ، فلغة الأمة العربية كانت أول عهدها مؤلفة من أصول قليلة ، وكلمات ساذجة ، ثم تهيأت لها أسباب الارتقاء . فأخذت تنمو وتتكاثر بالطريقين اللذين أثرا في نمو الأمة نفسها ، وتكاثرها ، غير أن التوالد في اللغة يسمى اشتقاقا ، والتجانس تعريبا))[2] .

---

(1) نفسه : ٢٨١ .

(2) الاشتقاق والتعريب : ٨ وما بعدها .

وقد خالف الرصافي المغربي حين ذهب إلى أن الاشتقاق سماعي في كلّ الجوامد والمصادر ، وأننا نقتصر من المشتقات على العرب ، ويضرب لذلك مثلا :

فالاسم الجامد الذي سمع أنهم اشتقوا منه صيغا معدودة لنا أن نستعملها ونتطق بها ، فليس لنا أن نشتق من كلمة " **الحصا** " الجامدة فعلا كـ " **استحجر** " ، ولا من كلمة " سهم " : سهمه و " رجل " رجله " بمعنى : رماه بالسهم ، وأصاب رجله ، كما قالوا في " **السيف** " سافه . وفي الرأس : رأسه .

ومثل ذلك في المصادر وأسماء الأحداث ، فإننا نقتصر في المشتقات منها على ما سمع منهم ، ونقل إلينا عنهم : فلا نشتق من " **النحافة** " ناحف كضامر ، وقد قالوا هو " نحيف " ، ولا من " **الكشح** " كشيح بمعنى مضمر العداوة ، وقد قالوا هو : كاشح ، واشتقوا من " **الحب** " محبوب " ، ولم يشتقوا حب فلا نستعمله .

ولخص الأمر بقوله : ((ومحصل القول : إنّ اشتقاق كلمة من أخرى مما يقصد إليه العرب ، وله عندهم مقياس يعرفونه ، وأسلوب يجرون عليه . ولا يجوز لمن جاء بعدهم أن يفتات عليهم في اشتقاق ما لم يشتقوه)) [٢٢]

أما عن الرصافي فلم يوافق الأستاذ المغربي في أن الاشتقاق سماعي في كلا القسمين الجوامد والمصادر ، بل يرى أنه سماعي في الجوامد فقط ،

---

[٢٢] نفسه .

لأن الداعي الى الاشتقاق إنما هو التغير والتبدل الطارئ على معنى الكلمة ، فبسبب ذلك التبدل و التغير يتولد منه لفظ آخر يتضمن معناها الأصلي مع زيادة طارئة فيه ، ولما كانت الجوامد ذات معان ثابتة غير متبدلة ، ولا متغيرة لم يكن فيها سبب داع إلى الاشتقاق والتوليد لما فيها من العقم المحض ، بخلاف المصادر وأسماء الأحداث ، فإن معانيها متغيرة لا تستقر على واحدة كالضرب مثلا فإنه لا يقوم بذاته ، بل يقوم بشخص ، فتكون في معناه زيادة فتحوله الى

" **ضارب** " فتحوله إلى " **مضروب** " ، وقد تكون فيه كثرة فتحوله إلى " **تضريب** " ، و نقول منه : ضرب " " مضرب " ، وقد يقع بين اثنين ، او أكثر فتحوله إلى " **مضاربة** " ، او " **تضارب** " ... أو إلى آلة فيتولد منه " **مضرب** " او " **مضراب** " .

والاشتقاق في أسماء الأحداث ضروري لابد منه ، ولا يجوز أن يكون عدم السماع حجة في منع قياسه ، واطراده من وجوه :

أولها : ان عدم السماع لا يلزم عدم الوقوع ، إذ يجوز أن يكون قد وقع ، وأن العرب قد نطقت به ، ولكنه فات الرواة فلم ترود ، ولم تنقله ؛ لأن اللغة أكثر ما يعتمدون في نقلها على الشعر ، ومن الجائز في الكلمة المحكوم فيها بعدم السماع انها لم تقع في الشعر ، بل وقعت في النثر الذي لم تضبطه الرواة ، ولم تنقل منه ولا عشر معشاره ، فعلى القائل بالمنع أن يثبت لنا عدم الوقوع ، وإلا فدليله منقوض ، وكلامه غير مسموع .

ثانيها : إننا إن سلمنا في كلمة من المشتقات إنها غير مسموعة ، وغير واقعة أيضا ، اكتفينا في صحة استعمالها بسماع نظائرها المطردة

المقيسة . فإن العرب إن لم تقل "**حاب**" من "**حب**" فقد قالت "**ساب**" من "سبّ" و "**عاد**" من "عدّ" و "راد" من "راد" إلى غير ذلك من الكلمات التي جرت في كلامهم على وجه الاطراد ، فمنعنا استعمال "**حاب**" بحجة عدم السماع تحكم في اللسان ، وتهكم بسماع نظائرها المطردة ، ورمي للغة بالجمود .

ثالثها : أنّ الاشتقاق أصل في أسماء الأحداث ؛ لكونه أمرًا ضروريًا بسبب ما يقع في معانيها من التبدل والتغير .

وإذا كان الاشتقاق هو الأصل ، فقد تعارض عندنا في بعض المشتقات دليلان :

أحدهما : يقتضي المنع ، وهو عدم السماع .

والآخر : يقتضي الجواز ، وهو الجواز المطرد في نظائره ، وجب أن نرجع به إلى الأصل ، وأن نرجح دليل الجواز على المنع ، لأنّ الأوّل مثبت للأصل ، والثاني نافٍ له [١٣]

يرى أستاذنا الدكتور أحمد مطلوب "رحمة الله عليه" أن رأي الرصافي في الاشتقاق يعطي اللغة دفعة جديدة ، ويطورها بعد أن وقفت عند الذي رسمه القدماء في كتبهم ، واستخلص الأسس التي وضعها الرصافي في الاشتقاق مما يأتي : [١٤]

---

[١٣] الرصافي آراؤه اللغوية والنقدية : ٢١٠ .

[١٤] نفسه : ٢١١ .

١ ـ التمسك بقواعد الصرف ، وما رسمه الأوائل ولا يمكن أن نقيس على ما لم تقرره العرب وتضع له قاعدة . ويتضح هذا الأصل في رده رأي من يذهب إلى أننا أن نقيس " فاعل " من كل فعل فنقول مثلاً : كارم من كرم ، و " لاند " من لَدَّ وظارف من ظرف " . وليس معنى هذا أنه يتمسك كل التمسك بالقواعد التي اشترطها القدماء ، بل كان يأخذ بما يجده مقبولاً ، ويرفض ما لا يجده مقبولاً ؛ وبذلك انطلق في أفق أرحب مما انطلق فيه العلماء .

٢ . عدم الوقوف عند السماع فقط ، بفساد اللغة وضياع حقائقها إنما يكون بتقييد أنفسنا بالسماع لا بجريه مع القياس ؛ لأن ما نقل إلينا قليل ، وما ضاع كثير ، ويجوز أن تكون كثير من الصيغ التي نقلبها لأن قد ضاعت ؛ لأنها جاءت في الشعر الذي لم يصل إلينا ، أو في النثر الذي لم يهتم به القدماء ، كاهتمامهم بالشعر .

ونظرة الرصافي إلى الاشتقاق نظرة واسعة يقرّه عليها كثيرون من الدارسين ، والمهتمين باللغة العربية وتطويرها ، وقديماً كانت مسألة الاشتقاق من القضايا التي شغلت مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وقد توسع فيما لم يتوسع به العرب ؛ لشدة الحاجة إلى الاشتقاق في مصطلحات العلوم والفنون ، وإجازة الاشتقاق من أسماء الأعيان ؛ لأن العرب استخدمته في مئات الألفاظ لاشتقاقهم من أسماء الذهب والفضة والجص والزفت كلمات :

مذهب ، ومفضض ، ومجصص ، ومزفت ، وكاشتقاقهم من أسماء الحجر ، والأناقة ، والنسر ، والأسد ، وبغداد كلمات : استحجر الطين ،

واستوق الجمل ، واستنسر البغاث ، واستأسد الرجل ، وتعدد . وقرار المجمع بهذا الصدد هو :

اشتق العرب كثيرا من أسماء الأعيان والمجمع ، ويجيز هذا الاشتقاق للضرورة في العلوم.

وجعل المصدر الصناعي قياسي ؛ لشدة الحاجة إلى هذا المصدر في التعبير عن كثير من حقائق الفلسفة ، والعلوم والفنون ، وقرار المجمع هو :

((إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب والتاء)) وهذا ما دعا إليه الرصافي قبل أن يتخذ المجمع اللغة العربية في القاهرة قراراته التي كانت لها أثر كبير في تطور اللغة ، وتقدمها واستيعابها لكثير من حقائق العلوم والفنون .[١٥]

التعريــــب :

إنّ المعرّب عند الرصافي قياسي ؛ لذلك يقول في المسميات المستحدثة لا بد من أن يكون لكل واحد منها فعل يفعله ؛ لأنها لم تحدث عبثاً فإن استطعنا أن نشتق لها من فعلها اسما فذلك ، وإلا نظرنا فيها فإن كانت مما شاع على ألسن العامة استعملناها كما استعملتها العامة ، أو أجرينا فيها بعض التغيير ، إن رأينا فيها بعض التنافر ، والخروج عن اللهجة العربية . الرصافي آراؤه اللغوية والنقدية ، ٢٨٩ .

---

[١٥] الرصافي آراؤه اللغوية والنقدية ، ٢٨٨ .

وقد لخص استاذنا الدكتور مطلوب اراء الرصافي في التعريب بما يلي :[٦٦]

١. جواز اشتقاق فعل من الاسم المعرب بقدر المستطاع .

٢. استعمال ما لاكته العامة في استعمالاتها للألفاظ الأجنبية .

٣. إحداث بعض التغيير إذا رأينا في الكلمة نفورا وخروجا عن العربية الفصيحة .

ويستأنف الحديث عن تلك الآراء بقوله :

وهو بهذا الأصل يحافظ على وزن الألفاظ العربية ، ويخضع الألفاظ الأجنبية لموسيقى اللغة العربية ، وهو رأي جليل يستحق كل تقدير ؛ لأن لكل لغة جرسا وموسيقى خاصة بها ولا يمكن أن نكسر هذه القاعدة ، وتدخل ألفاظا تنبو عنها الأذن ، ولا يقبلها الذوق العربي ، وليس هذا بدعا فقد فعل العرب قديما مثل ذلك ، وحاولوا أن يخضعوا الألفاظ الأجنبية لأوزان ألفاظهم وجرسها الموسيقي ، وفعله غيرهم ، وأخذوا من اللغات الأجنبية ، لكنهم أخضعوا لقواعدهم ، وأصولهم ، وذوقهم اللغوي .

وقد ألف كتاب (دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة) الذي رأى فيه أن الأتراك قد وضعوا كثيرا من المصطلحات الإدارية معتمدين على الكلمات العربية عن طريق التغير الدلالي ، او الاشتقاق ، وهما طريقان مهمان من طرق نمو العربية وتكاثرها .

---

[٦٦] الرصافي آراؤه اللغوية والنقدية : ٢٩٥

وكتاب (دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة) في أصوله معجم ذكر فيه الرصافي الكلمات العربية في اللسان العثماني ، وقد ضمّ (٤٠٣) كلمات ، قسّمها على خمسة أقسام هي : (١)

١. ما لم يغيروا لفظه ولا معناه .

٢. ما غيروا لفظه ومعناه .

٣. ما غيروا لفظه دون معناه .

٤. ما غيروا معناه دون لفظه .

٥. ما وضعوه من عند أنفسهم على القواعد العربية ، وليس هو من كلام العرب .

وعلّق على هذه الأقسام فقال : ... أما القسم الرابع والخامس فهما غرضنا هنا ، إذ بهما تقع الالتباس ، ومنهما تنشأ اللكنة ؛ لأنهما ألفاظ عربيّة المبنى تركية المعنى . ولما كان ما وضعوه من عند أنفسهم أكثر ضررا على اللغة العربيّة ؛ لأنه من قبيل الألفاظ المصنوعة رأينا أن نقدمه في الذكر ، ثم نأتي بالقسمين الأخريين ، وضرب الأمثلة على ما تقدم :

من أمثلة ما وضعوه وهو استعمال غير عربي من عند أنفسهم :

- **ابذال** : بمعنى البذل ، وليست من كلام العرب .
- **أثر** : ما يطلقون هذه الكلمة على الكتاب ، وهو استعمال غير عربي .
- **استخفاف** : يريدون به الاستخفاف ... ولا أصل له في العربيّة .
- **ابتصار** : أرادوا به التبصّر ... وليست من كلام العرب .

---

(١) دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة ٣ ـ ٧ .

- **استرجاء**: بمعنى الرجاء ... ولا أصل له في العربيّة .

- **استملاك** : بمعنى التملك قهرا ... وليس بعربي .

- **تكلس** : بمعنى : استحالة الشيء كلسا ، وليس بعربي .

- **تمسخر** : يستعملونه بمعنى السخرة والاستهزاء ، وليس بعربي .

ومما غيّروا معناه دون لفظه :

- **اختيار** : بمعنى الشيخ الأشيب ، وإنّما هو مصدر من مصادر الانتقاء ، والاصطفاء .
- **إدمان** : بمعنى الرياضة ، وهو في العربيّة الإدامة ، يقال : هو مدمن على الخمر : أي : مداوم على شربها .
- **استخبار** : بمعنى سماع الخبر ، وهو في العربيّة بمعنى : استخبره أي : سأله عن الخبر
- **أصناف** : يطلقونها على أهل الصنائع والحرف من بقّال وعطّار وحدّاد ، وغير ذلك ويستوي فيها عندهم الواحد والجمع ، وإنما هو في العربيّة جمع صنف بمعنى نوع .
- **تبـرّد** : يستعملونه بمعنى البرودة ... ، وإنما هي : الاغتسال بالماء البارد ، يقال تبرّد في الماء : استنقع فيه واغتسل به .
- **سنزير** : صدر المحلس ، وهو أعلى مقدمة ، وهي محرفة من كلمة صدر .
- **طابور** : محرفة من تابور ، وهو جماعة العسكر ، ويجمع على : توابير .

ومن أمثلة ما غيروا لفظه دون معناه :

- **ابلاق** : يطلقونه على الشاب الضخم المدور الوجه الذي اشتد بياض وجهه كما اشتد سواد عينيه وشعره . وهو محرّف من (**أبلق**) وهو في العربيّة الذي فيه بياض وسواد .

- **شـفرة** : يطلقون هذه الكلمة على الرسالة المكتوبة بالأرقام الهندية رمزا بها الى الحروف رمزا اصطلاحيا ، فهي محرفة من (**الجفر**) وهو علم الحروف والرموز الحرفية ، وفيه تستعمل الأرقام الهندية بدل الحروف والكلمات .

- **صـفه** : يطلقونها على باحة الدار المسقوفة التي تحيط بها بيوت الدار ، وهي محرفة من (**صفه**) وهي اسم لبيت صيفي في العربيّة .

- **كوفه** : بضم الكاف ، وتخفيف الفاء يطلقونها على الزنبيل ، وهي محرفة من (**قفه**) والقفة : هي الزنبيل تتخذ من الخوص أو القصب ، أو نحوهما .

ومن أمثلة ما غيروا لفظه ومعناه :

- **تلاشي** : كلمة مأخوذة من التلاشي ، وهو الاضمحلال ، وهم يستعملونه بمعنى : التدله والاندهال .

- **تميـز** : لفظ محرّف من تمييز (ميّز) وهم يستعملونه بمعنى : طاهر ونظيف .

- **طابيه** : يطلقون عليه كلمة مستحكم ؛ وهي [illegible] من التراب ، ويجهزونه بالمدافع في الحرب ، وهي محرّفة من (**تعبئة**) وتعبئة الجيش عبارة عن تهيئته وتجهيزه للحرب .

- **موسقه** . يستعملونها بمعنى النشرة والعوذة ، وهي التي تكتب وتعلّق على الإنسان من العين والفزع والجان ، وهي محرّفة من (**نسخة**) ولا تستعمل النسخة بمعنى العوذة في العربية ، وإنما النسخة الكتاب المنقول عنه ، ويقال : هذه نسخة عتيقة ، وتطلق على الكتاب المنقول أيضاً ؛ لأنه قام مقام المنقول منه ، فقد حرّفوها لفظاً ومعنى .

ولا يقتصر الأمر على الألفاظ ، بل يتعدّاه إلى الأسلوب والتركيب ، وفي ذلك يقول :

((وهناك أمر آخر أهم مما نحن فيه يجب التنبيه له والتنبيه إليه . وهو الأسلوب والتركيب ، فإننا اليوم نجد في كلام العرب جملاً مركبة من مفردات عربية على أسلوب تركي ، ونجد كثيراً من هذه الجمل في الجرائد والمكاتبات ، وفي الكلام المتداول بالألسنة ...)) .[1]

فالعربيّة هي المصدر الأساسي الذي تؤخذ من كلماته وأوزانه المصطلحات العلمية المنشودة . وهكذا توالدت مصطلحات كثيرة في الدولة العثمانية .

---

(1) الدمشقي ، الرؤية اللغوية والنقدية ، ص [illegible]

لاحظ الرّصافيّ أنّها لا تطابق القواعد العربية ، وتختلف الألفاظ الجديدة عن اللغة العربية

ويُعدُّ كتابه هذا من كتب التصويب اللغوي ، أو هو معجم ؛ لتوضيح اللفظة العثمانية ، وما استعمله اللسان العثماني في غيره معناه العربي . وما لم يكن عربيا ، وحسبه العرب كذلك ، فاستعملوه كاستعمالهم وهم لا يشعرون ؛ لكثرة الاختلاط بين الفريقين . [19]

ولأنّ الرصافي ممن عني بمصطلحات اللغة العربيّة الحديثة ، فقد أسهم في وضع الأسس العامة ؛ لتكوينها تنفيذا لقرار وزارة المعارف في بغداد بإنشاء مجمع لغوي سنة ١٩٦٢ م

وكانت نواة المجمع تتألف من الرّصافي ، والأب أنستاس الكرملي وغيرهما .

وكانت هذه اللجنة معنية بوضع المصطلحات العلميّة المستعملة في الكتب الرسمية .[20]

ورأى الرّصافي أنّ الاشتقاق والتعريب سبيل مهم من وسائل تنمية العربيّة وتطورها . ولكي تتقدّم لابد من الأخذ بأصول الاشتقاق والتعريب اللذين عرفهما العرب في عصور ازدهارها وتطورها ، ففي العربيّة من قواعد التركيب ، والتصريف والاشتقاق والتعريب والنحت ما يُحير الألباب ، ويستوجب الإعجاب .

---

[19] دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة : ٣ .

[20] ينظر : المباحث اللغوية في العراق : ١٣ .

يرى الدكتور أحمد مطلوب رحمه الله تعالى أن آراء الرصافي في استعماله للمصطلحات ، والأعلام الأعجمية ليست كليا مرفوضة كل الرفض ، بل هي نداء [illegible] تلقيه في عهد التعريب لتطوير اللغة العربية ، ونمائها بعد رؤيته لمد المخترعات ، وتدفق ألفاظ الحضارة ، وظهور المصطلحات الحديثة ، فأفكاره دعوة للسير في طريق التعريب [2]

ومن آرائه أيضا وجوب النظر في المسميات المستحدثة ؛ لأنه لا بد من أن لكل واحد منها معنى لفظه ؛ لأنه [illegible] عندنا ، فإن استطعنا أن نشتق لها من عندنا اسما فذاك ، وإلا نظرنا [illegible] ، فإن كانت مما شاع على ألسن العامة استعملناها كما استعملتها العامة مع إجراء بعض التغيير إن كان فيه بعض النفور عن اللهجة العربية كما في كلمة (**اتومبيل**)

فقد غيرها الرصافي إلى (**تومبيل**) كـ (**زنجبيل**) ؛ وذلك لأن اللفظة فرنسية يستعملها كتاب العصر ، ولكن بنيتها غير مألوفة عندنا ، والنطق بها ثقيل على ألسنتنا ، فليس هناك ضرورة لإبقائها على أصلها . [3]

---

(٢) حركة التعريب في العراق : ١١٤ .

(٣) الدرس اللغوي في النصف الأول من القرن العشرين : ٢٣٣

المصادر :

- الأدب العربي ، معروف الرصافي ، ط١ ، بغداد ، ١٣٣٩ هـ - ١٩٢٠ م .
- الاشتقاق والتعريب ، عبد القادر مصطفى المغربي ، راجعه ، وعلق عليه عبد الإله نبهان ، مجمع اللغة العربية ، دمشق .
- حركة التعريب في العراق ، الدكتور أحمد مطلوب ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، قسم البحوث والدراسات الأدبية ، ٢٠٠٣ .
- الدرس اللغوي في النصف الأول في القرن العشرين ، الدكتورة ميسون عوني ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، ٢٠١٦ م .
- دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة ، معروف الرصافي ، قدمس للنشر والتوزيع ، ٢٠١٨ م .
- ديوان الرصافي ، معروف الرصافي ، ط ٩ ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- رسائل التعليقات ، معروف الرصافي ، ط ٢ بيروت ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧ م .
- الرصافي ، آراؤه اللغوية والنقدية ، الدكتور أحمد مطلوب ، معهد البحوث والدراسات العربية ، قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغويه ١٩٧١م .
- المباحث اللغويه في العراق ، ومشكلات العربية العصرية ، الدكتور مصطفى جواد ، ط ٢ ، بغداد ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

قراءة في كتاب ((في المصطلح النقدي))

للدكتور أحمد مطلوب

الأستاذ المتمرس الدكتور

عبداللطيف حمودي الطائي

جامعة بغداد - كلية الآداب

كتب الله سبحانه وتعالى الموت على المخلوقات كافة ، فقال سبحانه وتعالى في محكم كتابه المجيد القرآن الكريم [1] { كلّ نفس ذائقة الموت } ومن جانب آخر كان أحد أسمائه الحسنى هو القاهر ، والقاهر فوق عباده تعني يقهرهم بالموت ، أما الخلود فتلك ميزة مستحيل ؛ لأن يناله أي مخلوق مهما كانت درجته ومنزلته ؛ ولكن هناك خلود من نوع خاص للإنسان حصرا دون غيره ؛ ويتمثل ذلك فيما يتركه الميت من أثر طيب ، وعمل إيجابي ، والكتاب هو واحدٌ من هذه الآثار التي تخلد الإنسان بعد موته ؛ والكتاب يقدم للإنسان الميت خدمتين هما : الأولى تتمثل في استمرار عمله الحسن المرضي عند الله بعد الموت ؛ لأن الميت يترك علما يُنتفع به ؛ فقد قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلم)[2] : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : ولد صالح يدعو له ، وصدقة جارية ، وعلم ينتفع به) ، وعليه يُجزى ويؤجر ، والثانية تمثل خلودا لاسم صاحبها ،

---

(1) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٥

(2) بحار الأنوار : ٢ / ٢٥

فالكتاب ينتسب لمؤلفه ، فكتاب (دلائل الإعجاز) يحمل اسم عبد القاهر الجرجاني ؛ وذاك كتاب مفتاح العلوم ينتسب للسكاكي ؛ اذا اسم المؤلف خالدٌ من ناحية الكتاب ؛ فكلما انتفع شخص من الكتاب ؛ ذكر مع الكتاب اسم مؤلفه ، وفي الوقت نفسه تسجل حسنة للمؤلف ؛ ومن هذا المبدأ كانت مؤلفات الدكتور أحمد مطلوب قد سجلت له خلودا ؛ فضلا عن أنها تدر عليه الحسنات والأجر والثواب ؛ لتضاف إلى رصيده من الأعمال الحسنة ؛ لينال رضا الله سبحانه وتعالى ؛ ومن ثم الدخول في الجنة ؛ والدكتور أحمد مطلوب هو أهلٌ لذلك ؛ لما سطره من درر اللغة العربية في النقد والبلاغة والتحقيق وغيرها ؛ وسيكون موضوع بحثي هو قراءة فنية في كتابه الموسوم ((قراءة في كتاب (في المصطلح النقدي)) ؛ وتتضمن القراءة عرضا موجزا للكتاب وما جاء فيه ؛ ومن ثم استنطاق الكتاب لنتعرف على قيمته الفنية في درسي النقد والبلاغة وغيرهما مما اشتملت عليه الدراسة .

كتاب في المصطلح النقدي تحدث فيه المؤلف عن قيمة الكتاب وتوجهاته ، والكتاب يتكون من مقدمة قصيرة فضلا عن عشرة مباحث تناولت مواضيع متعددة هي :

الفصل الأول : ودرس فيه (المصطلح) ووقف على جذوره اللغوية عند القدماء والمحدثين موضحا رأيه فيما صدر به من آراء ؛ وفي هذا الفصل وضع الدكتور مطلوب يده على الخلل في رؤية المجامع العربية ؛ مشيرا الى اتجاهاتها منذ قدمها إلى مرحلة النقد العلمي في الغرب ؛ موضحا أن سبب

اهمال المجامع العلمية للمصطلحات النقدية القديمة يعود إلى أربع نقاط هي[1] :

١- إن الأدباء والباحثين العرب كانت لديهم القدرة على أخذ مصطلحاتهم من القدماء .

٢- عدم تأثر النقد الأدبي باللغة الأجنبية كما تأثرت العلوم المستحدثة ، لذلك لم يكن هناك خوف من المصطلح الأجنبي أو المعرب نفسه .

٣- الأدباء والمؤلفون العرب [illegible] في وضع المصطلحات النقدية منذ وقت مبكر واتفقوا عليه .

٤- إن النقد ليس مما يتصل بالتقدم العلمي ، وقد أدى هذا الى إهمال الدراسات الإنسانية وتعاديها في كثير من الأحيان .

وأضاف الدكتور مطلوب أن العناية زادت بالمصطلح بعد أن توسعت العلوم ، وكثرت الفنون ، وكان لابد للعرب من أن يضعوا لما يستجد مصطلحات خاصة بها[2].

وأشار الدكتور مطلوب الى نقطة جوهرية مهمة ، تمثلت بالحرية المفرطة التي كان يتمتع بها كل من يخترع أو يستنبط أو يعرب ، ليضع له سمة من عنده ليواطئ ما يخرجه في علمه ، لذلك كانت النتائج التي أشار اليها الدكتور المطلوب هي[3] :

---

(1) في المصطلح النقدي : ١٣ – ١٤ .

(2) في المصطلح النقدي : ١٤ .

(3) في المصطلح النقدي : ١٥ .

١- تعدد المصطلح للدلالة على الشيء الواحد ، وضرب مثلاً لذلك فن الالتفات : سماه ابن وهب الصرف ، وسماه أسامة بن منقذ : الانصراف ، وسماه قوم : الاعتراض [٦] .

٢- اختلاف دلالة المصطلح فقد ذهب قدامة إلى أنّ (المطابق هو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها مثل قول الشاعر :

ولكنهم يستنصرون بكاهل وللؤم فيهم كاهل وسنام

وهذا هو التجنيس عند الآخرين [٧] .

٣- إطلاق مصطلح واحد للدلالة على عدة أشياء [٨] .

٤- وضع المصطلحات لما استجد من فنون بلاغية ونقدية ، فقد أشار إلى ابن المعتز الذي أحصى ثمانية عشر مصطلحاً وزاد عليها قدامه ، وأبو هلال العسكري ، وهكذا ظلت المصطلحات في تزايد حتى وصلت إلى المئات ، بسبب الحرية التي لولاها ما كثرت المصطلحات ، وتشعبت الدراسات ، ونمت اللغة العربية ، وأصبحت قادرة على استيعاب الجديد بما فيها من قدرة على التوليد والمجاز والاشتقاق .

ثم بعد ذلك درس وضع المصطلح وأسباب ذلك الوضع [٩] ، وبعد ذلك تطرق إلى التعريب وقال [١٠] : (دعتها الضرورة القصوى) ، مؤكداً أنّ

---

[٦] في المصطلح النقدي : ١٤

[٧] نقد الشعر : ١٨٥

[٨] ينظر معجم المصطلحات : [illegible]

[٩] ينظر في المصطلح النقدي : [illegible]

[١٠] في المصطلح النقدي : ١٠

التعريب [illegible] إلى سبب ينبغي الأخذ به (اقتضاء الحاجة) ، ووصل الدرس في التعريب والتعريب إلى أن وصل إلى مشكلة المصطلح[12] ، ودرسها دراسة مستفيضة مبيناً أسبابها وطرق معالجتها

وفي الصفحة ٣٦ تطرق إلى المعجم النقدي ، وضرورة التخلص من مشكلة المصطلح المتعلقة ، وذلك يتطلب دراسة جادة وعميقة للمصطلحات والعودة إلى الأصل للوقوف على معانيها[13] .

الفصل الثاني : ويحمل هذا الفصل عنوان (إشكالية مصطلح النقد الأدبي المعاصر)[14] ، وهو يعد مكملاً لما جاء في الفصل الأول ، وقد ابتدأه بمدخل يحصر فيه أسباب كثيرة من البحث ، والغاية منه ، وفي هذا الفصل وضع الدكتور مطلوب شروطاً للمصطلح[15] هي :

١- اتفاق العلماء عليه للدلالة على معنى من المعاني العلمية .

٢- اختلاف دلالته الجديدة عن دلالته اللغوية الأولى .

٣- وجود مناسبة أو مشاركة ، أو مشابهة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللغوي .

٤- الاكتفاء بلفظة واحدة للدلالة على معنى علمي واحد .

---

(11) في المصطلح النقدي : ١٨

(12) في المصطلح النقدي : ٢٣

(13) ينظر في المصطلح النقدي : الصفحة ٣٦ وما بعدها .

(14) في المصطلح النقدي : ٢٥

(15) في المصطلح النقدي : ٤٠

وحاول هذا الفصل التطرق إلى مصطلح الأسلوب ، أشار إلى وجود عدة تعريفات للأسلوب ، إلا أن الدكتور مطلوب كان يميل إلى تعريف عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تعريف ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) ، قائلا إنهما[16] : (أدق من التعريفات ، فقد قال الأول (الجرجاني)[17]: (الأسلوب ضرب من النظم والطريقة فيه) ، وقال الثاني (ابن خلدون) إنه[18] (المنوال الذي ينسج فيه التركيب أو القالب الذي يفرغ فيه) .

ثم تطرق إلى شعرية الألفاظ التي حاول الشكلانيون الروس معنها[19] ، وأفاض الحديث فيها ، لينتقل بعدها إلى آراء النقاد على أبواب عمود الشعر[20] ، مؤكدا أن عبدالقاهر الجرجاني من اكثر النقاد فهما لها[21].

ثم تطرق إلى الحداثة قائلا[22]: (إن الحديث عن الحداثة ذو شجون لأنها حداثات أو مجموعة من التحركات) [23]، ودرسها الدكتور مطلوب دراسة

مستفيضة ، وختم الفصل برأي موجز مفيد لما درسه في هذا الفصل[24].

---

[16] في المصطلح النقدي : ٠١

[17] دلائل الإعجاز : ٤٦٨ ، ...

[18] مقدمة ابن خلدون : ٧٠

[19] في المصطلح النقدي : ٠٥

[20] في المصطلح النقدي : ٠٩

[21] دلائل الإعجاز : المدخل :

[22] في المصطلح النقدي : ١

[23] ينظر الحداثة : ٣٠

[24] في المصطلح النقدي : ٠

الفصل الثالث وحمل عنوان (النقد البلاغي)[٢٥]، ودرس فيه ظهور النقد البلاغي على الساحة الأدبية منذ القدم، معرّفاً البلاغة بأنّها معرفة ايراد المعنى الواحد بطرائق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، وأشار الى اهتمام القدماء بفنون البلاغة مبتدأً بمجاز القرآن لأبي عبيدة (ت٢٠٨هـ)، ومعاني القرآن للفراء (ت٢٠٧هـ)، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) وغيرهم[٢٦]، وأكد الدكتور مطلوب أن النقد والبلاغة عند عبدالقاهر الجرجاني فن واحد هو النظم[٢٧].

واشترط الدكتور مطلوب للنقد البلاغي ثلاثة شروط هي كما يأتي[٢٨]:

١- الألفاظ : لأنّ اللفظة هي المادة الأولى والأساسية في بناء الجملة، ولعلّ الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، هو أقدم من أشار الى أهمية الألفاظ، وهو الذي فتح السبيل أمام الدارسين[٢٩].

٢- النظم : ويراد به تركيب العبارة وما يطرأ عليها من حذف وذكر، وتقديم وتأخير، وقصر وإيجاز وإطناب، وغير ذلك مما درسه القدماء في علم المعاني، أو ما سمّاه عبدالقاهر بالنظم.

٣- التصوير : ويراد به كل ما بحثه القدماء في علم البيان كالتشبيه والاستعارة والكناية، وبعض ما أحدثوه في علم البديع.

---

(٢٥) في المصطلح النقدي : ٦١

(٢٦) في المصطلح النقدي : ٦٩

(٢٧) في المصطلح النقدي : ٧٤

(٢٨) في المصطلح النقدي : ٨١

(٢٩) في المصطلح النقدي : ٨٢

الفصل الرابع : وكان بعنوان (النقد التكويني) ، وفيه تحدث الدكتور المطلوب عن أن النقد العربي في مطلع القرن العشرين كان تأثريا في الغالب ، وكانت معظم الدراسات التي تنشر في الصحف والمجلات هي تقريظا أكثر ، وكذلك أشار الدكتور مطلوب إلى هبوب رياح النقد والدراسات الغربية على الأدب العربي ، وبدأت المذاهب الأدبية تتسرب الى الوطن العربي ، وأخذ النقاد يعنون بالمذاهب الأدبية كالانطباعية والابداعية والواقعية والاشتراكية والرمزية والسريالية والدادائية والبرناسية ويطبقونها على الادب العربي ، وكانت أهم هذه الدراسات النقدية هي مقالات الدكتور طه حسين ، وعباس محمود العقاد ، وابراهيم المازني ، ثم بعد ذلك خطا الدرس النقدي خطوة جديدة عند الدكتور محمد مندور وغيره .[30]

وأشار الدكتور أحمد مطلوب الى أن النقد التكاملي الذي لم يعد مقبولا ؛ ليختفي وتظهر بدلا عنه البنيوية التي تجرد النص من كل ما يتصل به ؛ وتكتفي بالنظر الى بنيته الداخلية ، وهذا ما أثار النقاد الماركسيون فانتقدوه بشدة[31] ، وأشار الى ما قاله روجيه جارودي[31] : (البنيوية فلسفة موت الانسان) ، وقال الدكتور مطلوب في سنة ١٩٩٠ صدر في باريس كتابا نقديا لخمسة باحثين وترجم الى العربية تحت عنوان (مدخل الى منهج النقد الأدبي)[33] ، والكتاب يتكون من خمسة فصول هي : النقد التكويني ؛ النقد

---

[30] ينظر في المصطلح النقدي : [illegible]
[31] ينظر في المصطلح النقدي : [illegible]
[32] في المصطلح النقدي : ٨٩
[33] ينظر في المصطلح الأدبي : [illegible]

– ١٧٠

التحليل النفسي، النقد الموضوعاتي، النقد الاجتماعي، نقد النص، وأشار الدكتور مطلوب في الصفحات: ٩٥ – ٩٦ إلى إجراءات تحليل المخطوطات وإجراءات التكوينية النصية.

الفصل الخامس: وحمل عنوان (الأسلوبية)، ودرس فيه الدكتور مطلوب المصطلح، وكان قبل ذلك قد عرج على وصف الأسلوب، وتطرق إلى آراء العلماء في الأسلوب[34]، وذكر تعريف المدرج بوفون للأسلوب في قوله[35]: (الأسلوب هو الرجل نفسه)، ودرس في الصفحات: ١٢٦ إلى نهاية الفصل الأسلوبية وتطورها مع مختلف الآراء فيها.

الفصل السادس: وحمل عنوان (الشعرية) الذي ذكر فيه الدكتور مطلوب كتاب (أبو طيقا) (سماه الفلاسفة المسلمين بهذا الاسم) أي كتاب الشعر لأرسطو والذي نقله إلى العربية بشر بن متى، وأشار إلى تسمية الشعرية التي اهتم بها الشكلانيون الروس، وهذه لم يعرفها العرب، وقالوا: الشاعرية، شعر الشاعر، القول الشعري، والقول غير الشعري، الأقاويل الشعرية[36]، وأشار الدكتور مطلوب إلى جذر الشعر من الفعل شعر، أي علم، وأشعر به، أي بمعنى أعلمه به، وأضاف الدكتور مطلوب الشعرية مصدر صناعي[37]، وضع للدلالة على اللفظة الفرنسية (P•tiqu) أو اللفظة

---

(٣٤) ينظر في المصطلح النقدي: ١١٨ – ١٢٢

(٣٥) الدفاع عن البلاغة: ٨١، النقد التطبيقي: ٢٠٥

(٣٦) ينظر في المصطلح الشعري: [illegible]، وينظر المدرج البديع: ٢٠٦

(٣٧) في المصطلح النقدي: ١٥٢

الإنكليزية (Poetic) ، والشعرية تعني عند (علم موضوعه الشعر)[38] ، وكذلك تعني الشعرية (علم الأسلوب الشعري)[39]؛ وكذلك تعني (الانحراف عن النمط)[40]؛ وأشار الدكتور مطلوب الى أن البحث في الشعرية لم يقتصر على [illegible] المحدثين ، فالشعرية هي من أسس دراسة الأدب[41]؛ كما أشار الى آراء النقاد العرب التي حامت حول (عمود الشعر)؛ وتنوعت ولم تتضح الشعرية الا في مباحث عبدالقاهرالجرجاني الذي انطلق من نقد الأدب من خلال النظم[42] ، وأشار الدكتور مطلوب الى أن النظم عند عبدالقاهر هو الأساس في الكشف عن شعرية الكتابة او النص[43]؛ وكذلك أشار الى أن عبدالقاهر لا [illegible] باللفظة ولا يسمي اللغة الشعرية وإنما يرى أن كل لفظة تصلح للكلام [illegible] اذا وقعت في موضع يليق بها؛ وضرب مثلاً بقول أبي تمام :

تلفت نحو الحيّ حتى وجدتني ... وجعت من الاصغاء ليتاً وأخدعا[44]

وقال : إن لها في هذا البيت مما لا يخفى من الحسن[45] .

---

[38] بنية اللغة الشعرية : ١٠

[39] بنية اللغة الشعرية : ١٥

[40] بنية اللغة الشعرية : ١٣٤ – ١٣٥

[41] ينظر في المصطلح النقدي : [illegible]

[42] ينظر في المصطلح النقدي : [illegible]

[43] الشعرية : ٤٠ وينظر في المصطلح النقدي : ١٥٨

[44] دلائل الاعجاز : ٤٤

[45] ينظر في المصطلح النقدي : [illegible]

في الصفحة ١٦٩ أشار الدكتور مطلوب الى أن التقديم والتأخير عند المعاصرين هو الانزياح ، والانزياح كسب الشاعر القدرة على التعبير الدقيق المعبر ، ثم تطرق الى الحذف وقال[٤٦] : (إن الأديب يجعل الحذف ميدانا للتخيل والتصور والحذف عند عبدالقاهر هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد) ، وقال الدكتور مطلوب : إن عبدالقاهر الجرجاني يرى أن التنكير من الحذف في الشعرية ، فهو يكسب العبارة حسنا ، وتخرج عن الأريحية والأنس الى خلافهما[٤٧] .

كما أشار الى أن المجاز من أهم سمات الشعرية[٤٨] ، وان الفنون البلاغية هي جزء من الشعرية[٤٩]

الفصل السابع : وحمل عنوان (الصورة الشعرية)[٥٠] ، عرف الدكتور مطلوب الصورة وقد عرض آراء القدماء في ذلك الى أن وصل الى الصورة الفنية التي يهتم بها النقد الأدبي ، وأشار الى أن الجاحظ هو أول من ذكر الصورة في قوله[٥١] : (إنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير) ، ثم تحول الى عبدالقاهر الجرجاني في قوله[٥٢]: (ليس العبارة

---

[٤٦] دلائل الاعجاز : ١٥١ ، وفي المصطلح النقدي : ١٧٠
[٤٧] دلائل الاعجاز : ٢٨١ ؛ في المصطلح النقدي : ١٧١
[٤٨] في المصطلح النقدي : ١٧٣
[٤٩] في المصطلح النقدي : ١٧٤ - ١٩٣
[٥٠] في المصطلح النقدي : ٢٠٠
[٥١] الحيوان : ٣/١٣٢ ، وينظر في المصطلح : ٢٠٢
[٥٢] دلائل الاعجاز : ٥٠٨ ، وينظر في المصطلح النقدي : ٢٠٢

عن ذلك بالصورة شيئ نحو ... فينكره منكر ... هو مستعمل مشهور في كلام العرب ويكفيك قول الجاحظ : إنما الشعر صياغة وضرب من التصوير)

أما الصورة عند العرب المعاصرين فهي[53] : (أثر الشاعر المفلق الذي يصف المرئيات وصفاً يجعل قارئ شعره ما يدري أيقرأ قصيدة مسطورة ، أم يشاهد منظراً من مناظر الوجود) ، وأشار الدكتور مطلوب إلى أن الصورة عند المعاصرين متنوعة ومتسعة[54] ، ثم تحول إلى المحاكاة وقال[55] : (المحاكاة هي تصوير الشيء الخارجي وتمثيل له ، لأنه محصول الأقاويل الشعرية) ، معززاً الدكتور مطلوب رأيه بما قاله حازم القرطاجني في منهاج البلغاء[56] ، وبعد ذلك انتقل إلى الخيال الذي يمثل جوهر الصورة فقال[57] : (الخيال هو الملكة التي يؤلف بها الأديب صوره) ، معززاً رأيه بما قاله صاحب كشاف اصطلاحات الفنون في الجزء الأول الصفحة (٤٩٥) .

الفصل الثامن : وكان بعنوان (الحداثة) : درس في هذا الفصل الحداثة قائلاً[58] : (شهد النصف الثاني من القرن العشرين كثيراً من

---

(٥٣) في المصطلح النقدي : [illegible]

(٥٤) في المصطلح النقدي : [illegible]

(٥٥) في المصطلح النقدي : [illegible]

(٥٦) منهاج البلغاء : ١٢٠

(٥٧) في المصطلح النقدي : [illegible]

(٥٨) في المصطلح النقدي : [illegible]

التحولات الفكرية والأدبية) ؛ ثم أشار الدكتور مطلوب الى ان الحداثة قد افرزت امورا كثيرة منها[59]:

١- النظرة الأحادية التي لا تعترف بآراء الآخرين .

٢- السقوط في التقليد المقيت .

٣- التوقف عن الإبداع .

وهذه هي إشكالية الثقافة العربية التي أعاقت نموها وازدهارها .

كما أشار الدكتور مطلوب الى ان الحداثة كانت من اكثر التيارات تأثيرا في المثقف العربي ؛ فمنذ اكثر من ربع قرن والصراع قائم بين ثلاثة فرقاء[60]:

١- فريق ينزع الى الحداثة كل النزوع ولا يرى لها بديلا .

٢- فريق يتمسك بالقديم ولا يجد في غيره للحياة سبيلا .

٣- فريق يوفق بين الطرفين المتصارعين ؛ ويصلح ويحاول أن يقرب بينهما .

وأشار الدكتور مطلوب الى أن العرب الأسلاف لم يكونوا بعيدين عن الحداثة بمعناها الحقيقي ؛ إذ حمل الشعراء والنقاد دعوة التجديد منذ عهد مبكر في تاريخ ازدهارهم الحضاري ، وكان الصراع عنيف بين القدماء والمحدثين في العصر العباسي[61] .

---

[59] في المصطلح النقدي : ٢٣٧

[60] في المصطلح النقدي : ٢٣٨

[61] في المصطلح النقدي : ٢٤٤

الفصل التاسع : جاء بعنوان (نحو معجم لمصطلحات النقد الحديث)[62] : المصطلح النقدي مهم جداً لمواكبة تطور الإبداع على مستوى الشعر ونقده ؛ وكان للدكتور مطلوب دور كبير وحيوي في الالتفات إلى هذه القضية المهمة الحساسة ؛ فشرع بصناعة معجم المصطلح النقدي ؛ ولعل هذا الكتاب الذي ندرسه الآن هو خير مثال على ذلك ، فالمصطلح من الألفاظ التي كثر تداولها بين النقاد في العصر الحديث ؛ ومع ذلك كانت لفظة الاصطلاح أكثر شيوعاً من لفظة المصطلح ؛ فالجرجاني يقول[63] : (الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضوعه الأول) ؛ أما الكفوي فكان قريباً من هذا التعريف[64] ؛ وأيضاً على هذا الرأي التهانوي[65] ؛ واستمر الدكتور مطلوب في سرد آراء النقاد إلى أن تساءل عن دقة فهم المصطلح وتحديده ؛ ففي الصفحة (٢٧٧) أشار إلى أن المصطلح النقدي : هو جزء من المصطلح العام ؛ وذكر عدداً من الكتب التي عنيت بالمصطلح ووضعت له معجمات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١- مفاتيح العلوم لمحمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت٣٨٧هـ) .

٢- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت٨١٦هـ) .

---

(62) في المصطلح النقدي : ٢٠٥

(63) التعريفات : ٢٨

(64) ينظر الكليات : ١٢٩

(65) كشاف اصطلاحات الفنون : ٢١٧

٣ - الكليات لأيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ)

٤ - كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد بن علي الفاروقي التهانوي المتوفى في القرن الثاني عشر من الهجرة .

ثم تحول الى المعاصرين مثبتا جهودهم ذاكرا أهم المعجمات التي صنعت خدمة للمصطلح وذكر عددا منها على سبيل المثال :

١ - معجم المصطلحات البلاغية - الدكتور أحمد مطلوب : ١٩٧٢م .

٢ - معجم البلاغة العربية - الدكتور احمد مطلوب : ١٩٧٥م .

٣ - المصطلح النقدي في نقد الشعر - الدكتور إدريس الناقوري : ١٩٨٢م.

٤ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها - الدكتور احمد مطلوب : ١٩٨٣-١٩٨٦م.

٥ - معجم مصطلحات العروض والقوافي - الدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي : ١٩٨٦م.

وغيرها ... مؤكدا أنَّ هذه المعجمات جمعت المصطلحات البلاغية والنقدية والعروضية ؛ وتم ترتيبها الفبائيا .

وبعد ذلك قام الدكتور مطلوب بدراسة عدد من هذه الكتب التي اهتمت بالمصطلح ونقدها وهذه الكتب هي :

١ - المصطلح في الأدب الغربي للدكتور ناصر الحاني ؛ ووقف على ما له وما عليه في الصفحات : ٢٨٠ - ٢٨١ .

٢ - معجم مصطلحات الأدب للدكتور مجدي ؛ ووقف على ما له وما عليه في الصفحات : ٢٨٢ - ٢٨٤ .

٣ - معجم مصطلحات النقد الحديث للدكتور حمادي حمود ؛ ووقف على ما له وما عليه ؛ في الصفحات : ٢٨٤ - ٢٨٨ .

٤ - موسوعة المصطلح النقدي ؛ وهي موسوعة باللغة الأنكليزية وصدر منها أكثر من ثلاثين حلقة ؛ وبدأ الدكتور عبدالواحد لؤلؤة بترجمتها الى العربية لأهميتها ؛ وبين الدكتور مطلوب ما لها وما عليها في الصفحات : ٢٨٨ - ٢٩٦ .

فضلا عن كتاب المعجم الأدبي للدكتور جبور عبد النور في الصفحة ٢٨٩ ، وكتاب معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب للدكتور مجدي وهبة وكامل المهندس ؛ في الصفحات : ٢٩١ - ٢٩٢ ؛ وكتاب معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة للدكتور سعيد علوش في الصفحة ٢٩٢ .

وأكد الدكتور مطلوب أنّ المعجمات التي صدرت في السنوات الأخيرة كانت رافدا متدفقا ؛ وهي تبشر بخير على الرغم من صدور أصوات منددة بها [٦٦] ؛ وأشار الدكتور مطلوب الى أنّ إشكالية المصطلح النقدي أحدثت فوضى في التأليف والترجمة مما زادها خللا واضطرابا ؛ ثم شخّص تلك الأسباب الى العوامل الآتية [٦٧] :

١ - اختلاف ثقافة المؤلفين ، فهم إما ذوو ثقافة أجنبية يقرأ الأدب ونقده باللغة الإنكليزية ؛ وإما ذوو ثقافة مضطربة ؛ يقرأ الأدب الأجنبي ونقده باللغة العربية .

---

[٦٦] في المصطلح النقدي : ٢٩٦

[٦٧] في المصطلح النقدي : ٢٩٧

٢ - اختلاف الأوربيين أنفسهم في المصطلح ونظرتهم إليه .

٣- الاشتراك اللفظي في اللغة المنقول عنها واختلاف المترجمين .

ووصف الدكتور مطلوب ما نشر من معاجم اصطلاحية [٦٨] بـ :

١ - بعضها عام يمثل المصطلحات الأدبية والبلاغية والعروضية التي عرفت في التراث العربي ؛ وما شاع في النصف الأول من القرن العشرين بعد أن اتصل العرب بالغرب .

٢- بعضها خاص بالتراث الأوربي الحديث مثل مصطلح في الأدب الغربي ؛ وموسوعة المصطلح النقدي .

٣- بعضها خاص بالأدب المعاصر مثل معجم مصطلحات النقد الحديث ؛ ومعجم المصطلحات الأدبية المعاصرة .

الفصل العاشر : وحمل عنوان (تيسير البلاغة) [٦٩] اهتم هذا الفصل بدراسة تيسير البلاغة ؛ ففي القسم الأول درس الدكتور مطلوب البذور الأولى للبلاغة والنقد قبل عهد التدوين والتأليف مشيرا الى أنّ الأمة العربية أمة معطاء انجبت شعراء فحول وخطباء مصاقع مفوهين ؛ وأنّ القرآن الكريم أكد ذلك في قوله تعالى [٧٠] { الرحمن ؛ علم القرآن ؛ خلق الانسان ؛ علمه البيان } كما أكد أنّ الانسان العربي مقنع معجب في قوله وقد أكد هذه الصفة القرآن الكريم في قوله تعالى [٧١] { ومن الناس من يعجبك قوله في

---

[٦٨] في المصطلح النقدي : ٢٩٦

[٦٩] في المصطلح النقدي : ٣١١

[٧٠] سورة الرحمن الآيات ١ - ٤

[٧١] سورة البقرة : الآية : ٢٠٤

الحياة الدنيا } ؛ ولو لم يكن للعرب ذائقة لغوية وملكة فنية ما استطاعوا أن يميزوا جيد الكلام من رديئه [٧٢] ، وأكد الدكتور أحمد مطلوب أن البلاغيين الذين عنوا بالتحليل البلاغي للبديع هم : أبو هلال العسكري في كتابه (الصناعتين) [٧٣] ؛ والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير [٧٤] .

وفي القسم الثاني درس البلاغيين بدءا من عبدالقاهر الجرجاني ، والسكاكي ؛ وبدرالدين بن مالك ؛ والخطيب القزويني ؛ ووصولا الى حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء ؛ وكانت فيه نظرات بلاغية ونقدية دقيقة ؛ ومن بعده كتاب المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع للسجاسي ، والروض المريع في صناعة البديع لابن البناء المراكشي [٧٥] .

وأكد الدكتور أحمد مطلوب في القسم الثالث من البحث أنّ الكتب التي مرّ ذكرها في القسم الثاني لم تؤثر في الدرس البلاغي بل بقي الطريق لاحبا لمنهج السكاكي حتى العصر الحديث [٧٦] ؛ وفي العصر الحديث بدأت البلاغة تحظى بالاهتمام ولا سيما في مطلع القرن العشرين ؛ وكان الأزهر الشريف ؛ هو أول من حمل لواء التجديد ، وأخذ الإمام محمد عبده يُحيي كتاب السلف

---

(٧٢) في المصطلح النقدي : ٣١١

(٧٣) في المصطلح النقدي : ٣١١

(٧٤) في المصطلح النقدي : ٣١٣

(٧٥) في المصطلح النقدي : ٣١٦

(٧٦) في المصطلح النقدي : ٣١٦

النافعة ؛ ويقوم ما اعوج من مناهج التأليف وطرائق التدريس منصرفا الى تدريس كتاب ((دلائل الاعجاز)) و ((أسرار البلاغة)) لعبدالقاهر الجرجاني[٧٧] .

وفي القسم الرابع من البحث أشار الدكتور مطلوب الى نكوص الباحثين صفحا عن البلاغة ؛ لأنها لا تمثل المناهج الحديثة ؛ ولا تعبر عن الحداثة التي هي سمة العصر [٧٨] .

كما إشار الى انتفاع الجامعات من الدراسات الحديثة ؛ وبدأت بدراسة النص ؛ وكانت الدراسة تتكون من ثلاثة مستويات [٧٩] :

١- المستوى الصوتي

٢- المستوى التركيبي

٣- المستوى الدلالي

وهذا المنهج الذي يدعو اليه البلاغيون الجدد لا يخرج عن بحوث البلاغة العربية وهي [٨٠]:

١- الفصاحة التي أفاض النقاد والبلاغيون في بحثها .

٢- علم المعاني الذي يبحث في التركيب وأبنية التعبير .

٣- علم البيان الذي يبحث في التصوير .

٤- علم البديع الذي يبحث في فنون لها صلة بالإيقاع والمعنى والتزيين .

---

[٧٧] في المصطلح النقدي : ٣١٧

[٧٨] في المصطلح النقدي : ٣١٨

[٧٩] في المصطلح النقدي : ٣١٩

[٨٠] في المصطلح النقدي : ٣٢٠

وأما القسم الخامس من البحث ؛ فقد اهتم بجذور البلاغة مشيراً إلى أن البلاغة عند اليونانيين مرتبطة بالخطابة ؛ لذلك وضع أرسطو كتابه ((الخطابة)) [81] .

وأشار الدكتور مطلوب إلى أنّ البلاغة العربية لا تقتصر على الفن الخطابي أو نقد النص ، وإنما هي ذات أهداف كثيرة منها [82] :

١ - الغرض الديني وهو خدمة القرآن الكريم .

٢ - الغرض التعليمي وهو تعليم الناشئة اللغة العربية وأساليبها .

٣ - الغرض النقدي وهو تمييز الكلام الحسن من الرديء ؛ والموازنة بين القصائد والخطب والرسائل والبلاغة .

وأما القسم السادس فقد أكد الدكتور مطلوب أنّ تيسير البلاغة ليس كتيسير النحو ؛ لأنها علم لم ينضج ؛ ولم يحترق [83] ؛ وختم الدكتور مطلوب الفصل بمجموعة نتائج مهمه هي [84] :

١ - الغاء التقسيم الثلاثي وجعل البلاغة قسما واحدا .

٢ - الاهتمام بدراسة المستوى الصوتي والألفاظ ودلالتها .

٣ - البحث في الفقرة والقطعة الأدبية والأساليب المختلفة ؛ وليس الوقوف عند الجملة والجملتين .

٤ - التقليل من التقسيمات والتفريعات الكثيرة .

---

(81) في المصطلح النقدي : ٣٢١

(82) في المصطلح النقدي : ٣٢٢

(83) في المصطلح النقدي : ٣٢٩

(84) في المصطلح النقدي : ٣٣٠

٥- توحيد المصطلحات والأخذ بأكثرها دلالة على الفن البلاغي .

٦- تخلية البلاغة مما علق بها من مصطلحات ومسائل بعيدة عن روحها ؛ لتبقى خالصة للفن الرفيع .

٧- تحلية البلاغة بما استجد من دراسات بلاغية ونقدية وأدبية ونفسية على ألاّ تطغى عليها .

وفي ختام قراءتي لكتاب في المصطلح النقدي للدكتور أحمد مطلوب وجدت أنّ الدكتور وضع يده على الجرح وأعطاه البلسم الشافي ؛ وأقول : إنّ قراءتي لهذا الكتاب كانت عبارة عن رحلة ممتعة ورائعة اطلعت من خلالها على مكنونات هذا الكنز النقدي البلاغي فضلا عن العلوم الاخرى التي اهتمت بالأدب المعاصر مثل : الحداثة والشعرية وغيرهما من العلوم القديمة والحديثة ؛ هذا جهد قدرتي فإنْ اصبت في قراءتي فبفضل من الله وإنْ جانبت الصواب ؛ فمن تلقاء نفسي ؛ وحسبي أني اجتهدت ؛ ولكل مجتهد نصيب ؛ والحمد لله أولا وآخرا ؛ وصلّى الله على محمد واله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار – للعلامة محمد باقر المجلسي ؛ تحقيق وتصحيح لجنة من العلماء والمحققين والأخصائيين ؛ الناشر احياء الكتب الإسلامية ؛ طبعة منقحة بتعاليق الشيخ علي النمازي الشاهرودي ؛ ط ١ ؛ ٢٠٠٨ م .

- بنيـة اللغـة الشـعرية – جـان كـوهين ؛ ترجمـة محمـد الولي ؛ ومحمد العمري ؛ الدار البيضاء ؛ المغرب ؛ ١٩٨٦م .
- الحداثـة – تحريـر مـالكم برادبري ؛ وجـيمس ماكفـارلن ؛ ترجمـة مؤيـد فوزي ؛ ١٩٨٧م ؛ بغداد .
- الحيوان – لأبـي عثمـان عمرو بـن بحـر الجاحظ ؛ تحقيـق عبدالسـلام هارون ؛ ١٣٥٦هـ – ١٩٣٨م ؛ القاهرة .
- الدفاع عن البلاغة – أحمد حسن الزيات ؛ ط٢ ؛ القاهرة ؛ ١٩٦٧م .
- دلائل الاعجاز – عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) تحقيق محمود محمد شاكر ؛ القاهرة ؛ ١٩٨٤م .
- الشـعرية – تزفيتـان تـودوروف ؛ ترجمـة شـكري المبخـوت ؛ ورجـاء بـن سلامة ؛ الدار البيضاء ؛ المغرب ؛ ١٩٨٧م .
- فـي المصـطلح النقـدي – الـدكتور أحمـد مطلـوب ؛ منشـورات المجمـع العلمي العراقي ؛ بغداد ؛ ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .
- معجـم المصـطلحات البلاغيـة وتطورهـا – الـدكتور أحمـد مطلـوب ؛ منشورات المجمع العلمي العراقي ؛ بغداد ؛ ١٩٨٤م – ١٩٨٧م .
- مقدمـة ابـن خلـدون – عبدالرحمن بن خلـدون ؛ دار الكشـاف ؛ بيروت ؛ (د.ت) .
- المنـزع البـديع فـي تجنـيس أسـاليب البـديع – أبـو القاسـم السجلماسـي ؛ تحقيق علال الغازي ؛ الرباط المغرب ؛ ١٤٠١هـ – ١٩٨٠م .
- النقد التطبيقي والموازنـات – الدكتور محمـد الصـادق عفيفي ؛ القاهرة ؛ ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

الفاضلان : مطلوب والحديثي
(ثمَراتُ تلمَذَة ، وآفاقُ تجربة ، وإنجاز مُؤلَف)

الأستاذ الدكتور مهدي صالح سلطان
جامعة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

المقدمة :

الأستاذة الدكتورة خديجة الحديثي هي الأقرب إلى نفوس طلبتها ، وقد ازدادَت معرفتي بها منذ أن ترأستْ رحمها الله لجنة مناقشة أطروحتي للدكتوراه ؛ في أواخر عام (١٩٩٥) ، بحضور زملائي وأصدقائي ، وحشدٌ كبيرٌ ملأ قاعة الإدريسي من طلبة كليّة الآداب ؛ وفي حينها لمَس من حضر هذه المناقشة مواقفها البعيدة عن الخصومة ، التي قد يفتعلها بعض الأساتذة غفر الله لهم ، فلم تكن ممّن يهوّنون من جهد الطالب ، أو يقلّلون من قيمة مُنجزه ، أو يبتعدون عن إظهار أهميّته . فقد ختمت تلك المناقشة بقولها : (إنْ لم يكُنْ للطالب فضلٌ ، ففضلُه في الجمع والتنظيم والتقويم ، ونسبة الآراءِ إلى أصحابها)[1] .

والذي أسعدني ـ لاحقًا ـ وزاد من ثقتي بنفسي ، أنّ الدكتورة تستشهد بأطروحتي : (الخلاف النحويّ بين الكوفيين) ، وتضعها من ضمن مصادر الخلاف النحوي التي على طلابها أن يعتمدوها في مراحل الدراسات

[1] النصّ من التسجيل الصوتي للمناقشة .

العليا ، وكان هذا كبيرا جدًا لمثلي في تلك الزمن ، من مثل هذه العالمة الفاضلة .

وأقول : إنّ حديثي عن أستاذتي هو حديث تدرّجي تحت رعايتها ومشورتها ، في مراحل مهمة من مراحل سيرتي العلميّة ، أعرضها فيما يأتي : ١ : مرحلة التلمذة ، ٢ : لجنة اختبار صلاحيّة التدريس في جامعة بغداد ، ٣ : كتابي : (في المصطلح ولغة العلم) ، ٤ : المشاركة في نشاطات المجمع العلمي العراقي .

أوّلا : مرحلة التلمذة

كنت أحد طلبة العالمة الفاضلة الدكتورة خديجة الحديثي ، في مرحلة الدكتوراه ـ أوائل التسعينيّات ـ وكنت ممن حظِي بالاستفادة من خلاصة تجربتها ، التي نافت على ما يزيد من نصف قرن ، وكنت مِمّن أُعجب بما توصّلت إليه في هذه الخلاصة ، التي قالت فيها : (إنّ معرفة النحو ذوقٌ مرهف ، لا يدركُهُ إلّا من خاض عُباب بحر . كتاب سيبويه . وأحبَّ العربيّةَ وفهِمَها حقَ الفهم)[٢] .

قالت هذا لمن تلمذ عليها ، بعد أن عرضت لدعوات التيسير قديمها وجديدها ، في مادّتها المقرّرة آنذاك (تيسير النحو) ، وكانت قد عرضت هذه المادة عرضا تفصيليًا ، حاولتْ أن لا ننحاز إلى قديمٍ أو جديد ، ولم تضِق بما كنّا نخالفها فيه من رأي ، أو نظهره من تحيّز لجديد ، أو حماس

---

[٢] تيسير النحو ، الدكتورة خديجة الحديثي ، بغداد ، ٢٠٠٧ ، ٤.

في ردّ قديم ، وكانت تنصحُنا بالإستناد إلى الدليل فيما نعارض أو نناقش وننتقد .

ويكفي أستاذتي فخرا أن تكون بارعة في اختصاصها ، مؤثرة تأثيرًا إيجابيًا في طلبتها ، وموضوعيّة في تقويمها ومواقفها ، أقولُ هذا لأنّنا كنا نسمعُ الكثير من مواقف الاستهانة بالجهود العلمية والتعليمية لأساتذتنا الرواد ، وتصغير ما اجتهدوا أو ابتكروا وقدموا ، فما علينا وعلى تلامذتنا من النجباء إلاّ ردّ مثل هذا الجحود ، والاقتداء بمن حولنا من الأوفياء ، فهذا المبدع الكبير نجيب محفوظ ـ مثلا ـ حين فوجئ بخبر فوزه بجائزة نوبل ـ في بثّ حيّ على الهواء ، يجيب عن سؤال : من يستحق هذا التكريم من المصريّين ؟ فيذكر مباشرة ومن دون تردّد أو تأخير أسماء الكثير من المبدعين المصريين الذين يتقدّمونه ، ويستحقون هذه الجائزة قبله !! .

أمّا صلتي بأستاذتي فلم تنته بانتهاء السنة التحضيرية وما بعدها ـ مثلما كان مع غيرها من الأساتذة الأفاضل ـ بل امتدت إلى الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب ، لأنّهما صنوان لشجرة طيّبة ، ووجهان لقضيّة علميّة واحدة ، لا ينتهي عطاؤهما ورعايتهما بانتهاء مرحلة دراسيّة مقرّرة ، إذ يحصلُ طلبتهما من استمرار هذه الصلة على التوجيه السديد ، والمصدر العزيز في تلك الأيّام الخوالي ، لذا نجدُ عندهما الزُوّار من مثلي من طالبي النصيحة ، والخبرة ، والتجربة ، والتواصل في الاطلاع على القديم والجديد من مواد التخصص . وتجدنا في المجمع العلمي العراقي نحيط بالدكتور أحمد مطلوب مرّة ، أو في مسكن الأستاذين الفاضلين مرّةً أخرى .

يكلف بأي خدمة عامة تتصل بأبنائها ، ولا تتهاون مع من يتركها ، أو يزدريها ، أو يتخذ غيرها بدلاً منها .

وهؤلاء المختارون أصحاب تجارب علمية محترمة ، لكن بينهم وبين لغتهم الوطنية قطيعة صنعتها أجواء تعليمهم ، فترسخ عندهم عدم صلاحية اللغة العربية للعلوم ولمسوغات غير علمية ، أثرت في مواقفهم من اللغة العربية ، اضطروا إلى استعمال غيرها ، حتى صارت لغتهم الأولى غير العربية ، واصطنعوا حاجزاً يمنعهم من تداول لغتهم الوطنية ، بل أضحوا يمنعون غيرهم من استعمالها ، وقد صنعوها فلا يتمكنون من استرجاع ما تعلموه منها ، ولا توظيفه وتطويره فيما يخص تخصصهم العلمي . وهذا التهاون هو الذي ولد إحساساً بعدم الحاجة إلى استعمال اللغة العربية ، ومن ثَمَّ تركوها وجافوها وتداولوا غيرها . على الرغم من أنّ اللغةَ المتروكة هي لغةُ مجتمعهم ووطنهم ودينهم ، وكان عليهم الالتزامُ بقوانين دولتهم ؛ ولاسيما مضمون المادّة الخامسة من قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربيّة لسنة ١٩٨٨ التي تنصُّ على أن : (لا يجوز استعمال المصطلحات العلميّة والألفاظ الحضاريّة بلغة أجنبيّة ، إلّا عند عدم وجود المصطلحات والألفاظ العربية ، على أن يكون استعمالها بصورة مؤقّتة ريثما توضع المصطلحات والألفاظ العربية)[٣] .

---

(٣) الهيئة العليا للعناية باللغة العربيّة ، الدكتور أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ٢٠٠٠ ، ٦٥ .

لكنّ من الإنصاف أن لا نحمّل هؤلاء الأساتذة الشباب وحدهم وزر هذا التقصير ، بل هم ضحايا التوجهات السياسيّة والعلميّة التي فرضت عليهم وعلى أساتذتهم قبلهم اللغة الأجنبيّة . وكان هذا الفرض هو السبب في انفصال علماء الأمّة عن لغتهم الوطنيّة . وانتمائهم إلى لغة أخرى ، ربما ستكون السبب في انتقالهم إليها وإلى مجتمعها .

لكنْ لو كَتَبَ المتخصّص (رسالته أو أطروحته) بلغته الوطنيّة . في الأقلّ . إلى جانب اللغة الأجنبيّة ، وعاني التفكير في تعريب نصوص منجزه ومصطلحاته بنفسه ، لما كانت هذه الفجوة ، ولا هذه المشكلة العلميّة اللغويّة ، التي تلازم هذا المتخصّص كظلّه في حياته . نقول هذا ؛ لأنّ التوجه والتخطيط العلميين جزء لا يتجزأ من البحث العلمي ، واللغة العلميّة ومصطلحاتها من ضمن الإبداع العلمي . ومن ضمن ما يجب أن يواجهه المتخصّص في كتابة ما يفخر به ، إذ إنّ الانفصالَ بين اللغة الوطنيّة ومستعملها هو بابٌ من أبواب الخلل في الفهم والإفهام وضعف في الاتصال بالمجتمع .

وكنّا نريد من هذا الاختبار (**اختبار صلاحيّة التدريس**) أن يكون فرصة في الإسهام في تحسين الأداء اللغويّ ، والارتفاع بمستوى لغة المختبرين ، وأن نضع الأسس الصحيحة لاستعمال العربيّة . وأن يكون ذلك جزءًا مهمًّا من تفكير الأستاذ الجامعيّ في إيصال علمه إلى مجتمعه ، باعتماد لغته لا لغة غيره . جهدًا يناسب جامعة بغداد وإرثها العريق ، وأن لا يكون اختبارًا شكليًّا ، لا أهمّيّة له ، ولا نفعَ من ورائه ، ولا أثرَ له في حياة المختبر الجامعيّة والاجتماعيّة .

فكان من أولى مهماتي في هذه اللجنة هي دراسة الأسباب التي أدت إلى تراجع الأداء اللغوي ، والاطّلاع على تجربة مَنْ سبقني ، وما كُتب من بحوث في هذا الصدد ، واختيار أعضاء أكفاء لعضويّة هذه اللجنة ، ممن لهم قدمٌ راسخةٌ في تخصّصهم ، وخبرةٌ عاليةٌ في خطاب مثل هذه الشريحة العلميّة المهمة في خطوة أولى [1] ، ... التفكير في دورةٍ لغويّةٍ تحصيليّةٍ سريعةٍ تسبقُ الاختبار في الخطوة الأخرى ، لتجديد المعلومات اللغويّة التي تتصلُ بضبط المهارات اللغويّة الأساسيه : القراءة الصحيحه ، والكتابة الدقيقة ، والفهم السديد ، والتعبير الصحيح ؛ واسترجاع ما تعلّمهُ المختبر وبقي مراحل تعليمهم اللغويّ السابق ، لإيقاف سريان الخوف من الاستعمال الخاطئ للغة العربية ، والذي كان قد ألّف احساسنا بالضعف في تداولها ؛ فضلا عن تعريف المُختَبَرين بأسس اللغةِ العلميّة ، التي تختلف عن اللغة الأدبيّة ولغة التواصلِ اليومي ؛ وكذلك التذكيرُ بمسؤوليّة الأساتذة الجامعيّين المتخصّصين في نقلِ المصطلح العلميّ الذي يستعملون من لغته الأجنبيّة إلى اللغة العربيّة ، ومتابعةِ ما صدر أو يصدرُ من قرارات المجامع اللغوية ومكاتب التعريب ، بالمراجعة والاستعمال والنقد والتجديد .

وكان إلى جانب هذه الدورة القصيرة اختبارٌ لغويٌّ جدّيٌّ تحريريٌّ ، يستندُ الى الاختيار من المتعدّدِ الرباعي ، بمئات من الأسئلة المتنوعة التي

---

[1] كان من أعضاء هذه اللجنة الأساتذة : الدكتور محسن الوزان ـ من تربية ابن رشد ، الدكتور عبد الكريم شديد النعيمي ، الدكتورة أحلام خليل ، الدكتور محمد خضيّر ـ من العلوم الإسلاميّة ، الدكتورة ولاء صادق ، الدكتور عماد يونس لافي ـ من تربية البنات ، الدكتورة لمى فائق ، الست سهاد مازن مقررة اللجنة ـ من آداب بغداد .

تعرض على المختبرين ، يتدرب عليها الأساتذة أحدها قبل الدورة وفي أثنائها وبعدها ، من التي يتمثل فحصها وإظهار نتيجتها المباشرة ، وتعيين مستوى المختبر فيها ، وحاولنا أن نجعله اختبارا تطبيقيا تحريريا يركز على استعمال اللغة صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا ، من دون ما ينفر من هذه العلوم ، يعقبه اختبار آخر شفوي يتحدث فيه المختبر عن منجزه العلمي ، ومن ثم يقرأ شيئا من القرآن الكريم ، وتثبت نتائج الاختبار على فقرات الاستمارة التي أعددناها لهذا الغرض ، تعاد إلى الجهة التي طلبت هذا الاختبار .

ويلمس أعضاء لجنتنا (**لجنة اختبار صلاحية التدريس**) . فيما بعد . استجابة المختبرين ، وقبولهم ، وانتظام دوراتهم ، وتغير نظرتهم اتجاه ما انتظموا فيه ، فيكرم المتفوقون منهم بعد انتهاء الدورة والاختبار ، ويتقدم بعض الأساتذة من أهل الطب والهندسة والعلوم حتى على خريجي اللغة العربية بعد استعادتهم معلوماتهم السابقة ؛ لأنهم كانوا قد حصلوا على أعلى الدرجات في نهاية المرحلة الإعدادية ؛ وربما صرنا نجد كثيرا منهم يراجع ما استقر عنده من اعتماد اللغة الأجنبية ، ويدرك أهمية اعتماد اللغة الوطنية إلى جانبها ؛ وهذا ما ظهر في الاستبانات التي استطلعت رأيهم ، من التي وضعتها لجنتنا .

ونتاح لنا في ندوة وزارة التعليم العالي وجماعة اللسانيات عرض مشروعنا في (**اختبار صلاحية التدريس**) ليبنى . بحسب ما اقترحنا . على نمطه التفكير في اختبار المتقدمين للدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) أسوة باختبار اللغة الإنكليزية (التوفل) ، فلاقى هذا الاقتراح القبول والاستحسان ، وألفت لذلك فيما بعد لجنة علمية لتنفيذ هذا المقترح ؛ استنادا

لـى الأمـر الـوزاري ذي الـرقم (٩٥٩١ فـي ٢٨ / ١١ / ٢٠١١) ، وهـذا مضـمونه : (تشـكل لجنـة برئاسـة وعضـوية المدرجـة أسـماؤهم وعناوينهم الوظيفيـة فـي القائمـة المرفقـة المختصـة باختبـار كفايـة اللغـة العربيـة للـذين يرومون التقدم للدراسات العليا الدبلوم العالي والماجستير والدكتوراه) .

وكنا قد عرضنا في الشأن نفسه تجربتنا في تنظيم دورات تحسين الأداء اللغوي، علـى رئيسـة الهيئة العليا لسـلامة اللغة العربيـة معـالي وزيرة المرأة الدكتورة ابتهال الزيدي ، في مذكرة رسمية في نيسان ٢٠١٤، بعد الندوة المركزيّة لممثلـي الوزارات التي أقيمت في كليّة الآداب - جامعة بغداد، وقد نجح في تنظيم مثلها في كثير من الوزارات بإشراف أعضاء لجنتنا أو غيرهم من المتخصصين .

ولم يكن كلُّ هذا بعيدا عن أستاذيَّ الفاضلين الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي ، بل بالتواصل معهما وبمشورة منهما ، ما شجّعني على مواصلة التفكير في معالجة القصور اللغويّ في الكليات التي تدرّس باللغة الأجنبيّة والتي تجافي اللغة العربيّة ، فكانت هذه الأفكار بذرة كتابي لاحقا : (في المصطلح ولغة العلم) وبتصدير أستاذي رئيس المجمع العلمي العراقي (رحمه الله) ، الذي طُبع في مطبعة المجمع أول مرة في عام (٢٠١٢) ، ومن ثم أعيد طبعه في مطبعة التعليم العالي الدار الجامعيّة عام (٢٠١٨) .

ثالثاً : كتابي (في المصطلح ولغة العلم)

كان هذا الكتاب ثمرة أعتز بها من ثمرات التعاون مع أساتذتي المرحومين ، ونتيجة من نتائج جهود المبذولة في (**لجنة اختبار صلاحية التدريس**) المذكورة قبل قليل . فبعد أن وجدت أن المحاضرين لا يحسنون عرض أبحاثهم العلمي بجمل صحيحة لغوياً ، ولا يستعملون المصطلحات العلمية العربية ، وقصورهم الواضح في إيصال ما عندهم من علم إلى المتلقّين . فمعظمهم يبيّن في تدبير مشكلات الفهم والإفهام ، بين اللغة الأجنبية التي تعلموا بحسبها وبلغة مجتمعهم ، فضلاً عن عدم معرفة معظمهم ما يقابل المصطلح الأجنبي ، لأنهم لم يسمعوا بـ (مكتب تنسيق التعريب بالرباط) ، ولا بجهود المجامع اللغوية في التعريب ، ولا بجهود مجمعهم العلميّ العراقي ، وليس في مكتباتهم أو ربّما في مكتبات كلّياتهم ما يخدمهم من إصدارات تضم هذه المصطلحات ، التي أثمرت عن الندوات والمؤتمرات ، من التي دعت إليها هذه المجامع من بداية القرن الماضي :

والغريب أن بعضهم لم يكن يريد أن يفكر باستعمال العربية ، لغة للعلوم ، ويزدري هذه الجهود ، ولا يراها إلاّ مضيعة للوقت وللإمكانات ، وابتعاداً عن العلم ومصادره ؛ وكأنّ أمر تدريس العلوم بلغة بلدهم لا يعنيهم ، وأنْ لا صلة لهم بهذا الأمر من قريب أو بعيد . ومن يحسنُ النيّةَ منهم ينتظرُ أن تنضج هذه المصطلحات ويكتمل عند غيره ، وينذهل حين نذكّره بأنّ أكثرها قد

اكتمل في قرارات المجامع اللغوية ومكاتب التعريب ، ولا تنتظر منه سوى مباشرته باستعمالها [٥] ، وهذا ما أردنا أن ننبه عليه في هذا الكتاب .

وكان مما جاء في تصدير الدكتور أحمد مطلوب لكتابي هذا قوله : (اهتم المعاصرون بالمصطلحات ، ونبه اللغويون والمختصون بوضعها ، وكانت المجامع العربية أكثر عناية بها ؛ لأن من أولى مهامها وضع المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية ، وقد وُفّقت فيما سعت إليه ومنها المجمع العلمي العراقي الذي أصدر ثلاثة عشر مجلداً باسم : (مصطلحات علمية) ، فضلاً عن الكراسات الخاصة ببعض من العلوم . وفي العراق منطلق تأسيس العلم اللغوي العربي « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » الأحزاب ٢٣ ، ومنهم الأستاذ الدكتور مهدي صالح سلطان الذي عز عليه أن يُهمل هذا العلم ، فعكف عليه بجمع مادته ، ويصنفها ، ويتابع ما قيل في المصطلحات ، ويتأمله ، حتى استوى على عوده ، في كتاب سماه : (في المصطلح ولغة العلم) ، تعرض فيه لأهم القضايا المتصلة بالمصطلح وهي : ١. اللغة والعلم ، ٢ . المصطلح ، ٣ . التعريب .

جاءت هذه القضايا مترابطة يشدّ بعضها أزر بعض ، فصلة اللغة بالعلم، وانبثاق المصطلح منهما ، فبحث في التعريب الذي هو ثمرة اللغة ، ووضع المصطلحات ، والمجمع العلمي ـ وهو المرجع الوحيد لوضع المصطلحات ـ كما نصت عليه المادة التاسعة من (قانون الحفاظ على

---

[٥] في المصطلح ولغة العلم ، الدكتور مهدي صالح سلطان ، ط ٢ ، وزارة التعليم العالي ، الدار الجامعة للطباعة والنشر ، ٨ .

سلامة اللغة العربية) يسعده أن ينشط المؤمنون بلغة القرآن الكريم ، ويؤلفوا فيما يتصل بـ (علم المصطلح) ويضعوا المعالم في الطريق ، ومنهم الدكتور مهدي ـ استاذ علم اللغة ـ في كلية الآداب بجامعة بغداد ، الذي يطبع المجمع ثمرة جهده ، لما فيه من علم غزير ، ولما له صلة بنشاط المجمع ومهامه ، التي نصّ عليها قانونه ، كما نصت عليها قوانين المجامع العربية)[1] .

هذا وقد ذكرت في مقدمة الطبعة الثانية : (كانت غايتي الأولى التفكير في تصدير [هذا الكتاب] والتنبيه على أهميّة اللغة الرسميّة في بناء مشروع الأمّة الواحدة ، وتأكيد هويتها ، ووجودها ، ومستقبلها ، بحسب ما ينص دستورها . وضرورة جعل التعلم بلغة مجتمعها ، وإلى وعي التلازم بين ما هو لغوي ، وما هو حضاري ، إذ لا سبيل إلى النهوض إلاّ بالعلم وآلة تداول العلم اللغة ؛ فكيف يتطوّر المجتمع وعلماؤه يستعملون لغات غير لغته ؟!

هذا هو السؤال الكبير الذي ينتظر أن يجاب عنه ؟

لكنْ هل ننتظر الجواب من الذين لا يلتفتون إلى خطر استعمال الأجنبيّة وحدها ؟!

ومن الذين لا يدركون ضرر هجر لغتهم الوطنية ؟!

ومن الذين لا يفكّرون في تعريب علمهم ؟!

---

[1] في المصطلح ولغة العلم ، الدكتور مهدي صالح سلطان ، ط ١ ، مطبعة المجمع ، ٢٠١٢ ، ٣ .

ومن الذين ينتظرون معجزة تجعل علمهم بلغتهم ؟!

ومن الذين لا يبذلون جهدا في التفتيش عمّا يخص علمهم بلغتهم ؟!

ومن الذين لا يخططون لجعل علمهم بلغتهم الوطنيّة إلى جانب اللغة الأجنبيّة ؟!

وفي المقابل نأمل من الوطنيين المختصين في جامعاتنا وكلياتنا ان يفكروا في التخطيط من مستوى أدنى، وان لا ينتظروا التخطيط المركزي للدولة التي تواجه تحديات داخلية وخارجية كبرى، ولم تعد تفكر بمثل ما نفكر)[1] .

رابعا : المشاركة في نشاطات المجمع العلمي العراقي

١- كانت مشاركتي الأولى في نشاطات المجمع، ببحث بعنوان : **(تعليم اللغة العربيّة في الكليّات التي تدرس باللغة الأجنبيّة)** . في ندوة المجمع التي كانت تحت عنوان : (اللغة العربيّة - واقعها ووسائل تدريسها) ، التي عقدت في رحاب المجمع ، بين (٢٣ و ٢٤ تشرين أول ٢٠٠٢) ، من ضمن تسعة عشر بحثا نشرت في مجلة المجمع .وكانت خلاصة بحثي : هي الدعوة إلى تغيير مفردات اللغة العربيّة العامّة - التي أقرّ تدريسها - من التي لا صلة لها بالتخصصات العلميّة ، والتفكير في وضع مفرداتٍ لغويّة تناسبها ، ومن أجواء هذه العلوم ، ولها علاقةٌ مباشرةٌ

---

[1] في المصطلح ولغة العلم ، الدكتور مهدي صالح سلطان ، ط ٢ ، وزارة التعليم العالي ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، [illegible] .

بها ، ومن مضامينها ونصوصها الصالحة للتطبيق اللغوي ، واختيار الأستاذ القدير لتدريسها ، وليدرس الطلبة لغة علمية تطبيقية تتصل بعلمهم ، وليست غريبة عمّا يتداولون [٨] .

ووجدت أن إشراك أهل التخصصات العلمية في اختيار ما يناسب حاجتهم من مفردات ونصوص وموضوعات ، سيوطّن هذا الدرس ويظهر أهميته العملية المباشرة . ولاسيما اختيار النصوص العلمية ، التي تدرّس في هذه الأقسام لأجل ترصينها لغويًا ، والتطبيق اللغوي على موادّها ؛ لتتحقق الفوائد المرجوّة من العربيّة العامة ، ولتنسجم مع مواد هذه العلوم . وليس هذا ميسورًا ولا سهلاً ، لكنه المطلوب الذي لا بُدّ أن يبدأ به ، ويُسعى إليه ، فالحاجةُ إلى كثرة التطبيقات منه أكيدة ، وهي التي ينبغي أن تتحقق ، إن لم يكن عاجلا فآجلا .

ومن ذلك تمييز لغة العلم المحض وقضاياه العملية ، بالدقة المطلوبة والوضوح الجليّ ، وأوّل ما يجب أن يستقرّ في ذهن المتخصّص اللغويّ الذي يتصدّى لتدريس هذه المادّة ، وكذلك في أذهان المتعلمين والمتخصّصين ؛ لأنّ أكثر ما تعلّمه الطالب في مراحل التعليم العام من لغته العربية اتجه اتجاهًا أدبيًا وفنيًا ؛ فإن ترك توضيحُ هذا الواقع ، وهذا التوجّهُ نظريًا وعمليًا ، فسيؤدّي إلى انصراف ذهن المتعلم المتخصص إلى التسليم بأنّ اللغةَ العلميةَ هي اللغةُ الأجنبية لا اللغةُ العربية ، التي رسخت عنده وجهتها

---

[٨] لغة الضاد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، الجزء السابع ، القسم الثاني ، ٢٠٠٣ ، ٣٠ .

الأدبية والجمالية الإبداعية . والتشكيك في قدرة هذه اللغة على تداول العلوم . وهذا ما قاد إلى انحياز أغلب أساتذة الطب والهندسة والعلوم إلى استعمال اللغة الأجنبية ، لا العربية . فصارت لغتهم العلمية غير لغتهم الوطنية . وقد سرّب هؤلاء الأساتذة إلى تلامذتهم هذا الذي نراه وهماً . يتحمل جزءاً منه أساتذة العربية أنفسهم لعدم أهليّتهم لتدريس ما يناسب التخصصات الأخرى ، وطبيعة مادة العربية المقرّرة منهجياً ، فضلاً عن أساليب التدريس غير المناسبة .

٢ . المشاركة في مناقشة قانون المجمع العلمي العراقي الجديد مع أعضاء لجنة التعلم العالي في مجلس النواب (٢٠١٣) . الذي صدر . فيما بعد . في عام (٢٠١٥) وهو القانون رقم (٢٢) ، بتكليف من السيد رئيس المجمع الأستاذ الدكتور احمد مطلوب ، وكان معي في هذا التكليف المسؤول الإداري للمجمع . وقد عرضنا في هذا اللقاء أهميّة تفعيل نشاطات لجان المجمع المتوقفة في حينها ، وأثر التعطيل في تنفيذ القانون النافذ ، الذي يُعنى بمتابعة الوزارات والمؤسسات التعليميّة ، والدوائر والمصالح والشركات العامّة لغويّاً .

والسعي في جعل لغة القران . هويّة هذه الأمّة وافية بأغراضها الوطنيّة والحضاريّة ، وإدراك مزيّات هذه اللغة الكريمة ، وأهميّتها في حاضر المجتمع ومستقبله ، بتنبيه مؤسسات النشر والإعلام على ضرورة رفع مستوى استعمال هذه اللغة .

يقول الدكتور أحمد مطلوب في هذا الصدد : (اللغةُ من أهمّ مقوّمات الأمّة ، فهي هُويّتها ، ومعلَمُ سبيلها في الحياة الحرّة الكريمة ، وقد اهتمّت

٣ . تمثيل المجمع في لجنة تنفيذ قانون اللغات العراقية ذي الرقم (٧) لسنة (٢٠١٤) ، الصادر عن مجلس النواب ، بتكليف من الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب رئيس المجمع ومعي الدكتورة لمى فائق ، بكتاب المجمع ذي العدد (٧٤) في (١٥ / ٣ / ٢٠١٦) ، وقد نصّ هذا القانون في مادّته (١٣) على أنّ المجمع العلمي العراقيّ والأكاديميّة الكرديّة هما المرجعيّة المعتمدة ، واللغات المقصودة بهذا القانون هي العربيّة والكرديّة والتركمانيّة والأرمنيّة والكلدانيّة والسريانيّة والمندائيّة ... إلخ ، واستمرّت الاجتماعات الشهريّة لأعضاء هذه اللجنة الذين يمثّلون هذه اللغات نحو عام ، في الأمانة العامّة لمجلس الوزراء / دائرة شؤون اللجان / لجنة الأمر الديواني رقم (٥٠) لسنة (٢٠١٤) .

وكنّا قد أكّدنا في هذه الاجتماعات ضرورة تفعيل دور المجمع العلمي العراقي بتطبيق بنود قانونه ذي الرقم (٢٢) لسنة (٢٠١٥) ، واستكمال تأليف هيئاته ، وتشجيع تعليم اللغات العراقيّة المذكورة إلى جانب اللغة الرسميّة التي يتوحّد بها المجتمع ، وتشجيع النشر الثنائيّ اللغة ، ولاسيما ما يتّصل بالمناسبات الدينيّة والوطنيّة والاجتماعيّة وغيرها ، وإشاعة احترام جميع اللغات وبجميع الوسائل المتاحة ، وتأكيد قيم المجتمع وتسامحه وإنسانيّته ، والتعريف بهذه اللغات ومكانتها وتراثها وصلتها باللغة العربيّة ، والأسرة التي تنتمي إليها ، والذين يتحدّثون بها ، وتشجيع الدرس المقارن أو المقابل بينها .

الخاتمة :

يقال : الولدُ ثمرةُ القلب ، وثمرةُ قلبه : أي مودّته[10] . وفي حديث المبايعة : (فأعطاه صفقةَ يده ، وثمرةَ قلبه ...)[11] ، و (ثمرة قلبه) استعارة لأنّ المراد بها النصيحة إذا أخلصتها[12] . فشبّه عليه (وعلى آله الصلاة والسلام) ذلك بالثمرة لأنها لبّ كل شيء ؛ وأضافه إلى القلب ، فجعلها ثمرًا له من دون سائر الأعضاء ، لأنّ القلب سيّدُ الأعضاء ، فحَسُنت حينئذ إضافة الولد إلى القلب خصوصًا[13] ؛ قال تعالى : (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ـ الرعد ٣٧) ، فالثمرات ثمرات القلوب ، والمُراد حبّبْهم إلى الناس ، ليأتوا إليهم .

وكان من ثمرات صحبتي لهذين الأبوين الفاضلين ، بعضًا ممّا عرضتُه في هذا البحث ، فلهما فضلٌ وفضيلةٌ ، زادوا بها على غيرهما ممن عهدناه من مثليهما ، زادهمُ الله من فضله ، الذي قال : (ويُؤْتِ كُلَّ ذي فَضْلٍ فَضْلَهُ . هود ٢) ، فكانت هذه الصّحبةُ هي الصحبة التي سأظلُّ أذكرها وأفخر بها ، وقد قيل : من ثمرات الذّكر محبّةُ المذكور ، لأنّ من أحبّ

---

[10] تاج العروس ، للزبيدي ، تح. إبراهيم الترزي ، الكويت ، د . ت ، ١٠ / ٣٣١ ـ ٣٣٤ .

[11] المجازات النبويّة ، الشريف الرضي ، تحقيق الدكتور طه محمد الزيني ، قم ، د . ت ، ٢٥٨ .

[12] لسان العرب ، لابن منظور ، دار المعارف ، د . ت ، ٦ / ٣٧٨٤ .

[13] فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المناوي ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ٣ / ٧٦٢ .

محبوباً ورث محبته وسلك مسلكه ، وتابع رسمه ؛ وفي الحديث : (الذكر نعمةٌ من الله ، فأدّوا شكرها)[64] ، باللسان والأركان والجنان ، وذكرُ القلب المعرفةُ والعلمُ واليقينُ[65] ؛ وفي هذا المفاد أذكر قول ابن المعتز :

وغرس من الأحباب غيّبْتُ في الثرى　　فأسْقَتْهُ أجفاني بسيح وقاطر

فأثمـــر همّـــاً لا يبيـــدُ وحســـرةً　　لقلبي تجنيه يدُ الخواطر[66]

جعلنـا الله مـن الـذين يشكرون ويوفـون ويُخلصـون ، وأحسـن الله إلـى العالمين الفاضلين الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب والأستاذة الدكتورة خديجة الحديثي ، وجازاهما بما أحسنا إحساناً ... وإنّا لله وإنّا له راجعون ، والحمدُ لله ربِّ العالمين .

---

[64] المجازات النبوية ١٥٨

[65] المصدر نفسه ١٥٨.

[66] تاج العروس ، الزبيدي ١٠/ ٣٣٥ .

المصادر والمراجع :

تاج العروس ، الزبيدي ، تح ابراهيم الترزي ، الكويت ، د . ت .

تيسير النحو ، الدكتورة خديجة الحديثي ، بغداد ، ٢٠٠٧ ، ط٤.

فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المناوي ، بيروت ، ١٩٩٤ .

في المصطلح ولغة العلم ، الدكتور مهدي صالح سلطان ، ط ١ ، مطبعة المجمع ، ٢٠١٢.

والطبعة الثانية في الدار الجامعية مطبعة وزارة التعليم العالي للطباعة والنشر ، ٢٠١٨.

لسان العرب ، ابن منظور ، دار المعارف ، د . ت .

لغة الضاد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، الجزء السابع ، القسم الثاني ، ٢٠٠٣.

المجازات النبوية ، الشريف الرضي ، تحقيق الدكتور طه محمد الزيني ، قم ، د . ت .

الهيئة العليا للعناية باللغة العربية ، الدكتور أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ٢٠٠٩ .

أحمد مطلوب شاعرا

الأستاذ الدكتور سعيد عدنان المحنه
جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية

نشأ أحمد مطلوب على حبّ العربيّة ؛ فتزوّد من عيونها : من شعرها ونثرها ، ووقف في نشأته الأولى على القرآن الكريم ، وحفظ من سوره وآياته ما كان زادا له في صناعة العربية ، وفي هدي الحياة . ثمّ كان له أن يدرس العربيّة في كليّة الآداب بجامعة بغداد في مطلع الخمسينيّات على أساتيذ العربيّة يومئذ ؛ محمّد مهدي البصير ، ومصطفى جواد ، وجميل سعيد ، وعبد الرزاق محيي الدين ، وعلي جواد الطاهر ؛ ويأخذ عنهم علما أصيلا متماسكا بالنحو والبلاغة والأدب ؛ فينشأ لديه مفهوم للشعر مستمدّ من تراث الشعر العربيّ ، وغير منقطع عن العصر .

وكان ، مع ذلك ، على موهبة ترشده وتسدد خطاه ، وتقرّب منه قديم الشعر وحديثه ، وتيسّر له قوله . وكان طماحه يسعى به نحو مزيد من العلم ، مع مزاولة الشأن العام بروح قوميّ وطنيّ يتّخذ من الإسلام هاديا ؛ حتّى تكامل بناؤه . وهو لما يزل في كليّة الآداب ؛ على نهج يجمع بين علم العربيّة ، وقرض الشعر ، وممارسة قضايا الأمّة والوطن . وقد حرص عليها كلّها، ورأى فيها تحقيق كيانه ، وشرع يفرغ عليها وقته وجهده .

ثمّ كُتب له أن يتوجّه للدراسة في مصر ؛ فينال الماجستير ، والدكتوراه ، ويزداد علما ومعرفة . ويملأ يده من العربيّة وعلمها ، ويمدّ

علاقات وثيقة مع رجال العلم في مصر . وكانت مصر يومئذ موئل الفكر العربيّ ، والمنطلَق القومي ؛ تنظر إليها العرب من كل أقطارهم نظرة إكبار ومحبّة .

وفي غمار ذلك كلّه استقر لديه مفهوم واضح للشعر ؛ يقوم على أنّ للشعر رسالة في الحياة ينبغي أن يؤديها ؛ مدارها الحقّ والخير والجمال ، ومستقرّها قضايا الأمّة والوطن . ثم الإعراب عن خلجات النفس في رفيع عواطفها . ذلك من حيث المحتوى ؛ أمّا من حيث الشكل فالشعر عنده جارٍ على بنائه العربيّ الرصين في فصاحة الكلمة ، وبلاغة الجملة ، ووضوح المقصد ، مع حسن انسجام مع العصر . ولا ينقض المفهوم عنده ؛ أن يجيء جانب من شعره على نمط الشعر الحر .

وهو عند نفسه ، من حيث الشعر ، مثلما يقول في مقدمة ديوانه "رفيف المنى" : "لست بالشاعر المحترف الذي يغنّي للسلاطين." (رفيف المنى : ٣) ومؤدّى ذلك أنّ الشعر يقوم عنده على الصدق ، وليس فيه شيء ممّا يضطرّ إليه الشاعر المحترف من ممالأة سلطان ، أو مجاراة حاكم ، أو الوقوف على باب ذي أمر . ويشهد شعره كلّه على صدق قوله ؛ إذ لم يجعل منه وسيلة لمنفعة ، أو باب رزق . ويزيد موضّحا ما بينه وبين الشعر فيقول في الموضع نفسه : "شاء الله – سبحانه وتعالى – أن يهبني روحا تميل إلى النغم العذب ، ويزرع في قلبي الإيمان وحبّ الإنسان ، فانطلقت منذ عهد الإهاب في التعبير عن مشاعري الوجدانية ، ومواقفي الوطنيّة والإنسانيّة ".

وسعى في صدر حياته أن تلقى الصحف بشعره ؛ يرسله إليها فتنشر بعضه ، وتمسك عن بعضه الآخر (سطر في رحاب القلم ٤ : ١٢١) ثم اتصل ما بينه وبين الصحافة الأدبيـة في العراق ، وفي غيره من البلاد العربية ، ينشر فيها القصيدة ، والمقالة ، والرأي .

وإذا كان قد نشر كتبه القائمة على الدرس والتأليف ؛ كتابا تلو كتاب فإنه قد أرجأ نشر دواوين شعره إلى آخر سنوات عمره ؛ فنشر ثلاثة دواوين ممّا كان قد اجتمع لديه هي : رفيف المعنى ، وفي لُجّ البحر ، ولولا حبّك . ولعلّه كان يريد أن ينشر المزيد من شعره . لكن الأجل المحتوم أتى دون ذلك . على أنّه في ديوان (في لجّ البحر) سلك مسلك الحوار في بناء قصائده ، وجعلها قريبة ، بنحو ما ، من الشعر المسرحي ، وأضاف إليها قصيدة طويلة ذات طابع قصصي سمّاها (... ستون) استعاد فيها أقوى معالم حياته .

وشعره في هذه الدواوين الثلاثة المنشورة يدور في أربعة مدارات ؛ مدار قضايا الأمّة ، ومدار العراق ، ومدار الشأن الاجتماعي ، ومدار الوجدان . وكلّ هذه المدارات ينتظمها صدق المشاعر ، وثبات الموقف .

١ . • قضايا الأمّة :

شُغل الشاعر ، منذ مطلع حياته ، بقضايا أمته العربيّة ؛ إذ كانت قوى الاستعمار الغربيّ تضرب أطنابها على البلاد ، وتمدّ أعوانها بما يقوّيهم ويُعلي شأنهم ؛ وكانت الأمّة تفرغ وسعها في المكافحة والمواجهة . فلمّا قامت ثورة مصر في سنة ١٩٥٢ ؛ وجدت فيها الأمّةُ أملا ، ورأت في قائدها

زعيماً عربياً عقدت عليه الآمال، وعدت صوته صوتها؛ حتى إذا كان تأميم قناة السويس في سنة ١٩٥٦، وما تبعه من عدوان على مصر خرجت الطلائع العربية، في العراق وفي غيره، متظاهرة مستنكرة العدوان داعية الحكومات إلى أن تساند مصر. لكنّ الحكومات كانت على موقف آخر؛ تنظر إلى الغرب بعين الحسنى، وكان الشاعر أحمد مطلوب ممن شارك في مظاهرات بغداد، وكان له صوت واضح في استنكار العدوان، والدعوة إلى مساندة مصر؛ فألقي القبض عليه، وأودع المعتقل مع من أودع فيه من المتظاهرين، ولبث فيه أشهرا. فلما أفرج عنه أنشأ في شباط ١٩٥٧ قصيدة بعنوان: يا ربّ، يبث فيها شكاته، ويفصح عمّا لقي من أذى:

يا ربّ ما ابتسمت دنياي عن أمل ... يوما ولا رجّعت أنغام أوتاري

هلّا أرى في ضمير الغيب بارقة ... تحيي المنى وتعيد الروح للساري

(رفيف المنى: ٦٣)

والقصيدة بعنوانها وأبياتها، وبالموقف الذي وراءها تنبئ عن نزوع ديني يتوجه إلى الله مثلما تنبئ عن نزوع عروبي تشغله قضايا الأمة. وكلا النزوعين أصيل في نفسه متمكّن منها، وهما عنده عنوان واحد لا يصح أن ينشطر! وقد سار في حياته كلها بهويّة العربيّ المسلم حريصا على العروبة والإسلام معا.

وكلّ شأن من شؤون العرب، أينما وقع، فإنّما هو شأنه؛ وكلّ أمر من أمورهم فإنّما هو أمره؛ يفسح له في فكره، ويعبّر عنه في شعره. وكانت الجزائر قد أعلنت ثورتها على الاستعمار الفرنسيّ، وعقدت عزمها

على دحره ؛ وكان العرب معها صوتا واحداً ، فكتب لها قصيدة بعنوان :
" نشيد الجزائر " يحيي الشعب والارض والثورة :

أيّها الشعب الذي هز الجبالا

لم يعد نصرك حلما وخيالا

صوتك الحر تسامى وتعالى

يملأ الدنيا كفاحا ونضالا

أنشأ القصيدة في سنة ١٩٥٨ يوم كانت ثورة الجزائر في ذروة تأججها ، وكان عسف المستعمر على أشدّه ، وكان قادة الثورة قد أعلنوا قيام (الجمهوريّة الجزائريّة الحرّة) ، وكانت الكلمة الصادقة الجريئة تنير الدرب ، وتشدّ العزم .

أيّها الشعب الذي دكّ الحصونا

ومشى بزحف فوق المعتدينا

قد عهدناك أبيّا لا تلينا

مشرقا كالنور ، وضاء تلالا

(رفيف المنى : ٣٧)

وقد نُشرت القصيدة في أكثر من مكان ، ولقيت ترحابا ممّن كتب عن الثورة الجزائريّة في الشعر العراقي ، وحفظها سجل الثورة ، وحفظ لصاحبها موقفه .

وإذ يكتب عن الثورة الجزائرية في الشمال الأفريقي من بلاد العرب ؛ فإنه لا ينسى محنة العرب في فلسطين ، وتتابع النكبات عليها ، وتشريد أهلها . فقد أنشأ قصيدة في ذكرى النبيّ الكريم في سنة ١٩٦٨ ، وقد وافقت الذكرى المشرقة ذكرى العدوان الإسرائيلي على البلاد العربيّة في حزيران من سنة ١٩٦٧ ؛ فالتقى نور بظلام ، وأمل بخيبة ، وأمس قوي مشرق بحاضر واهن كاب ؛ لكنّه لا ينى يجد من صاحب الذكرى عونا ومددا ؛ يقول :

من أين فجرك يا سماء ينور ... وبأي أرض من سنائك يزهر

وبأيّ بارقة يُطلّ وأمّتي ... صرعى تئنّ ، وخطوها يتعثّر

عشرون عاما والضياع بنفيها ... وحقوق قومي بالمحافل تهدر

... عفوا رسول الله إن عصر الأسى ... قلبي ، وظلّ نجيعه يتقطّر

وبثثتُ شكوى مُرّة فلأنني ... ألفيتُ قومي بالضلال تستّروا

... عفوا رسول الله قد برح الخفا ... وأتيتُ بابك ضارعا أتصبّر

وشرقتُ بالدمع العصيّ وهزّني ... شوق إليك أواره يتسعّر

وذكرتُ يومك وهو أزهى مولد ... طلعت به الدنيا تتيه وتفخر

قوميّتي من نفح مكّة تجتلى ... وعقيدتي الإسلام لا ما صوّروا

هو عُدّتي يوم النزال،ومن به ... لا يستظلّ ، ومن به لا ينصر ؟

سأظلّ أهتف بالمعاد إلى ربى ... يافا ، وخلفي أمة لا تقهر

وأظنّ أرنو للشعوب يقودهـا ... ألــق السماء ، وفجـرها المنشـور

(رفيف المنى : ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥)

وليس بخاف أنّ مدار القصيدة التي أنشئت بذكرى المولد المشرّف ؛ حالُ العرب ، وقد استبيحت أرضهم وأنشئ كيان على طرف منها في سنة ١٩٤٨ ، ثمّ عاد هذا الكيان في سنة ١٩٦٧ فاحتلّ جانباً آخر من أرضهم ، وأخذ يسوم أهلها ضروب الأذى ، وهم ، بأنظمتهم الحاكمة كالمغلولة يده لا يستطيع دفعاً عن نفسه !

نظر الشاعر في ذلك كلّه فامتلأ قلبه أسى ، وادلّهم الأفق في عينيه ؛ لكنه يستجير بصاحب الذكرى الذي أحيى أمّة ، وأقام دولة ، ونشر ديناً ، وشرع هدياً . ويرى أن نهضة الأمّة من كبوتها ؛ إنّما تكون باقتفاء نهج صاحب الذكرى .

والقصيدة من بعد قائمة على العروبة والإسلام معاً ؛ إذ رؤية الشاعر أنّهما نسيج واحد لا انفصال لعنصريه !

وكلّما وقع أذى على بلد من بلدان العرب ؛ كان له صدى في قلب الشاعر ، وفي عقله ؛ فيندفع إلى قلمه وورقه يعرب عن رأي واضح ، وموقف ثابت . فقد وقع اعتداء على لبنان في شباط ١٩٧٢ ؛ فطفق الشاعر يقول من قصيدة بعنوان : من أجل لبنان :

قد عبر التتار من هنا

عاصفة هوجاء

تذرو الحضارات وما جاد به الآباء

دماؤهم زرق ، وفي عيونهم نداء

للموت للفناء

فكان ما كان من الخراب

وعاد (هولاكو) وفي عيونه دهاء

وعنده أن العدوان الجديد هو صورة من عدوان قديم بشع غزا الأرض العربيّة فعاث فيها فسادا ، وأن هؤلاء المعتدين الجدد هم كالتتار القديم الذين خرّب بهم هولاكو مدن العرب وأزاح سلطتهم . وقد دأب الشاعر على أن يرى صورة الماضي في الحاضر ، وأن يقرأ في الحاضر حروف الماضي ؛ فالتاريخ عنده سيل متّصل يتولد لاحقه من سابقه ، وأن عوامل النهضة ، ودواعي الكبوة ؛ واحدة في الماضي والحاضر ! وعلى الأمّة أن تأخذ بأسباب القوّة لكي ترد العدوان ، وتمنع الأرض من أن تستباح :

من أجل لبنان وما ينبض في الدماء

سنحمل السلاح

ونرغم العدى

تلك فلسطين ومن معاقل الإباء

ينطلق الشعب ، فيا سماء

طلّي في نجومك الوضاء

ألف سنا يشعّ في الصباح

ويبعث الحياة والأمل

وعلى الرغم من التشتت ، والوهن ، وتسعّر الأطماع ؛ فإنّ الشاعر لا يفقد الأمل لأنّه عامر القلب بالإيمان ؛ يؤمن بربّه ، ويؤمن بدينه ، ويؤمن بعروبته ؛ فيرى السنا المشعّ ، والنجوم الوضاء !

ويختم القصيدة ممتلئا ثقة وقوّة :

سنحمل السلاح

ونطرد العدى

لتورق الصفاف

والسهل والجبل

(رفيف المنى : ٦٧ - ٧٠)

ويطّرد موقفه من أمّته ، وإذ تُعيد السنون ذكرى حزيران ، والحال على أشدّها من الضعف ، وضياع الكلمة ؛ يقول من قصيدة بعنوان : حزيران الحزين :

الليل لفّ رداءه فانشر على الدنيا رداءك

ستٌ على البلوى وليس هناك من يحدو حداءك

أنت الغريب وتيه موسى أربعين هنا إزاءك

لا الريح تعصف بالخيام ، ولاالسموم تعي نداءك

فازحف كما شاء النضال ، فإنّه يُعلي لواءك

ما عاش من ترك الإقتال فصن به أبدا سماءك

(رفيف المنى : ٨٣)

ولا سبيل لاستعادة الأرض ، ومحو العدوان وآثره : إلا بالكفاح الصادق ، أمّا الصمت ، والموادعة ، والتغافل ؛ فليس وراءها إلّا مزيد من الضياع والخذلان . لقد ترددت هذه المعاني في شعره ، وهي معان كانت تتردد على أقلام الكتّاب والشعراء ، وعلى ألسنة الخطباء . ولم يكن حتّى أوائل السبعينيّات من يجهر بخلاف ذلك ، ثمّ أخذت الحال تتبدّل شيئا فشيئا ، ونشأت أصوات متفرّقة تهمس بشيء آخر ، ثمّ فارقت هذه الأصوات الهمس ، وقاربت الجهر وقد زاد عددها حتّى استعلن أمرها وصار ما تتحدّث به دعوة لها أنصارها . ومفاد تلك الدعوة : أنّ ثمّة سبيلا غير القتال نسترجع به الأرض ، ونسترد به الحقوق ، وأنّ الموادعة أولى من المكافحة ! غير أنّ الشاعر أحمد مطلوب بقي على نهجه لا يُقرّ صلحا مع عدوّ غاصب . ولا يرى فيه إن وقع إلّا مزيدا من الخذلان ! وحين تنأى الحوادث بالقاهرة في أخريات السبعينيّات عن مجرى المواجهة ، وتميل بها نحو الموادعة يكتب في سنة ١٩٧٩ قصيدة بعنوان : لن أنساك يا قاهرة ! يقول فيها :

أأنساك في الليلة الكافره ... وحبّك في القلب يا قاهره

أأنساك في عاصف من لظى ... وكنت لي النجمة الزاهره

... فنحن وإن فرّقتنا العداة ... لأقرب من لمحة الباصره

ونحن بما بيننا من دم ... لأقوى من الفتنة الغادرة

والليلة الكافرة هي التي أسفرت عن صبح جنح بمصر عن مجرى المواجهة ، وسار بها في ركب المهادنة ؛ لكنّ الشاعر يفصل بين الطارئ والأصيل ، ويدرك الفرق بين الزائل والثابت ؛ ذلك أنّ الدم أقوى من الفتنة

العادرة ، وأنّ مصر بتاريخها وبنبض العروبة الكامن فيها باقية على عهدها :

ومصر تظلّ على عهدها ... لظى يوقظ الهمم الخائره

وتبقى العروبة في أرضها... عيونا لوحدتنا ساهره

(رفيف المنى : ١١٩ - ١٢١)

وتظلّ قضايا الأمّة تنبض في دمه ، وتمدّ شعره بنسغ متجدد ، وكلُّ قضية من قضاياها ؛ فإنّما هي قضيّته ؛ لا يتكلّف القول فيها ، ولا يصطنع الشعور بها ؛ فلا غرو أن يجيء التعبير عنها حبّا متدفقا يجمع بين المتانة والسلاسة .

٢ - العراق :

أحبّ الشاعر بلده العراق . وأحبّ مدنه كلها ، لا سيما تكريت مدينته التي ولد فيها ونشأ ، وبغداد قاعدة العراق التي درس فيها ، وعمل ، وأمضى عمره فيها حتّى بلغه الأجلُ المحتوم على ثراها . أحبّ الشاعر بلده ؛ أرضا وناسا ، وظلّ ، كلّما فارقه لأمر ما حنّ إليه وعبّر عن حنينه بالكلم المنظوم . يقول في قصيدة عنوانها : بغداد كتبها في سنة ١٩٥٧ يوم كان مدرسا في كركوك :

أبغداد يا خفقات القلو ... ب ويا بسمة الأمل المنتظر

ويا حلما رفّ كالأقحوا ... ن غريب المعاني غريب الصور

ويا نغمة وقّعتها الليالي... على مسمع الدهر حتّى سكر

ويا جنّة طيبها لم يزل ... يـعطّـر سـحر الحياة العطـر

يجمع فيها بين تاريخ بغداد وحاضرها ؛ مستذكرا ، مشيدا ، واقفا على معان حيّة باقية من مجدها القديم ما تزال تتردّد أصداؤها ، ويعبق شذاها . ثمّ يصل إلى ذكرياته فيها حين أتاها من تكريت طالبا يدرس في كليّة الآداب فوجد فيها غذاء العقل والقلب :

أبغـداد جئتك هـل تذكـرين ... فتى طوّحتـه أكـف القـدر

هنا في الرصافة حيث المها ... وفي الكرخ حيث الهوى والذكر

سأنشد قلبـي قُبيـل الرحيـل ... وأرنـو لطيف دعاني ، وفـرّ

(رفيف المنى : ٣٠ ، ٣١)

لقد مزج بين المدينة ونفسه ، ورأى فيها صورة أحلامه وآماله . وهو في كلّ قصيدة يتناول فيها شأنا عراقيّا ؛ فإنّما يمزج الشأن العام بنفسه ، ويخرجه وعليه فيض منه . وهو لا يتحدّث عن العراق في شعره حديث المؤرّخ ، أو حديث صاحب السياسة ؛ وإنّما يتحدّث عنه حديث المحبّ العاشق !

وحين تقوم الجمهوريّة ، وينطوي العهد الملكيّ ؛ يتهلل الشاعر فرحا ، ويكتب في يوم ٢٠ / ٧ / ١٩٥٨ ، أي بعد قيام الثورة بستة أيّام ، نشيد الثورة :

اشرقي بغداد في ثورتنا ... وتباهي فلقد نلت المنى

وتغنّـــي تطـرب الـدنيـــا هنـــــا

أيّ فجر شعّ في الدنيا كفاحا ونضالا

أيّ فجـر مـلأ الآفـاق نورا وجـلالا

والنشيد كلّه يقوم على فرح غامر بالثورة ، وقيام الجمهوريّة ، وذهاب العهد الملكيّ ! والشاعر في هذا المقام يلتقي مع جمهور الشعب الذي كان يتوق للخلاص من النظام الملكيّ على أمل أن ينال مبتغاه في العيش الكريم !

ويخاطب تمّوز محتفلا به :

أنت يا تمّـوز نوّرت ربانا والسـهولا

وسحقت البغي والطغيان والظلم الوبيلا

وبعثت العزّة القعساء ، والمجد الأثيلا

ولتدم عيدا لبـغداد على الدهر جميـلا

ولتخلد للمعالـي ، والإبا ، جيلا فجيلا

(رفيف المنى : ٣٣ ، ٣٤)

ولا شكّ في أنّ حبّ العراق وأهله هو الذي دعا الشاعر إلى أن يبتهج بقيام الثورة ، ويسارع في النظم فيها راجيا بها عهدا جديدا يُزاح فيه الظلم ، ويُقام في ظلّه العدل !

وحين يذهب إلى القاهرة ؛ يدرس فيها ، يكتب في سنة ١٩٦٠ متحنّنا إلى بغداد مشوقا إليها :

حلم الماضي وآمال غدي ... أنا لم أنس هواك السرمدي

كيف أنساه ، وقد فجّره ... في فؤادي سحر واديك الندي

كلّما طاف خيال عابر ... صحت:هذا أمل القلب الصدي

... كيف أنساك وقلبي لم يزل ... خافقا يغزل أحلام غدي

أنت في قلبي سناء عاطر ... ليس تمحوه الليالي ، ابدي

(رفيف المنى : ٤٣)

إذ بغداد عنده حلم الماضي وآمال الغد ؛ وبين الأمس والغد سبب موصول لا ينقطع ! ولا ينى الشاعر يجلو صورة بغداد في قلبه ، ويرسم أبعادها حبّا وشغفا بمعنى بُنيت حياة عليه .

وكلّما اغترب بدت له صورة العراق تشدّه إليها ، وتملأ عليه نفسه ؛ فقد صاح : أين العراق ؟ وهو في ألمانيا في سنة ١٩٧١ يطلب الاستشفاء من علّة ألمّت بساقيه :

أحنّ إلى دجلة في العراق ... وحولي نضير يناغي أثير

ومن استظلّ بها في الحياة ... وتحنو عليّ بقلب كبير

... فأين العراق وأين الرفاق ... ونجواهم في المساء الأخير

(رفيف المنى : ٦٣)

ولا نذهب بحنينه وشوقه ؛ أنّ أسرته معه ، وأنّه برعاية منها ؛ ذلك أنّ حياته لا تكتمل إلّا في بلده !

وكذا الحال عندما يكون في الكويت سنة ١٩٧١ ؛ يعمل في جامعتها ؛ فيستبدّ به الحنين إلى بغداد ؛ فيكتب : أنت يا بغداد حبّي :

يا هدى الحيران قد طال سرانا ... وانطوى الليل على سرّ هوانا

... أنا لولا أمل اللقيا وما... رفّ في الأفق لأدميت البنانا

... أنت يا بغداد ذيّاك الهوى . . ولكم هام بك القلب وعانى

فسلي الليل وقد طال اللقا ... هل صحا الفجرعلى نجوى لقانا

الفرات العذب يروي سرّه ... وشدا دجلة يرويه حنانا

ونخيل الشط في أحلامها ... خفقة رقّت بواديك جنانا

آه لو يرجع يستاف المنى ... ظامئا عذبه الشوق فهانا

(رفيف المنى : ٦٥ ، ٦٦)

وهو لا يريد بغداد وحدها ؛ وإنّما يريد بها العراق كلّه ؛ بنهريه وشطّه ، ومدنه وقراه ! وحنينه المؤرّق ؛ إنّما هو حنين للعراق كلّه . ولعلّه لم يُمض تلك السنوات في الكويت إلّا بداعٍ من دواعي الاضطرار !

وينشئ في سنة ١٩٧٢ ، وهو في الجوّ نفسه ، قصيدة بعنوان : بغداد :

بغداد يا أملي وحبّي ... يا جنّة رفّت بقلبي

دنياك تعبق بالطيو ... ب وعن منى الأشواق تنبي

(رفيف المنى : ٧١)

لكنّ بغداد تبدو بعيدة عنه ، وكأنّ حائلا يحول بينه وبينها ، ويلقي بظلّ ثقيل ؛ فيقول في الموضع نفسه :

عــام نولّي والطيـوف ... تغــازل الأشــواق قربي

فأصبح من حرق البعا ... د ، فلا تجيب ولا تلبّي

وهو ، مع ذلك ، ليس في مقام الإفصاح عمّا يحول ، ولكنّه في مقام الشوق واللوعة وحرق البعاد !

وكلّما امتدّت به الأيام ، وهو بعيد عن بلده ، زاد شعوره بالغربة وتقلّبها عليه ؛ فينظر في حاله ؛ ما كان منها ، وما استجدّ ؛ فيكتب غربة الوطن في تمّوز سنة ١٩٧٢ متأمّلا في ما هو فيه :

وحدي أنا

استرجع الساعات والندم

وأنظر الماضي وقد رنحني الوسن

وأرقب الحاضر والآتي

ومن ... ومن

ويصرخ الألم

أنت هنا في غربة الوطن

(رفيف المنى : ٧٣)

ولعلّ في عنوان القصيدة : " غربة الوطن " ما يفصح بنحو ما عن وجه آخر من الغربة قد لحق بالوطن نفسه ! أمّا الشاعر فقد طالت به الغربة سنوات ؛ يقلّبه الحنين ، وتساوره اللوعة !

ولا تنأى عنه في غربته هذه مدينته : تكريت ، ومثوى أبويه فيها ؛ فقد أصغى إلى رجعها ، وأخذ يكتب في سنة ١٩٧٤ قصيدة بعنوان : تكريت ، ممتلئا شوقا وتحنانا ؛ يقول في إهدائها : " إلى أبويَّ الثاويين في تكريت " :

ويح قلبي ممّا أكابد ويحي ... بعد عشر مازلت ألثم جرحي

الصبا راح والحنين التياع ... والليالي مجنونة ليس تضحي

... أيها الثاويان عذرا فما لي ... غير ذكرى على الزمان ونوح

وارتداد إلى براءة عهد ... من بعيد يطلّ إطلال روح

... إيه تكريت والحديث شجون ... أنت نجوى قلبي وأشواق بوحي

أنت نور أبصرت فيه طريقي... أنت ظلّ أمّا تقاصر دوحي

(رفيف المنى : ٨٨ ، ٨٩)

ومن كرامة المرء على نفسه ؛ حنينه إلى موطن النشأة ، ومدرج الصبا ، واستعادة عهد مضى . وقد حفل شعر أحمد مطلوب بألوان من ذلك الحنين إلى عهده الأول !

ثمّ يكتب وقد عاد إلى بلدته في سنة ١٩٧٦ قصيدة يجعل عنوانها : تكريت ؛ يقول في صدرها : " بقيت خمس سنوات أخشى دخول العراق ١٩٧١ – ١٩٧٦ " وبثر قول يلقي شيئا من الضوء على لاعج الغربة ، وألم

الحنين ، والخشية من تقطع الأسباب ؛ في ما نظم من شعر خلال تلك السنوات الخمس ؛ يقول :

عدت يا تكريت بعد طول غياب ... فأعيدي إليَ عهد شبابي

الصبا راح ، فالهوى جمرات ... في فؤادي والشوق ملء إهابي

بعد خمس أقبلت ينزف جرحي ... يا ملاذي هلّا رحمت اغترابي

(رفيف المنى : ١٠٢)

وتعدده مدينته إلى مستودع الذكرى ؛ فينسرع يقصّ ، مُجملا ، مجرى حياته موصولا بحوادث الوطن والأمّة أملا أن يكون الغد مشرقا !

وكلّ حادثة من حوادث الوطن ؛ له عندها وقفة ، ولها في شعره صدى ؛ يألم لما يسوء ، ويبتهج لما يسرّ . وهو في كلّ حالاته لا يداهن حاكما ، ولا تشغله الزلفى لديه ! وإذ ينظم في العراق ومجده ، وفي بغداد وعزّها ؛ فإنّه لا ينزلق إلى مديح صاحب أمر ، ولا يبجّل أحدا ؛ إنّما التبجيل للعراق بتاريخه وناسه ومدنه ! يقول من قصيدة بعنوان : بغداد نظمها في سنة ١٩٨٠ وألقاها في احتفال جامعة بغداد لاستقبال القرن الخامس عشر الهجري :

ظمئ الزمان فكنت أعذب مورد ... ودجا المكان فكنت أعظم فرقد

وتعثّر الزحف العظيم ،ولم يكن ... لولاك يوغل في الصعيد الأجرد

(رفيف المنى : ١٢٤)

وكأنّها تدور بفلك بغداد وتاريخها وما كان لها ، وتقف على الإسلام ؛ منبع قوّة الأمّة ، ونورها الذي اهتدت به ، وتحيي مقدم القرن الهجري الخامس عشر !

وحين تضطرب الحال ، ويُضرب على البلد حصار ، ويجوع الناس ؛ يكتب في سنة ١٩٩٥ قصيدة عنوانها : أنّات الزمن ، يقول فيها :

منذ خمس والأسى يعصرنا ... يا لشعب كثرت فيه المحن

من حصار واعتداء وضنى ... كلّها تورث في القلب الشجن

كيف لا نشكو هموما كلّما ... جاء عام زاد همّا وحزن

... يحلم الشعب وفي أحلامه ... صرخة الجوع وأنّات الزمن

(رفيف المنى : ٢٠٧)

ولا ريب في أنّها أبيات صوّرت ما وقع على أهل العراق من أذى وجور فأحسنت التصوير . ووقفت في تصويرها عند آلام الناس وأنّاتهم ، ولم تُدخل عليها ما ليس منها .

وهو لا يبارح الشعر الذي ينشغل بالوطن وآماله وآلامه ، ويصوّر تقلّب الأحوال عليه في ماضيه ، وحاضره ؛ ذلك أنّ قضية الوطن ليست شيئا طارئا عنده ، بل هي في صميم قلبه وعقله .

٣ – الشأن الاجتماعيّ :

وهو شأن متّصل عند الشاعر بما كان من شأن الأمة في تاريخها ومآلها ، وشأن الوطن في اختلاف الأحوال عليه . وكلّ هذه الشؤون إنّما هي

ألوان وخطوط في لوحة واحدة ؛ بعضها يضيء بعضاً . وكلّ نظر له في المجتمع وقضاياه ؛ صادرٌ عن رؤية إسلاميّة قرآنيّة ؛ إذ لا يرى صلاح الحال إلّا بهدي من الإسلام .

عالج الشأن الاجتماعيّ بأربع حواريات أراد بها أن تقترب من بناء المسرحيّة ، لكنّها اكتفت من البناء المسرحيّ بالحوار وحده ، وجعلها في ديوان عنوانه : ثبج البحر . وهو عنوان مفصح عن رؤية الشاعر ؛ ذلك أنّ ثبج البحر هو وسطه حيث تحتدم الموج ، وحيث يغرق من لا قارب له ! وقد دارت هذه الحواريات على أشخاص وجدوا أنفسهم في ثبج البحر ، عند متلاطم الموج ، وهم لا قارب عندهم ، ولا يحسنون العوم ، فغشيهم من اليمّ ما غشيهم ! وبيّنٌ أنّ ثبج البحر هو معترك الحياة ، ومضطرب النوازع ؛ وكلّ من لا يعتصم برفيع القيم فماله الغرق !

والحواريّات الأربع هي : بدريّ ، و وجناء ، و حمار جحا ، و كنود .

تدور حواريّة " بدريّ " على فتى أحبّ ؛ فأخفق في حبّه ؛ فكفّ عن صلاة الفجر ! ويدور الحوار بين الأب ، والأم ، والفتى بدري المنقطع عن صلاته . يقول الأب :

أيترك الصلاة ؟ ويلي في غد ... من فاسق لربه لم يسجد

أيترك الصلاة من أجل هوى ... غانيـة لقلبـه لـم تنشـد

ومغزى الحواريّة واضح في دعوة الشبّان إلى التمسّك بالدين ، وتغليب الحجى على الهوى !

وتدور حواريّة " وجناء " على علاقة حبّ بين فتى وفتاة ؛ غير أنّ ضيق ذات اليد يحول بينهما . ثمّ تنزلق الفتاة بالأهواء والمطامع ، وتسلك دربا موحشا شديد العثار لا يلبث أن يلقي بها في الهاوية . تقول في ختام قصّتها :

ربّاه ، ربّاه قد جئت حائمة ... إثمي أنوء به ، والداء أضواني

ربّاه ربّاه ما أذنبت طائعة ... الذنب ذنب زمان ليس بالحاني

لو أنّه كفّ عنّي الجوع ما بقيت ... نفسي تتوق إلى إثم وعصيان

وقد أبانت الحواريّة أنّ الفقر أصل ما وقعت فيه الفتاة ، ولولاه لاستقامت حياتها . وهو أصل ما يتردّى فيه غيرها من أمثالها ؛ وفي ذلك تنبيه من الشاعر يرسله إلى أولي الأمر : أن يحسنوا معالجة ما بين الناس من تفاوت في الغنى والفقر !

أمّا الحواريّة الثالثة ؛ " حمار جحا " ؛ فقد ركبت مركب السخريّة ، والإضحاك ! ولا ريب في أن السخرية مدخل يصلح عندما يغيب العقل ، ويختلّ التوازن ، فتقع الوقائع على نحو لا ينفع المجتمع ، ولا يقبله المنطق . ومدار الحواريّة على أمر جرى ذات يوم من سنة ١٩٩١ حين اضطرب الأمن ، واختلّ ما بين الحكومة والناس ، وجرت أشياء من التعسّف والجور ؛ وكان من ذلك أن منعت الحكومة سير الحيوانات في الشوارع ! بحجّة أنّ ثمّة من يتخذها أداة في تفجير يقتل به الناس ! فأراد الشاعر أن يبيّن خطل الأمر كلّه ، وأنّه ضرب من العبث المضحك ، والوهن في إدارة البلد ؛ فأقام حوارا بين جحا وحماره ؛ يعلن فيه الحمار أنّه لا يطيق القعود

في الدار ، وأنّه يحتجّ على هذا المنع ، وأنّه سوف يخرج إلى الشارع ! حتّى إذا خرج أتاه صاروخ فأرداه قتيلا !

تبدأ الحواريّة بصوت هاتف ينشد :

من أعـجب العـجائب ، وأغـرب الغـرائب

أن يحظروا سير الحمير في الطريق اللاحب

خشيـة أن تفـجّر الألغـام فـي المـواكـب

... وإنّـها مهـزلـة مـن خـائن وخـائـب

وإنّـها أضحوكـة مـن أعجـب العـجائب

وإذا بدت السخريّة شيئا جديدا في شعر أحمد مطلوب ؛ فإنّها شيء أصيل في مزاجه ، يعرفها فيه كلّ من صحبه ، وهو يلتجئ إليها كلّما استفزّه أمر لا يجرى على مقتضى العقل والمنطق ، لكنّها قلّما تظهر في أدبه !

ثمّ جرت الحواريّة الرابعة " كنود " على قضية ذات بعد فكري عقدي يمسّ العلائق الاجتماعيّة ، ومدارها علاقة حبّ بين أستاذ وطالبته ! أمّا الأستاذ فإنّه مسلم يصون عقيدته ، وأمّا الطالبة فإنّها شيوعيّة فقيرة الحال . وحين تعلن الطالبة حبّها لأستاذها ، ورغبتها بالزواج منه ؛ يأبى الأستاذ ذلك لما بينهما من خلاف في المعتقد ، ثمّ تفسد العلاقة بينهما . وتصوّر الحواريّة ما ركب كنود من شطط وإسراف ، وتصوّر ما بقي عليه الأستاذ من كريم الخلق ! وخلاصة ما ترمي إليه الحواريّة ؛ أنّ هذه الأفكار الدخيلة تفسد

الأنفس إذا خالطتها ، ولا عصمة إلّا بهذه العقيدة التي نشأ عليها العربيّ المسلم ، عقيدة الإسلام !

ومما يتّصل بالشأن الاجتماعيّ وقوفه عند نمط من المراءاة والكذب يقع فيه الشعراء ؛ فقد نظم في سنة ٢٠٠٦ قصيدة بعنوان : " أيها الشعراء " قال في صدرها : " مضى فسكتوا " ؛ جعلها صرخة في وجه الشعر الكاذب الزائف الذي يقوم على الزلفى ويطمس الحقائق ؛ يقول فيها :

يا أيّها الشعراء ماذا تأملون ؟

كانت موائده ربيعا تأكلون وتشربون

وتنعّمون ، وتطْربون

... وتسألون الله يحفظه

تقرّ به العيون

كنتم إذا قال السلا...

تصفّقون ، وتنحنون

وإذا مشى

في خلفه مثل الزواحف تزحفون

... يا أيّها الشعراء نافقتم فظنّ الحاكمون

أنّ الحقيقة في شعركم

وكنتم تكذبون

... يا أيها الشعراء ما جاءت قصائدكم لمدح المستبد

ولا لتمجيد الخؤون

هي للجمال وللهوى ، للقلب الحنون

هي لابتسام الفجر

للحلم الجميل يروده سحر العيون

هو للمليحة في الخمار ، وكلّ غانية مصون

(لولا حبّك : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣)

وهي ، لا شكّ ، قصيدة تمسّ جوهر الأمر الذي ساد الحياة الأدبيّة والاجتماعيّة في العراق منذ السبعينيّات ؛ إذ ظهرت فئة من الشعراء اتخذت من الشعر متجرا تتربّح به ، وتزجي قصائدها في مدح حاكم مستبد ، وتوهم الناس أنّه على حقّ وصواب ! والشاعر هنا يدين أولئك الشعراء ، ويدين زيفهم وكذبهم .

وكلّ شعره ذي البعد الاجتماعيّ محكوم بالعروبة والإسلام ؛ وهما في فكره صنوان لا يفترقان ، ولا صلاح يرجى إلّا بهدي من هذين المصباحين !

٤ - مدار الوجدان :

وهو مدار خصب غزير في شعره ؛ تمدّه عاطفة متّقدة لا يبارحها الحنين ، ولا يفارقها الشوق . وقد نظم في هذا المدار قصائد كثيرة في قرينته السيدة الفاضلة الدكتورة خديجة الحديثي ، وجعلها مع غيرها في ديوان قائم برأسه ؛ عنوانه : " لولا حبّك " ، ونظم قصائد في ابنيه ؛ أثير ونظير ،

وقال في أساتذته ، وأصدقائه ، وفي غير ذلك من مواطن الوجدان ، ومواضع البوح .

و" لولا حبّكِ " عنوان واسع الدلالة يفصح عن أصرة كريمة كانت نسغ حياته ، وشجرة عمره . يقول في أوّل الديوان ، في قصيدة عنوانها : لولا حبّك :

لولا حبك يا (ليلى) لم اقطع آلاف الأميال

ما كنت صعدت جبال

وتعلّقت بأسباب الأنجم والأقمار

ومشيت على موج البحر الهدّار

لم أرهب قرشا أو قرصان

... لولا حبّك يا ليلى ما نزلت في قلبي شمس الإيمان

أو أبصرت بليلي شمس نهار

(لولا حبك : ٨ ، ١٠)

نظم القصيدة في سنة ٢٠١٤ ، بعد صحبة طويلة تقلّبت عليهما فيها الحياة بشدّتها ورخائها ، فجاءت تحيّة محبّة ، وإعلان وفاء . وكان من قبل قد كتب لها معربا عن شوق وحنين . فقد نظم وهو مدرّس في كركوك ، في سنة ١٩٥٧ قصيدة بعنوان : عند الوداع :

شاعرتي لا تذرفي الدموع

ففي دمي ذكراك والوفاء

لا تجزعي

إن لفني البعاد

ببرده وضمني إليه

ففي غد أعود والربيع

بطيبه ، وبشره يضوع

(رفيف المنى : ٢٧)

وهي من أوائل قصائده المبينة عن الحب والشوق . ثمّ لم ينقطع الشعر ؛ فكلما بعدت عنه لأمر ما من أمور الحياة والعمل فزع إلى القلم والورق يبث شوقه وحنينه . وكلّما عاد يسترجع أيّامه الماضية بدت له السيدة قرينته عبر تلك الأيّام ، وبهجتها ، والنبع الذي روّى عروقها . والأمثلة من شعره على ذلك كثيرة لا يسع البحث أن يستوفيها كلّها ، وبحسبه أن يقف على بعضها . فقد وقف في سنة ١٩٧٥ ، وقد مضى على ما بينهما عشرون عاما ، يستعيد الأيّام والسنين والحوادث ؛ فنظم قصيدة بعنوان : " عشرون " قال في صدرها : " إليها في عامنا العشرين " جاء في مطلعها :

عبرت كأحلام الخيال عشـرون تعبق بالنضـال

فـوقفت أسألهـا وفي خطواتها رجع الســـؤال

أين الليالي الحالمات ؟ وأين سمّار الليالي ؟

أين الليالي الحالكات توود عناق الرجال ؟

... عشرون يا أملي ، وأنت معي صلاة وابتهال

عشرون يا أملي،وأنت معي كما شاء النضال

مرّت ، وأنت كما عهدت ، بما تصوّره الخيال

غرّاء تزهر كالربيع ، خميلة ليست تنال

(رفيف المنى : ٩٠ . ٩٢)

وهي عنده ، في كلّ ما قال من شعر ، مصدر فخر ، ومبعث زهو ! وحين يطرأ عليها في سنة ١٩٨٣ ما يقتضي جراحة طبيّة ينظم قصيدة عنوانها : " شقيقة روحي " وهو مشفق واجف القلب ، ويكتب في صدرها : " إليها في غيبوبة المخدّر "

ثلاثون عاما في محيّاك أم علم ... تلوح كما طافت بجفنيك أحلام

أرى الأمس في عينيك يزهو كأنّه ... عروس زهت والحبّ نجوى وتهيام

عبرنا . وكان البحر يزبد هائجا ... وليل الضنى كالموت تحنى له الهام

فما ارتعش المجداف خوفا ووحشة ... ولا خطرت وسط الأعاصير أوهام

أخذ يسترجع فيها ما مرّ بهما ، ويقف مزهوّا بالصدق والثبات والإيمان ؛ وهو مع ذلك ، قلق مروّع ممّا هي فيه ، لا يكاد الزهو يخفي ما انطوت عليه الأضلع من خشية . وبقي ينظم فيها الشعر مفصحا عن

حبّ لا يفتأ يتجدّد على كرّ السنين ؛ حتّى إذا بلغ الكتاب أجله ، واستأثرت بها رحمة الله استحكم أساه ، واستبدّ به الشجن ، وطفق يرثيها بأوجع لحن ! يقول في قصيدة عنوانها : " بكاء الحبّ " قالها في أربعينيّتها ، وقد زوّدني بها الصديق العزيز الأستاذ الدكتور محمّد حسين علي زعيّن العانيّ ، وهو من خُلّص أصفيائه :

بقيت وحدك يبكي حبّك الأجلُ ... ياعاشقا أقفرت دنياه والأملُ

ستّ وستون قد مرّت على عجل ... كأنّـها ليلة والعاشق العجل

كنّا كما شاءت الدنيا نصارحها ... حبّاً وكانت كما شاء الصبا الغزل

مرّت لنا وكاد اليأس يبهظنا ... فما وهنا وإن ضاقت بنا السبل

ثمّ يختمها :

شهر مضى وأنا وحدي ألوذ كما ... لاذ الحمام ببحر ماؤه وشل

لا أكذب القلب إنّي لا يبارحني ... يوم فجعتُ به،والماثل الأجل

وقال صحبه إنّه لن يبقى بعدها ! وماهي إلّا مدّة يسيرة حتّى لحق بها ! لكنّ ما كتبه عنها يبقى صفحة مضيئة في تاريخ الأدب العربيّ كلّه !

كان الدكتور أحمد مطلوب متوقّد العاطفة غزيرها ؛ يرى ما حوله بقلبه فيقبل عليه ، أو ينفر منه . فلقد أحبّ أمّته ، وأحبّ بلده ، وأحبّ أسرته ، وأحبّ أصدقاءه وأصفياءه ، وأفاض عليهم جميعا من سخي عاطفته ، وقال فيهم شعرا يعرب عن صفو المحبّة ، وصدق المودّة ، وهو شعر كثير وبحسب هذه الصفحات أن تقف على بعضه . فلقد كتب في سنة ١٩٩٩

عن أستاذته الدكتورة سهير القلماوي قصيدة بعنوان : " لم تلدني " تتصح بالإجلال والمحبة :

بعد تسع ما زلت أسأل نفسي ... أين أمّي ومن رعتني سنينا

لم تلدني لكنّها رفعتني ... فوق عرش ما زال عرشا مكينا

لست أنسى وقد أتتني صدحا ... يملأ البشر قلبها والجبينا

قبّلتني في لهفة ثمّ قالت ... يا حبيبي أفرحت قلبي الحزينا

(لولا حبّك : ١٠٠)

وفيها إشارة إلى أنّه حين قلّده الرئيس محمّد حسني مبارك نوط الاستحقاق من الطبقة الأولى في سنة ١٩٩٠ جاءته أستاذته القلماوي فرحة به مستبشرة مهنئة ؛ وها هو ذا يذكر الأمر بعد تسع سنين معتزّا بها ، مكبرا لها ، مستعيدا ذكرى تلمذته عليها ، وإفادته من علمها ، ونهجها في الدرس الأدبيّ .

وحين يتوفّى محمّد بهجة الأثري ، وهو في مقام أستاذه ، ينظم في سنة ١٩٩٦ قصيدة في رثائه ؛ عنوانها : " رحلة العمر " :

أبا زاهر قد تطول الحياة ... ولكنّها رحلة العابر

عرفتك والعمر غضّ الإهاب ... وقد كنت في محنتي ناصري

أأنسى وقد حزبتني الحياة ... وضاقت بعدوانها السافر

أأنسى وأنت معي لا تغيب ... تظلّ بقلبي وفي خاطر

(لولا حبّك : ١٢٢)

يشيد فيها بفضائل [illegible] ، ويقف على ما كان يلقاه منه من عطف ومودّة . وكذلك شأنه عندما رثى الدكتور جميل سعيد ، والدكتور أحمد ناجي القيسي ، والدكتور عزّ الدين آل ياسين ، والدكتور محمد جابر الفيّاض ، والدكتور عناد غزوان ، وغيرهم من صحبه ، وأساتذته ، ممّن اتّصلت بينه وبينهم حبال المودّة .

ومن شعر الوجدان قصيدة طويلة نظمها في سنة ١٩٩٦ ، حين بلغ الستين ؛ عنوانها : "ستون" روى فيها فصولاً من سيرته ، ووقف عند صور في حياته ، وجعلها خطاباً يوجّهه إلى صفيّته وشريكة عمره ؛ يحدّثها عن مبدأ الرحلة ، وعن مباهجها ، وعن آلامها ومصاعبها ، ويزهو مفتخراً بالثبات على النهج القويم ، وأنّ الحب الذي كان ، ما يزال في ريعانه متدفّقاً يغمر الأيّام بالبهجة النضرة . والقصيدة ، من بعد ، على طولها فيض عاطفة صادقة لا تخبو . يقول في مستهلّها :

ستّون أحسبها عاماً وتحسبني ... طفلاً أطلّ على الدنيا يناغيها

قد كنتِ شاهدها لكنّ ذكرى ... طافت فبتّ مع الستين أرويها

يا منية النفس يا حلماً يعانقني ... يا جنّة عبقت طهراً مغانيها

لولاك ما مرّت الستون زاهية ... ولا ارتوى القلب من أجلى مجانيها

ويقول في أثنائها :

حبيبتي جعنا وما صمر [illegible] قلّة

ولا سبتنا مبزلة

ولا قطعنا الأصرة

وانتهت الحرب وقمنا مثلما

تنتفض الأجداث يوم الآخرة

(في تيج البحر : ٧٧ وما بعدها)

وهي شهادة ، وتحية ، وإعراب عن محبة ، وإبانة عن موقف !

وخلاصة الأمر أن شعره مجلى قيم خلقية رفيعة ؛ يقوم على الصدق والوضوح ويبتعد عمّا سواهما ، ويدور في فلك العروبة والإسلام وما يتفرّع عنهما . وهو في بنائه اللفظي يتوخى اللغة الفصيحة المأنوسة الدانية من أفهام الناس من دون أن ينكرها سمو العربية في رفيع أساليبها .

المصادر :

- رفيف المنى ، أحمد مطلوب ، المطبعة المركزيّة ، جامعة ديالى ، ٢٠١٢
- في ثبج البحر ، أحمد مطلوب ، المطبعة المركزيّة ، جامعة ديالى ، ٢٠١٣
- في رحاب القلم ، أحمد مطلوب ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٨
- لولا حبك ، أحمد مطلوب بغداد ، الطبعة الأولى . ٢٠١٧

أحمد مطلوب
سعة الرؤية وتنوّع الإنجاز

الأستاذ الدكتور علي كاظم أسد

جامعة بغداد – كلية التربية للعلوم الإنسانية – ابن رشد

لا أقدّم هذه السطور تنويها به ؛ فليست بعلم مثله حاجة إلى التنويه ؛ بل هو الوفاء لتلمذة أربت على الأربعين عاما ، وذكرى بصمة عميقة لا تمحي برحيله إلى رحمة الله ، ومدرسة رحبة الابهاء ؛ وأدعو الله أن يتغمّده برحمته ويتقبّل أحسن ما قدّم من أياد ، بما كتبت يده ، وما تخرج عليها ، ومن المواقف مما كان له الأثر في البحث والدرس الأكاديمي ؛ فما هذه المشاركة إلاّ خفقات أوراق على جوانب صرح عامر بالجهد والفكر والإخلاص لبلده العريق وتراثه الأصيل .

تختار هذه الأوراق سمتين له : سعة الرؤية ، وأمارة هذه السعة تنوع الانجاز ووفرته ؛ أو التفكير الشامل وتنفيذه ؛ وبهما حُسم بناؤه العلمي الكامل ، كأيّ بناء ، قوامه : النظرية وتطبيقها ؛ وتميز بهما مبكرا ؛ إذ دفعته هذه الرؤية الواسعة منذ خطوته[1] الأولى في دراسته العالية إلى اختيار العلم

---

(1) تقدم لنيل درجة الماجستير الى جامعة القاهرة في البلاغة والنقد ونالها بدرجة جيد جدا عام ١٩٦١ وحصل على درجة الدكتوراه في البلاغة والنقد بمرتبة الشرف الأولى في عام ١٩٦٣ وطبعت رسالته للماجستير بعنوان : البلاغة عند السكاكي ، بغداد ، ١٩٦٤ وطبعت رسالته للدكتوراه بعنوان : القزويني وشروح التلخيص ، بغداد ، ١٩٦٧.

الشامل لعلوم العربية وهو علم البلاغة وفي آخر مراحل تطوره ، وبعد استقراره على ايدي آخر أعلامه : السكاكيّ والقزوينيّ وشرحي القزويني ؛ ومن هؤلاء مضى باحثا في الميادين الأخرى : في النقد والأدب وفي البحث اللغوي والعناية باللغة بالتصحيح اللغوي والدعوات إلى الدفاع عنها ، وفي التصنيف المعجمي وفي المصطلح المتخصص وفي دراسة التراث العربي الإسلامي في عصوره كافه ، وفي تحقيق كتب التراث وفي المشاكل المعاصرة في الأدب والنقد واللغة وفي التصنيف في الكتب المدرسية ... [٢]، وكل هذا يتداوله العالم العربي في هذه الميادين التي وقف حياته العلمية التي أربت على الستين[٣] أنفقها في كل ما سرى اليه اهتمامه ، لم يعقه شأن دون شأن ؛ فكل ما يتعلق بعلم العربية وأدبها هدف عنده للدرس والتحقيق والمتابعة ، ولم يقف عند حدة (التخصص) كما وقف بعض عندها لا يتجاوزها ؛ برغم عناوين شهاداتهم وهي دكتوراه في اللغة العربية وأدابها ؛ قناعة منهم لا أظنها في موقعها في ان علوم العربية قابلة للتجزئة ؛ بل هي

---

(٢) له أكثر من ستين كتابا واكثر من مئة وثلاثين بحثا وكثيرٌ من المقالات ، وقد جمع قبيل وفاته كثيرا من المقالات التي نشرت في المجلات والصحف والدوريات تحت عنوان في رحاب القلم ، وأشرف على طبعها ونشرها الأستاذ الدكتور محمد حسين علي زعين العاني وصدر منها لحد الآن أربعة أجزاء ، تحت عنوان في رحاب القلم ، العراق - بغداد ٢٠١٨

(٣) تخرج في كلية الآداب - جامعة بغداد - قسم اللغة العربية وحصل على درجة البكالوريوس بتقدير امتياز في عام ١٩٥٦ ، وكان الأول على جميع اقسام الكلية .

علم واحد . والتخصص في واحد منها باغفال غيره يعني بترا من جسد واحد وليس تخصصا ؛ فلا يغني علم عن علم فيها.

ولم يقف في طريقه (نضج حتى احترق) ؛ فكل جانب من جوانب علم اللغة له شأن ، وكلها لم ينضج ليحترق ؛ فلما تزل مجالات واسعة كثيرة تدعو إلى النظر واعادة النظر والدرس ، للاضافة واحراز الجديد .

ولم تشغله أعباؤه الإدارية والوظيفية [4] عن تواصله مع الجديد ، فلم يكن يستقر على ما يصرفه عن أي شأن من شؤون الدرس اللغوي أو الأدبي،

---

[4] عُيّن مدرسا في ثانوية كركوك في سنة ١٩٥٧ ونقل في سنة ١٩٥٨ إلى بغداد مدرسا لاعدادية التجارة فمعيدا في كلية الآداب – جامعة بغداد ١٩٥٨-١٩٦١ فمدرسا فيها ١٩٦١-١٩٦٥ فاستاذ مساعدا ١٩٦٥-١٩٧٠ فاستاذا مشاركا ١٩٧٠-١٩٧٢ فاستاذا في كلية الاداب جامعة الكويت ١٩٧١-١٩٧٨ فاستاذا في كلية الآداب – جامعة بغداد ١٩٧٨-٢٠٠١ وقد كان استاذا محاضرا في الجامعة المستنصرية العراق ١٩٦٨-١٩٧١ واستاذا زائرا في جامعة مارتن لوثر ، ألمانيا ١٩٧١ واستاذا زائرا في جامعة وهران ، الجزائر ١٩٨٠ واستاذا محاضرا في معهد البحوث والدراسات العربية العليا بالقاهرة ١٩٦٨ و ١٩٧٠ وفيه (في بغداد) ١٩٨٢-١٩٨٤ استاذا محاضرا في معهد التطوير الإذاعي في سنة ١٩٨٣ ، وما بعدها .

اما وظائفه الإدارية فرأس قسم اللغة العربية في افتتاح الجامعة المستنصرية الأهلية ١٩٦٣ ومدير عام للثقافة ١٩٦٤ ومدير عام الصحافة ١٩٦٤ وعميد كلية الآداب ١٩٦٦ ورئيس قسم الصحافة في كلية الآداب ١٩٦٦-١٩٧٠ ووزير للثقافة والارشاد ١٩٦٧ وعميد كلية الآداب ١٩٦٨ و ١٩٦٨-١٩٨٤ والامين العام للهيأة العليا للعناية باللغة العربية ١٩٨٦-١٩٩٢ و ١٩٩٢-١٩٩٦ والامين العام للمجمع العلمي

فكما كان كفوا في ادائه الإداري كان في اداء رسالته العلمية كفوا أيضا ؛ بما لا يقوم به أولو القوة والجدّ ، فهو ذو الكفايات ، لا الكفايتين حسب .

استحق هذا ، وغيره ، قدر كل من عرفه ، منذ بداياته الأكاديمية [٥] ؛ فضلا عن سمات كاليسر في التناول والوضوح في التعبير ، وتواضع عزيز النظير ، وبراءة من الادعاء ، ومن العجب بما اتى ، فلم يكن عنده ما يدعو اليهما ؛ يدلك على هذا اسلوبه الواضح في الحياة ، وصداه في وضوح الرؤية والمنهجية وفي اسلوبه المبين في التصنيف والبيان ؛ إذ لم تشبه شوائب الغرور وتعمّد الأغراب والغموض والعجمة والتعقيد والتراطن بالمصطلحات واعتراض قارئه بها ، على معرفته التامة الدقيقة ، بها وهي في لغاتها ؛ ذلك والتزام الجد والصدق والتنزّه عن المجاملة في آرائه وتعليقاته .

ويدلك على موضوعيته قدره جهود من سبقه ومن عاصره ، في توثيقه الأمين لآرائهم والتنويه بها . والقدامى بدفاعه عن مكانة التراث وأعلامه وتحريره في اللغة وعلومها دفاعا نابعا من ايمانه العميق بعبقريتها وشجاعتها

العراقي ١٩٩٦-٢٠٠٣ ورئيس المجمع العلمي العراقي ٢٠٠٧-٢٠١٨ ، السيرة الذاتية له .

(٥) اشرفت الاستاذة الدكتورة سميرة الشماوي على رسالتيه وكان معها في عضوية لجنة مناقشة رسالته للماجستير الاستاذ الدكتور عبد الحليم النجار والاستاذ الدكتور عبد العزيز الاهواني وناقش معها رسالته للدكتوراه الاستاذ الدكتور عبد العزيز الاهواني والاستاذ الدكتور عبد الحميد يونس وقد اشادت الدكتورة المشرفة على رسالته بجهوده ونشر تقريظها لرسالته للماجستير في مفتتح الرسالة ونشر تقريظها لرسالته للدكتوراه في مفتتح الرسالة .

وغناها العتيق ، وهو الذي جعله يوجّه خالص جهوده في المعجمين النقدي والبلاغي والمصطلح النقدي والبلاغي والمعاجم الأخرى ، بعد ان أتُهمتْ البلاغة وكثير من جهود التراث بالموت وندّت دعوات إلى نفض اليد منها وازاحتها عن الميدان الادبي والنقدي واللغوي ، وأشير اليها بالجفاف والتخلف في مستوى جديد من الانحطاط الذي اتسمت به بعض دعوات الحداثة ؛ علما انه أشار إلى بعض جوانب التعقيد أو العسر في بعض جوانب التراث ، ولكن ليس بقصد النكير على التراث ، جملة وتفصيلا ، بل بالعمل على اعادة النظر فيه وتجديد اساليب تقديمه والحوار معه ، ولذلك يسّر من عبارته وفكّك كثيرا من تعريفات القدامى للمفاهيم والمصطلحات ليجعل من الدرس البلاغي والنقدي حيا سائغا بعيدا عن سوء الفهم صالحا للحياة . وينبيك عن هذا الاحترام لمكانة اللغة دفاعه عن العربية والاشارة بقوة إلى انها هوية الأمة العربية والإسلامية في كلتا وظيفتيه الإدارية والعلمية في تشريع قوانين السلامة والحفاظ عليها[٦] في كتبه ومقالاته ومحاضراته ومجالسه ومناصبه وآخرها رئاسته لأعلى هيأة علمية في البلاد .

---

(٦) كان الامين العام للهيأة العليا للعناية باللغة العربية وهي أول هيأة عربية أنشئتْ لهذا الغرض عام ١٩٧٧ . واصدرت قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية في عام ١٩٧٧ لغرض تطبيقه ، وكان امينا عاما لها إلى ١٩٩٢ ، وكان رئيسا لها بعد اعادة تأليفها من ١٩٩٢ إلى ١٩٩٦ ، واستأنفت اعمالها ، عام ٢٠٠٩ ، وكان رئيس دائرة علوم اللغة العربية في المجمع العلمي من ١٩٩٦ إلى ٢٠٠٨ ، ورئيس دائرة المصطلحات والترجمة والنشر في المجمع العلمي ، وعضوا في مجلس الامناء لهيأة المعجم التاريخي للغة العربية في اتحاد المجامع العربية ، القاهرة ، ٢٠١٤.

إذا اردنا بسط مظاهر هاتين السمتين – ما وسعتنا حدود هذه الأوراق نقول : لم تكن بدايته بأعقد الدراسات وأصعبها على الاستيعاب وآخر حلقة في - التأليف فيها كالدرس البلاغي عند السكاكي أولا وبالقزويني وشروحه ثانيا الاّ ليقف على قمة الاستيعاب للدرس البلاغي والنقدي والأدبي واللغوي وما تداخل في تضاعيفه من منطق وفلسفة وعلم كلام وأصول وفكر أيضا . بما يتحاشاه[7] من هم سنه تحصيله وطموحه مكتفين بالتدرج في الفهم والاستيعاب والتحصيل ؛ ولكنه بدأ الطريق من نهايته ، وهذا وحده كاف ليتصف باتساع الرؤية التي يترتب عليها تنوع النتاج ، إن لم يكن من قبل الإبحار بهذين المركبين الوعرين (السكاكي والقزويني) واسع الرؤية ، مصمّما على الإبحار في كل اتجاه مما يزجّ بقلمه في كل شأن من شؤون الفكر اللغوي والأدبي والثقافي والحضاري لتراث الأمة الطويل الغني المتنوع وما استجد من جهود في حاضرها الممتد ، حتى أمكنني القول بأنه لاتساع مجالاته في التأليف بأنه استعصى على التصنيف .

لم يبدأ ، اذن ، حياته العلمية بُيسر ، كما يبدأ كثيرون وفي جامعة رائدة من جامعات العالم العربي[8] وعلى يد روّاد هذه الجامعة وتخرج على يد اساتذة أجلاء[9] ؛ فقد كان (مفتاح العلوم) الكتاب الذي آلى السكاكي على

---

[7] البلاغة عند السكاكي ، الدكتور أحمد مطلوب ، بغداد ، ١٩٦٤، كلمة الأستاذة الدكتورة سهير القلماوي .

[8] جامعة القاهرة .

[9] اشرفت عليه الاستاذة الدكتورة سهير القلماوي في رسالتيه للماجستير والدكتوراه وكانت لجنة المناقشة في الماجستير منها ومن الاستاذ الدكتور عبد العزيز الاهواني

نفسه أن يضع فيه أسس علم البلاغة العربية على أصولها العلمية ' خلاصة التفكير البلاغي منذ نشأ فطريا ايام الجاهلية حتى وصل على يد عبد القاهر الجرجاني ثم ابي يعقوب السكاكي إلى مرتبة التقعيد والتقنين"[١٠] ، وهذا القصد واضح من عنوان الكتاب فهو مفتاح العلوم ؛ أي انه جمع أصول علوم اللغة العربية فوجد ان مفاهيم ومصطلحات تناثرت على مدى ستة قرون لاتؤلف قواعد محددة لعلم ينبغي ان يكون قوامه المصطلح المحدد ولذلك عانى ، وكثير ممن توجهوا قبله توجهه ، من اتساع مفاهيم المصطلحات وتنوعها إلى حد الاضطراب في كثير من زوايا الدرس البلاغي والنقدي ، ليستقر هذا الدرس ، على يده ، على مفاهيم محددة لمصطلحات وضع لها تعريفات ووضع مصطلحات أخرى على المنهج المحدد نفسه ، يعينه موقعه الزماني ، ليجيل الطرف في حصيلة هذه القرون ؛ فلا علم بلا مصطلح ولا مصطلح بلا تعريف يحدد مفهومه بصورة قارّة جامعة مانعة يتفق عليها العلماء ويطبقه الدارسون ويستضيء بها المتعلمون ويسير عليها من بعدهم ، ويشيروا إلى مناطق البلاغة بأصابع محددة ؛ فالمصطلح مفتاح كل علم وهو كاللغة العامة كلماتها مفاتيح الفهم المشترك بين المتفاهمين ؛ فتجمّعت لدى السكاكي جهود من سبقه من درس لغوي ونحوي وصرفي وبلاغي ونقدي ؛ فوحّد في القسم الثالث من كتابه (الذي دار عليه اهتمام

والاستاذ الدكتور عبد الحليم النجار ، اما لجنة مناقشته لرسالة الدكتوراه فكانت من الدكتورة سهير القلماوي والاستاذ الدكتور عبد العزيز الاهواني والاستاذ الدكتور عبد الحميد يونس .

[١٠] البلاغة عند السكاكي ، كلمة الاستاذة الدكتورة سهير القلماوي .

أحمد مطلوب) تشتت الدرس البلاغي مختارا لهذا القسم ما استقر عليه هذا الدرس من مصطلحات بعد صياغة تعريفات لها لم تتزحزح بعده الاّ بإعادة صياغات أكثر اختصارا أو أكثر وضوحا ، ووضع مصطلحات أخر لما اضطرب عند من كان قبله منها من ناحية ، ومن ناحية أخرى وضع للبلاغة علمها الذي لم يكن الاّ تحت قسمين : علم المعاني وعلم البيان ، وما يلحقهما من : محسنات لفظية ومحسنات معنوية ، وكلاهما تحت ما يُعرف بالمحسنات البديعية ، أو ما عُرف بعده بعلم البديع ؛ معيدا إلى الأذهان بدايات الدرس النحوي الذي لم يكن الاّ دراسة الجملة أو دراسة النص على أساس تحولات الدلالة لتحولات التركيب وهو ما اطلق عليه السكاكي علم المعاني بعد استيعابه من الشيخ عبد القاهر في إرسائه لمعنى المعنى وعلم المعنى وتحريره من فكرة (الأصل) والقاعدة أو (البنية العميقة) والنزعات المدرسية التي هبطت بدراسة النص ودراسة الجملة وابعدتهما عن مفهوم الدرس الحقيقي للاستعمال اللغوي الرحب بما يُعرف الآن بالدرس التحويلي .

واذا كان علم المعاني يُعنى بالجملة والتركيب فانّ علم البيان يُعنى بكل ما يؤدي بالمفردة إلى الوضوح بتقنيات بناء الصورة التي يجيد المتكلم بالتشبيه وانواعه والمجاز وانواعه والاستعارة وانواعها والكناية والرمز والتلويح والتعريض وانواعها عن الاستعمال المباشر الذي لايحبّذ المتلقي تلقيه . وبهذا وغيره استقرت البلاغة على يديه علما له منهجه ومصطلحاته ومفاهيمها وتفصيلاتها وتشعباتها بحيث يستطيع كل استاذ بعده ان يفتح علومها

بمفاتيحها التي قلدها للدرس بعده ويستقر الطلاب على امور محددة إلى الآن وما بعد الآن .

فلابد للباحث أحمد مطلوب أن يجيل الطرف في هذا الجهد الواسع العميق المرتب والمنظم من بداية نشوئه فكرة عند السكاكي حتى استوائه على سوقه علماً من حيث الفكرة والهدف والمنهج والنتائج ، ومتتبعاً خطواته ، بأعمال الفكر في عمق المصطلح ، أو غموض مفهومه ، والجهد في الاتفاق مع من سبقه على صياغة قارة لمنطوقه وتعريفه ، ثم فرز هذه المصطلحات بمفاهيمها ، ليكون لعلم المعاني مصطلحاته ولعلم البيان مصطلحاته ، وما يلحقهما من محسنات بديعية مصطلحاتها ، بعد ان كانت متداخلة على طول الدرس البلاغي ؛ هذا ما ارتقى به منه باحثا واسع الرؤية وهيأة للعمل في مشروعيه : المعجمي والمصطلح المتخصص .

وبرغم المؤاخذات التي ارتقت إلى جهد السكاكي ككثرة التفريع والنزعة المنطقية في صياغة التعريف وطغيان العلمية .. فانّ نتائج جهده (أي السكاكي) تطيح بها وتسمو عليها ، ذلك لاحاطته بجهود من سبقه وعلوّ كعب هدفه في ان يكون للبلاغة علم وان يلمّ تحت هذا العلم كل الجهود المبعثرة ؛ فلابد من ان يكون هذا الرجل على جانب عظيم من اتساع الرؤية التي احاطت بجهود ستة قرون ، ولابد من ان يجاريها درسها بمثل اتساعها .

إنّ اختيار الباحث لبلاغة السكاكي وسط اصوات النكير عليه موقف أعدّه دفاعا صريحا عن جهود الرجل ، فقد كان بالسكاكي وبالبلاغة العربية كلها حاجة للدفاع عنهما حين انبرى كثيرون ليحيطوهما بالمآخذ ، وفي

اختياره لعلم البلاغة في درجتيه الماجستير والدكتوراه في ظل تصاعد هذا النكير على البلاغة واتهامها بالقصور يعني انه لم يتطأطئ لهذا الاتهام إلا أن يخوض بنفسه في أهم كتب البلاغة التأسيسية ؛ وهذا لايعني أنّ لديه شبهة قصور بها أو اقتناع تام بكمالها ، فانتهى إلى ان بعض اساليب التأليف بها او انحيازه إلى المنطق أكثر من الأدب نفسه هما اللذان سببا هذه المؤاخذات .

ولا ادري كيف تؤاخذ البلاغة أو السكاكي خاصة على التقسيم والتفصيل والتعريف ؟؟ والبلاغة علم لا يعيبه التفصيل والتقنين كأي علم ومن حق البلاغة ان تكون علما وتكون لها مصطلحاتها ولا ادري لم لا تؤاخذ بقية العلوم الأخرى دقة مواردها واتساع تفاصيلها ، فاذا كان ثمة من عيب فليس بالبلاغة ، لان البلاغة لها اهدافها الجمالية في اضاءة الخطاب الأدبي والشعري والنثري عامة وليست بالتحجّر الذي يصفونها به ؛ فهذا خلط في واقع البلاغة أو خلط في واقع التفكير بهذا المأخذ نفسه بل تحجرت أساليب تقديمها لتحجّر الفكر الذي تناولها وقدمها ، والا كيف يتحجر درس بواكب الشعور ، والانجاز الأدبي حيّ ما دام للشعور حياة ، وما دام له في الحياة نصيب ؛ ولذلك لم يعتقد أحمد مطلوب بكل ما أُخذ عليها نفسها بل كان كثيرا ما يأخذ على الأساليب والتناول ، فتجاوز مبكرا هذا ، واتجه إلى دراستها عند أهم اهداف المؤاخذة ، ذلك بان قراءة البلاغة من أهم مصادرها لهي الخطوة المنهجية العلمية الصحيحة لاستيعابها ، فضلا عن ان الأمر لايخلو من خطأ واصح في الرؤية ؛ فعمق هدف السكاكي كان أن يخرج على الواقع الجمالي بعلم يقرؤه ، والاّ بقيت على ملاحظات الفطرة وتعليقات

كل من هبّ ودبّ سواء صحت أذواقهم في النظر إلى النص أم كانت فاسدة ؛ وبعبارة أخرى كان النظر البلاغي محض نظرات وآراء ونقدات مبثوثة في كتب اللغة والنحو والأمالي وشروح الدواوين . وهي بين النظر النقدي والتوجيه البلاغي ، ثم ظهرت كتب تنحو نحو التأسيس البلاغي ككتاب ابن المعتز وكتب قدامة وابن طباطبا والعسكري وابن رشيق والخفاجي وابن الأثير وغيرهم كثير ، وحتى هذه الكتب كانت لاتنزع نحو التقنين بل كان الخلط بين البلاغة: سمة للكلام البليغ وبين كونها دراسة له ، وكانت نزعتها أدبية فنية ولم يكن في ذهن أحد أن تكون كل هذه الملاحظات علماً ، بل تجمعت كلها تحت نظر السكاكي الذي أراد أن يكون للعربية علم بأسسه الرئيسة وبالمصطلح والمنهج والتبويب ، معبّراً عن هدفه من عنوان كتابه (مفتاح العلوم) إشارة إلى المصطلح الذي بصياغته يضبط المفهوم ويدل على أن ثمة مجالاً علمياً وُلد في القرن السابع وله مفاتيحه التي يُدخل إلى مفاهيمه بها .

ذلك أن ميدان (النظر) البلاغي قبل أن يكون (درساً) هو النص ولا بأس من النظر فيه من خلال الانطباع والذوق ؛ ولكن لابد من أن يتثقف بالمعرفة وحيثياته المقياس والمعيار حتى لو لم يكن بصدد الحكم ، لتعلو به بعيداً عن شبهات الوصاية أو التحكم أو حتى التوجيه ؛ وهذا هو معنى العلم المتّسم بالمنهجية بعد المعرفة الشاملة والخبرة العميقة ويزدان بالمصطلح ؛ وهذا هو عين ما قامت عليه بلاغة السكاكي ، حماية لها من الفوضى في المفاهيم ؛ وإلاّ فقد كانت (نظراً) لا (درساً) متسماً بالفردية وعدم الاتفاق (الاصطلاح) وغياب الضبط وتناثر التفكير والبعد عن التطوير برغم

اتسـامها بخبـرة العلمـاء والدارسـين الـذين سـبقوا السـكاكي ؛ وكـان لهـذا أثره الموجع بمسيرة الأدب والنقد والفكر ؛ وكان لابد للباحث أحمد مطلوب ان يقف بقراءة اكاديمية لبيان الأسس وتوضيح المنهج ؛ ولذلك وضع يده على منابع الفكر النقدي في التراث في مسيرته التقويمية للميدان الجمالي ، ذلك بأنّ السكاكي برغم سعة هذا التاريخ الطويل للتراث بكثافة فروعه وصعوبة تبويبه استطاع استنباط علم للعربية منه بالمنهج ؛ فكان على كل من يريد ان يقدره حق قدره ان يمر على كل ما مّر عليه من تراث ؛ فكان هذا هو ما فعله أحمد مطلوب في دراسته الأولى للبلاغة العربية ؛ فلم يدرس السكاكي ولا القزويني وشراح القزويني حسب بل درس استاذهما واستاذ كل من جاء بعدهما دراسة واسعة شملت كل مراحل البلاغة وما تعلق بها من علوم وهو الشيخ عبد القاهر الذي انطلق من ثوابته السكاكي ؛ فالشيخ عبد القاهر كان بصدد حسم علم النحو الذي هو عنده علم المعنى ومعنى المعنى ، وحسم علم البلاغة وعلم الاعجاز وتثبيت علم التفسير على قواعده واسسه الجوهرية ولكن هدفه في البحث عن مناطق الاعجاز بنزعة عقائدية أشعرية شغله عن تأسيس علم البلاغة الذي تلقفه السكاكي بمنهج ومصطلح ولذلك كانت لأحمد مطلوب وقفة طويلة عند الشيخ عبد القاهر في كتاب ألّفه فيه[11] ، ولم يفته أن يدرس

---

[11] انظر : عبد القاهر الجرجاني – بلاغته ونقده ، الدكتور أحمد مطلوب ، بيروت ، الكويت . ١٩٧٣.

القرطاجني أيضا [١٢].

لم يقف أحمد مطلوب إزاء هؤلاء الكبار بإكبار فقط بل وقف بكل موضوعية وحْيدةٍ واستقلال ولم تأخذه ضخامة جهودهم بل أعاد عناصر نجاحهم وشهرتهم إلى مصادرها ولم يبخسهم حقوقهم بل ذكر ما لهم وما عليهم غير مأخوذ بمكانتهم ، دالا على موقفه الاكاديمي بما فيه من نزاهة وموضوعية وتوثيق ، بدراسته واشارته إلى جهود السابقين على السكاكي وآثارهم فيه .

ومادمت في نطاق موضوعيته وواقعيته فلابد من ان اذكر دليلا عليها وهو توسطه [١٣] في قضية الأخذ على البلاغة العربية بتأثرها باليونان ؛ فحين لم تسعفه الوثائق – كما لم تسعف القائلين به – لم يكن من القائلين به متبعين الظن ، ولكنه لم يكن من المنكرين له تعصّبا للبلاغة العربية ؛ وإلاّ فالنزعة العقلية ليست وقفا على اليونان أو ايّة أمة دون أمة ، وقد بُعث التحضّر الإسلامي بالقرآن وتدبره وبدوافع واقعية ألمت بالمجتمع كالفتوحات وقيام الدولة الإسلامية والخلاف الفكري والعقائدي وغيرها مما هو معلوم من

---

[١٢] انظر : البحث البلاغي عند العرب ، الدكتور أحمد مطلوب ، بغداد ، ١٩٨٢. ودراسات بلاغية ونقدية ، الدكتور أحمد مطلوب ، بغداد ، ١٩٨٠ ، والبلاغة العربية ، الدكتور أحمد مطلوب ، الموصل ، ١٩٨٠ ، وفنون بلاغية ، الدكتور أحمد مطلوب ، بيروت ، الكويت ، ١٩٧٥ ، ومناهج بلاغية ، الدكتور أحمد مطلوب ، الكويت ، ١٩٧٣ ، وبحوث بلاغية ، الدكتور أحمد مطلوب ، بغداد ، ١٩٩٦ ، وبحوث نقدية وبلاغية ، بغداد ، ٢٠١٢.

[١٣] انظر : عبد القاهر الجرجاني . بلاغته ونقده : ٢٩٣ وما بعدها .

جهة ، ومن جهة أخرى فانه لما كان ثمة تأثير يوناني أو غيره في جانب من جوانب التراث الإسلامي أو بعض جوانبه فان الذين نهض بهم هذا التراث كانوا من مختلف الأمم في النحو والصرف والبلاغة أو في العقلية المنهجية أو النزعة العقلية ، أو اذا كان ثمة تأثير ترجمة جهود كثيرة من أمم أخرى منذ عهود مبكرة للدولة الإسلامية ، فاني لا ارى الترجمة الاّ نصف النص المنقول ، أو ربعه ، بحسب المترجم ، فالذي انجز الترجمة (وهي عمل فردي) عَقل النص اولا وفهمه بحسب عقله وفهمه ومهاده (خلفيته) ونقله بأسلوبه ، والأسلوب تمثيل حقيقي لصاحبه ، فهي لست نقلا حرفيا ؛ ولكل لغة خصائصها ، بل هي كتابة على الكتابة في اغلب الاحيان لمكان الانتقاء للنصوص المنقولة ولمكان التصرف ، وهو ميدان عريض ، فيكون المنقول مناصفة بين اليونان وبين ديم التراث لما نقل عن اليونان فيما يُظن أنه أثر في النحو أو البلاغة أو غيرهما مما يُظن أنّ فيه تأثيرا من اليونان أو الصين ؛ اذن لم تسعفنا أو تسعف المنكرين لهذا التأثير المزعوم أو تسعف القائلين به النصوص وانما الذي يحيط بنا الظن والتخمين والفروض وبعض المعطيات التي لا تغني عن التوثيق .

اذن قرأ أحمد مطلوب مصادر السكاكي ولم يقتصر عليه حسب ، من جهة ، ومن جهة أخرى لم يقتصر ، إذ درسه بلاغيا ، على قراءة بلاغته حسب ، بل قرأه كله ، أي في جهوده في اللغة والنحو والصرف والنقد وادائه المعجمي والاصطلاحي[١٤] ، ذلك بأنّ علم المعاني الذي قصد (في تسميته

---

[١٤] انظر : مفتاح العلوم ، للسكاكي : المقدمة .

بهذا الاسم ولم يقدمه باسم علم النحو) إلى اعادته إلى مهاده الأول وهو الخليل وسيبويه قبل ان تعزله المدرسية عن مهمته في دراسة الدلالة وفلسفتها واثرها في التركيب ؛ والاّ فهو فلسفة تركيب التعبير وهو في أقصى ابداعه الجمالي ، وكذلك في مستوياته الاشارية أو التفاهمية أو النفعية الأخرى ، لان علم المعاني . كما هو فلسفة التركيب ، هو المهيمن على المستويات الاعمق له والمعبّر الابرز عن امكانات التحول عن المنطق الابتدائي لاستعمال اللغة في الكلام ، والموجّه لتصريف وجوه التركيب الممكنة ، الخاضعة للدلالات والمعاني التي تتعاور على ذهن المتكلم والمبدع ، وهو بجول في اختياراته الجمالية ، أو النفعية بحسب المواقف ؛ أما توقفه (أي السكاكي) عن الاستمرار بالعدول عن تسمية الصرف بعلم المباني ؛ فاظن أنه لم يُرد ان يفجع المدرسيين بعدول آخر ، كما فجع النحاة والبلاغيين الذين فجعهم بأكثر مصطلحاتهم ، ذلك ان علم الصرف له قواعده كما للنحو قواعده وكلاهما انطلق مؤسّسا بنزعة مدرسية ، وبُعد عن كونه فلسفة لتركيب المفردات تركيبا خاضعا للمعنى (تحت ظل القياس والسماع) . أو خصائص اللغة وقوانينها . فكما التركيب في اللغة العربية دليل على مرونتها وقدرتها الهائلة على تحريك المواقع لعناصر النص ، إضاءة لكل زوايا الذهن المكتظة بالمعاني ، فانّ تركيب المفردة في هذه اللغة له المرونة نفسها والقدرة في اختيار البنية الملائمة المضيئة للمعاني بسبب قدرة اللغة العربية على الاشتقاق وأنواعه الواسعة ؛ علما ان علم البيان ، وهو قسيم علم المعاني ، لم يكن مقصورا على الجانب البلاغي . كما هو متداول ، بل كان عند السكاكي علم الجملة وأداءها في كل مستويات الكلام وهذا دليل خفي

على انه لم يأبه كثيرا للمستوى التركيبي النفعي المباشر ، واشارة إلى المدرسية والقاعدية ان تقف عند حدها ومستواها الذي لاتغادره في تعليم غير العرب طريقة الكلام فقط بيد اللغة ، ودليل آخر على ان اللغة العربية لغة شاعرة ولغة بليغه قبل ان تكون لغة للتخاطب حسب ، فهي أكثر من لغة أيضا ؛ وإلا فان محض اطلاق اسم (علم المعاني) دليل على ان الوظيفة التخاطبية المباشرة والقيام بتدريسها جانب لا محل له في العلم فهو محض حرفة أو مهنة لمدرسي غير الناطقين باللغة ، وارى ان اهماله لتسمية علم الصرف بعلم المباني اشارة منه إلى ان تركيب العبارة من عناصر اللغة سيجعل من مبنى كل مفردة خاضعا لجغرافية التركيب واختياره لهذا المبنى أو ذاك ولم يُرد ان يخلي الكتاب من جانب مهم من جوانب الدرس اللغوي كالصرف ، ذلك بان هدف الكتاب جمع لعلوم العربية تحت علم واحد ، ولم يرد أيضا ان يضاعف من حجم النكير عليه فينضم إلى هذا النكير أهل الصرف أيضا .

وهذا يعني ان أحمد مطلوب وقف على علوم العربية كلها في كتاب السكاكي من البناء الافرادي لعناصر الكلام مرورا بالبناء التركيبي وفلسفة الجملة إلى البناء الجمالي لها بعلمي المعاني والبيان وما يلحقهما من علم للبديع أي المحسنات اللفظية والمعنوية ، ثم يخطو خطوته الأخرى في النظر إلى ما سال من حبر على جنبات صرح السكاكي من عقول في تلخيص القزويني وشروح هذا التلخيص ، وماحوت من اضافات مهمة بالترتيب والتهذيب والتحقيق والاختصار أو زيادة الأمثلة ؛ ولذلك قدم أحمد مطلوب

القزويني وشروحه تقديما يشي بن القزويني لم يكن شارحا فقط ولا مختصرا لكتاب السكاكي ، بل اضاف اليه اضافات مهمة ، اقلها رفعه للمفتاح لمستوى الاستيعاب والتناول والفهم وزجه في تيار الدرس والاعتماد ؛ إذ جعله بين يدي العصور ، هذا فوق فتحه لآفاق الشرح لكتابي [١٥] القزويني من قبل الشارحين ، وهم كثر يندّون عن الحصر ، ممن وصلت الينا شروحهم وممن ذُكرت عناوين شروحهم ولم تصل لحد الآن ؛ وهذا دليل على ان خطوة أحمد مطلوب الأولى قد آتت أكلها في فهم المفتاح ليقدم شارحيه واهمية شروحهم هذا التقديم .

وهو بين هذا الكم من الخبرات والتنوع في انتاج الأصول مع السكاكي والقزويني وشارحيه وقف على اقتدارهم الفذ في معالجة المصطلح ، من حيث الوضع والاجتراح ، ومن حيث تقديم ما يسهل الاتفاق عليه بعد صياغته وتعريفه ، ومن حيث سهولة تغييره أو الانتقال إلى الادق في صياغته والاقرب إلى واقع الدرس البلاغي ، وهو بين هذا كله وقف على المدى الاوسع لهذا المجال العلمي الحفل بالعمق والتنوع ، ولذلك وضع بين يديه معجما للمصطلحات البلاغية ؛ ومن هو اقرب منه إلى هذا العمل الكبير بعد ان خاض مع واضعيه اشواطا طويلة .

وهو بدراسته الاكاديمتين بعدّ باعثا لهذا التراث المهم ودافعا لدراسته واستنقاذه من الاغفال بل حث الجامعات على توجيه الاهتمام إلى فكان البلاغة في الدرس الجامعي وربطها بالنقد الحديث ورفع الحيف عنها ، كما

---

[١٥] انظر : التلخيص والايضاح للقزويني.

ذكر في مقدمة رسالته للدكتوراه [٦٦] وما نزل بها من ضيم أخرجها عن هدفها الذي دُرست لأجله ، ليدل هذا على سعة رؤيته التي كان لها ابلغ الأثر في تنوع انتاجه وكثرته .

وتتمثل سعة هذه الرؤية أيضا في مجال المعجم المتخصص ، وهو من أدق مجالات التصنيف واكثرها حاجة إلى الصبر والمتابعة والاستقراء ، فضلا عن استقطابه مفاهيم علوم البلاغة كلها ؛ لا من الكتب المؤلفة في علوم البلاغة حسب بل كل ما يرتبط بالأدب والتفسير والشروح ؛ ويترتب على هذا ، فضلا عن طول باع وسعة اطلاع ، جمعٌ لآراء البلاغيين والمفسرين والشراح والادباء في مفاهيم المصطلحات والوقوف على مدى تأثر بعضهم ببعض واختلاف بعضهم مع بعض ، وعلى مدى المسافة التي يقدرونها بين المفهوم البلاغي الخاص للمصطلح والمعنى المعجمي أو الوضعي العام ؛ فللمصطلح بنية مجترحة من العموم اللغوي العرفي مقترحة للخصوص العلمي ؛ فلها قبل اقتراحها معنى ككلمة عرفية عامة ولكنها بعده لها مفهوم كمصطلح يخدم في مجال خاص ؛ ولذلك وقف أحمد مطلوب موقفا تحليليا لمدى تقدير المصطلحين لهذه المسافة من عدمه ؛ ووقف على اتفاقهم أو اختلافهم على اعتماد مفهومه والاشارة إلى نجاحه في خدمة المجال البلاغي بطول مدة استعماله أو استبدال غيره به مع قياس انتماء المصطلح البلاغي إلى مجاله ؛ عادًا هذا دليلا على قدرة التأسيس لديهم لعناصر علم البلاغة وطموحهم في هذا المجال ، وتاريخ هذه القدرة

---

(٦٦) انظر : القزويني وشرح التلخيص : المقدمة .

التأسيسية ؛ ولذلك لم يكن (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) معجما حسب بل هو أكثر من معجم متخصص وهو ، فوق هذا كان دراسة تاريخية لتطور المصطلحات ، وسأشير إلى هذا .

ان انتماء المصطلح إلى المجال البلاغي ، وهو انتماء المصطلحين إلى طموحهم التأسيسي لا يعني غفالهم المعنى الوضعي ، لأن هذا يعني غياب القرينة بين المعنى والمفهوم ؛ فاللغة ، عموما ، بمفرداتها العامة ، والعلوم ، عموما ، بمصطلحاتها الخاصة ، كلاهما لا يبتعدان عن الهدف الجوهري لهما بهذه المفردات وهو الهدف الاشاري ؛ فاللغة يُشار بها إلى اشياء الوجود والمصطلحات نشير بها إلى تفاصيل العلوم ؛ فكما هُجرت كثير من مفردات اللغة اما لغياب الاشياء التي تشير اليها ، أو انها لم تعد تنطبق تمام الانطباق على الاشياء ، كذلك هُجرت كثير من المصطلحات لضعف الصلة أو بعد الصياغة عن المفهوم .

وقد خالف طريقة المعاجم في عنوان معجمه نفسه حين عطف (التطور) على (المعجم) ليحرز طريقة تنسب اليه في مجال هذا التأليف ؛ فهو معجم ودراسة لتطور[17] المصطلح وليس معجما فقط ، وقد لوحظ [18] هذا قياسا على طريقة المعاجم التي تقتصر على تعريف واحد ؛

---

[17] انظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (كذا ورد العنوان) ، الدكتور أحمد مطلوب ، بغداد ، ١٩٨٣ : المقدمة .

[18] انظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطويرها ، الأستاذ محمد بهجة الأثري ، من كتاب رفيق عمري في كتابات الآخرين : ١٥٥.

فهو يشبه المعاجم من حيث ترتيب المصطلحات الفبائيا ولكن يباينها في سرده كل ما يُقال عن المصطلح الواحد من تعريفات متعددة ، وتعريف المصطلح يجب ان يكون واحدا [١٩].

وهذا لا يفت في عضد هذا الضرب من التأليف بل هي طريقة أكثر تطورا أو قل طريقة أخرى في التأليف المعجمي المتخصص لسببين ، الأول : انه يريد ان يشير إلى ان هذا الضرب من التأليف وهو المعجم المتخصص ينبغي ان يختلف عن التأليف في المعجم العام في كل الأحوال (عدا الترتيب الالفبائي) لأنه تأليف في المصطلح المتخصص والسبب الثاني وهو تفسير للسبب الأول ان أحمد مطلوب لم يكن بصدد الكلمة ومعناها في المجال العرفي ، العام مهما تعدد ، بل بصدد المصطلح البلاغي ومفاهيمه المتعددة وتنوع تعريفاته فضلا عن ان المصطلح لا يكون مصطلحا الا اذا استوى على عرش من المفاهيم لأنه يخدم مجالا ادبيا متنوعا غنيا ، ولكل تعريف حيثياته ، ولكل معرّف تسويغه ، في مدى قرب المصطلح من المجال الذي يخدمه ، من درس أو انجاز فني ؛ فلم يكن امام أحمد مطلوب إلا أن يضع بين يدي الدارسين ما ورد من تعريفات ومفاهيم تتفاوت بين الايجاز والتفصيل أو القرب أو البعد ؛ فهو اذن دراسة للمصطلح وليست ايرادا واحصاء مجردا .

إنّ التفكير بهذا المعجم وتنفيذه دليل على ان الايداع الفني العربي من جهة ، والوعي الجمالي ومعاييره الجمالية الذوقية من جهة أخرى ، مستمرة

---

[١٩] انظر : م . ن : ١٥٦.

بالحياة ، ولابد من ان تكون حاضرة وتؤدي ما عليها من دور وان ما يثيره مدعو الحداثة بحجة التطور لايعني اهمال هذا الثراء وينبغي ان تخضع المشاكل التي يثيرونها حول (جفاف البلاغة) إلى حلول منهجية كمعالجة الأساليب مثلا التي تقدم البلاغة . وإلا إن الاطلاق والتعميم والخلط بين البلاغة واساليب تقديمها شأن ليس له في الموضوعية مكان ، واذا كان تأثير استيراد المناهج النقدية الغربية من قبل اقل من قرن فانه يخص لغات واذواقا أخرى ، وجاءت بترجمات قاصرة وبتصنيفات متفاوتة ، وقد ألغى بعضها بعضا وانحسرت في بيئاتها ؛ كتيارات لها أسباب في نشوئها واختفائها ؛ فليست هي مجالات معرفية لها اسسها الشمولية الراسخة ؛ ومع هذا كان لها الاثر السيء في الأدب العربي ، بل اساءت بشدة إلى مفهوم التجديد ومنطق التحديث ؛ ولذلك جاء الاقدام على معجم تخصصي لعلم البلاغة العربي ردّا مناسبا ، وليلفت الانتباه إلى قيمة هذا العلم وقدرته على مواكبة الابداع الحقيقي ، وليس الثرثرة أو الكتابات التجريبية لتيارات واتجاهات وافدة ؛ والا فالمكتوب على أساس هذه التيارات عليه ان يخضع لمقاييسها . وجاء أيضا رفدا للدراسات النقدية ، لو احسن النقاد استثماره ودراسة متونه ، نظريا وتطبيقها على الواقع الادبي المعاصر .

وكذلك تأليفه في المصطلح النقدي ؛ بل إن اطلاق عنوان كالمصطلح النقدي دليل على يقينه بأن ثمة علما للنقد عند العرب وليس نظرية نقدية عربية فقط والا فالمصطلح دليل على وجود العلم والمنهج وترفده نظريات لانظرية واحدة ، وهو بهذا اشترك مع السكاكي والقزويني في فرز

مصطلحات النقد أي ما يخص النظر الفني والنقدي ولا بد في معجم [illegible] الوقت الذي اختار السكاكي والقزويني المصطلحات البلاغية ، ليشير الثلاثة إلى الانجاز الحضاري الفكري والثقافي للتراث العربي الإسلامي في علوم البلاغة والنقد ، مهما اختلفت آراء الباحثين المعاصرين بين اثبات علم النقد عند العرب وبين نفيه عنهم ، واقتصاره على الآراء المبعثرة للنقاد العرب غير ملتفتين إلى مكان المصطلح النقدي ومكانته .

ولا أريد أن أعدد جوانب شخصيته الأخرى ، وهي في التحقيق والدفاع عن العربية وفي التصحيح للفكر الأدبي واللغوي والوقوف إزاء أعلام التراث وغيرها ؛ فالمقام هنا مقام ذكرى وتنويه بمقامه ومكانته ، وجهوده مشهودة ؛ فمهما استرسلت هذه الأوراق فإنما تعد منها ولا تعددها ، كما يقول أبو الطيب .

منهج الدكتور أحمد مطلوب
في (معجم مصطلحات النقد العربي القديم)

الأستاذ الدكتور فاضل عبود التميمي
كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة ديالى

الملخص :

يسعى هذا (البحث) بمنهجيّة وصفيّة تميل إلى التحليل الى الوقوف عند المنهج الذي اتبعه الدكتور أحمد مطلوب في تأليف كتابه المعجمي الرائد (معجم مصطلحات النقد العربي القديم) دار الشؤون الثقافية العامة : بغداد : ج١، ج٢ :١٩٨٩، وقد اعتمد – البحث – على عدد من المصادر والمراجع التي أضاءت مساحة اشتغال المؤلف ، وعملت على تقديم البحث برؤية تتناسب وأهميّة إنجاز معجم حديث في مصطلحات نقديّة قديمة .

افتتح (البحث) على عناية النقد القديم والحديث بالمصطلح النقدي القديم ، ووقف عند عناية (مطلوب) بالمصطلح النقدي القديم ، وعمله في إنجاز المعجم ، ثمّ استعار دلالة المنهج بالطريقة التي يسير عليها دارس ؛ ليصل إلى حقيقة في موضوع من موضوعات الأدب ، أو قضاياه منذ العزم على الدراسة ، وتحديد الموضوعحتى تقديمه ثمرة إلى القراء .
وقد أثار (البحث) سؤالا يبحث في المنهج الذي اتبعه الدكتور أحمد مطلوب في تأليف معجمه النقدي ليتوصل إلى المنهجه في تأليف المعجم

هو (المنهج الوصفي ذو الرؤية التأريخية التحليلية) الذي بانت معالمه من خلال جملة إجراءات عمل (البحث) على التدقيق فيها بوصفها دليله إلى إقامة الحجة ، وانتزاعها من متن المعجم ... والله ولي التوفيق .

العرض :

أولاً : عناية النقد بالمصطلح :

يُراد بالمصطلح اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول ، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر ، لمناسبة بينهما[1]، وهذا يعني أن المصطلح ((مفهوم مفرد ، أو عبارة مركّبة استقرّ معناها ، أو بالأحرى استخدامها ، وحدّد في وضوح ، فهو تعبير خاص ضيّق في دلالته المتخصصة ، وواضح إلى أقصى درجة ممكنة ، وله ما يقابله في اللغات الأخرى ، ويرد دائما في سياق النظام الخاص بالمصطلحات فرعٌ محدّدٌ فيتحقّق بذلك وضوحه الضروري))[2].

وقد دعت الضرورات الحياتيّة إلى العناية بالمصطلح في مختلف العلوم والفنون ، والآداب والحرف ، والنشاطات الإنسانية فكان ((لابدّ لأهل كلّ علم ،وأهل كلّ صناعة من ألفاظ يختصّون بها للتعبير عن مراداتهم ،

---

[1] ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد علي التهانوي : تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع : القاهرة ١٩٦٣ : ٢١٢.

[2] الأسس اللغويّة لعلم المصطلح : محمود فهمي حجازي : دار غريب للطباعة والنشر ، مصر ، د.ت ، ص١٢.

وليختصروا بها معاني كثيرة))[3] ، وقد اعتنى النقادُ العربُ الأوائلُ المصطلح بعد أن نشطت الحركة العلميّة والفكريّة إبان العصر العباسي ، وظهور الترجمة ، واحتياج المؤلفين إلى ألفاظ تدلُّ على اشتغالهم المعرفي ، وقد أسهم القرآنُ الكريمُ في تقديم عدد من الاصطلاحات الشرعيّة ، ثم كان للمتكلمين والنقاد ، والبلاغيين ، والعروضيين أثر في اختراع (أسماء) ؛ أي (مصطلحات) لم تكن معروفة يومها عن طريق التعريب ، حتى ظهر كتاب (مفاتيح العلوم) للخوارزمي (٣٨٧هـ) الذي يُعدُّ أوّلَ موسوعة معجمية عربيّة منظّمة على منهج واضح تتبّعت المصطلحات ودلالاتها ، ثمَ تُبع بعد ذلك بمعجمات أكثر تطوّرا منها : (التعريفات) للشريف الجرجاني (٨١٦هـ) ، و(الكليات) للكفوي (١٠٩٤هـ) ، و(كشاف اصطلاحات الفنون) ، للتهانوني (١١٩١هـ)[4].

أمّا في العصر الحديث فقد تأكّد لي صدور المعجمات النقديّة الآتية :

ا- مفردات البلاغة والنقد الأدبي عند قدامة بن جعفر (نقد الشعر) لـ (حميدة النيفر) ، وهي جامعيّة قُدّمت إلى إحدى الجامعات الفرنسيّة ؛ لنيل شهادة الدكتوراه في العام ١٩٧٠.

ب- مفاهيم الجماليّة والنقد في أدب الجاحظ للدكتور ميشال عاصي ، وقد طبع أوّل مرة في بيروت العام ١٩٧٤.

---

[3] مصطلحات نقدية وبلاغيّة في كتاب البيان والتبيين : الشاهد البوشيخي : دار القلم : ١٩٩٥ : ١٣.

[4] ينظر : بحوث مصطلحية ، الدكتور أحمد مطلوب : منشورات المجمع العلمي : مطبعة المجمع : ٢٠٠٦ : ٨-١٦.

ت- مصطلحات نقدية أصولها وتطورها الى نهاية القرن السابع للهجرة للأستاذ حبر الله علي السعدالي ، وهي رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب جامعة بغداد في العام ١٩٧٤ بإشراف الدكتور علي جواد الطاهر .

ث- مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ للدكتور الشاهد البوشيخي ، وهي في الأصل رسالة دبلوم الدراسات العليا تمت مناقشتها في ١٩٧٧ في المغرب ، وصدرت في كتاب في العام ١٩٨٢ .

ج- الاصطلاحات النقدية والبلاغية في كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر دراسة لغوية تأريخية نقدية للأستاذ ادريس الناقوري نوقشت في العام ١٩٨١ ، وطبعت في العام ١٩٨٢ بعنوان المصطلح النقدي في نقد الشعر دراسة لغوية تاريخية نقدية [٥].

د- المصطلح في التراث النقدي ، الدكتور رجاء عيد ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، طباعة شركة الجلال للطباعة : مصر : ٢٠٠٠.

ومن يقف عند هذه المتون المعجمية ، أو الباحثة في المصطلح سيتأكد بلا شك :

١- إنها قليلة جدا قياسا بتاريخ النقد عند العرب ، وعدد المشتغلين فيه ، وربما يعود ذلك إلى قلة ما محقق من متون نقدية قديمة ؛ وغياب

---

[٥] ينظر : مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم : الدكتور الشاهد البوشيخي : مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية : جامعة سيدي محمد بن عبد الله : فاس المغرب : عدد خاص ٤ : ١٤٠٩ : ٢٣.

النوايا الخاصّة بدراسة المصطلح النقدي القديم أمام السيل الجارف الذي يُعنى بالنقد الحديث وإشكالاته ، ومصطلحاته .

٢- إنّها على قلّتها لم تكن معجمات خالصة في النقد القديم ، وإنّما اشتركت البلاغة في متون قسم منها .

٣- إنّها صدرت عن مؤسّسات جامعيّة أكاديميّة ، أو كانت في أصولها رسائل ، أو أطاريح قدّمت إلى الجامعات العربيّة أو الغربيّة ، وهذا يعني ضعف التواصل مع المصطلح في المؤسسات الثقافية الأخرى .

ثانياً: المدخل إلى عناية (مطلوب) بالمصطلح النقدي القديم :

كان الدكتور أحمد مطلوب على صلة قويّة بالنقد العربي القديم ، فقد كانت دراسته الجامعيّة الأولى في قسم اللغة العربيّة كليّة الآداب والعلوم جامعة بغداد ١٩٥٢م ، وتخرج فيها بدرجة الشرف في العام ١٩٥٦م[١] . وفي العام ١٩٦٠ انتهى من كتابة رسالة الماجستير عن السكاكي (٦٢٦هـ) التي عنوانها (البلاغة عند السكّاكي) لتصدر في كتاب ١٩٦٤ في بغداد ، ليلحقها بأطروحة الدكتوراه في العام ١٩٦٣م عن (القزويني وشروح التلخيص) التي صدرت في بغداد أيضاً في كتاب ١٩٦٧ ، لتظل المصطلحات البلاغيّة والنقدية تجول في خاطره وتتحرك في مخيلته حتى

---

[١] ينظر : رفيق عمري في كتابات الآخرين : الدكتورة خديجة الحديثي : المطبعة المركزيّة في جامعة ديالى : ٢٠١٤ : ٣.

أصدر (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) في ثلاثة أجزاء : بغداد ١٩٨٣-١٩٨٦-١٩٨٧[6].

ثالثا: عمله في إنجاز المعجم :

حين أصدر الدكتور أحمد مطلوب (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) جرّده من المصطلحات النقدية القديمة إلا ما ذُكر في كتب البلاغة إيمانا منه بضرورة الفصل بين المصطلحات البلاغية والنقدية[7] ، فهو يدرك من باب التخصص أن الفصل بين البلاغة والنقد كان متحققا عند قسم كبير من العلماء الأقدمين الذين أدركوا أن التخصص المعرفي يسيّر العلوم إلى التطور والتقدّم ، والثبات ، ومن الأولى به بوصفه باحثا في النقد القديم أن يلحق بهم في نهجهم هذا . فكان له ما أراد فيما بعد .

عاد الدكتور أحمد إلى مصطلحات النقد القديم في العام ١٩٨٧م[8] بعد أن ارتفعت صيحة إشكاليّة المصطلح النقدي ليجمعها في معجم موحّد كلّل به جهدا نافعا القارئ والدارسَ فكان (معجم النقد العربي القديم) الذي أراد له أن يكون مرجعا يخدم النقد . والباحثين في عهد تعدّدت فيه المناحي ، واختلفت الآراء[9] ، في النقدين القديم والحديث .

---

[7] ينظر : معجم النقد العربي القديم : الدكتور أحمد مطلوب : ج١ دار الشؤون الثقافية العامة : بغداد ١٩٨٦ : ٥.

[8] ينظر : معجم النقد العربي القديم ١ : ٥.

[9] ينظر : معجم النقد العربي القديم : ١ : ٥-٦.

رابعا : منهجه :

ورد لفظ (المنهج) في لسان العرب بمعنى الطريق[10] ، فضلا عن الطريق الواضح[11] ، وهذا ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾[12] وهو في لغة الاصطلاح الطريقة التي يسير عليها الدارس ليصل إلى حقيقة في موضوع من موضوعات الأدب ، أو قضاياه منذ العزم على الدراسة ، وتحديد الموضوع حتى تقديمه ثمرة إلى القراء[13].

والمنهج في لغة إجراء البحث الخطوات البحثيّة التي اتبعها الدكتور أحمد مطلوب في سبيل النهوض بمتن كتابه المعجمي (معجم النقد العربي القديم) بجزأيه الأول والثاني ، الذي تتبّع فيه مصطلحات النقد العربي القديم ، وكان الهدف من تأليفه جمع المصطلحات النقديّة القديمة ، ودراسة أصولها ، وجوهر فاعليّتها النقديّة بقصد فهمها ، وإزالة ما التبس حول نشأتها ، ودلالتها كي تكون في متناول القرّاء والمعنيين .

يؤكد الدكتور مطلوب في مقدمة معجمه أنّ نهجه فيه لم يخرج عن نهج المعجم الأول ، أي (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) فقد اتبع في تأليف متنه الخطوات الآتية :

---

(10) ينظر : لسان العرب : دار المعارف بمصر : مادة نهج .

(11) ينظر : مختار الصحاح : الرازي : دار الكتاب العربي ، ١٩٨١ : مادة نهج .

(12) سورة المائدة : الآية : ٤٨.

(13) ينظر : منهج البحث الأدبي : الدكتور علي جواد الطاهر : منشورات مكتبة النهضة - بغداد : ط١ : ١٥.

- ترتيب المصطلحات بحسب تتالي حروفها لكي يكون المصطلح ميسّرا لمن يبحث عن معلومة ، ومن هنا حرص الدكتور مطلوب على الإتيان بدلالة المصطلح اللغويّة أولا ثم المصطلحية ثانيا ؛ ليتّضح سبيل الانتقال من المعنى اللغوي إلى المعنى النقدي .

٢ - جاء بقسم من المصطلحات العروضية ، وقسم من مصطلحات عيوب القافية لصلتها بنقد الشعر بشكل خاص ، والنقد القديم بشكل عام ، وهو إجراء صحيح يتناسب و طبيعة المعجم الذي أراد له أن يكون مستغنيا بنفسه[14].

وقد اتضح للمؤلف الدكتور مطلوب ، وللقارئ فيما بعد :

أ- أن المصطلح النقدي القديم عربيّ أصيل .

ب- أنه قد يكون اسما أو مصدرا ، وقد يكون كلمة واحدة أو أكثر .

ت- أنّه قد يطلق على عدّة فنون .

ث- أنه قد يتعدّد وتكون دلالته واحدة .

ج- أنه شمل الشعر والنثر بفنونهما المختلفة ، وأساليبهما المتنوعة[15].

ورأى الدكتور مطلوب أن الخصائص السابقة تنقض ما قيل عن قصور النقد العربيّ القديم واقتصاره على محاورة الشعر ، وأنّها تفتح الطريق لمن يريد أن يعرف تراث أمّته ، وما قدّمه الأوائل في دأب وإخلاص ، وتضع المعالم لمن يريد أن يتبنّى نقدا عربيا أصيلا ، ثمّ أحال على معايير وضع

---

(14) ينظر : معجم النقد العربي القديم : ١ / ٦.

(15) ينظر : معجم النقد العربي القديم ١ / ٦ .

المصطلح النقديّ الحديث ، وإشاعة العربيّ منه[١٦] . وقد بين أنّ صدور معجميه البلاغي والنقدي دعوة مخلصة إلى وضع المعجم النقدي الحديث ، فهما على ما رأى منطلقا لا رسوما تقيّد الخطى ، على فرض أنّ القديم من المصطلح مهادٌ معرفي واجرائي للمصطلح الحديث[١٧].

بعد هذا العرض الموجز للخطوات الإجرائية التي اتّصلت بالمنهج الذي اتّبعه الدكتور أحمد مطلوب يحلو لي ان أسأل سؤال البحث : ما المنهج الذي اتبعه الدكتور أحمد في تأليف معجمه النقدي ؟ ، لاشكّ أن المنهج الذي اتبعه مطلوب في تأليف معجمه قيد البحث كان منهجا وصفيًا يستند إلى رؤية تاريخيّة ، وأخرى تحليليّة .

المنهج الوصفي :

بدءا لا بد من معرفة حدود المنهج الوصفي الذي يستعمل في الدراسات الإنسانيّة بعامّة ، وهو يستقصي الظاهرة الأدبيّة ، أو النقديّة لغرض وصفها برؤية تاريخيّة ، وأخرى تحليليّة . جاء في لسان العرب :

---

[١٦] يمكن تلخيصها في : رصد المصطلحات العربية والوقوف على دلالاتها ، وجرد أهم الكتب الأدبيّة والنقديّة العربيّة الحديثة ، فضلا عن كتب المصطلحات النقديّة الحديثة ، وجرد أهم كتب الفلسفة ، وعلم النفس ، والاجتماع ، والفنون ، واستخلاص المصطلحات التي تتّصل بالنقد الأدبي ، وجرد أهمّ كتب الأدب والنقد المترجمة ، والاطلاع على موسوعات الأدب الأجنبي ، والاستعانة ببعض المعجمات الأجنبيّة ، وتصنيف ما يجمع من التراث القديم ، والحديث بمنهج واضح ، وتعريف المصطلح تعريفا واضحا... ينظر : معجم النقد العربي القديم :١ : ٢٣-٣٤.

[١٧] ينظر : معجم النقد العربي القديم :١ : ١٠.

الوصف : وصفك الشيء بحليته ، ونعته[18] ، وقديماً عرف قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) الوصف بأنّه ((ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات))[19] ، بمعنى والحديث للناقد ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) ((الإخبار عن حقيقة الشيء))[20] ، وإذا كان قدامة ، والقيرواني يتحدّثان عن وصف الشعر فإنّ حديثهما ينصرف إلى أكثر من جنس أدبيّ قد يتعلق بالنثر ، وبالنقد أيضاً ، بمعنى أنّه مجموعة من الإجراءات البحثيّة التي عمد إليها الدكتور أحمد مطلوب وهو يصف المصطلح قبل سرد تأريخه ، وبيان تحليله ، كي يكون للوصف عناية خاصّة بالمصطلح من حيث ملامح شكله ؛ أي ضبط تلفظه ، ومعرفة مرادفاته . كما هو في حدود استعمالاته القديمة ، وقد اعتمد الآتي من الإجراءات :

١- لعلّ أولى آليات الوصف عند الدكتور أحمد مطلوب تتبعه المصطلح النقدي على وفق توصيف يعتمد على معرفة الأصل اللغوي للمصطلح ، ولا سيّما ما جاء في لسان العرب ، والمعجمات اللغويّة القديمة الأخرى ، ومماثلته بالمدلول الاصطلاحي لرصد التقارب بين الدلالة اللغويّة والاصطلاحيّة ، وهذا التوصيف ابتكارًا جرائيٌّ يلحق بالمنهج كان النقاد العربُ القدماءُ من أسهم في إيجاده ، وبلورة شكله . وقد مضى الدكتور

---

(18) ينظر : لسان العرب : دار المعارف بمصر : مادة : وصف .

(19) نقد الشعر : تحقيق كمال مصطفى : مكتبة الخانجي في القاهرة : ط٣ : دون تاريخ : ١١٨ .

(20) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني : دار الجيل بيروت : ط٤ : ١٩٧٢ : ٢ : ٢٩٤ .

مطلوب يتقصى هذا التوصيف في معجمه إلا في حالات ، ففي حالة مصطلح (اختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها) جاء المصطلح خاليا من التوصيف اللغوي ، وهذا ما فعله مع مصطلح (الاستعانة) و (الاغرام)[٢١] ، وفي (براعة التخلص)[٢٢] ، ولكنه بعد صفحات عاد إلى مصطلح (التخلص) توصيفه لغويا[٢٣] ، وهذه الحالة تكررت أيضا في الجزء الثاني من معجمه ، ولاسيما مع مصطلح (السؤال والجواب)[٢٤] ، ومصطلح (سلامة الابتداع)[٢٥] ، وغيرهما كثير .

ولا يكرر الدكتور مطلوب التوصيف اللغوي للمصطلح حين يتكرر وروده مضافا إلى لفظ جديد ليشكل مصطلحا جديدا إيمانا منه بأن التكرار هنا فضلة لا فائدة منه ، وهذا ما فعله مع مصطلح (ائتلاف اللفظ مع المعنى) الذي جرّده من الوصف اللغوي ؛ لأنه سبق أن وصف مصطلح (الائتلاف) في صفحات سابقة[٢٦].

وقد يأتي بالتوصيف اللغوي من دون إحالة على معجم ، وهذا ما فعله في مصطلح (الارتداد) الذي قال في : ((الهدم نقيض البناء ، هدمه

---

[٢١] ينظر : معجم النقد العربي القديم : ١ : ١١٢ ، ١٥٤ ، ١٦٧ .

[٢٢] ينظر : نفسه : ١ : ٢٧٤.

[٢٣] ينظر نفسه : ١ : ٣٠٦-٣٠٧.

[٢٤] ينظر : نفسه : ٢ : ١ : ٣٣.

[٢٥] ينظر : نفسه : ٢ : ٤٥.

[٢٦] ينظر : نفسه : ١ : ٣٩-٤٧.

يهدمه هدما . وهدمه فانهدم))[٢٧] ، وعندي أنّ هذا التوصيف من بنات أفكار المعجمي مطلوب الذي عدّه إضافة استوجبها المقال . والمقام .

٢- وصف المصطلح من دون موازنته مع المصطلحات الأخرى ، وهذا الوصف يعتمد بعد الوصف اللغوي ،والتحديد الدلالي على مقولات النقاد الراصدة للمصطلح وصفا في حدود وصوله إلينا على ألسن النقاد العرب القدماء كما هو الحال في وصف مصطلح (التوارد)[٢٨] ، ومصطلح (المقامة)[٢٩] ، وغيرهما كثير .

٣- إنّ المصطلح النقديّ شأنه شأن المصطلحات كلّها بنيةٌ لغويّةٌ صغرى يمكن وصفها من حيث الشكل بالاعتماد على تراث الأوائل الواصف لها ، وتحديد الفاعليّة الخاصة بها ، ويمكن الاستعانة بوصف المعاصرين لما فيه من دقّة في التحديد ، وجدّة في التفكير ، وقد يكون الوصف من عند الدكتور مطلوب نفسه ، وهذا ما فعله مع مصطلح (أهل الأدب) حين قال عنهم : ((هم الذين يكتبون الأدب : شعره ونثره ، أو الذين ينقدونه))[٣٠]

٤- وصف المصطلح ضمن بيئته الثقافيّة ، وتعدّد تسمياته ، وهذا ما بدا واضحا في وصف مصطلح (الائتلاف) أي ائتلاف الوزن ، والقافية ، واللفظ والمعنى في تعريف الشعر ، الذي سمّاه ابن حجة الحموي

---

[٢٧] نفسه : ١ : ٣٤٨.

[٢٨] ينظر : معجم النقد العربي القديم : ١ : نفسه : ٤٠٨.

[٢٩] ينظر : نفسه : ٢ : ٣٣٩.

[٣٠] نفسه : ١ : ٢٤٩.

(٧٣٧هـ) مراعاة النظير ائتلاف ، وتناسب ، وتوفيق ، ومؤاخاة ، وذكر المدني (١١٢٠هـ) أن قوما سمو مراعاة النظير بالتوفيق ، والتناسب والائتلاف ، والمؤاخاة[٣١] ، وهو ما ظهر مع مصطلح (الاستهلال) الذي يسمى بالتسهيم ، والمطلع ، والابتداء ، وبراعة الاستهلال ، والافتتاح ، ومبادئ الكلام[٣٢] ،وهو ما كان ايضا مع (الاعنات) الذي عد لزوم ما لا يلزم ، والتضييق ، والتشديد ، والالتزام[٣٣].

وأحال الدكتور أحمد مصطلح (السرقات) على مرادفاته الاصطلاحية إيمانا منه بضرورة الإحاطة بالمصطلح ، وما يولد منه من مصطلحات لها أهميتها في النقد العربي مترامي الأطراف ، فقد عد الانتحال ، والنسخ ، والمسخ ، والإغارة ، والإلمام ، والسلخ ، والنقل ، والقلب ، وغيرها من انواع السرقات المعروفة في النقد القديم[٣٤] ، ثم عالجها دلاليا في بطن المعجم .

٥- وصف دلالة المصطلح النقدية التي يأتي بها جادة في نسج سياق المعجم مع رغبة في الإفادة من إحصاء النصوص التي وردت من خلالها المصطلحات ، وهذا ما شكل ظاهرة في المعجم كله .

---

[٣١] ينظر : معجم النقد العربي القديم : ١ : ٣٠٢ - ٣٠٣ .

[٣٢] ينظر : ١ : نفسه : ١٦١.

[٣٣] ينظر : نفسه :١ : ١٩١.

[٣٤] ينظر : نفسه : ٢ : ٤٣.

الرؤية التاريخيَة :

وهي من أقدم الرؤى التي استندت إلى المنهج التأريخي الذي كان رائده (سانت بوف) و (هيبوليت تين) ، وخلاصة هذه الرؤية المنهجيَة تأكيد ((أن الأدب مثل الطبيعة لا يعرف مجالا للقوانين الفرديّة ، وأن الأدباء يخضعون جميعا في كلّ أدب وكلّ أمة للقوانين العامّة ، وأنّ أيّة محاولة لفهم هذا الأدب فهما صحيحا لا بد لها من الرجوع إلى التربة التي أنبتت ، والعوامل التي أعانت على نمائه))[٣٥] ، ومغزى هذه الرؤية كما أفهم من عمل الدكتور مطلوب في معجمه الوقوف عند التطور التأريخي لدلالة المصطلح ، وهذه غاية نبيلة تتم من خلال التتبّع الزمني لتأريخ المصطلح ، وكيف تقلّب على أيدي النقّاد مئات السنين ، وهذا ما سنلاحقه في تتبّع مصطلحي (الاحتجاج النظري) ، و (الغموض) في المعجم مثالين ليس غير :

١- كان الدكتور أحمد مطلوب معنيًا بمعرفة البيئة الأولى لمصطلح (الاحتجاج النظري) وهي بيئة موزّعة على مشرق البلاد الإسلاميّة ، ومغربها فقد سمّى هذا المصطلح كلّ من : أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) ، وابن القيّم الجوزيّة (٧٥١هـ) ، وابن النقيب (١٠٨١هـ) ، وإذا كان الأول أندلسيّ المولد والنشأة مصريًا في خاتمة حياته فإنّ الاثنين الباقيين دمشقييّا الولادة والممات ، وهذا ما كان أدركه الدكتور مطلوب لمحا ، وهو يتقصى

---

(٣٥) المناهج النقدية الحديثة أسئلة ومقاربات : الدكتور صالح هويدي : دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع : سورية : ٢٠١٥ : ٧٤.

الأصول الأولى للمصطلح ،أي أن البينة تدل على زمان محدد ، ومكان أسهما في ولادة المصطلح ، وشيوعه على أيدي عدد من النقاد .

وهذا ما فعله الدكتور أحمد مطلوب مع مصطلح (الغموض) أينما الذي تدرج معه من خلال التأريخ النقدي لعدد من النقاد وهم : محمد بن محمد التنوخي (٣٤٢هـ) ، وأبو إسحاق الصابي (٣٨٤هـ) ، وأبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) ، وابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) ، وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) ، وابن الأثير (٦٣٧هـ)[٣٦].

ويُبهم الدكتور مطلوب أن يلاحق المصطلح نفسه في تطوّر تسميته في لمحة تأريخية تريد الوقوف على سيرة التسمية ، وكيف تحولت من ناقد إلى آخر ، فـ (الاحتجاج النظري) عرف بهذه التسمية عند النقاد الثلاثة السابقين ، ولكنه عرف بـ (إلجام الخصم بالحجّة) عند الزركشي (٧٩٤هـ) ، وهو عند البلاغيين (المذهب الكلامي) ، وعند المتأخرين إيراد حجّة المطلوب على طريقة أهل الكلام كما نقل أبو هلال العسكري ، وعند القيرواني مذهبٌ كلاميٌ فلسفيٌ ، تلقفه البلاغيون فيما بعد ، وعُدّ واحدا من مصطلحاتهم أمثال : التبريزي (٥٠٢ هـ) صاحب الوافي ، والمصري (٦٥٤هـ) صاحب تحرير التحبير ، حتى دخل المحسّنات المعنوية على أيدي أصحاب بلاغة السكاكي(٦٢٦هـ) من الملخصين والشارحين للمصباح ، وعروس الأفراح ، وحسن التوسّل ، وصولا إلى القزويني (٧٣٩هـ) ، والسبكي (٧٧٣ هـ)[٣٧].

---

(٣٦) ينظر : معجم النقد العربي القديم : ٢ : ١٥١ ، وما بعدها.

(٣٧) ينظر : نفسه : ١ : ١٠١ - ١٠٥.

وبعد هذه السلسلة الراصدة لتطور المصطلح في تسميته يأتي الدكتور مطلوب إلى تفريعه معتمدا على نصوص القرآن الكريم ، والشعر العربي ، وفهمه الدقيق للمصطلح .

٢- عناية الباحث في أصل المصطلح كما في مصطلح (الاحتجاج النظري) حين قال عنه : هو الفن الخامس من بديع ابن المعتز ، ثم يأتي بكلام الأخير الذي يؤكد خلوّ القرآن الكريم منه ، وطبيعة دلالته النقدية[٣٨] ، وهذا ما كان مع مصطلحات أخرى مثل مصطلح (حسن الخاتمة) الذي كان(الانتهاء) عند ابن رشيق القيرواني[٣٩] ، وهذا ما فعله أيضا مع المصطلحات الأخرى .

٣- تطور المصطلح والوقوف عند سيرته العامة بدءا من ظهوره الأول ، وانتهاء بانتشاره النقدي ، وهذا ما فعله في درج سياقات المعجم ، ولك أن تتأكد منهجيا من ذلك بالوقف مثلا عند مصطلح (المعاني) الذي تشعب فيه القول ليشمل المصطلح ومضافاته[٤٠].

الرؤية التحليليّة :

يمكن أن نعدّ الرؤية التحليليّة التي انتهجها الدكتور أحمد مطلوب ، وهو يتمم الصلة بمصطلحات المعجم محاولة ملحقة بالوصف أراد من خلالها فتح مغاليق المصطلح للإفادة من فاعليّته الدلاليّة خدمة للثقافة الأدبيّة والنقديّة ،

---

[٣٨] ينظر : معجم النقد العربي القديم : ١ : ١٠٢.

[٣٩] ينظر : نفسه : ١ : ٢٣٩.

[٤٠] ينظر : نفسه : ٢ : ٣١٠ - ٣٢٢.

فهو يستخرج مكنون المصطلح الذي يبيض من دلالته ؛ ليكون ذا فاعليّة نقديّة في إطار زمان محدّد ومكان .

والتحليل بتعريف جورج مونان ((كلّ تقنيّة تسعى إلى التأسيس العام ، والشكلي للروابط الموجودة بين الوحدات اللغويّة للخطاب المنطوق ، أو المكتوب في مستوى أعلى من مستوى الجملة))[٤١] . وهو بحسب التعريف السابق ينفتح على ضرورة التعامل مع النصّ المدلل شعرا كان ، أو نثرا ، ومنه(المصطلح) بوصفه شكلا يتجاوز بنية الكلمة ، والجملة إلى الخطاب .

واذا كان التحليل بحسب علم النفس ((تفكيك أمر ما إلى مركّباته الأساسية))[٤٢] . فإن عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) من أكثر القدماء اهتماما به كما يقول الدكتور أحمد مطلوب[٤٣] ؛ لأنّ التحليل عنده يوصل إلى الحكم الصحيح ، ويجعل المصطلح واضح الدلالة منتقدا على طرائق التأثير ، ويحيل الدكتور مطلوب في هذا المقام على قول الجرجاني نفسه : ((أنّه لا يكفي في علم الفصاحة أن تنصب لها قياسا ما ، وأن تصفها وصفا مجملا ، وتقول فيها قولا مرسلا . بل لا تكون من معرفتها في شيء حتى تفصّل القول ، وتُحصّل ، وتضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم وتعدّها واحدة واحدة ، وتسمّيها شيئا شيئا ، وتكون معرفتك الصنع

---

[٤١] توجهات تحليل الخطاب في الثقافة العربيّة : عمر بلخير : مجلة فصول : م٢٥/٤ العدد (٩٧) خريف ٢٠١٦ : ١٥ ، وينظر مصدره .

[٤٢] معجم علم النفس إنكليزي – فرنسي – عربي : فاخر عاقل : بيروت : ١٩٨٣ : ١٦ .

[٤٣] ينظر : معجم النقد العربي القديم : ١ : ٢٠٦.

الحاذق الذي يعلم علم كلّ خيط من الإبريسم الذي في الديباج ، وكلّ قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطّع ، وكلّ أجرّة من الآجرّ الذي في البناء البديع))[٤٤].

ففي هذا النصّ الذي يحوم حول التحليل الجماليّ للأدب تحدّث عبد القاهر عن الفصاحة بمفهومها العام حين تشمل النصّ الأدبيّ بثوبها القشيب ، فتكون وظيفة التحليل : التفصيل ، ووضع اليد على الجمال ، ومقاربة النصّ بصنعة العارف ، وعندي أنّ التحليل الجمالي للنص الأدبي يتشارك وتحليل النصّ النقديّ في أنّهما مبنيّان على إظهار قوة اللغة ، وإشاعة المفاهيم الكامنة في النصوص ، فالتحليل في كلتا الحالتين يهدف إلى إبراز الأفكار ، والقيم الجماليّة ، والاشارة إلى الفاعليّة التأثيريّة .

وتحليل المصطلح عند الدكتور مطلوب يراهن على تفكيك البنية الخاصّة بالمصطلح إلى عناصرها الاساسيّة التي تنبثق منها الرؤية النقدية ذات الفاعليّة التي تشتمل على الدلالة الخاصّة التي يُعرف بها في حدود الاشتغال الذي يتجاوز البنية التي تتشكّل في حدود كلمة واحدة ، أو أكثر إلى نصّ له اثاره التي تتمدّد في النصوص ، من حيث السمات الصوتيّة ، والتركيبيّة ، والدلاليّة .

وتقتضي الرؤية المنهجيّة عند مطلوب أن يأتي بالمصطلح الواحد مقرونا بتعريفات متعددة ينقلها من مصادرها ، أو من المعجمات القديمة ، أو من قسم من المراجع التي لها تماس بالمصطلح ،وهذا ما فعله مع

---

[٤٤] ينظر : دلائل الإعجاز . قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٨٤ : ٣٧.

مصطلح (القافية) الذي جاء بتعريفاته المتعددة مستعارة من (الخليل ١٧٥هـ) و (الأخفش٢١٥هـ) ، ووقف عند رأي (ابن رشيق القيرواني) الذي وازن بين الرأيين السابقين ليقدّم رأي الخليل بدليل منه ، ثم يأتي برأي (قدامة بن جعفر) ، و (الفارابي٣٣٩هـ) ، و (الزجاجي٣٤٠هـ) ، و (أبي هلال العسكري) ، و (المرزوقي ٤٢١ هـ) ، و (حازم القرطاجني ٦٨٤ هـ) ، وغيرهم[٤٥] ، وهو في هذا المسعى لا يبغي سوى الوقوف عند المصطلح ،وما يثار حوله من أحكام ، وتعليقات .

هذه الإحاطة بالتعريفات تعطي دليلا على عناية المؤلف بالمصطلح ، وتتبّع ما قيل فيه ، ومن ثمّ تسهل مهمّة تحليله طمعا في إشاعة مفهومه ، وتأثيره ؛ لنقف عند مصطلح(الانتحال) ، و (المعارضة) لنرَ كيف وفّق الدكتور مطلوب في تحليلهما ؟ ، لقد ربط مطلوب الانتحال بالسرقة ، فقد عرّفه في حدود أن يأخذ الشاعر قصيدة . أو أبياتا لشاعر آخر ، وينتحلها لنفسه ، وجاء بقول جرير :

إنّ الذِينَ غَدَوْا بِلُبِّكَ غَـادَرُوا وسلا بعينكَ ما يزالُ معينـا

غَيَّضنَ مِن عَبَرَاتِهِنَّ وَقُلنَ لي ماذا لَقِيتَ مِنَ الهَوى وَلَقِينا

رأى الـدكتور مطلـوب بالإحالـة علـى مجموعـة مصـادر أنّ الـرواة مجمعون على أنّ البيتين لـ (معلوط السعدي) ، وقد انتحلهما جرير . ونقل تفريـق القـدماء بـين الانتحـال ، والادعـاء بالإحالـة علـى رأي لابـن رشـيق القيرواني ، فالانتحال عنده يرتبط بمن ادّعى شعرا لغيره ، وهو يقول الشعر ، والادعاء يكون لمن لا يقول الشعر ويدّعيه ، ثم نقل لونين للانتحـال عند

---

[٤٥] ينظر : معجم مصطلحات النقد القديم : ٢ : ١٧٠-١٧٤ .

عنده ، ويستعين ببعض ألفاظه لكان هذا احتذاء وسرقة ، ولم يكن معارضة ؛ ولكن يظهر للناس سقوط المعارض ، وخذلانه ، وافتضاحه كما في قول امرئ القيس :

خَليليَّ مُرّا بي على أمِّ جُندَبِ نُقَضِّ لُباناتِ الفُؤادِ المُعذَّبِ

وما قاله علقمة الفحل :

ذهبتَ من الهجرانِ في غيرِ مذهبٍ ولم يكُ حقّاً كلُّ هذا التجنُّبِ .

فتباين معنى البيتين ؛ لأنّ الأخير وصف الهجران الذي هو نقيض الوصال ، ويُعدّ مع ذلك معارضة ؛ لأنّه لما كان ما أتى به مثلاً لما أتى به امرؤ القيس في الفصاحة .

والمعارضة ، والمناقضة عند ابن منقذ (٥٨٤هـ) أن يناقض الشاعر كلامه ، أو يعارض بعضه ببعضها ، وهو قولٌ خرج عن جادّة تحليل المصطلح[٤٧] ؛ ليأخذ دلالة أخرى مغايرة .

ويرتبط التحليل عند الدكتور أحمد مطلوب بتفاصيل أهمها :

أ- **الإضافـــة :**

أي أنّ الدكتور مطلوب يضيف إلى المصطلح تحليلا ، أو شرحا من عندياته كي يظهر المصطلح بمظهر الوضوح ، وهذا ما فعله مع مصطلح (الائتلاف) الذي أضاف اليه قوله : ((أي : أنه يتألف من أربعة أركان : الوزن ، والقافية ، واللفظ ، والمعنى ، وقد تولد من ذلك ستة أضرب من التأليف ... إلخ))[٤٨].

---

[٤٧] ينظر : نفسه ٢ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

[٤٨] معجم مصطلحات النقد القديم ١ : ٣٩.

أمّا إضافته على مصطلح (الترسّل) فتمثّل في أنّه أضاف من عندياته خمس نقاط أساسيّة يحتاج إليها المترسّل[53] . فضلاً عن أنّه أضاف من عندياته ثقافته إلى مصطلح (النثر) وصفه : ((هو الكلام الذي لا يتقيد بوزن وقافية ، وهو أساس الكلام وجلّه))[54] ، وهكذا يبدو للمتابع أنّ إضافات الدكتور مطلوب تهدف إلى تسهيل فهم النصوص التي تحتوي على عدد من الفجوات ، والفراغات التي يقع على عاتقه القيام بإجراءاته الإضافيّة كي يكمل المعنى بقصد تقديم المقولات الملحقة بالمصطلح .

ب- الإحالة على القرآن الكريم :

أي أنّ الدكتور مطلوب يستعين بآيات من القرآن الكريم يأتي بها في درج حديثه النقديّ عن المصطلح في سبيل أن يكون التحليل واضحا ، وبذلك يمكّن المتلقي من فهم الإجراءات التي تخصّ تطبيقاته ، والإحالة – هنا – جزءٌ من تراث البلاغيين ، والنقاد القدماء ، وقد ابتكروها في سبيل أن تكون قراءاتهم للمصطلح واضحة وصحيحة ، نحو تحليله لمصطلح (الإحالة)[55] ، ومصطلح (المحاذاة)[56] ، وغيرهما كثير . .

ت- الإحالة على الشعر العربي :

أي أنّ الدكتور مطلوب يستعين بالشعر من خارج حدود المصطلح ؛ ليكون الاستشهاد به مجالا رحبا للإجراء النقدي ، وهذا التقليد التطبيقي سبق

---

(53) ينظر : نفسه : 1 : 321.

(54) ينظر : نفسه : 2 : 393.

(55) ينظر : معجم النقد العربي القديم : 1 : 101.

(56) ينظر : نفسه : 2 : 255.

للنقاد العرب القدماء أن عملوا به تقوية لأثر المصطلح ، وامتثالا لأهميّته الاستثنائيّة في تاريخ النقد ، وهذا ما كان له في معظم مصطلحات المعجم ، وللمتابع أن يقف مثلا عند مصطلحي (براعة التخلص)[٥٧] ، و(المسخ)[٥٨] ، ليتأكد من إجراءات الدكتور مطلوب الخاصّة بالإحالات الشعريّة .

ث-الإحالة على النحو :

أي أنّ الدكتور مطلوب يستعين بالنحو العربي كي يكون تحليله قريبا من ذهن المتلقي . وهذا ما صنعه في تحليل مصطلح (اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها)[٥٩] ، فضلا عن تحليل مصطلح (المحاذاة)[٦٠] ، وغيرهما ممّا يتفشّى في متن المعجم بجزأيه .

لقد سعى الدكتور أحمد مطلوب لأن يكون معجمه أساسا لوضع معجم نقديّ في عهد تعدّدت فيه المناحي ، واختلفت فيه الآراء ليصبح الرجوع الى المعجم الموحّد ضرورة ملحّة ، وقد افتتح معجم مصطلحات النقد القديم على (ثمانية عشر وثمانمئة) مصطلح ، وهدف الدكتور مطلوب من وضع معجميه (البلاغي) ، و(النقدي القديم) كما قال رسم الطريق لوضع معجم نقديّ معاصر يكون مرجعا للنقاد ، ومصدرا للباحثين ، فصدور المعجمين

---

(٥٧) ينظر : نفسه : ١ : ٢٧٤ ، وما بعدها.

(٥٨) ينظر : نفسه : ٢ : ٢٨٣ وما بعدها.

(٥٩) ينظر : نفسه : ١ : ١١٣.

(٦٠) ينظر : نفسه : ٢ : ٢٥٤.

كما رأى دعوة مخلصة إلى وضع المعجم النقدي الحديث ، ووقفته عند المصطلح القديم منطلقا نحو ربط القديم بالمعاصر[٦١].

وبعدُ : فقد لمست أنّ الدكتور أحمد مطلوب على الرغم من عنايته بالمصطلح ، ورغبته في إشاعة العمل فيه ، ونزع القيود عن استعماله ، إلا أنّه كان ممّن يبغي تقييد الاجتهاد في توسيع دائرة الإكثار منه ، ومن مرادفاته ، فالحريّة في التوسيع تعني عنده :

١- تعدد المصطلح ، من ذلك (الالتفات) فقد سمّاه ابن وهب (الصرف) ، وسمّاه أسامة ابن منقذ (الانصراف) . وسمّاه قوم (الاعتراض) .

٢- اختلاف دلالة المصطلح ،فقد ذهب قدامة إلى أنّ (المطابق) هو (ما يشترك في لفظة واحدة بعينها) ، وهو التجنيس عند الآخرين .

٣- اطلاق مصطلح واحد للدلالة على عدة أشياء مثل مصطلح (الاجازة) فهو أن يكون الحرف الذي يلي حرف الروي مضموما لم يكسر ، أو يفتح ويكون حرف الروي مقيدا ، وهو أن تكون القافية طاء والأخرى دالا .

٤- وضع مصطلح لما يستجد من فنون بلاغية ونقدية[٦٢].

وهذا يعني أنّ الدكتور أحمد مطلوب كان على وعي تام بضرورة المحافظة على المصطلح ،ومنع الارتجال ، والاستخفاف في توليده ما لم

---

[٦١] ينظر : ١ : نفسه : ٦.

[٦٢] ينظر : نفسه : ١ : ١٨ ، ١٩.

يكن ذلك من اختصاص المجامع العلميّة ، وأهل الاختصاص في حدود معروفة .

وبهذا المعجم يكون النقد العربيّ القديم قد اكتملت مصطلحاته على يدي أستاذ متخصّص في البلاغة والنقد ، وقد ترك وراءه تراثا مجيدا من المتون البلاغيّة والنقديّة ، فضلا عن مئات من طلبة النقد والبلاغة الذين أخذوا من علمه ، ونهلوا من فيض معرفته ، فلروحه الطاهرة المغفرة والسلام .

خامسا : الخاتمة :

على الرغم من أنّ الدكتور أحمد مطلوب لم يتحدّث عن منهجه المتبع في تأليف (معجم مصطلحات النقد العربي القديم) في مقدمة المعجم ؛ ليترك القول فيه لطلابه ودارسيه ، فإن القارئ المدقّق لمتن المعجم في جزئيه يستطيع أن يحدّد ذلك المنهج في الوصف ذي الرؤيتين التأريخيّة والتحليليّة .

المصادر والمراجع :

*- القرآن الكريم .

١- الأسس اللغويّة لعلم المصطلح : محمود فهمي حجازي : دار غريب للطباعة والنشر ، مصر ، د.ت .

٢- بحوث مصطلحيّة : الدكتور أحمد مطلوب : منشورات المجمع العلمي : مطبعة المجمع :٢٠٠٦.

٣- توجهات تحليل الخطاب في الثقافة العربية : عمر بلخير : مجلة فصول : م٢٥/١ العدد (٩٧) خريف ٢٠١٦.

٤- دلائل الإعجاز : قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر : مكتبة الخانجي القاهرة : ١٩٨٤.

٥- رفيق عمري في كتابات الآخرين : الدكتورة خديجة الحديثي : المطبعة المركزية في جامعة ديالى : ٢٠١٤ .

٦- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني : دار الجيل بيروت : ط٤ : ١٩٧٢.

٧- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد علي التهانوي : تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع : القاهرة : ١٩٦٣.

٨- لسان العرب : ابن منظور : تحقيق عبد الله علي الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي : دار المعارف بمصر .

٩- مختار الصحاح : الرازي : دار الكتاب العربي :١٩٨١ .

١٠- معجم علم النفس إنكليزي- فرنسي- عربي : فاخر عاقل : بيروت : ١٩٨٣ .

مصادر كتاب (البلاغة والتطبيق)
دراسة في الأصول والمنهج

الأستاذة الدكتورة نصيرة أحمد الشمري
كلية الاداب / جامعة بغداد

(فمَا كَانَ قيسٌ هلكه هلكُ واحدٍ ... ولكنه بُنيانُ قومٍ تهدّما)

هذا بحثٌ استقصائي في كتاب من كتب البلاغة والتعريف بها طارت شهرته في آفاق العالم العربي والناطق بالعربية هو كتاب (البلاغة والتطبيق) الذي قدّمه مؤلفان جليلان الاستاذ الدكتور أحمد مطلوب رئيس المجمع العلمي العراقي والأستاذ الدكتور كامل حسن البصير (رحمهما الله تعالى) ، والنسخة التي اشتغلت عليها مؤرخة سنة ١٩٨٢ وهي السنة التي صدرت فيها الطبعة الأولى منه قامت على طبعها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في مطابعها آنذاك ، وسيُعنى البحث بالحديث عن الجزء الأول من هذا الكتاب .

قُسّم الكتاب على أبواب أربعة وعمل عليه المؤلفان مناصفةً كان الباب الأول والثاني من نصيب الدكتور أحمد مطلوب وأما الباب الثالث والرابع فقد كان من نصيب الدكتور كامل حسن البصير ، درس الدكتور أحمد مطلوب في الباب الأول قضايا النشأة والتطور والتعريف بمصطلحي الفصاحة والبلاغة في كتب الأدب والتفسير وكتب إعجاز القرآن وآثار المتكلمين والفلاسفة ، وأما الباب الثاني فتناول علم المعاني وأغلب مباحثه التي انتهى اليها علم دراسة البلاغة ، واما الدكتور كامل حسن البصير فقد درس في

الباب الثالث علم البيان بفصوله ومباحثه ، وخصّ الباب الرابع لمباحث فن البديع وألوانه التي وصلت اليها .

وقد كشف الدكتور أحمد مطلوب في مقدمة الكتاب التي كتبها هو عن تقسيم العمل بين الاستاذين العالمين ، وبحسب الأبواب التي انتهت اليها البلاغة في عصورها المتأخرة مؤرخا للكتاب بقوله : " في الأول من كانون الثاني عام ١٩٨١ في الخامس والعشرين من صفر سنة ١٤٠١ " وشاء الصدف أن أبدأ بحثي هذا في الاول من كانون الثاني لكن لسنة ٢٠١٩ ولشهر جمادى الأولى من العام ١٤٤٠ للهجرة . يقول الدكتور أحمد مطلوب : " كتبتُ البابين الاول والثاني ، وحرر زميلي كامل البصير البابين الثالث والرابع ، وكان الالتزام واضحا بالمنهج التحليلي واعتماد النصوص البليغة ووضع التطبيقات والتمرينات في نهاية كل باب ليكون عونا للطلبة على فهم الأصول وتذوق النصوص "[1]. ويكشف هذا الكلام من أن الكتاب أعِدّ لتعليم الطلبة فنون البلاغة من أصولها ؛ لينشؤوا النشأة الصحيحة في هذا المجال العلمي ، فقتلُ القديم فهما أُولى خطوات التجديد مثلما يقول الدكتور أحمد مطلوب ، ويرى أيضا ان طالب العربية في الكلية لايحتاج الى رسم المناهج قدر حاجته الى الاصول التي تنير سبيله وتبصره بمواقع الكلام ، وهكذا كان تقسيم الكتاب قائما على الابواب الرئيسة التي انتهت اليها البلاغة (المعاني ، البيان ، البديع) ماعدا الباب الاول الذي استغرقه المؤلف في الكشف عن الاصول النظرية لمصطلح البلاغة بدءًا مصطلح الفصاحة ، فضلا عن الكشف عن المظان الاولى التي حملت البذرة الاولى

---

(1) البلاغة والتطبيق / المقدمة .

لفكرة البلاغة ، مع الاحتراز ان ما انتهى اليه السكاكي (٦٢٦هـ) في (مفتاح العلوم) الذي يحسبه العلماء مقنّن علم البلاغة ومثبت أبوابه، أدخل مباحث علم المعاني وعلم البيان في تعريفه وأخرج مباحث البديع لأنه يرى أنها وجوه يُؤتى بها لتحسين وجوه الكلام اذ يقول في تعريفه الدقيق للبلاغة [٢] : " هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدّاً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقّها ، وإيراد التشبيه والمجاز والكناية على وجهها ".

وأما آخر من وقف عند التعريف بالبلاغة من المتأخرين الخطيب القزويني (٧٣٨هـ) في كتابيه (الايضاح في علوم البلاغة) و(تلخيص المفتاح) وهو الذي قسّم البلاغة على ثلاثة أبواب : علم المعاني وهو ما يحترز به عن الخطأ ، وأما علم البيان فهو ما يحترز به عن التعقيد المعنوي وأما ما يعرف به وجوه تحسين الكلام فهو علم البديع ، ولم يخرج من أتى بعده عن هذه الابواب الثلاثة التي انتهى اليها التعريف بمصطلح البلاغة [٣].

ولسنا بصدد التقويم أو البحث والتعمق في هذا الامر ؛ لأنه ليس من مهمة البحث ، انما يكشف الاستقراء التاريخي والتتبّع لنشأة البلاغة وتطورها وثبوتها على الهيأة الاخيرة . إنّ القضية تعليمية منذ الأصول الاولى وحتى ثبوت المصطلح في القرن الثامن للهجرة تهدف الى تدريب الناشئة على أصول الكلام والأهم من ذلك طرق تأويله لا بحسب الفهم والتفسير انما

---

(٢) مفتاح العلوم / ١٩٦.

(٣) ينظر : الايضاح /٩ والتلخيص/٣٣.

بالمفيدة ما كان لنقلها فائدة ويريد بغير المفيدة ما لا يكون لها فائدة في النقل وموضعها حيث يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق أريد له التوسّع في اوضاع اللغة والتنوع في مراعاة الفروق في المعاني المدلول عليها .

وتُقسّم أيضا بأعتبار مايذكر من الطرفين الى استعارة تصريحية ومكنية وباعتبار تحقّق المستعار له حسّا وعقلا وعدم تحققه الى إستعارة تحقيقية واستعارة تخييلية ، وصُنّفت بأعتبار اللفظ المستعار الى أصلية وتبعية تصريحية وتبعية مكنية اذا كان المستعار اسما مشتقا او اسما مبهما وبأعتبار ما يتّصل بها من الملائمات وعدم اتصالها الى استعارة مطلقة ومرشحة ومجرّدة ، وبوّبت بأعتبار الجامع بين المستعار منه والمستعار له على خمسة أقسام [٥].

قد يكون من السهل على المتلقي حفظ هذه التقسيمات ولكنني أشك تماما عند الإحالة على التطبيق ان نُنتج شيئا نافعا ، ويرى الدكتور البصير [٦] ان هذه التقسيمات يرجع معظمها الى المباحث التي عقدها علماء البلاغة لفن التشبيه (طبعا ؛ لان الاستعارة تقوم على التشبيه أصلا) متناولين مادة طرفيهِ أهي حسية أم عقلية أم وهمية والى طبيعتها أجامدة هي أم مشتقة كما تعود الى ان وجه الشبه الجامع بين الطرفين تحقّقا وتمثيلا وتوهمّا ، اذا بالرجوع الى اصل الاستعارة وهو التشبيه ستتكاثر فروع الاستعارة وتتشعب

---

(٥) البلاغة والتطبيق / ٢٥٠.

(٦) م.ن.

لتشعب أنواع التشبيه . ولكن بعض العلماء يتناول الامر في التطبيق بنمط معاير سلس يقنع السامع المتذوق حتى لو كان البلاغي ، أو المفسر ، او الناقد رافضا لسياق الاستعارة في البيت مشككا في جودتها وهذا كائن في بدايات نشأة البلاغة او مابعد ذلك بقليل ونورد هنا رفض الامدي (٣٧١هـ) وتصديه لاستعارة ابي تمام في وصف القوافي [٧] :

" لم تُسقَ بعد الهوى ماءً أقلَّ قذى   من ماء قافيةٍ يُسقيكهُ فهِمُ

وعلّق عليه : فجعل القافية ماءً على الاستعارة فلو أراد الرونق لصلُح ولكنه قال : يسقيكهُ ففسد معنى الرونق لانك اذا قلت : (هذا ثوب ماء) أو (لفظٌ له ماء) لم تجعل الماء مشروبا على الاستعارة فتقول : (ما شربت ماءً أعذب من ماء ثوب شربته عند فلان) و(رأيته على فلان) وكذلك لا تقول : (ماشربت ماء أعذب من ماء قفا نبك) او (أعذب من قصيدة كذا) ؛ لان للاستعارة حدا تصلحُ فيه فاذا جاوزته فسُدتْ وقبحتْ ". فهذا التقديم لفن الاستعارة وتثبيت السياق الجيد من الرديء ، يكون أهلا للفهم والتقدير ، ونورد هنا أيضا [٨] رأي عبد القاهر الجرجاني في كلامه عن الاستعارة وتذوقها ، وقد أشار الى ضربي الاستعارة العاميّ والمبتذل والخاصّي النادر وأكّد على ان الضرب الثاني لا يوجد الا في كلام الفحول ، ولا يقوى عليه الا أفراد الرجال كقول الشاعر :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا   وسالتْ بأعناق المطيّ الاباطحُ

---

[٧] الموازنة / ج١ص٢٥٩. وينظر البلاغة والتطبيق ٣٦٢.

[٨] البلاغة والتطبيق / ٣٦٣ .

أراد انها سرت سيرا حثيثا في غاية السرعة وكانت سرعة في لين وسلامة كانها كانت سيولا وقعت في تلك الاباطح فجرت بها ، يقول : «ليست الغرابة في قوله (وسالت بأعناق المطي الاباطح) على هذه الجملة وذلك أنه لم يغرب لان جعل المطي في سرعة سيره وسهولته كالماء يجري في الأباطح فان هذا شبه معروف ظاهر ولكن الدقة واللطف في خصوصية أفادها بأن جعل (سال) فعلا للاباطح ثم عدّاه بالباء ، ثم بأن أدخل الاعناق في البيت فقال (بأعناق المطي) ولم يقل (بالمطي) ولو قال : (سالت المطي في الاباطح) لم يكن شيئا [٩].

هكذا يكون الكشف عن مستويات الكلام ودقة دلالته . من خلال توجيه المصطلح العائم المتشعب الى تحقيق دلالي وتنسيق معرفي في رسم أوجه الحسن في الاداء الشعري والفني بعامة ، وهذا الفكر التأويلي لم يات به الا عبد القاهر بالطريقة التي تثبت في الذهن وتنفع المتعلم المبتدىء في تصريف شؤون الالفاظ من خلال السياق البائن في البيت الشعري ، ولكن هذا الامر لم يكن ليمضي في آراء من جاء بعده من أهل البلاغة من أمثال السكاكي كما يرى الدكتور البصير ومن تتبع خطاه ، اذ حولوا دراسة بلاغة الاستعارة وسر جمالها الى وصايا ونصائح مقننة في قواعد تنأى عن الذوق كثيرا [١٠].

---

[٩] ينظر : دلائل الاعجاز /٥٩، ٦٠.

[١٠] البلاغة والتطبيق / ٣٦٤، ٣٦٥.

والامر يتجلّى أيضا في مباحث علم المعاني التي تشعبَت كثيرا عند المتأخرين بحسب مفردات تأويل الكلام والاخذ بأحواله ، ويرى الدكتور أحمد مطلوب هذا الأمر في حديثه عن مناهج البلاغيين وفي تناوله للتقسيم الذي أجراه السكاكي في مفتاحه ، وللمقارنة بينه ومنهج القزويني ، اذ يراه مختلفا عنه وهو أقرب الى الكمال ؛ لأن القزويني ضمّ الموضوعات المتشابهه في فصول مستقلة ، وكان في بحثه ألصق بالبلاغة وروحها من صاحب (مفتاح العلوم) الذي مزّقها كل ممزّق . يقول الدكتور أحمد مطلوب : " واذا كان علم المعاني قريبا من النحو او هو توخّي معاني النحو فانه يختلف عنه في معالجة الموضوعات وقد فصّل القول في ذلك عبد القاهر وانتهى الى اننا لا نريد المعاني الأُوَل وانما المعاني الثواني وهي عنده معنى المعنى" [11].

وهنا يمضي عبد القاهر في التأويل المقنع الذي ينبغي ان يكون عليه علم المعاني والأمر لايكون في التقنين والأشراط فيه بل في إثبات الافضل في مستوى الكلام والتعمّق في قراءة النص ، واقامة القرآن بين المستوى الأعلى فيه والأدنى . وهذه نظرية حديثة في القراءة وتأويل النصّ ،وفي النتيجة ينبغي التمييز بين فعل البلاغي وفعل صاحب النحو ، وهذا لبّ المشكلة في تنسيق الافتراض والتأويل ودلالة المفردات وتنقّلها بين السياقات ؛ ولهذا ركّز علماء البلاغة المتأخرون على فائدة علم المعاني وهنا يقول بهاء الدين السبكي(٧٧٣هـ) [12] :" ولعلّك تقول أي فائدة لعلم المعاني ، فإن المفردات والمركبات علمت بالعلوم الثلاثة . اللغة والنحو والصرف . وعلم

---

[11] البلاغة والتطبيق / ١٠٠-١٠١ . وينظر كتاب القزويني وشروح التلخيص / ٢٨٧.

[12] عروس الافراح . شروح التلخيص / ج١/ ٥١-٥٣.

المعاني غالبه من علم النحو ؟ كلا ان غاية النحوي أن ينزل المفردات على ما وضعت له ويركبها عليها ووراء ذلك مقاصد لا تتعلق بالوضع مما تتفاوت به أغراض المتكلم على أوجه لا تتناهى وتلك الاسرار لا تعلم الا بعلم المعاني ، والنحوي . وإن ذكرها فيهو على وجه اجمالي يتصرف فيه البياني تصرفا خاصا لايصل اليه النحوي .

وهنا يلامس السكي جوهر الفكرة فالنص الذي تتنامى فيه مستويات الشعرية لا يمكن تأويله بقواعد الكلام الضيقة ، لا بل ان الكلام الذي يمضي عليه الاعتياد والنفعية قد يأخذ المتلقي الى مستويات عالية من التأول وترشيح المعاني والأفكار المماثلة . وهذا ما أخذه عبد القاهر ايضا الذي رأى ان الصحة في الكلام هي الخطوة الاولى ، وأما الثانية فهي فهم الكلام واستخلاص ما فيها من المعاني الثواني التي يدل عليها ، وهكذا كان علم المعاني الذي رآه ضروريا في فهم الأساليب البلاغية بعد أن فقد النحو رونقه وبهاءه وأصبح قواعد لا تعنى الا بالاعراب والبناء والعوامل والجدل المنطقي [١٣].

بالتدقيق في المصادر التي وردت في كتاب (البلاغة والتطبيق) نجد أنها تصل الى ثلاثة وثلاثين مصدرا ، وأما المراجع فقد بلغت عشرون كتابا ألف أغلبها في منتصف القرن الماضي ، توزعت هذه الكتب على أبواب الكتاب الاربعة بتفاوت في الافادة منها بين باب وباب وفصل وفصل كلٌ بحسب تخصصه واستعماله ، ومن الملفت أن اثنين من المصادر

---

(١٣) البلاغة والتطبيق / ١٠١.

المعتمدة في الكتاب في أبواب البلاغة حققها الدكتور أحمد مطلوب بمعية استاذتنا الدكتورة خديجه الحديثي (رحمهما الله) ، وهما : (التبيان في علم البيان) لابن الزملكاني (٦٥١هـ) والكتاب الثاني هو (الجُمان في تشبيهات القرآن) لابن ناقيا البغدادي (٤٨٥هـ) الأول نُشر في بغداد بمطبعة العاني سنة ١٩٦٤ ، والثاني نُشر في بغداد أيضا سنة ١٩٦٨ بمطبعة وزارة الثقافة والارشاد في مطبعة دار الجمهورية ببغداد . وقد حُقق ونشر بطبعات اخرى تالية منها تحقيق وشرح الدكتور محمد رضوان الداية عن دار الفكر ، وتحقيق الدكتور محمد حسن أبو ناجي الشيباني طبعة الرياض .

وأما المراجع المعتمدة في هذا المؤلف فقد كان للدكتور أحمد مطلوب خمسة منها وهي :

عبد القاهر الجرجاني ، بلاغته ونقده ، طبع في بيروت سنة ١٩٧٣.

فنون بلاغية ، طبع في بيروت ١٩٧٣.

القزويني وشروح التلخيص ، طبع في بغداد سنة ١٩٦٧.

مصطلحات بلاغية ، طبع في بيروت ١٩٧٢.

مناهج بلاغية ، طبع في بيروت ١٩٧٣.

وكان لكتاب (فنون بلاغية) النصيب الأكبر من المراجعة من قبل المؤلفين الفاضلين في أبواب الكتاب .

لقد تعرّض الدكتور أحمد مطلوب في الباب الأول الذي يخص نشأة البلاغة لأغلب المصادر التي تناولت هذا الاصطلاح بحسب الاختصاص والاهتمام والأولوية فقسّمتْ على النحو الاتي :

١. المتكلمون الذين تناولوا قضية الاعجاز القرآني .
٢. المفسرون (ممن تناول بلاغة القرآن) .
٣. اللغويون والنحاة (ممن أثر في نشأة البلاغة).
٤. الشعراء والكُتّاب .

وقد عرّف المؤلف بالمدرستين البلاغيتين : الكلامية والادبية وكشف عن المصادر التي تدخل ضمن هاتين المدرستين ، وقدّم مسردا بالمؤلفات التي تحسب على كليهما فضلا عن الذي يجمع بين الطريقتين والاسلوبين ، وذلك في الصفحات الاولى من فصل النشأة والتطور .

ويعمد الدكتور أحمد مطلوب في الباب الاول الى التعريف بمصطلحي البلاغة والفصاحة من حيث النشأة والتطور ، ولو عرضنا للمصادر المعتمدة في هذا الباب نراه يُقسّمها بحسب اهتمامها بالتعريف وكشف حدّ الاصطلاح لغويا وبلاغيا وتاريخيا ولهذا فهو يسلسل الكشف عن التعريف بحسب أسماء العلماء الذين يرد لديهم التسلسل التاريخي فضلا عن ترشيح ورودها في القرآن والحديث النبوي والمعاجم اللغوية ، فمثلا مصطلح البلاغة يبدأ التعريف به في القرآن الكريم والحديث الشريف ثم ينتقل الى الجاحظ (٢٥٥هـ) وتحديدا في كتاب البيان والتبيين ، ثم يتناول التعريف عند ابن قتيبة (٢٧٦هـ) في الشعر والشعراء ، ثم يذكر اسماء الكتاب الذين لم ترد لديهم في كتبهم المعروفة كالمبرّد (٢٨٥هـ) في الكامل ثم ثعلب (٢٩١هـ) في

قواعد الشعر كذلك ابن المعتز في كتاب البديع (٢٩٦هـ) وقدامة بن جعفر (٣٧٣هـ) في كتابه نقد الشعر وابن وهب (٣٣٥هـ) في كتاب البرهان في وجوه البيان ، وهؤلاء لم ترد لديهم اللفظة باصطلاحها انما كانوا يشيرون الى جزالة الألفاظ أو سهولة مخارجها أو مايخالف ذلك من ركاكة اللفظ وسخافته . ثم ينتقل الى أبي هلال العسكري (٣٩٥هـ) في كتاب الصناعتين الذي تعمق كثيرا في لفظتي الفصاحة والبلاغة وكشف عن التشابه بينهما وكذلك الاختلاف ، ثم ينتقل الى ابن سنان الخفاجي(٤٦٦هـ) في كتابه سر الفصاحة الذي يقدّم فروقا بينهما ، ويطيل في ذلك بل انه يعمد الى التقسيم واظهار الاختلاف ، ثم ينتقل المؤلف الى القرن الخامس حيث عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) في كتابيه (دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة) وعلى الرغم من اعتبار اللفظين مترادفين الا انه يكشف بعض الامور بطريقة أخرى تبعا للسياق والنظم ويبدو الاعتماد واضحا على الافكار الاولى التي وضعها الجاحظ في القرن الثالث ، ويورد المؤلف بعضا من ارائه التي اثبتها في كتابه (عبد القاهر الجرجاني ، بلاغته ونقده) .

ثم ينتقل المؤلف الى القرن السادس للهجرة ويبدأ بفخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) في كتابه (نهاية الايجاز في دراية الاعجاز) ، ثم ضياء الدين ابن الاثير (٦٣٧هـ) في كتابيه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) و (الجامع الكبير) ويبدي المؤلف اهتماما خاصا بابن الاثير ومنهجه في باب الفصاحة ؛ لأنه أكثر تصورا وفهما للفصاحة بحسب رأيه وقد اهتم اهتماما عظيما وصحّح كثيرا من الاراء السابقة .

بعدها ينتقل الى السكاكي (٦٢٦هـ) في كتابه (مفتاح العلوم) الذي يُعدّ عمدة المؤلفين في البلاغة لاسباب كثيرة منها طريقته في تقديم افكاره وآرائه وهي التقسيم والشرح والتقعيد وقد أشرنا سابقا الى ان هذا الكتاب يشكّل مادة مهمة للشرح والتحليل ممن تبعه من البلاغيين وبعضهم أساء اليه بتقديم شروح معقدة زادت الغموض . بعدها يمضي المؤلف الى الخطيب القزويني (٧٣٩هـ) ولديه كتابان الاول هو كتاب (الايضاح في علوم البلاغة) والثاني (تلخيص المفتاح) ويعدّ الاخير رافدا مهما من روافد (البلاغة والتطبيق) فلا نجد مبحثا يخلو منه في الابواب الاربعة كلها ولاسيما في سياق التطبيق ، ويقول عنه الدكتور احمد مطلوب في كتابه (القزويني وشروح التلخيص)[14] المطبوع في بغداد سنة ١٩٦٧ ، ان القزويني وحد الطريق ممهدا ياخذ عن علماء البلاغة المتقدمين ورتّب بحث الألفاظ ترتيبا علميا خالف فيه السكاكي وبدر الدين لانه اتخذها مقدمة للبلاغة ، وفي هذه المقدمة - التي كانت حديثا عن معنيي البلاغة والفصاحة وانحصار علم البلاغة في المعاني والبيان - تكلّم على صفات الالفاظ وما ينبغي ان تكون عليه ، وكان بحثه ايذانا باتخاذ الفصاحة مقدمة لعلوم البلاغة .

ولا يختلف مبحث (البلاغة)عن مبحث (الفصاحة) في مصادره وذلك يعود الى تقارب المصطلحين ولاسيما في المظان الاولى ، وربما يعود الى ان بعض العلماء حتى المتأخرين منهم غير قانع باختلاف المصطلحَين بل انهما مترادفان كما يرى عبد القاهر الجرجاني وكما نوهنا به سابقا ، ولهذا يركز المؤلف ومن بداية المبحث على التعريف به في القرآن الكريم والحديث

---

[14] القزويني وشروح التلخيص / ٢٤٩-٢٨٣

الشريف فضلا عن كتاب البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٥هـ) . وهنا نلفت الى ان المؤلف نوّه برسالة صغيرة[١٥] للمبرّد (٢٨٥هـ) سمّاها (البلاغة) والرسالة محققة حققها الدكتور رمضان عبد التواب وطبعت في القاهرة سنة ١٩٦٥ وقد اجاب فيها عن رسالة لأحمد بن الواثق الذي سأله : أيّ البلاغتين أبلغ ؟ أبلاغة الشعر ؟ ام بلاغة الخطب والكلام المنثور والسجع وأيهما عندك - أعزّك الله - أبلغ ؟ وأجابه المبرّد : ان حقّ البلاغة إحاطة القول بالمعنى واختيار الكلام وحسن النظر حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاضدة شكلها وأن يقرب بها البديع ويحذف منها الفضول " . ويرى الدكتور احمد مطلوب ان الرسالة لاتعني العلم المعروف ، انما هو تحديد لبعض معانيه ولكن الفضل فيها ان المبرّد اول من أطلق " البلاغة " عليها وعلى بعض رسائله الاخرى .

ومن الطبيعي ان يذكر (كتاب الصناعتين) لأبي الهلال العسكري (٣٩٥هـ) ونوهنا برأيه سابقا ، كذلك سرّ الفصاحة لابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) ودلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) والمثل السائر لضياء الدين الاثير (٦٣٧هـ) ، ثم ينتقل الى السكاكي ومفتاحه والايضاح في علوم البلاغة للقزويني (٧٣٩هـ) الذي ختم به المبحث والفصل .

ويعدّ الباب الثاني (علم المعاني) الاطول في أبواب الكتاب بفصوله الستة وليس من المستغرب طول هذا الفصل لكثرة أبواب هذا العلم وتقارب

---

[١٥] البلاغة / المبرّد / ٥٩.

مباحثه وتشعبها ونرى المؤلف يُكثّف الاخذ من المصادر التي ثبتت فيها البلاغة وقُسّمت أبوابها ولاسيّما عند المتأخرين منهم ، والامر الاخر اننا في ولوجنا المستوى التطبيقي لابد من الاعتماد على هذه المصادر التي رُتّبت فيها الابواب وقُسمّت المباحث والمصطلحات فضلاً عن الشواهد الشعرية والنثرية التي تُعَد الاشهر في مباحث البلاغة . ولهذا ستُكرَر أغلب هذه المصادر في صفحات هذا الباب لانها طرقت أغلب المباحث ومنها : (المثل السائر) و(الجامع الكبير) لضياء الدين بن الاثير ، وكتاب (الايضاح في علوم البلاغة) للقزويني (٧٣٩هـ) وكتاب (الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الاعجاز) ليحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩هـ) والعلوي في مؤلفه هذا حاول الجمع بين طريقتي المدرسة الكلامية والمدرسة الادبية ونوّه بذلك الدكتور احمد مطلوب في الباب الاول [١٦] .

ومن الكتب الاخرى المعتمدة في هذا الباب كتاب (شروح تلخيص المفتاح) للسبكي (٧٣٣هـ) أو (عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح) ويتكرّر ورود هذا الكتاب في أغلب أبواب (البلاغة والتطبيق) وله الثقل في المادة التطبيقية أيضا فهو من شروح (مفتاح العلوم) للسكاكي (٦٢٦هـ) ، ولا يمكن الأغفال عن كتاب (نهاية الايجاز في دراية الاعجاز) لفخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) وهو من الكتب التي تتضمّن أغلب ابواب البلاغة المتأخرة فضلا عن أغلب مباحث التطبيقات فيها .

---

[١٦] البلاغة والتطبيق / ٣٤.

ويعمد الدكتور أحمد مطلوب في كثير من مباحث (علم المعاني) الى الاشارة لمصادر كثيرة تذكر التعريف ببعض المباحث في الهوامش ؛ لتكرار الفكرة والتوضيح في هذه المصادر ، فمثلا خروج المجاز الى أغراض أخرى تفهم من السياق وقرائن الاحوال ، يذكر المؤلف ثمانية عشر بابا يغذي على شواهدها آيات القرآن الكريم فضلا عن الاشعار وبعض الاقوال المتكررة على لسان الناس ، ويثبت في الهامش ان المصادر التي تُذكر فيها هذه الأغراض : كتاب (الصاحبي) لأحمد بن فارس(٣٩٥هـ) بالرغم من تقدمته الا انه أول من ذكر أغراض الخبر والانشاء والأمر ، كذلك كتاب (البرهان في علوم القرآن) لبدر الدين الزركشي(٧٩٤هـ) العالم الفقيه المحدّث ، وقد جمع في هذا المؤلف علوم القرآن التي كانت مفرّقة في كتب مستقلة كأسباب النزول ومناسبة الآيات ، وعلم القراءات ، وإعجاز القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، واعراب القرآن ، والوجوه والنظائر وعلم المتشابه وعلم المبهمات ، وأسرار فواتح السور وخواتمها ومعرفة المكي والمدني ، وكتابه مقسم على سبعة وأربعين نوعا مقسّمة على فصول ، وقد اعتمده كثيرٌ ممن جاء بعده كالسيوطي (٩١١هـ) فأسلوبه سهلٌ ويكثر فيه الأستشهاد بالآيات الكريمة وأبيات الشعر وينسب الاقوال الى أصحابها ، وقد اعتمد المؤلف نسخة المحقّق ابو الفضل ابراهيم طبعة القاهرة سنة ١٩٥٧ في مطبعة عيسى البابي الحلبي وقد صوّرَتْه بنسخة كاملة وبترقيم الصفحات نفسه ، وكذلك دار التراث في سنة ١٩٩٠.

ويتكرر الامر في باب الحذف[١٧] فضلا عن أبواب أخرى اذ يشير المؤلف في الهامش الى مراجعة مصنّفات تكثر فيها الحذف وشواهده ومنها المثل السائر لضياء الدين بن الاثير (٦٣٧هـ) وكتابه (الجامع الكبير) كذلك كتاب (الايضاح) للقزويني (٧٣٩هـ) والطراز لابن حمزة العلوي (٧٤٩هـ) وشرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي (٧٧٣هـ) . ومن المصادر التي ورد ذكرها مرة واحدة في ابواب الكتاب كلها كتاب (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) وصاحبه الحافظ بن عبد البر (٤٦٣هـ) وهو من مصنفات القرن الخامس للهجرة ، ويُعد الكتاب موسوعة في الفقه والحديث شرح فيه ابن عبد البر كتاب (الموطأ) للامام مالك بن أنس بترتيب آخر ، وابن عبد البرّ فقيه مالكي ومحدّث ومؤرخ أندلسي ، له كثرة من التصانيف والكتب ، والذي يهمنا ان الدكتور احمد مطلوب في حديثه عن باب (النظم) وروده في كتب الإعجاز نقل أقوالا لأبي بكر محمد بن الطيّب الباقلاني (٤٠٣هـ) بخصوص النظم ومن ضمنها كلاما ورد في كتاب (التمهيد) فضلا عن كتب اخرى ، يقول الباقلاني : " ليس الاعجاز في نفس الحروف وإنما هو في نظمها أكثر من وجودها متقدمة ومتأخرة ومترتبة في الوجود وليس لها نظم سواها " . وهذا النص المتقدم يُغني مبحث النظم فضلا عن آراء الجاحظ في كتابه البيان والتبيين بنصّه المعروف : (فإنما الشعر صناعة وضربٌ من النسج وجنسٌ من التصوير)[١٨] وقد سبقه كما يكشف الدكتور احمد مطلوب ابن المقفّع (١٤٣هـ) في كتابه (الادب

---

[١٧] البلاغة والتطبيق/ ٢٠٠.

[١٨] الحيوان : ج٣/ ١٣٢.

الصغير)[19] ، والنصّ طويلٌ يكشف فيه عن أهمية النظم في التعبير والقول ويُلحّ في تشبيه القول الحسن بالقلائد والسموط والحلى .

وبحسب كلامنا السابق فان هذا الباب تقوم شواهده بالدرجة الاولى على النص القرآني الكريم ولاسيّما في مباحث الخبر والانشاء خاصة ، ولهذا يكثر المرور على كتب اعجاز القرآن منها : بيان اعجاز القرآن والنكت في اعجاز القرآن ونكت الانتصار لنقل القرآن فضلا عن كتب النحو واللغة كـ (المُغني) فضلا عن كتابي (دلائل الاعجاز) و(أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) الرائد في نظرية النظم ، اذ بلغت مداها على يده والذي أطال فيها كثيرا ، وسمّى فيها موضوعات : التقديم والتأخير والذكر والحذف والقصر ، والفصل والوصل ، والتعريف والتنكير ، سماها : (معاني النحو) أو النظم ، والنظم عنده (تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض)[20].

وهنا نلفت الى ان السكّاكي (٦٢٦هـ) في كتابه (مفتاح العلوم) اول من أطلق (علم المعاني) على الموضوعات التي سمّاها عبد القاهر النظم او معاني النحو ، ويشير الدكتور احمد مطلوب الى هذا الامر في هذا المبحث[21] ، فمع ان أحدا غيره لم يُطلق ذلك على بعض مباحث البلاغة ، الا ان الباحث ليحار حينما يجد مصطلحي (المعاني) و(البيان) قبله . ويردّ الدكتور أحمد مطلوب على الدكتور شوقي ضيف في كتابه (البلاغة

---

[19] الادب الصغير / ١٣، ١٩.

[20] دلائل الاعجاز / ٤٩، ٨٧.

[21] البلاغة والتطبيق / ٩١.

بعض صريح)[22] بقوله . وذكر الدكتور شوقي ضيف أن الزمخشري أول من ميز بين المصطلحين وقسم البلاغة إلى معان وبيان ، وان السكاكي تأثر به في هذا التقسيم ولكن ما ذكرناه وما يضمه تفسير الكشاف لا يؤيد هذا القول ، وإن كانت عبارة الزمخشري توحي بذلك قبل البحث والتدقيق[23].

ونص الزمخشري (٥٣٨هـ) يورده الدكتور أحمد مطلوب تحت عنوان صغير : (جمود النظرية) ويقصد بها نظرية النظم[24]. وأختم هذا بنص الدكتور أحمد مطلوب في (البلاغة والتطبيق)[25] :

" فالزمخشري (٥٣٨هـ) يشير إليها في الكشاف (ويقصد نظرية النظم) ويقول وهو يتحدث عن التفسير : ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما : علم المعاني وعلم البيان[26] وكلامه غير واضح لأنه كثيرا ما أراد هذين المصطلحين وكثيرا ما يطلق مصطلح البيان على البلاغة كلها ، يضاف إلى ذلك انه لم يضع حدا بين موضوعات المعاني والبيان ، وعلة ذلك انه لم يكن يبحث في البلاغة حينما ألف الكشاف وانما كان يفسر القرآن الكريم ويوضح ما فيه من معان رفيعة ومن روعة وجمال وتأثير في النفوس ، وكان يستخدم مصطلحات البلاغة وفنونها للوصول إلى هذه الغاية ولذلك توزعت في

---

[22] ص : ٢٢١، ٢٧٠، ٢٨٠.

[23] البلاغة والتطبيق ٩١.

[24] م.ن.

[25] البلاغة والتطبيق / ٩١،٩٢.

[26] الكشاف / ج١، [illegible]

الكتاب ولم يجمعها جامع أو يحدّها منهج واضح وندا: أحياناً يسمي البلاغة (بديعاً) ففي تفسير قوله تعالى : " أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين "[27] يقول : "هذا من الصنعة البديعية التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهي ان تساق كلمة مساق المجاز" [28] ويخالف احياناً ما تعارف عليه البلاغيون فيجعل الالتفات من البيان ويقول في العدول عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب : قلت هذا يُسمّى الالتفات في علم البيان" [29].

وليس من منهجنا التوفيق بين الاراء ولكن يبدو ان الدكتور شوقي ضيف كان يهمّه بالاساس ذكر المصطلحين (المعاني والبيان) بأسميهما وهذان ذكرهما الزمخشري في كشّافه ، كذلك فعل فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) فعْلا لزمخشري في كتابه (نهاية الايجاز) [30] ، ويكرّر السكاكي بعض العبارات مثل (صناعة المعاني) و (علماء علم المعاني) و (أذهان الراضة من علماء المعاني) و (أئمة علم المعاني) [31] ولكنه لم يحدّد معانيها أو يكرّر علماء علم المعاني وأئمته ، ولم نعثر في تاريخ البلاغة على علماء اختصوا بهذا العلم وبحثوا فيه كما فعل السكاكي في (مفتاح العلوم) الا عبد القاهر الجرجاني في معاني النحو من كتابه (دلائل الاعجاز)

---

[27] البقرة / ١٦.

[28] الكشاف / ج١/ ص ٣٦.

[29] الكشاف / ج١/ ص١١.

[30] نهاية الايجاز/ ٣٦.

[31] مفتاح العلوم / ٨٣.

و (البيان) في كتابه (أسرار البلاغة) ولكن هذا الوقوف مبكرٌ على التمييز بينهما .

وهنا نلفت الى ان مصطلحي علم المعاني وعلم البيان يظهر أنهما عُرفا كثيرا عند العلماء بمفهومهما بين القرن الخامس عصر عبد القاهر (٤٧١هـ) والقرن السابع عصر السكاكي (٦٢٦هـ) وعصر ابن الاثير (٦٣٧هـ) مرورا بالقرن السادس عصر صاحب الكشاف الزمخشري (٥٣٨هـ) .

المصادر :

- القرآن الكريم .
- الادب الصغير ، عبد الله بن المقفع ، تحقيق أحمد زكي باشا ، الطبعة الاولى ، الاسكندرية .
- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق ريتر ، ١٩٥٤.
- الايضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، شرح وتحقيق الدكتور عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت .
- البلاغة ، ابوالعباس المبرد ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، القاهرة ، ١٩٦٥.
- البلاغة والتطبيق ، الدكتور احمد مطلوب والدكتور كامل حسن البصير ط١ ، بغداد ١٩٨٢

- تلخيص المفتاح ، الخطيب القزويني ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ط٢ ، القاهرة .
- الحيوان ، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة .
- دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد رشاد ، الخانجي القاهرة .
- عروس الافراح في شروح تلخيص المفتاح ، بهاء الدين السبكي ، تحقيق الدكتور خليل ابراهيم خليل ، دار الكتب العلمية بيروت .
- الكشاف ، جار الله الزمخشري ، القاهرة ١٩٥٣.
- القزويني وشروح التلخيص ، الدكتور احمد مطلوب ، بغداد ١٩٦٧.
- مفتاح العلوم ، يوسف بن ابي بكر بن محمد علي السكاكي ، القاهرة ١٩٥٦.
- نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ، فخر الدين الرازي ، تحقيق الدكتور نصر الله حاجي اوغلي ، دار صادر.

الدكتور أحمد مطلوب وتحقيقه لكتب البلاغة العربية
(إعادة التحقيق والنُسخ المعتمدة)

الأستاذ الدكتور حامد ناصر الظالمي
جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية

أشرفَ على عشرات الرسائل والأطاريح الجامعية وناقش عددا كبيرا منها ، داخل العراق وخارجه[1].

وهذا قليل في حق الدكتور أحمد مطلوب الذي يستحق أن يُدرَس جهده العلمي الثّر.

تحقيقه لكتب البلاغة :

كان الحقل الأكثر اهتماما عند الدكتور مطلوب هو حقل البلاغة العربية ، إذ تخصص بذلك منذ بدايات ستينيات القرن العشرين في رسالته للماجستير وأطروحته للدكتوراه التي كانت عن شروح التلخيص . وقد كتب كتبا وبحوثا عديدة في هذا الحقل المعرفي لأكثر من خمسين سنة ، فأصبح مرجعا للبلاغة العربية ورائدها في العصر الحديث في البلدان العربية ، فكتب في تأريخها وفي مصطلحها وفي تطورها و... ولكن الأمر المهم هو عمله في تحقيق كتب البلاغة العربية المخطوطة ولا سيما أمات كتب البلاغة وهي :

---

[1] (المعجميون في العراق ١٩٤٧-١٩٩٧) ، إعداد : صباح ياسين الأعظمي ، المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٩٧ ، ص١٦٨-١٧١.

١- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن ، لابن الزملكاني ت٦٥١هـ ، حققه مع الدكتورة خديجة الحديثي ، ونشرته مطبعة العاني في بغداد سنة ١٩٦٤.

٢- البرهان في وجوه البيان ، لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب ت٢٧٢هـ ، حققه مع الدكتورة خديجة الحديثي ، ونشرته مطبعة العاني عام ١٩٦٧.

٣- الجمان في تشبيهات القرآن ، لابن ناقيا البغدادي ت٤٨٥هـ ، حققه مع الدكتورة خديجة الحديثي ، ونشرته دار الجمهورية في بغداد سنة ١٩٦٨.

٤- البرهان في إعجاز القرآن أو (بديع القرآن) لابن أبي الإصبع المصري ت٦٥٤هـ ، حققه مع الدكتورة خديجة الحديثي ، وهو من منشورات المجمع العلمي العراقي سنة ٢٠٠٦.

وتكمن مشكلة البحث في فكرة إعادة التحقيق فهذه الكتب الأربعة ، قد تكرر تحقيق الثاني منها والثالث ، وكان الأسبق الدكتور أحمد مطلوب فيهما أما الرابع فقد سُبق إلى تحقيقه ، وكالآتي :

١- البرهان في وجوه البيان ، حققه وقدم له الدكتور حفني محمد شرف ، وصدر عن مكتبة الشباب سنة ١٩٦٩. [أي بعد صدور طبعة الدكتور أحمد مطلوب بسنتين] .

٢- الجمان في تشبيهات القرآن ، حققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية ، وصدر عن دار الفكر في دمشق سنة ٢٠٠٢ . [أي بعد أكثر من أربعين سنة من صدور طبعة الدكتور أحمد مطلوب].

٣- (بديع القرآن) أو ما أطلق عليه الدكتور مطلوب (البرهان في إعجاز القرآن) ، فكان قد حققه الدكتور حفني محمد شرف ، وصدر عن دار نهضة مصر سنة ١٩٦٧ (أي قبل طبعة الدكتور مطلوب بخمسين سنة تقريبا).

ودراستنا هنا وصفية وتقارن ما بين المخطوطات التي اعتمد عليها الدكتور مطلوب وغيره ومنهجهم ومبررات إعادة التحقيق.

أما الكتاب الأول فهو (**التبيان في علم البيان**) لابن الزملكاني ، وقد اعتمد الدكتور أحمد مطلوب في تحقيقه على ثلاث نسخ مخطوطة من أصل سبع نسخ وهي كالآتي:

١- نسخة كُتبت سنة (٧٢٢هـ) ، بخط إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم الغزي الشافعي وهي محفوظة في المكتبة التيمورية بدار الكتب في القاهرة ، وفي معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة مصوّرة منها.

وهي في ١٦٦ صفحة ، وفي كل صفحة ١٦ سطرا تقريبا ، وقد كُتِبَتْ بخطٍّ جميل ، وجاء في الصفحة الأولى ما يلي: ((كتاب التبيان في علم البيان للعلامة ابن الزملكاني رحمهُ الله)) ، وكُتِب إلى جانب العنوان ((هذا الكتاب من الذخائر النفيسة ، وهو عزيز الوجود جدا ، فينبغي بل يجب أن لا يُفرّط فيه أصلا ، ويحتفظ به أبدا ، وما اشتريناه إلا بتعب شديد ومشاق عظيمة...)).

وأولها: ((بسم الله الرحمن الرحيم ، رب يسّر وأعن ، الحمد لله الذي أنطق ألسنة الأقلام بأحكام الأحكام ..)) وآخرها : ((فرغ من نسخه لنفسه ومن شاء الله من بعده إبراهيم بن إسحاق...)).

وقد جعل الدكتور أحمد مطلوب هذه النسخة أصلاً اعتمد عليه في التحقيق لأنها أقدم ، فهي قد كتبت ٧٣١هـ .

ب- نسخة كتبت سنة (٧٨٩هـ) ، وهي محفوظة في مكتبة شهيد علي المرقمة ٢١٦٨/١ في ٩٠ صفحة قياس ٢٥×١٦ سم ، وقد صورها معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية وهي محفوظة فيه بالرقم (١٢ بلاغة).

ج- نسخة كتبت سنة (١٣٢٨هـ) ، محفوظة بدار الكتب في القاهرة بالرقم ٥٤٥٠١٠ن عمومية – ٣٩٥ خصوصية – بلاغة . وهي في ١٤٧ صفحة ، وعدد سطورها وكلماتها في الصفحة الواحدة أقل من النسخة السابقة ، وخطها حسن وواضح ...

وهذه النسخة منقولة عن النسخة الأولى ، وهي مطبوعة مثلها ، وليس فيها اختلاف كبير عنها.

وقد اعتمد الدكتور مطلوب كما يقول : على النسخة الأولى والثالثة المنقولة عنها ، أما النسخة الثانية فكان اعتماده عليها ثانويا لأنه يوجد فيها سقط كثير وهي أقل دقة من الأولى والثالثة . وبهذا سيكون اعتمادا المحقق على نسخة واحدة في حقيقة الأمر ؛ لأن الثالثة منقولة عن الأولى والثانية لم يكن اعتماده عليها كبيرا .

أما النسخ الأخرى فهي :

أ- نسخة كُتبت سنة (٧٣٤هـ) ، وهي محفوظة في مكتبة حسين چلبي (٣٢ أدبيات) في ٥٠ ورقة حجم متوسط ، وقد صوّرها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وهي محفوظة فيه برقم

(٢٤ بلاغة) حسب فهرس المخطوطات ١/٤٠٢ ، ولم يحصل عليها الدكتور مطلوب أو يراها لأنه طلبها من المعهد ، ولكن زميله الأستاذ رشاد عبد المطلوب ذكر له أنها غير صالحة للتصوير ، ولذلك تركها بعد أن اعتمد على النسخ الثلاث الأول [وفي الحقيقة هي واحدة] .

ب- نسخة محفوظة في خزانة المشهد الرضوي في إيران بالرقم (٤ معاني وبيان) ... ، وهي بخط نسخ في ١٦٠ ، في كل صفحة ١٧ سطرا ، وقد وقفها ابن خاتون سنة ١٠٦٧هـ .

ج- نسخة أخرى محفوظة في خزانة المشهد الرضوي بالرقم (٥ معاني وبيان) ، وهي ناقصة ، وأول الموجود منها ((الرابع والعشرون في الإلتفات)) وآخر الموجود ((ذلك تقدير العزيز العليم)) وهي بخط نسخ في ١٣٢ صفحة ، في كل صفحة ٢٧ سطرا[٢].

ولا ندري هل هاتين النسختين هما التبيان للزملكاني أو غيره؟

د- وذكر الأستاذ كوركيس عواد أن في مكتبة جامع ييل في الولايات المتحدة الأمريكية نسخة من كتاب (التبيان) لابن الزملكاني برقم (٢٢٥) ، كتبت سنة ٦٤١هـ[٣].

---

[١] ينظر : فهرس مكتبة المشهد الرضوي المجلد الثالث ص٥٤ ، ومقالة نفائس المخطوطات العربية في المشهد الرضوي : للدكتور أسعد طلس ، المنشورة في مجلة المجمع العلمي العربي ، بدمشق ، مجلد ٢٤ ص٢٠٢. (هذا هامش الدكتور مطلوب).

[٣] يُنظر : جولة في دور الكتب الأمريكية ص١٠٦. (هذا الهامش للدكتور مطلوب).

وقد كتبنا إلى إيران وأمريكان في عام ١٩٦٠ ، طالبين تصوير نسخ الكتاب الأخرى ، وانتظرنا عامين كاملين ولم نتلقَّ جوابا ، وأكّدنا ولكن بلا جدوى.

وعند مراجعتنا للفهارس الإيرانية ولا سيما الفهرس الوطني (فنخا) في المجلد السادس ص٩٠٤ وجدنا للكتاب ثلاث نسخ أخرى ، وهي كاملة من أولها إلى آخرها وهي لابن الزملكاني خلافا لما قاله الدكتور مطلوب ، وفي هذه النسخ مقدمة جاء فيها الموضوعات الآتية ((بيان حصر مواقع الغلط في اللفظ وفضل علم البيان وطرق تحصيله والمقاصد ودرسه ، وركن في الدلالات الإفرادية ومراعاة أحوال التأليف ومعرفة أحوال اللفظ وأسماء أصنافه في علم البديع ، واللواحق في بيان الجهة التي تحصل بها البلاغة والإعجاز في القرآن.

ومقدمة المخطوطة: الحمدُ لله الذي انطقَ ألسنة الأقلام بإحكام الأحكام ... ولم أجد من المصنفات فيه إلّا القليل مع أنها مشحونة بالقال والقيل وأجمعها كتاب دلائل الإعجاز ، فإنه جمع فأوعى غير أنه واسع الخطو كثيرا ما يُكرِّر الضبط فقيد للتبويب ، طريد من الترتيب ، وقد سهل الله جمع مقاصده وقواعده وضبط جوامحه وشوارده مع فرائد سمح بها الخاطر ، وزوائد نُقلت من الكتب والدفاتر ، هذا وأن تأليفه وقع في أيام قلائل وقد رتبته على سوابق ومقاصد ولواحق)).

وهذه هي عينها المقدمة في تحقيق الدكتور أحمد مطلوب ، أما خاتمة المخطوطة ففيها : ((قد اطلعتك بهذا الكتاب على رياض كُنتَ عنها في عمياء وعن طلابها في خبط عشواء ، فان حدثك نفسُك إلى مراجعته ، أراك

الحق جليا بعدما كان عنك خفيا ، وانجلى عن صدى الشك والارتياب ، وعلمت من أين يقتبس الصواب ، وأن لا يظفر به إلا طبعا سليما ، وخاطرا مستقيما ، إنه سميع النداء مجيب الدعاء بمحمد وآله الأصفياء البررة الأتقياء ، وأماتنا على محبتهم إنه على ذلك قدير بالإجابة جدير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل)) وهي عينها الخاتمة في تحقيق الدكتور أحمد مطلوب.

والنسخ الموجودة في إيران هي :

١- نسخة المكتبة الوطنية في طهران ، بخط محسن بن أبي القاسم في الرابع من شوال سنة ٧٦٠هـ . في ١٥٠ ورقة ، ١٥ سطرا.وهذه النسخة تأريخيا تأتي بعد النسخة التي اعتمد عليها الدكتور مطلوب في التحقيق ، والتي كان تأريخها (٧٢٢هـ) ، وهي في المكتبة التيمورية وأسبق من النسخة الثانية المؤرخة (٧٨٩هـ) والثالثة المنسوخة على الأولى والمؤرخة في (١٣٢٨هـ).

٢- نسخة المشهد الرضوي وهي في ٢٣٦ صفحة في ٢٧ سطرا ، كما قال الدكتور أحمد مطلوب ولكنه لم يذكر تأريخها وهو ٢٠ من صفر سنة (٧٧٧هـ) وميزاتها كالسابقة .

٣- نسخة مجلس الشورى في إيران ، والمرقمة ٢/٢٠٥ طباطبائي وتأريخها القرن ١٢ الهجري وعليها تملك مير أحمد بن شيخ موسى بن شيخ جعفر ، وتأريخ التملك ١٢٥٣هـ وهي في ٣٥ ورقة في ٣- سطرا.

وبهذا سيكون لدينا تسع نسخ مخطوطة. اعتمد الدكتور مطلوب على واحدة فقط ، والأخرى منسوخة عليها ، والثالثة لم يهتم لها. وكل

المخطوطات التي اعتمد عليها هي من مصر . فلم يعتمد على النسخ الموجودة في إيران ، أو النسخة الأخرى في أمريكا.

أما الكتاب الثاني فهو (البرهان في وجوه البيان) لابن وهب الكاتب

تحقيق الدكتور أحمد مطلوب.

أولا : كتب الدكتور أحمد مطلوب أكثر من أربعين صفحة مقدمة ودراسة لكتاب البرهان في وجوه البيان الذي نشره عبد الحميد العبادي وطه حسين بـ (نقد النثر)، واستعرض الدكتور أحمد مطلوب آراء مَنْ شكّ بنسبة الكتاب إلى قدامة بن جعفر ، ومنهم :

١- الأستاذ محمد كرد علي في دراسة له في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، سنة ١٩٤٨ مجلد ٢٣.

٢- الدكتور علي حسن عبد القادر في مقالة ((نقد النثر أو البرهان في وجوه البيان)) ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد

تحقيق الدكتور حفني محمد شرف.

كتب مقدمة ودراسة في (ثمان وأربعين صفحة) وتابع الدكتور طه حسين في شكّه بنسبة الكتاب إلى قدامة واسم الكتاب ، وبما أن الدكتور أحمد مطلوب قد سبقه في تحقيق الكتاب بسنتين فقد أراد تبرير تحقيقه الذي صدر سنة ١٩٦٩ ، وكتب عشر صفحات في نقد الدكتور مطلوب وكانت لاذعة ، وقال : إنه لم يطلع على التحقيق إلا بعد أن أكمل تحقيقه وتلك الصفحات العشر نشرها في نهاية تحقيقه ، وذكر الذين سبقوه في الشك بنسبة الكتاب :

١- لم يذكر الأستاذ محمد كرد علي الذي أشار له الدكتور مطلوب .

٢- الدكتور علي حسن عبد القادر وقال الدكتور حفني محمد شرف

٢٤ جزءا سنة ١٩٤٩ إذ صحح الخطأ الشائع لسنين طويلة وردّ اعتبار مؤلف طغى على اسمه الزمان . وكان هذا بعد أن عثر على نسخة جديدة كاملة من الكتاب في مكتبة تشستر بتي (Chester Beaiy) في دبلن عاصمة ايرلندد .

٣- الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي الذي كتب عن نقد النثر وشخصيته مؤلفه المجهول وأكد على أن كتاب (نقد النثر) ليس لقدامة بن جعفر وما كتبه خفاجي جاء ضمن تحقيقه لكتاب الإيضاح للقزويني ١/١٥٥ وما بعدها.

٤- وما قاله الأستاذ حسن جاد المدرس بكلية اللغة العربية في جامعة الأزهر.

إنه يرجع الفضل إلى دكتور على في تنبيه الأذهان ونفت النظر الى كل من الكتاب ومؤلفه على سواء ... وإن ما ذكره الدكتور على حسن له أكبر الأثر في إيقافنا على مؤلف الكتاب ، واستعرض أدلة الدكتور على .

٣- ذكر الدكتور حفني أدلة الأستاذ عبد المنعم خفاجي

- ذكر الدكتور حفني أدلّة الدكتور بدوي طبانة حول عدم صحة نسبة الكتاب لقدامة .

٥- ذكر الدكتور حفني محمد شرف أدلة الدكتور شوقي ضيف في كتاب ((البلاغة تطور وتأريخ)) .

٦- وأضاف الدكتور حفني محمد شرف الى قائمة المشككين المستشرق S.A.Bonebakper الذي نشر (نقد الشعر) لقدامة وطبع في ليدن سنة ١٩٥٦ ص١٥-٢٠ ،

٥- تحدث الدكتور بدوي طبانة عن ((قدامة بن جعفر والنقد الأدبي)) ص١١٠-١٢٤ وأثبت ما ذكره الدكتور علي حسن عبد القادر.

٦- وتحدث الدكتور شوقي ضيف عن هذه المسألة في كتابه ((البلاغة تطور وتاريخ)) ص٩٣-١٠١، وقرر أن الكتاب ليس لقدامة وإنما هو لمعاصر له.

كان طه حسين الأسبق من هؤلاء جميعا عندما شك بنسبة الكتاب لقدامة بن جعفر وقال: انه لا يمثّل فكر قدامة وذلك عند نشره الكتاب، فلعلّ ما ذكره طه حسين أو شكّ به، حفّز مَنْ بعده إلى التدقيق والبحث.

[illegible]ة على أن الكتاب (نقد النثر) ليس لقدامة وما كتبه هذا المستشرق في دائرة المعارف الإسلامية بمادة (بلاغة).

وهنا يتبين لنا أن مَنْ شكَّ بالكتاب ونسبته هم ثمانية أشخاص قبل الدكتور أحمد مطلوب والدكتور حفني محمد شرف وهم:

١- محمد كرد علي
٢- الدكتور علي حسن عبد القادر
٣- حسن جاد
٤- الدكتور بدوي طبانة
٥- الدكتور شوقي ضيف
٦- الدكتور عبد المنعم خفاجي
٧- المستشرق S.A. Bonebakper
٨- والدكتور طه حسين أولهم.

هذا قبل البدء بتحقيق الكتاب أي أن الصورة أصبحت واضحة قبل قدوم الدكتور مطلوب والدكتور حفني بالشروع بالتحقيق

ثانيا : النسخ المخطوطة.

١- اعتمد الدكتور طه حسين وعبد الحميد العبادي على نسخة الأُسكوريال في نشر كتاب (نقد النثر) ، وكانت غير كاملة ، وقد ترجم عبد الحميد العبادي بحثا للدكتور طه حسين وجعله تمهيدا للتحقيق والبحث (البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر) كان طه حسين قد ألقاه في مؤتمر المستشرقين في فرنسا سنة ١٩٣٢ . والكتاب (نقد النثر) قد صدر في القاهرة سنة ١٩٣٩ بمطبعة مصر .

٢- اعتمد الدكتور أحمد مطلوب على نسخة مكتبة (تشستر بيتي) في دبلن وحصل على النسخة صيف ١٩٦١ وكان الدكتور علي حسن عبد القادر كما ذكرنا هو أول مَنْ اشار إلى

ثانيا : النسخ المخطوطة.

١- اعتمد الدكتور حفني على نسخة مكتبة تشستر بتي وعدد أوراقها ١٧٤ ورقة أي ٣٤٨ صفحة ولكن الدكتور مطلوب لم يذكر لنا عدد صفحاتها... وقد نُسختْ سنة ٦٧٧هـ بخط إبراهيم بن سليمان بن عبد ربه (ولم يذكر لنا الدكتور أحمد مطلوب ناسخ المخطوطة) وفيها تسعة عشر سطرا (وهذا لم يذكره الدكتور مطلوب) وقال الدكتور حفني ، وفي النسخة المذكورة (تعقيبات وتعليقات) وعليها بعض المراجعات (ولم يذكر ذلك الدكتور مطلوب) . ويبدو أن ناسخها لم يكن يتحرى الدقة ، ولا هو على حظ من الدراية بما يكتبه ، إذ كانت تمر به ألفاظ لا يفهم معناها ، فيكتفي برسمها على ما تتهيأ له – مع أن مُحققي نسخة بغداد أشارا في

هذه النسخة سنة ١٩٤٩ أي قبل الدكتور أحمد مطلوب بأكثر من عشر سنوات .

وقال الدكتور أحمد مطلوب إن خطّها جيد ، وتأريخها يوم الجمعة الأول من ربيع الأول سنة ٦٧٧هـ ، ورقمها في المكتبة ٣٦٥٨ . وهي كاملة.

ذكر الدكتور سبعة أدلة على أن المخطوطة أو المنشور منها بعنوان (نقد النثر) ليس لقدامة بن جعفر وهذه الأدلة هي نفسها الأدلة التي ذكرها السابقون ، وخاصة الدكتور علي حسن عبد القادر.

وعمل الدكتور أحمد مطلوب على تحقيق مخطوطة (تشستر بيتي) وعدّها الأصل وقارن معها النسخة المطبوعة بعنوان (نقد النثر).

تحقيقهما ص١٩ من التقديم إلى جودتها.

وعمل الدكتور حفني على أن يجعل من نسخة (تشستر بيتي) أصلا ونسخة الاسكوريال المصورة والمحفوظة بمكتبة جامعة القاهرة والمطبوعة بـ (نقد النثر) نسخة ثانوية .

ثالثا : ملاحظات على تحقيق الدكتور حفني محمد شرف

أما الملاحظات حول الاخطاء الطباعية عند الدكتور حفني فهي كثيرة ولكن وددت أن أشير إلى الخطأ نفسه الذي وقع فيه الدكتور مطلوب وهو اعتقاده أن (الصادقين عليهما السلام وهما الباقر والصادق (ع) إنهما يقصد بهما المؤلف الناس الصادقين بل وأن كلمة (القائم عليه السلام) التي وردت حاول الدكتور حفني تأويلها أنه (القائم بأمر الله) لأنه لا يعرف هذه المصطلحات ، ص٢٢٨ (وقال العالم

ثالثا : ملاحظات على تحقيق الدكتور أحمد مطلوب

الملاحظات حول الأخطاء الطباعية والعروضية عديدة ليس محلها أن نذكرها الآن .

ولكني وددتُ ان أشير إلى أن ابن وهب ذكر كلاما كثيرا للإمام علي وأهل البيت ، وعندما أراد الدكتور أحمد مطلوب أن يستخرج كلام الإمام علي (ع) ذهب إلى نهج البلاغة فلم يجد معظمه.

أقول فات الدكتور أحمد مطلوب أن ابن وهب اعتمد على الكليني صاحب كتاب الكافي وأخذ منه تلك الأقوال لا من نهج البلاغة الذي جمعه وكتبه الشريف الرضي فهي نهاية القرن الرابع الهجري أي بعد ابن وهب بثمانين سنة. وقد ذكر ابن وهب الكلينيالإسم في ص٣٩٨ من البرهان ، ولم ينتبه الدكتور عليه السلام) قال الدكتور حفني في الهامش (لعله يقصد القائم بأمر الله).

وهو كالدكتور أحمد مطلوب لم يذكر لنا وفاة ابن وهب ، بل الأدهى من ذلك أنّ الدكتور حفني في ص٤٠-٤٣ يرفض تشيّع المؤلف .

لذلك نقول: إن المؤلف أي ابن وهب ذكر عشرات النصوص والدلائل على تشيّعه ، فكيف يقول المحقق بكلام مخالف تماما لما أراده المؤلف؟!

النصوص التي تدل على تشيّعه

١- ورُوي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لهشام : يا هشام إنّ لله سبحانه حُجّتين : حُجّة ظاهرة وحُجّة باطنة أما الظاهرة فالرسل وأما الباطنة فالعقل)).

٢- رُوي عن الصادق عليه السلام في كلام له ((ولكل شيء دليل ودليل العقل الفكر ودليل الفكر الصمت)).

٣- ((قال أمير المؤمنين عليه السلام:

مطلوب لذلك. وقال عنه في الهامش، (لعلّه محمد بن يعقوب ابن إسحاق الفقيه الإمامي المُتوفى سنة ٣٢٩هـ.) وأن كتاب البرهان كان تأليفه على الأرجح سنة بعد سنة ٣٣٥.

والدكتور مطلوب لم يذكر لنا وفاة ابن وهب إطلاقا

وقد أخطأ الدكتور مطلوب في أربعة مواضع خطأ فاحشا وهي عندما ذكر ابن وهب (الصادقين) عليهما السلام . فلم يعرف الدكتور مطلوب أن ابن وهب يقصد هنا (الإمام الباقر والصادق) عليهما السلام ، فوضع الدكتور مطلوب (الصادقين عليهم السلام) اعتقادا منه إنه يقصد الناس الصادقين ، وهو هنا يقصد إمامين تحديدا ، وذلك في ص٢٧٧ ((وأما ما رُوي عن

امرء مخبوء تحت لسانه...)).

٤- ((وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((مَنْ كثُر كلامُه كثُر سقطه))

٥- ((وقد رُوي عن مولانا علي بن الحسين عليه السلام... السكوت عمّا لا يعنيك أمثلُ من الكلام فيه والكلام فيما يعنيك خيرٌ من السكوت عنه)).

٦- قوله عن الخبر ((خبر الرسل عليهم السلام ومَنْ جرى مجراهم من الأئمة الذين قامت البراهين والحجج من العقل عند ذوي العقول على صدقهم وعصمتهم وظهور المعجزات...)).

٧- وأما خبر التصديق فهو الذي يأتي به الرجل والرجلان والأكثر فيما لا يوصل إلى معرفته من القياس والتواتر ولا أخبار المعصومين ولا يعلم إلّا من جهة الآحاد ...)) .

الصادقين عليهم السلام من أنه لا دين لمن لا تقية له)) وص ٣٠٠ وقد روي عن الصادقين عليهم السلام رحم الله من حببنا إلى الناس ولم [illegible] عنا بما يعرفون)) وص [illegible] ((وقد روي عن الصادقين عليهم السلام ما يدل على أن الأمر بذلك عام ، وهو قولهم ((أدوا الأمانة ولو إلى قتلة أولاد الأنبياء)) وفي ص ٢٧٦ ((وقال القائم عليه السلام التقية ديني ودين آبائي)) وهو ليس العالم بل (القائم) عليه السلام وكتب الدكتور مكتوب في الهامش أنها أشبه بكلمة (القائم).

٨- ((والناس مختلفون في العمل بهذه الأخبار في معاملاتهم ومتاجراتهم ومناكحاتهم ، فإن ذلك جميع ما لا يقوم البرهان على صدق المخبر به من عقل ولا تواتر ولا خبر معصوم ...)).

٩- وقد استخرج أمير المؤمنين عليه السلام أشياء من الأحكام مع عدم البينات فيها وجحاد أهل الدعوى ولزمهم الإنكار بهذا النوع من الاستخراج ....

١٠- ((ولم يكن الخلاف في ذلك من جنس ما قدمنا إلا أنه من رواية الشيعة عن الأئمة عليهم السلام فقد علم أنهم ....)).

١١- ((والتقية إنما هي فيما خالف فتيا العامة ، فلذلك أوصوا عليهم السلام فيما يؤثر عنهم ، ولا يختلف فيه علماؤهم ، بأن يعمل غير ما تضمنت به الرواية عنهم بما يخالف فتيا العامة

بعضها ، ومن نقل إلينا أصحابهم عنهم عليهم السلام مما لا يعلم مخرجه... وبذلك أمرونا فعلوا الأمور ثلاثة...)).

١٢- ((والى هذا تذهب الشيعة في النداء ...)).

١٣- ((وإنما تُستعمل المعارضة في التقيّة وفي مخاطبة من يخف شره فيرضى بظاهر القول...)).

١٤- ((وقال أمير المؤمنين عليه السلام : الكذب كله إثم إلا ما نفعت به مسلما أو دفعت به عن دين..)).

١٥- ((وممّن كان له كُنى ، أمير المؤمنين عليه السلام وحمزة و... والباقر والصادق والرضا...)).

١٦- ((فهذه الرموز من أسرار آل محمد ، ومَنْ استنبطها من ذوي الأمر وقف عليها ، فعلمٌ جليل مما أودعهم الله إياه من

الحكمة ، وقد ذكرنا مما نتأدى إليه من تفسير ذلك في كتابنا الذي ترجمناه بـ (أسرار القرآن) ما أغنى عن إعادته)).

((وفي القرآن من الرموز أشياء عظيمة القدر جليلة الخطر قد تضمنت علم ما يكون في هذا الدين من الملوك والممالك والفتن والجماعات ومدد كل [illegible] من ذلك ما تضمنه ورمزت بحروف المعجم وغيرها من الأقسام كالتين والزيتون والفجر والعاديات والعصر والشمس واطلع على علمها الأئمة المستودعون علم القرآن ، ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام ((ما من مائة تخرج إلى يوم القيامة إلا وأنا أعلم قائدها وباعثها وأين مستقرها من جنة او نار))

١٠- ((قول أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه : أين منْ سعى واجتهد وجَمعَ وعَدَّد وزخرف ونجَد ...)).

١٩- ((ولذلك لا نرى في الحديث عن الرسول عليه السلام والأئمة عليهم السلام نصاً يطول وإنما يأتي على غاية الاختصار والاقتصار ..)).

٢٠- ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الحكمة والألفاظ القصار المنتخبة :

أ- المرء مخبوء تحت لسانه

ب- قيمة كل امرىء ما يحسن

ج- إعرف الحق تعرف أهله

د- أغنى الناس العقل وأفقر الناس الحمق

هـ- الدنيا دار ممر الى دار مقر والناس فيها رجلان : رجل ابتاع نفسه فأعتقها ورجل باع نفسه فأوبقها .

و- إذا قدرت على عدوك فاجعل الصفح عنه شكراً للقدرة عليه .

ز- الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو

ح- عمرت البلدان بحب الأوطان

ط- كفران النعمة لؤم وصحبة الأحمق شؤم

ي- اتباع الهوى يصدّ عن الهدى

ك- الحجر الغصب في الدار رهنٌ بخرابها

ل- ما ظفر من ظفر الإثم به

م- الغالب بالشر مغلوب.

٢١- وممن برع في المعنيين بين الإيجاز والإطالة من الإسهاب بالنكت وتقدم الناس جميعا في ذلك لتقدّمه في سائر فعائله، أمير المؤمنين عليه السلام ....

٢٢- ((ولكان النبي صلى الله عليه وسلّم والأئمة المهديون والسلف المتقدمون قد استعملوه)) بقصد سجع

٢٣- ((ويروى أن زيد بن علي عليه السلام خطب بعد خطبة خطيب الجندي..)).

٢٤- ((وقد رُوي في هذا المعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجّه بأمير المؤمنين في بعض أموره فقال....)).

٢٥- ((وقال أمير المؤمنين عليه السلام لابن الكواء: ((سلْ تفقُّها ولا تسأل تعنُّتا..)).

٢٦- فإن الشيعة تزعم أنه منسوخ والعامة مادنة به على الأول (يقصد المسح على الخفين) وكالمُتعة التي تزعم العامة أنها منسوخة والشيعة مادنة فيها على الأمر الأول...)).

٢٧- ((وقال أمير المؤمنين عليه السلام مَنْ أكثر من شيء عُرف به ، ومَنْ كثر ضحكه قلّت هيبته ، ومَنْ مزح أستخفّ به)).

٢٨- ((فقد رُوي عن الصادق عليه السلام أنه قال : على العلوم أقفالٌ ومفاتيحها السؤال ...)).

٢٩- ((وقد قال أمير المؤمنين عليه

السلام : كفران النعمة لؤم
ومنادبة الأحمق شؤم)).

٣٠- ((وأوصت الأئمة عليهم السلام
بكتمان أسرارها...)).

٣١- ((وقد قال أمير المؤمنين عليه
السلام العاجز من عجز عن
اتخاذ الأصدقاء وأعجز منه من
ضيّع مَنْ ظفر به منهم ...))

٣٢- ((فأما العصمة في الدين ، فالمود
فيه والمحبّة هي الولاية التي
فرضها الله تعالى على عباده
المؤمنين لأئمتهم واخوانهم ، فقال
عزّ مَنْ قائل : إنما وليكم الله
ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون
الصلاة ويؤتون الزكاة وهم
راكعون..)).

٣٣- ((وقال أمير المؤمنين عليه
السلام ((مَنْ لانت كلمته وجبتْ
محبّته ...)).

٣٤- ((وقال أمير المؤمنين عليه
السلام : إنّ الله عزّ وجل لم

بعض الأئمة أن تقضي حتى أكناف الأرض وهم ممسكون لا يأمرون ولا ينهون ...)).

٣٥- ((والأصل في أرزاق الجند والمقاتلة المساواة بينهم ، وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووضع الديوان عمر عليه وفضل بعض الناس على بعض ولم يخالفه في ذلك أحد بعده غير أمير المؤمنين عليه السلام فإنه رد الأمر إلى ما كان عليه من خالف عليه ، ثم رجع الناس بعد مضيه إلى سنة عمر رضوان الله عليهما)).

٣٦- ((وأما الصدقة : فليست تلزم عند الشيعة إلا في سبعة أصناف : العين ، والورق ، والبر ، والشعير ، والتمر ، والزبيب ، والمواشي السائمة ...)).

... عن الجريمة)) وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إن لي فيهم رأيا لو فرغت لهم)).

٣٨- ((قال أمير المؤمنين عليه السلام : من ضيع فرصة قد أمكنته وأخرها حتى تفوته فظفر بمثلها)).

أما الكتاب الثالث (بديع القرآن)

تحقيق حفني محمد شرف

كتب دراسة ومقدمة في البلاغة العربية في ٩٦ صفحة تناول فيها كلمة بديع في اللغة والشعر الجاهلي وفي القرآن الكريم وفي الحديث النبوي – كلمة بديع في شعر ونثر صدر الإسلام ، وفي العصر العباسي الأول ، كلمة بديع في ميدان المفاهيم العلمية والبيانية عند الجاحظ ، عند المبرد ، عند ابن قتيبة ، عند ابن المعتز ، عند قدامة بن جعفر ، عند أبي هلال العسكري ،

(البرهان في إعجاز القرآن)

تحقيق الدكتور أحمد مطلوب

كتب الدكتور أحمد مطلوب مقدمة لتحقيقه في سبع صفحات عرض فيها للذين عنوا بدراسات إعجاز القرآن الكريم ، وكذلك المفسرين والأصوليين واللغويين والنحاة والشعراء والكتاب والنقاد والفلاسفة والمتكلمين ، والشراح والملخصين وكذلك أصحاب البديعيات ،

ويعرض لاتجاهات البلاغة العربية : الاتجاه الأدبي والاتجاه العقلي.

عند ابن سنان الخفاجي ، عند عبد القاهر الجرجاني ، عند أسامة بن منقذ ، عند السكاكي ، عند ابن الأثير ، صاحب المثل السائر ، عند ابن أبي الأصبع .

أما الفصل الثاني ، في بديع القرآن وبلاغته ، آراء متفرقة عند المعتزلة ، بديع القرآن عند الجاحظ ، بديع القرآن عند المفسرين - الفراء ، ابن جرير الطبري ، الزمخشري ابن عطية ، بديع القرآن عند الأدباء ، علي بن ربن الطبري ، أبي هلال العسكري ، ابن سنان الخفاجي ، السكاكي كتب خاصة بالدراسات القرآنية ، بديع القرآن عند أبي عبيدة معمر بن المثنى في كتاب مجاز القرآن ، بديع القرآن عند ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن ، بديع القرآن عند الواسطي في كتابه إعجاز القرآن البياني ، بديع القرآن عند الرماني

ويذكر أسماء المصريين الذين عنوا بالبلاغة والنقد قبل القرن السابع الهجري الذين تجاوز عددهم العشرين شخصا ، ويذكر تحقيق الدكتور حفني محمد شرف لبديع القرآن وجهوده في هذا الأمر .

ويعرض لحياة ابن أبي الأصبع باختصار .

المخطوطات التي اعتمدها الدكتور أحمد مطلوب

اعتمد الدكتور أحمد مطلوب على نسختين مخطوطتين لم يطلع عليهما الدكتور حفني محمد شرف ؛ إذ قال ص١٦:

في مكتبة تشستر بيتي بدبلن (إرلندة) نسختان من الكتاب لم يطلع عليهما المحقق وهما :

١- بديع القرآن بالرقم (٤٨٧٧) في ١٥٧ ورقة ٢٧,٢ × ١٨,٣ سم. وهي بخط نسخ معتاد ممتاز بتاريخ نسخها تميز في القرن

في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) ، بديع القرآن عند الخطابي في كتابه بيان إعجاز القرآن ، بديع القرآن عند أبي بكر الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن ، بديع القرآن عند الشريف الرضي في كتابه (مجاز القرآن) ، بديع القرآن عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، بديع القرآن عند فخر الدين الرازي في كتابه نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، بديع القرآن عند ابن أبي الإصبع في كتابه بديع القرآن.

الفصل الثالث : في التعريف بالمؤلف وعصره السياسي ، عصره الإجتماعي ، عصره العلمي حياته ، نسبه ، مولده ، نشأته وبيئته ، علمه ، نقده ، شعره آثاره العلمية ، تحرير التحبير بديع القرآن ، الخواطر السوانح في أسرار الفواتح ، كتاب الأمثال ، صحاح المدائح ، السابع للهجرة (الثالث عشر للميلاد) .

٢- البرهان في إعجاز القرآن بالرقم ٤٢٦٥ في ٣٤٨ صفحة (١٨,٥ - ١٣) سم ، وهي بخط نسخ معتاد جيد ، كتبها أحمد بن سلامة الحنفي في صفر سنة ٧٢٧هـ سنة ١٣٢٧م وقد عمل الدكتور أحمد مطلوب على مطابقة المخطوطتين الجديدتين مع الكتاب الذي حققه وطبعه الدكتور حفني محمد شرف والذي اعتمد فيه ست نسخ في التحقيق إذ عد الدكتور مطلوب الكتاب المطبوع نسخة تقابل ما حصل عليه من مخطوطات لم يعتمدها الدكتور حفني .

مقدمة الكتاب بتحقيق الدكتور مطلوب

ذكر الدكتور مطلوب معلومات موجودة في مقدمة طبعته للكتاب

نافعا في تأويل ثلث عشرة كلمة ، كافية في علم القافية [illegible] في التدرج بين كلام قدامه ومحصوله ، ونسبه إلى الكتّاب والشعراء .

المخطوطات التي اعتمدها

اعتمد الدكتور حفني محمد شرف على عدة نسخ مخطوطة هي :

١ – نسخة الأصل : وهي مصورة على الميكروفلم بالجامعة العربية تحت رقم ١٣٢١ ، وهي مصورة على النسخة المخطوطة والمحفوظة في مكتبة مدينة استانبول تحت رقم ١٧١ في ٩٨ ورقة ، قياسها ١٨ × ٢٥ ومسطرتها ٢٥ سطرا . وقد جعل الأصل في التحقيق للأسباب الآتية :

أ – قدمها ، ونسخت على يد الناسخ عبد الغني بن الحسين بن يحيى الجزري العمري القرشي ، وذلك بمدينة دمشق في الشهر

غير موجودة عند الدكتور حفني محمد شرف ، وهي :

١٠ – ((قال الشيخ الإمام العالم الفاضل الأوحد زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن ذي الإصبع العدواني – رحمه الله تعالى : الحمد لله الذي أنزل القرآن متشابها ومحكما ، وجعل علم البيان إلى معرفة متشابه سلّما ، أحمده على ما علّم من التأويل وألهم من كشف أسرار التنزيل ، وأصلّي على نبيه الجليل الذي جاء القرآن على صدقه بأوضح دليل وجاء اسمه مكتوبا في التوراة والإنجيل وحسبنا في ذلك قوله تعالى ((أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل)) الشعراء ١٩٧ ، هذا بعد أن أحكمت فصاحته قوله فيه ((يعملون

الأخير من شهر جُمادى الأولى من شهور سنة ٦٩٤هـ ، أي بعد وفاة المؤلف بنحو أربعين عاما.

ب- كونها تامّة الأنواع البديعية التي تحدّث عنها المؤلف في كتاب بديع القرآن ، وإن كان بها خرم ترتّب عليه عدم ورود تلك الأنواع البديعية منها. وهي ١- الانسجام ٢- براعة التخلص ٣- جزء يسير من أول باب البسط ولعلّها هي المبيضّة التي حرّرها ابن أبي الإصبع أو أُخذت عنها.

ج- كُتِبَ على اللوحة الأولى من هذه النسخة هذا العنوان (كتاب بديع القرآن المجيد للشيخ زكي الدين عبد العظيم بن أبي الإصبع رحمهُ الله) ، وهذا دليل قوي على أن المؤلف سمّاه (بديع القرآن) ، ثم يلي عنوان هذه النسخة عدّة تمليكات يرجع

له ما يشاء من محاريب وتماثيل)) سبأ ١٣ ، فصاحة قول الملك الجليل ، وقذف بالحق على الباطل فدفع الأباطيل ، صلّى الله عليه وعلى آله خير آل وصحبه خير صحب وجيلهم خير جيل ، وبعد : فإنّي كنت قد عُنيت بجمع كتاب هو وظيفة عمري...

٢- وكان من له عناية بتدبر القرآن ، وكل ناقد بصير بجواهر الكلام ، ومحرج بحذقه زيوف النثر والنظام ، جمعتهُ من سبعين كتابا ، منها ما هو منفرد...

٣- ذكر في المقدمة أسماء الكتب التي أفاد منها تختلف في التسلسل عن طبعة الدكتور حفني .

٤- جاء في مقدمة المؤلف : جمعتُ

زمنها إلى القدم ، وهذا ما رجح لديّ أن أقدّم هذه النسخة على غيرها ، وأن يجعلها أصلا يعتمد عليه ، لكمالها من حيث الأنواع وقدمها من حيث الخط.

وهناك خلافات بينها وبين غيرها من النسخ الأخرى في المُقدّمة ، وفي بعض العبارات التي لا تؤدي إلى اختلاف المعنى ، وعلى كُلٍّ . فالنسخة جيّدة الخط كاملة الأنواع ، وإن كانت العبارة الأخيرة فيها تقول : ((إن ما بها مائة باب وثلاثة أبواب ، ولكن الحقيقة أن النسخة تحتوي مائة باب وتسعة أبواب ، وهذا اختلاف راجع إلى الناسخ . لأنه نقلَ هذه النسخة عن غيرها من النسخ التي ربما تكون هي المسوّدة وفيها نفس الخاتمة التي توجد وتختم بها جميع النسخ .

من ذلك اثنين وتسعين بابا أصولا وفروعا ، فالأصول منها ما ابتكر المخترعان الأولان تدوينه وهما : قدامة ، وابن المعتز وعدّتُها ثلاثون بابا بعد حذف ما تداخل عليهما ، وما تواردا عليه منهما ، واثنان وستون بابا لمَنْ جاء بعدهما إلى زمني هذا ، على ما قدّمت من الزوائد ، ورأيت أن أضيف إلى ذلك الأصول ، والمضاف أبوابا أنا مخترع أسمائها ومستخرج شواهدها ، فاستنبطت خمسة خمسة وثلاثين بابا فصار مجموع الكتاب مئة باب وستة وعشرين بابا. ٩٢ + ٣٥ = ١٢٧

وهذا خطأ في الجمع وفي الواقع وهو هنا يقصد تحرير التحبير وبين بديع القرآن وهذا ما لم يوضحه المُحقّق. لأنه

٤ - النسخة المصورة على الميكروفيلم بالجامعة العربية تحت رقم ٣٠٤ عن النسخة المخطوطة والمحفوظة بمكتبة (قليج علي) باستنبول تحت رقم ٤٢ وعدد أوراقها ١٨٥ ورقة، مقاسها متوسط ومسطرتها ١٥ سطر وهي مكتوبة بخط متوسط الحجم، يرجع نسخها إلى القرن السابع ... وإنها مجهولة الناسخ ... وقد كتب عنوان هذه النسخة (البرهان في إعجاز القرآن)... وهذه النسخة تحوي على أنواع البديع مائة نوع وثلاثة. وتنقص عن الأصل ستة أنواع وتختلف النسخة الأم وغيرها في المقدمة ويوجد فيها الاختصار والتقديم في عباراتها، ويبدو لي أن هذا الاختصار وذلك الاختلاف لا تضران بالمعنى المقصود مما يدل على أن ناسخها عالم لـ

قال ((ومن أراد استيعاب جميعها فعليه بكتاب الجامع لنا (تحرير التحبير في بديع الكلام). وكنت وسمته بـ (تحرير التحبير) وسلكت اختصاره فلم أجد إلى ذلك من سبيل لارتباط بعضه ببعض، ودعاء الحاجة إلى كل ما فيه وتعلق مطالبه بمعانيه ورأيت أني إذا أفردت منه الأبواب المختصة بالقرآن العزيز كان ذلك اختصارا نافعا تتمثل فيه بلاغات القرآن وبديعه وتسهيل استخراج إعجازه... وكنت مائة باب وستة أبواب.

٥- لم يذكر المحقق باب الشماته.

٦- عدد الأبواب التي ذكرها ١٠٩ أبواب وهي ١٠٣ في المخطوطة و٦ من الكتاب الذي طبعه الدكتور حفني، وهي خارجة عن المخطوط.

رابطة واضحة بالأدب والبلاغة .
ولعل هذه النسخة هي المسوّدة لكتاب (بديع القرآن) المبيضة للأصل السابع وليس هذا بغريب على المؤلف ، فهذا صنيعه في كتاب (تحرير التحبير) [illegible] مسودة مختصرة انتهى إليها تحرير الكتاب وقد رمز لها المحقق بالحرف (أ).

٣ - هذه النسخة وهي الثالثة وقد رمز لها بالحرف (ب) . مصورة أيضا على الميكروفلم بالجامعة العربية تحت رقم ٨١١ ، ٨١٢ ، عن نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة (لاله لي) باستانبول تحت رقم ٥٢٥ [illegible] متوسط. ومسطرتها خمسة عشر سطرا ، وهي معنونة أيضا بعنوان (البُرهان في اعجاز القرآن) ولا شك أنها مأخوذة من النسخة (أ) لأنها تتفق معها في

واعتقد أن الذي دعى الدكتور أحمد مطلوب إلى إعادة تحقيق هذا الكتاب هو للرد على ما حدث من الدكتور حفني بتحقيقه لكتاب البرهان في وجوه البيان الذي حققه الدكتور مطلوب سابقا.

المقدمة والعنوان والفهرس الموجود بها ... وهي غير معروفة الناسخ ولا تاريخ النسخ ، وفيها ثلاثة أنواع [بلاغية] كتبت على الهامش ولعل هذه الزيادة من فعل قارئ لهذه النسخة ، لأن الخط مخالف لخط الأصل الذي كتبت به النسخة ، فلعل القارئ زاد هذه الأبواب من نسخة أخرى كانت لديه ، والأبواب هي : الموازنة ، التسميط ، المذاكرة والعصيان ..

والنسخة الأصلية المخطوطة التي صورت عنها هذه النسخة مكتوبة بخط واضح ، وقد ضعفت عليها الأرضة في نواحٍ ، وربما أثرت تقادمها على ما يأتي بعدها من النسخ لقدم خطها الذي يرجع الى القرن السابع للهجرة .

د- النسخة التي رمز لها بالحرف (د) نسبة إلى دار الكتب المصرية مقاسها ٢٣ × ١٦ ، ومسطرتها ١٩ سطر ، وخطها [illegible] ، ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [illegible] بلاغة. وقد كتبت بخط محمد بن أحمد ابن شبان وفرغ من كتابتها في الثامن عشر من شهر المحرم سنة ٧٠٧هـ ... وفي أولها فهرس لأبواب الكتاب ، وعدة الأبواب الواردة في هذا الفهرس ١٠٩ أبواب ، ولكن ورد في ص٢ من المقدمة أن عدد هذه الأبواب ١٠٨ أبواب... وخطها [illegible] ، وعبارتها صحيحة ، مما يدل على أن ناسخها كان من العلماء الذين لهم صلة وثيقة بعلوم البلاغة.

هـ- النسخة التي رمز لها بالحرف (ت) وهي مخطوطة ومحفوظة

بمكتبة المرحوم أحمد تيمور تحت رقم ٢٦٠ أدب، مقاسها ٢١ × ١٤، ومسطرتها ٢٣ سطرا، وقد كتبت بخط جميل، ولكنات النسخة بديعة، وفي الصفحة الأولى منها تمليك، تاريخه ١٢٩٣هـ، في التاسع من رجب... ومقدمتها تختلف في بعض العبارات عن سائر النسخ، ولعل ذلك راجع إلى تصرف الناسخ، كما أنها تجمع مع الخط الجميل التصحيف والتحريف الواضحين في بعض العبارات... وفي آخرها فهرس للأنواع البديعة الموجودة في النسخة وعددها ١٠٩، ولكن ورد في ص٥ من المقدمة أن عدد الأبواب ١٠٠ أبواب، وهذا خلاف الواقع، إذ إن الأنواع الموجودة فعلا في النسخة ١٠٩.

٦ - النسخة المحفوظة التي رمز لها بـ (س) وهي مكتوبة بقلم معتاد سنة ١٢٩٦ هـ ، ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤١ تفسير في ١٥١ ورقة ، ومقاسها ٢٢ × ١٦ سم ، ومسطرها ٢١ سطرا وخطها واضح ، ولكنه قليل الجودة ، وقد جاء في حواشيها ((كتاب بديع القرآن تأليف زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد الواحد ابن ظافر البغدادي ثم المصري سنة ٤٥٦هـ)) كما كتب بهامش الصفحة الأولى بجانب العنوان هذه العبارة : (تتمة الإعجاز) ومقدمتها كمقدمة نسخة (ـ) . كما أنها تتفق معها في كثير من الأشياء ، حتى في التحريف والتصحيف الموجودين فيهما ، مما يدل على أنها مأخوذة عنها ، كما وجد في آخر المقدمة

ـ يفيد أن عدد الأبواب ١٠١ ، لكن أبواب النسخة مرقمة وآخرها ١٠٩ وهو الواقع.

مقدمة الكتاب بتحقيق الدكتور حفني

ذكر الدكتور حفني في مقدمة الكتاب نصوصاً غير موجودة [illegible] الدكتور أحمد محجوب وهي :

١ – عليه توكلت ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، الحمد لله على ما من علينا به من معرفة [illegible] كتابه ، وكشف لنا عن [illegible] فصل كتابه وصلواته على خاتم أنبيائه وخير أحبائه وعلى آله وأصحابه . كتاب [illegible] القرآن ، الذي هو [illegible] للإعجاز الذي جاء [illegible] وجاء التوراة والإنجيل وحسبنا قوله:

"المترجم (تبيان البرهان) أثبتّه من كتب [illegible] [illegible] عمري...

٢ - ونظرٌ ثاقبٌ في نقد جواهر الكلام ومن له نقد زيف الذهب والشَّبه من نقد النثر والنظام ، جمعته من كتب وكنانيش ، منها ما هو مفرد ..

٣ - ذكر في المقدمة أسماء الكتب التي أفاد منها المصنف في التسلسل عن طبعة الدكتور أحمد مطلوب .

٤ - قال في مقدمة المؤلف: جمعت من ذلك خمسة وتسعين بابا أصولا وفروعا ، فالأصول منها ما ابتكره المخترعون الأولون لتدوينه ، وهما قدامة بن جعفر الكاتب وابن المعتز وعدتها ثلاثون بابا بعد حذف ما تكرر عليه منها وما تداخل عليهما ، وخمسة وستون بابا مما جاء بعدهما إلى زمني هذا على ما قدمت من الشرائط ، ورأيت أن أضيف إلى ذلك الأصول

والمصنف في فذلكة أنه يخرج أسمائها ويستخرج شواهدها . فاستنبطت شواهدها واحدا وثلاثين بابا لم أسبق في غالب ظني إلى شيء منها... فكان ذلك مائة باب وثمانية ابواب

٩٥ + ٣١ = ١٢٦

وهذا خطأ في الجمع ومخالف للواقع ولكنه يقصد كتابه تحرير التحبير هنا وليس بديع القرآن. وهذا ما لم يوضحه المحقق . فقد قال المؤلف : فأضفت ما استنبطت إلى الأصل والمصدر الذي جمعت أبواب الفذلكة منه باب وستة وعشرين بابا كانت في كتابي الجامع لتبيين جميع الكلام الموسوم (بتحرير التحبير) ثم فُتح علي بعمل الكتاب الذي وسمتهُ ببيان البرهان في اعجاز القرآن . وعلمت أنه لا بد له من تتمة تتضمن ما في الكتاب

العزيز من أبواب التشبيه ، فأفردت ما يختص بالقرآن ، فكان ثلث مائة باب وثمانية أبواب ..

٥ - ذكر المحقق باب التسمية.

٦ - عدد الأبواب التي ذكرها المحقق ٤٠١ أبواب .

أما الكتاب الرابع فهو الجمان في تشبيهات القرآن	الجمان في تشبيهات القرآن
تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية	**تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي**
١ - صدر هذا التحقيق في طبعة ثانية سنة ٢٠٠٢ عن دار الفكر بدمشق . وقال المحقق في ص٦ ((صدر الكتاب في ثلاث طبعات : في الكويت وبغداد ثم القاهرة ، صدرت طبعة الكويت سنة ١٩٦٨ ، وتلتها طبعة بغداد ، ثم صدرت طبعة القاهرة سنة [illegible] ، ولم [illegible] على	١ - صدر هذا التحقيق سنة ١٩٦٨ ، عن وزارة الثقافة والإرشاد ، سلسلة كتب التراث ، في بغداد دار الجمهورية للطباعة في ٤٤٨ صفحة . اعتمد الدكتور مطلوب في تحقيقه على ((نسخة فريدة في مكتبة الإسكوريال ،

تطاول الزمن الاطلاع على صنعة بغداد على كثرة طلبنا ، وتحقيق الرؤية في ٢١٤ صفحة . ويدل الدالة عن تحقيق الدكتور مطلوب ((وبقيم من مقالة قرأتها للأستاذ عباس العزاوي رحمه الله نشرتها مجلة العرب أن هذه الطبعة تحقيق للنص لا يتجاوز إلى الشرح والتبيين أما الطبعة القاهرية فهي أنموذج لفساد إخراج النص وإخطائه)) فهل ((وأتيح لي منذ عشرين أن أنتبه إلى نسخة جديدة من كتاب (الجمان) من المكتبة الرفاعية كانت محفوظة في حلب ، ثم انتقلت مع مخطوطات حلب المختلفة إلى مكتبة الأسد الوطنية . وتعد هذه النسخة واحدة من نفائس المخطوطات التي كانت تضمها مكتبات حلب ، ثم آلت إلى الإجتماع كتبت في القرن السابع بخط نسخ مشكول جميل ، قرئت على محمد بن أبي الوفا بن أحمد الموصلي المعروف بابن القبيصي ، في مدينة حصن زياد سنة ٦٢٥هـ . وكتبت هذه النسخة لخزانة الملك العادل أبي الفتح ملكشاه ابن سلجوق بن محمود بن ملكشاه . وكانت في خزانة السلطان عبد الله زيدان السعدي بالمغرب.

وفي معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة مصورة عنها)).

فالدكتور مطلوب قد اعتمد مخطوطة واحدة هي مخطوطة مصورة عن نسخة الإسكوريال .

٢ - كتب الدكتور مطلوب مقدمة بـ (٣٦) صفحة عرف فيه

بأخواتها مخطوطة المكتبة
الظاهرية . وهذه النسخة تامة
غير منقوصة وتستدرك الخروم
التي أصابت نسخة الإسكوريال ،
وهي مكتوبة بخط حسن من
ناسخ عالم مدقق وعليه قراءات
وسماعات تزيد النسخة توثيقاً)).
المحقق اعتمد على النسختين
الخطيتين ، مخطوطة حسب
ومخطوطة الإسكوريال.

٢- كتب الدكتور محمد الدالي دراسة
عن المؤلف وكتابه بثلاثين صفحة
فيها تعريف بـ (ابن ناقيا البغدادي
وحياته وعصره ومؤلفاته ثم مقدمة
أخرى عن كتاب (الجمان) ،
وكذلك وصف لمخطوطة
الإسكوريال والتي تقع في ٢٥٩
صفحة من القطع الصغيرة وفي
الصفحة تسعة أسطر وهي مكتوبة
بخط النسخ المتقن المجود وأسماء
السور مكتوبة مميزة ، وليس على

بالتشبيه عند العرب ، كتاب
(الجمان في تشبيهات
القرآن) وبحياة المؤلف
ومؤلفاته وشعره وعصره ،
ومقاماته ، وعن أثر الكتاب
في نشأة البلاغة العربية
وكانت المقدمة وافية ومفيدة

النسخة [illegible] النسخ أو تاريخ
النسخ أو مكانه وهي مضبوطة
بالشكل وعليها [illegible] التعليقات
قليلة ...

أما نسخة (حلب ، دمشق) فهي
في مكتبة الأسد الوطنية برقم
١٧٤٧٤ في ٨٧ ورقة ، وعليها
تملكات مختلفة ، وفي آخرها سماع
على ابن أخت المؤلف مؤرخ في
مستهل رجب سنة ٥٠٤هـ ، كتبه
شجاع بن فارس بن الحسين [illegible]
الذي [illegible] والقراءة هو [illegible]
غالب شجاع بن أبي شجاع فارس بن
الحسين بن فارس الذهلي المتوفى سنة
٥٠٧هـ عن ٧٢ سنة.

ونسخة (دمشق – حلب) هي
أقرب النسختين للمؤلف وهي أكثر
وثوقا ودقة وهي تامة وقد رمز لها
بـ (ف) ونسخة الاسكوريال بـ (ش)
ولهذا اتخذ من (ف) أصلا.

ولكنه للأسف أنه عندما كتب ما

[illegible] عن حياة [illegible] [illegible]
[illegible] عصره و ... لم يذكر مصدرا واحدا
[illegible] تلك ، فكانت المعلومات
والتي استغرقت ٣٠ صفحة دون
مصادر وهوامش وهذا أمر معيب في
التحقيق .

المتن	المتن
١ - الاختلاف في الأبيات [illegible]	[illegible] ص ٧٤ [illegible] إلى [illegible]
[illegible] لم [illegible] البيت ص ٤٩	[illegible] [illegible] ، [illegible]
البيت [illegible] ([illegible]) ،	ص ٨٠ ([illegible]) ، [illegible]
ص ٨٩ (الندى) وهو [illegible]	ص ٨١ وهو الطائي ([illegible]) .
ونذكر هنا الصفحات التي فيها	(٧٢)، (٨٤)، (٨٤)، (٨٦)،
الأبيات المختلفة مع طبعة	(٨٧)، (٩٠)، (٩٩)، (١٠٠)،
[illegible] مطلوب .	(١٠١)، (١٠٥) (١٠٦) (١١٠)
ص (٨١)، (٩٢)، (٩٤)،	(١١٧) (١٢٦) (١٣٦) (١٤٠)
(٩٥) ، (٩٨)، (١٠٨) (١١٠)	(١٤٦) (١٤٨) (١٥٠) (١٥١)
(١١١) (١١٥) (١١٧) (١٢٢)	(١٥١) (١٥٤) (١٦٤) (١٦٧)
(١٣١) (١٤١) (١٥٢) (١٦١)	(١٧٣) (١٧٣) (١٨٥) (١٦٤)
(١٦٢) (١٦٥) (١٦٧) (١٧٠)	(١٩٦) (٢١٢) (٢٢٣) (٢٠٦)
(١٦١) (١٧٢) (١٧٠) (١٨٠)	(١٣١) (٢٢٣) (٢٤٩) (٢٥٠)

(١٩٤) (١٩٦) (٢٠٠) (٢٠١)
(٢٢٢) (٢٥٩) (٢٦٠) (٢٦٣)
(٢٦٨) (٢٨٠) (٢٨٦) (٢٩١)
(٣٠٥) (٣٠٧) (٣٢٢) (٣٢٤)
(٣٢٩) (٣٣٠) (٣٣٥) (٣٣٦).

ص(٣٥٤) القصيدة مخالفة تماما

ص(٣٥٣) (٣٥٤) (٣٦٠) (٣٧٣)
(٣٨٢) (٣٨٧) (٣٩٠) (٣٩٧)
(٤٠٢) (٤٠٣) (٤١٣) (٤١٤)
(٤٢٣) (٤٢٢).

٣- وردت نصوص عند تحقيق الداية لم ترد عند الدكتور مطلوب وهي

أ- ص٨٣-٨٥ ((فاستعير لهـا هذا الوصف من ... في المعنـى ... أي أحيـاها تحيوا)) وهو في ١١ سطرا.

ب- ص٩٩ ((شـبه التحيـة الدنيا ... يدل غني بالمكان)) وهي في ٧ أسطر.

ج- ص١٢٩-١٣٠ ((شـبـح ... فتراه مصفرا ... بما يتخلله

(٢٦٠) (٢٦٥) (٢١٠) (٢١٢)
(٢٨٥) (٢٨٦) (٢٩٠) (٢٩٢)

ص(٣٠٤) تختلف القصيدة (عدي بن زيد) عما ورد عند د. ...

ص(٣١٠) (٣١١) (٣١٢)
(٣٣٠) (٣٣٩) (٣٤٣) (٣٥٢)
(٣٥٥) (٣٦١) (٣٦٦) (٤١٣)
(٣٦٢) (٣٧٩) (٣٨٠).

٢- وردت نصوص في تحقيق الدكتور أحمد مطلوب لم ترد عند الدكتور الداية، وهي:

أ- ص٥٠-٥١ ((نحو ... الجن ... من خشية الله)) وهي في ٥ أسطر.

ب- بيت شعر لزهير في ص٧١.

ج- ص١٦١-١٦٢ ((ومنه قول الأخر .. وحبائله)) في ٢٥ سطرا

د- ص٢٦٥ ((ومن أسماء ...

من التاريخ)) وهو في ٦ أسطر.

د – ص٢١٤ ((الآية الرابعة)) .

هـ – ص٢١٧ ((كتابي المرسل... في أسفله)) سطران

و – ص٢٢٠ ((الأبيات الشعرية وما بعدها)) وهي في ١٠ أسطر.

ز – ص٢٧٨ – ٢٧٩ ((قوله تعالى ألم تر إلى ... [illegible] القدرة عن مماثلته)) في ٢٠ سطرًا.

ح – ص٤٢٥ ((لحقتهم [illegible] قوتهم ... فهي كالحجارة أو أشد قسوة)) وهي في ٤ أسطر.

ط – ص٤٢٦ ((قوله عز وجل ... لأتى كبير)) وهو في ١١ سطرًا هذه عشرة نصوص.

ومع [illegible] سطر [illegible].

هـ – ص٣٨٥ ((هذا ما [illegible] ورحمته)) في ٧ أسطر.

هذه خمسة نصوص.

أصالة مفهوم المجاز في فكر الدكتور أحمد مطلوب

الأستاذ الدكتور إياد عبد الودود عثمان الحمداني

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة ديالى

الخلاصة :

البحث الموسوم بـ (أصالة مفهوم المجاز في فكر الدكتور أحمد مطلوب) يقوم على نتيجة افترضها من رؤية نقدية تكوّنت من البحث والتحرّي ، وكشفت الدراسة عن أن أصالة المفهوم ونضج الرؤية هي المنطلق في تفكير أستاذنا الدكتور أحمد مطلوب في ميدان النقد والبلاغة ، وقد سجّل البحث بطريقة الوصف والتنظير منهجية الدكتور أحمد مطلوب في التعامل مع المجاز واستنتاجاته وطريقة استنباط الأحكام المعيارية وأهم تعليقاته في الشعرية Poetics عن طريق علاقتها بأنماط التصوير المجازي .

المقدمة :

إنَّ الخوض في موضوعة المجاز تجربة مهمة تقوم على تأمل الوجود بطريقة جديدة ؛ إذ يتحوّل التفكير الفلسفي في هذا الفن الأدبي إلى سلوك ونمط من التفكير ، وطاقة لشحذ الخيال الذي يعدّ حاجة نفسية يبحث فيها الإنسان منذ طفولته ، والتفكير في المجاز صورة من صور التفكير الفلسفي ، بل يمكن القول إن البحث في المجاز وآلية عمله وتقسيماته واصطلاحاته

إنما هو نمط من التفكير الفلسفي يلتقي مع الفنّ وينمّي عوالم الإحساس بالجمال الذي يحقّق الإبداع في جانبيه الإنشائي والنقدي والإجرائي .

يرصد هذا البحث مفهوم المجاز في فكر أستاذنا الدكتور أحمد مطلوب (رحمه الله) ، ويتابع فهمه للمجاز المرتبط عنده بالأصالة ؛ وعنوان البحث إنّما هو نتيجة افترضها البحث الذي أفاد من المنهج الوصفي في عرضه لأهم الآراء الذي يعتقد أنها تعطي تصوّرا وافيا عن مفهوم المجاز في تفكير الدكتور أحمد مطلوب على المستويين النقدي والبلاغي على أساس أن النقد يرتبط بالتفكير الفلسفي ، والبلاغة ترتبط بالمعيارية التي يؤصّل لها النقد .

ابتدأ البحث بتوطئة مهّدتْ لأهمية المجاز برؤية شمولية مكثّفة قارنت بين مفهوم المجاز عند الغربيين والعرب والظروف البيئية التي جعلت العرب والمسلمين يفكرون بطريقة خاصة بهم أعتقد أنها ترتبط بطبيعة اللغة الإبداعية العربية وآلية عمل المجاز فيها .

واكتفى البحث بعرض المادة في ثلاثة ، مباحث الأوّل كشف عن واقع المجاز في التفكير النقدي والبلاغي عند الدكتور أحمد مطلوب ، ثم جاء المبحث الثاني الذي استنطق عددا من الاستنتاجات التي اشتقّها من المظاهر الأسلوبية ومتعلقاتها المرتبطة بأفكار العلماء القدماء على اختلاف مشاربهم .

وجاء المبحث الثالث الموسوم بـ (المجاز وأصالة الشعرية) ليعرض أهم الأفكار التي سار عليها الدكتور أحمد مطلوب في الكشف عن الشعرية بوصفها الفنّي ، باحثا في علاقتها بأنماط المجاز التي تضمنها تفكيره النقدي والبلاغي .

وانتهى البحث إلى عرض أهم النتائج والملاحظات التي وجدتُ ضرورة في عرضها في (خاتمة) مُيسّرة .

ورحم الله أستاذنا الدكتور أحمد مطلوب ، وجزاه عن العربية وأهلها خير الجزاء. والحمد لله ربّ العالمين .

توطئة :

يُشكّل المجاز جزءا مهما من تفكيرنا الفلسفي والعلمي ، والنقدي والبلاغي في آن واحد ؛ لارتباطه بالخيال وتفسير الأحلام ، والشعرية ومظاهر الميتافيريقا وغير ذلك ، وبسبب هذا يمكن القول : إنّه مفهوم (إشكالي) يرتبط بنظام الوعي بالوجود . بطريقة يصعب عندها إخضاعه لقانون المنطق.[1]

يرتبط المجاز في الدراسات الأدبية بعوالم النقد والبلاغة ، والإبداع والشعرية Poetics؛ وقد كثرتْ الدراسات ، وطرائق المعالجة النقدية ، ففي عام ١٩٧١م ، قام أحد الدارسين ، اسمه ويرن شيبلس Warren Shibles بنشر ببليوغرافيا كشف فيها مداخل دراسة المجاز عند الغربيين ، وقد شغلت هذه (الببليوغرافيا) أكثر من ثلاثمئة صفحة ، واحتوت على ما يقارب الأربعة آلاف عنوان[2].

---

(١) ينظر التصوير المجازي :١١.

(٢) Metaphor and thought (ed) Ortony Andrew. P.١٩ ، وينظر شعرية المغايرة (المقدمة) : ٦ .

من البديهي أن تكون دراسة المجاز عند العرب فاعلة وحاضرة ، ولاسيما إذا ما عرفنا أن اللغة النقدية العربية المقروءة تمتدّ إلى أكثر من ألف وثلاثمئة عام ، فإنّ (أوّل) كتاب نقدي متخصّص في رصد مظاهر المجاز كان كتاب (البديع) لابن المعتز (ت٢٩٦هـ) ، وقد سبقه إلى ذلك نقّاد آخرون بيد أن دراستهم لم تكن نقدية مستقلّة بالمعنى الفنّي للعبارة أبرزهم الجاحظ (ت٢٥٥هـ) في كتابيه الأصيلين (الحيوان) و(البيان والتبيين). أمّا الغربيون فليس لديهم سوى ترجمات ما كتبه اليونانيون ، وأحسبُ أن عمر المنجز الإبداعي النقدي المقروء لا يشكّل شيئا عظيما ، أما منجز أمة العرب والمسلمين في هذا الميدان فكان بمستوى راق ، فلو استظهر الغربيون تراثهم غاية الاستظهار ، فإنهم لا يحصلون على نصوص حيّة تتفاعل مع المنجز الإبداعي المقترن بالتعليقات النقدية بالكيفية التي توافرت عند العرب .

من هنا جاءت أهمية رصد التفكير المجازي في الإبداع النقدي العربي ، فهي جزء من أصالة العربية ومكمن عظمة التفكير النقدي عند العرب ، فقد كانت عندهم ثروة من المؤلّفات التي بحثت في المجاز ابتدأت بـ (مجاز القرآن) لأبي عبيدة (ت٢٠٩هـ) الذي بدا كتابُه من أوّل الكتب التي ذكرت مصطلح (المجاز) بالوصف الذي كان يعنيه وقتها؛ لأن أبا عبيدة – على وفق ما ذكره الدكتور أحمد مطلوب – ((لم يقصد المعنى الاصطلاحي الذي عرفه المتأخرون ، وإنّما عني بمجاز الآية وما يُعبّرُ به عنها))[٣].

---

[٣] البلاغة عند السكاكي : ٢١٤.

وما زالت الدراسات حافلة بدراسة (المجاز) بوصفه النقدي الذي يفضي إلى مجالات التصرّف باللغة ، واستعمال الألفاظ بطرائق خاصة ينسجم مع اللغة المجازية العربية ذات الذاكرة الممتدّة زُهاء ألف وخمسمئة من الأعوام الحافلة بالمنجز المقروء ، وبآليات عمل ترتبط بخصائص اللغة الإبداعية العربية وأصالتها.

وكان لمسألة إعجاز القرآن الفضل الكبير في تطوّر الرؤية النقدية ، فقد ((كان كتاب الله العزيز الدافع الأول إلى دراسة البلاغة))[٤].

بل إن المجاز نفسه كان مثار اختلافات عقدية وفنية حفّزت على دراسة المجاز أبرزها دراسة الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) الموسومة بـ (تلخيص البيان في مجازات القرآن) ، ودراسة ابن ناقيا البغدادي (ت٤٨٥هـ) الموسومة بـ (الجمان في تشبيهات القرآن) فضلا عن المنجز الكبير الذي قدّمه عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧٤هـ) في دلائل الإعجاز ، ثم ما قدّمه العلوي اليمني (ت٧٤٩هـ) في (الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) وغيرها كثير.

حضور المجاز في تفكيره النقدي والبلاغي :

وجد الدكتور أحمد مطلوب أن البلاغة درس أصيل قابل للتطوّر على العكس من النحو بوصفه العلمي المجرّد ، فتيسير البلاغة أمرٌ وارد[٥] ، فهو عنده علم لم ينضج ولم يحترق ، ودعا إلى تأليف معجم تأريخي لهذا

---

[٤] اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة (المقدمة): ٨.

[٥] في المصطلح النقدي : ٣٢٩.

الفنّ[6] ، ورصد آراء القدماء وناقشها ، وبحث في المجاز في ثنيّات رصده للمستوى الدلالي في الإبداع الأدبي[7] ، فهذا المستوى هو المستوى الثالث عنده ويمثله (علم البيان) ، أما الأوّل فيمثّله علم الفصاحة والبديع وأسماه (الصوتي) ، ومثّل التركيب المستوى الثاني وارتبط بعلم المعاني ، ووجد الدكتور أحمد مطلوب أن القراءة الأسلوبيه إنّما هي قراءة بلاغية[8].

ويرى مطلوب أيضا أن النقد البلاغي ((ليس بدعة أو مرحلة انتهت ، وإنّما هو جوهر الأدب مهما تنوّعت فنونه واختلفت مذاهبه وتعدّدت أساليبه ، وسيبقى النقد قاصرا إن تجرّدَ من البلاغة ، وتبقى أحكامه ذاتية إنْ ابتعد عن أصولها الممتدّة في أعماق الزمن والنابعة من روح اللغة العربية وسحرها العظيم))[9] ، ووجد أنّ ((الحداثة امتداد للتراث الحيّ ، وليست تقاطعا ونكرانا وتمرّدا عليه ، كما أنّها ليست تقديسا له ووقوفا على رسومه))[10] ، وكان حديثه في المجاز يغلب عليه الجانب التعليمي ، ولم يكن هدفُهُ التجديد بقدر التأصيل ، ويبدو أن ذلك قد جاء بسبب اهتمامه بمفاهيم المدرسة الكلامية ، وتعمقه بدراسة السكاكي ؛ إذ تعدّ دراسة الدكتور أحمد مطلوب للبلاغة عن السكاكي ((الخطوة الأولى في دراسته العلمية ، وقد تناول فيها البلاغة قبل السكاكي ، وأهم مؤلفاته ، وصورا لآراء عصره ، وبيّن

---

(6) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : 1/8.

(7) ينظر مع الآخر : 466.

(8) المكان نفسه.

(9) في المصطلح النقدي : 83.

(10) المصدر نفسه : 269.

نشأة البلاغة وتطوّرها))[11]. ورأى شكري المبخوت أن منجز الدكتور أحمد مطلوب في كتابه (البلاغة عند السكاكي) ((يمثّل استدلالا دقيقا مخصّصا))[12] ، وهذا يعني أن منطلق الدكتور أحمد مطلوب التراثي كان مواكباً وذا رؤية خاصة تعي آلية عمل اللغة ويصرّح عنها بوضوح؛ ويمكن الاستدلال على ذلك في الآتي :

١- يقول : ((ماتت ألفاظ ، وتغيّرت دلالات))[13] ؛ فالمجاز ظاهرة ترافق عملية التطوّر اللغوي ، وإنه ((من أهم وسائل التعبير في الكلام))[14].

٢- رصد مظاهر الترادف والمجاز في أسلوب (ألف ليلة وليلة) ، وقال إنه ((أسلوب عربي يتّسم بالسلاسة وسهولة التعبير))[15].

٣- وجد أنه ينبغي عند إعادة تصنيف المجاز وإدخال مسائل (الخبر والإنشاء ، والخروج عن الظاهر)؛ لأنها شديدة الصلة به.[16]

٤- وجد أن السكاكي (ت٦٢٦هـ) قد حصر علم البيان في بحثين هما : المجاز والكناية ووجد أن السبب يرتبط بالدلالة العقلية ، أما التشبيه فقد أخرجه السكاكي من البيان؛ لأن دلالته وضعيّة[17].

---

(١١) أحمد مطلوب وجهوده البلاغية (رسالة) : ١٧.

(١٢) الاستدلال البلاغي : ٩٥.

(١٣) فصول في الشعر : ١٢٠.

(١٤) البلاغة عند الجاحظ : ٨٥.

(١٥) التشريع اللغوي : ١٣٠ وينظر ١٢٣.

(١٦) فنون بلاغية : ١٢٠.

(١٧) ينظر بحوث بلاغية : ١٠٥.

٥- ربط بين الاستعارة والتمثيل والكناية وسائر ضروب المجاز بالنظم ، ووجد أن هذا هو سبب التفاوت في الأسلوب.[١٨]

٦- لا يميل الدكتور أحمد مطلوب إلى التعريب خشية طغيان الألفاظ الأجنبية ؛ لذلك يحاول إيجاد لفظة عربية مناسبة عن طريق القياس أو الاشتقاق أو المجاز أو التوليد اللغوي.[١٩]

ويبدو واضحا أن الدكتور أحمد مطلوب ذو قدرة واضحة على الرصد الأسلوبي ومعرفة أنواع الأداء المجازي وما يرتبط به من أحكام معيارية.

المنهج والاستنتاج في فكره النقدي والبلاغي :

لقد كان الدكتور أحمد مطلوب ذا قدرة واضحة على مناقشة الآراء واستنتاج الأحكام الجمالية ، ورصد المظاهر الأسلوبية ، ومراعاة المقام ، وكان يُناقش القدماء ويتمحّص طرائق الأداء ، ويُنظّر بأسلوب واضح ، ويمكن ملاحظة ذلك من حديثه في لغة الطفل ، والكيفية التي ينبغي أن تكون عليها ، من ذلك رأى أن تكون ((وضعية ؛ لأن الطفل لا يدرك استعمال الكلمة في غير ما وُضعتْ لهُ في أصل اللغة العربية ، ولا نستعمل كلمة (العين) مثلا للدلالة على المُخْبر أو الجاسوس ، ولا نستعمل (اليد) بمعنى النعمة ، أو القوة ؛ لأن هذه معانٍ مجازية لا يدركها الطفل إلاّ بعد سنوات)) [٢٠] ، وكان وعيه في التعامل مع المجاز ، والكشف عن ماهيته

---

[١٨] ينظر : في المصطلح النقدي : ١٧٩.

[١٩] ينظر : مع الآخر ٣٩٠-٣٩١.

[٢٠] التسريع اللغوي : ١٤٢.

وخصوصيته واضحا ، كثيرا ما يسند آراءه بالأمثلة القريبة من البيئة؛ يقول في معرض تعليقه على المثال الآتي : ((أن أسكن في قعر الكأس))؛ ان قوله أسكن يُفهم منه إن قائله لا يستطيع الانفكاك ممّا حوله ، أو من ضغوط الحياة ، ثم قال إن ذكره لقعر الكأس يحيل على أنه سيبقى راسبا لا يستطيع الخروج منه[٢١] ، وكان ينظر بحسّ ثاقب في رصد مظاهر المجاز بأنواعه[٢٢] ، فرؤيته شمولية قلّ نظيرها ، تبتدئ – غالبا – بالتتبّع التاريخي الفنّي للظاهرة وعرض جهود السابقين ، وتنتهي بالإجراءات وترسيخ المفاهيم أو الاصطلاحات ، وهو بذلك منظّر فريد ، كان يرحّب بإدخال العلوم ببعضها ، فأُعجبَ – مثلا – بإجراءات القزويني حين أدخل بعض فنون البديع في بعض ، وَقَلّلَ المصطلحات التي أسرف المتأخرون في تفريعها[٢٣] ، وقد تتبّع الدكتور أحمد مطلوب المنجز الذي قدّمه اللغويون والنحاة في تطوير فنون البلاغة[٢٤] ، لافتا إلى منجز المبرّد (ت٢٨٥هـ) صاحب (الكامل) ، وثعلب (ت٢٩١هـ) صاحب (قواعد الشعر)[٢٥] ، وخصّص الأصمعي (ت٢١٦هـ) من بين النقاد الذين ارتبطت آراؤهم بالذوق أكثر من اتصالها بالقاعدة ولا سيما في كتابه (فحولة الشعراء) الذي جمع فيه آراء عن الشعراء الفحول[٢٦] ، ثمّ أطال الحديث عن المجاز بوصفه واحدا

---

[٢١] مع الآخر ٣٠٣.

[٢٢] فصول في الشعر : ٨٩ ، ١٩٠.

[٢٣] ينظر : مناهج بلاغية : ٤١٥-٤١٧.

[٢٤] ينظر : اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة : ٢٢-٢٣.

[٢٥] المصدر نفسه : ٢٣.

[٢٦] المصدر نفسه : ٢٣٥.

من الفنون الأولى عارضاً آراء النقاد مثل الآمدي (ت٣٧١هـ) صاحب (الموازنة) ، والقاضي الجرجاني (ت٣٩٢هـ) صاحب (الوساطة) [٢٧] ، ولسنا بصدد التفصيل في ذلك؛ لأن الأمر واضح ولا يحتاج إلى تحرٍّ أكبر ، بيد أن القول باعتزاز الدكتور أحمد مطلوب بمنجز عبدالقاهر (ت٤٧٤هـ) وبعده السكاكي (ت٦٢٦هـ) بأن واضحاً فهما قطبان رئيسان من المتكلمين الذي شكّلوا جزءاً من بنائه الفكري، فقد كان يميل في تنظيراته إلى المدرسة الأدبية لكنّ منهجه وإجراءاته تميل إلى أحكام المدرسة الكلامية؛ وقد وجد أن علم البيان وُلِدَ بتأثير الفلاسفة المتكلمين [٢٨] ، ووجد شكري المبخوت أن السكاكي يعدّ ((لحظة فارقة مثّلت انتصار (المدرسة الكلامية) على (المدرسة الأدبية) على حد تقسيم مطلوب)) [٢٩].

يرى الدكتور أحمد مطلوب أنّ المجاز عنصر مهم من عناصر الإبداع الشعري ، ولا يمكن الاستغناء عنه أو عن الأساليب الخبرية والانشائية ، والفصل والوصل ، والإيجاز والإطناب؛ ((فالمجاز – مثلا – هو (المجاز) في القديم والحديث والمستقبل ، ولكن الذي يختلف هو التشكيل الجديد لصورة المجاز)) [٣٠] ، انسجاما مع توجّهات الحداثة بشرط ((أن تكون هادفة لا مضلّلة تقود إلى الضياع ، ولا شكلية تمسّ التعبير وحده)) [٣١] ، ومن أفكاره

---

[٢٧] المصدر نفسه : ٢٧٤.

[٢٨] مناهج بلاغية : ١٩٧-١٩٨.

[٢٩] الاستدلال البلاغي : ٩٥.

[٣٠] مع الآخر : ٣٠٢-٣٠٣.

[٣١] في المصطلح النقدي : ٢٦٦.

واستنباطه الفكري أنّه وجد رابطا بين البيان ونظرية النظم عند عبدالقاهر[٣٢]، والبيان علم أطلقه المتأخرون على فنون البلاغة التي يقع المجاز من بينها[٣٣] ، وكان يعي أهميّة الكتّاب إلى جوار الشعراء وتأثيرهما الفنّي[٣٤].

دعا الدكتور أحمد مطلوب إلى إلغاء التقسيم الثلاثي ، وجعل البلاغة قسما واحدا وبحث موضوعاتها مستقلة او بحث مستوياتها الثلاثة (الصوتي والتركيبي والدلالي) [٣٥] برؤية شمولية.

المجاز وأصالة الشعرية :

يحقّق المجاز خاصيّة العدول في التعبير ، وعليه تُبنى شعرية النصوص[٣٦] Poetics ، ووجد الدكتور أحمد مطلوب أن الشعرية تتمثّل بالطاقة المتفجّرة في الكلام المتميّز بقدرته على الانزياح Deviation ، والتفرّد وتحقيق حالة من التوتر[٣٧] ، ورأى أن البلاغة ((أهم وسائل دراسة الشعرية))[٣٨] ، وأن هذه الحقيقة تتضح في كتابيْ عبدالقاهر الجرجاني (أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز) ، ثم كتاب الدكتور كمال أبو ديب (في الشعرية) في الدراسات الحديثة ، وكتاب جان كوهن Jean Cohen (بنية

---

[٣٢] عبدالقاهر الجرجاني بلاغته ونقده : ٧.

[٣٣] بحوث بلاغية : ١٣٠-١٣١.

[٣٤] اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة : ٢٤.

[٣٥] في المصطلح النقدي : ٣٣٠.

[٣٦] ينظر : شعرية المغايرة (المقدمة) : ٥.

[٣٧] في المصطلح النقدي : ١٩٢.

[٣٨] المصدر نفسه : ١٩٦.

اللغة الشعرية) ، وكلّ هذه الكتب برأيه أعطت البلاغة أهمية كبيرة في الدراسات النقدية ، ووجد أن الابتعاد عن فنون البلاغة أسوة بما فعله النقاد الغربيون سيؤدّي إلى متابعتهم في الخسارة التي وقعت في نقودهم حين تحوّلت إجراءاتهم النقدية إلى انطباعات أو ألغاز أو تمحّلات أو مباهاة بعيدة عن الذوق الأصيل[٣٩] ، ووجد في التمثيل فاعلية ((أكثر [...] في خلق الشعرية؛ لأنه يقوم على التخييل ، ويتمثل في التشبيه ، والتمثيل والاستعارة))[٤٠] ، ويدخل التشبيه ضمنه[٤١] ، وتعدّى الأمر ذلك إلى اعتماد التشبيه أساسا في اعتماد تقسيم الاستعارة إلى (تصريحية ومكنية) ، وقال إنه يمكن ((أن نردّ جميع أنواع الاستعارة الأخرى التي يوردها البلاغيون إلى هذين الأصلَيْن))[٤٢] ، فهو عنده ((خير وأجدى في دراسة هذا الفن؛ لأن ذلك عمدته ما دامت الاستعارة تقوم على التشبيه عند معظم البلاغيين))[٤٣]، وكان (أوّل) من حدّد معالم الاستعارتين التصريحية والمكنية تحديدا دقيقا عبدالقاهر في كتابيه دلائل الإعجاز[٤٤] ، وأسرار البلاغة[٤٥] ، ولكن لم يسمّها بالمصطلح الذي عُرِف عند السكاكي[٤٦].

---

[٣٩] ينظر : في المصطلح النقدي : ١٩٦.

[٤٠] المصدر نفسه : ١٨٤.

[٤١] فصول في الشعر : ١٦٩.

[٤٢] دراسات بلاغية ونقدية : ٥٣ ، وينظر البلاغة عند السكاكي : ٣٢٩-٣٣٠.

[٤٣] فنون بلاغية : ١٤٥ ، وينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ١/١٤٢.

[٤٤] دلائل الإعجاز : ٦٧.

[٤٥] أسرار البلاغة : ٤٢.

[٤٦] ينظر مفتاح العلوم : ٤٧٨ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧.

وتابع الدكتور أحمد مطلوب شيخه أبا يعقوب السكاكي في إبعاد (المجاز العقلي) عن علم البيان . وقد عدّ السكاكي المجاز كلّه لغويا[٤٧] ، ويبدو أن إبعاد (المجاز العقلي) عن علم البيان[٤٨] قد أصبح من المفاهيم التي قبلها الدكتور أحمد مطلوب على أساس أن هذا النمط من المجاز لا يحقّق الانزياح اللغوي ، لكنني وجدتُ فيه تحقيقا لهذا الجانب اللغوي ولاسيما عند توظيف اسم الفاعل بدل اسم المفعول أو العكس على سبيل المجاز العقلي؛ فهو فاعل ومؤثّر ويبدو ذلك واضحا في قول الحطيأة هاجيا :

دعِ المكارمَ لا ترحَلْ لبُغْيَتِها   واقعدْ فإنّكَ أنتَ الطّاعِمُ الكاسي

وفي الوقت نفسه وجد الدكتور أحمد مطلوب أن الكناية من المجاز ، فهي ((من أسباب الشعرية ، لأنها تُحَرِّف الكلام))[٤٩] ، وهي برأي الدكتور اياد الحمداني أهم ما في اللغة الشعرية عند العرب؛ لأنها تربط بذاكرة اللغة الممتدة[٥٠].

أمّا الاستعارة فقد بدا واضحا اهتمام الدكتور أحمد مطلوب بأصلها التشبيهي ، وقد وجد فيها نمطا أساسا في عقد الصلة بين الأشياء تحقيق المغايرة ، والتشبيه عنده من المجاز ، وقد تابعه باحثون آخرون حين عدّوا

---

[٤٧] بحوث نقدية وبلاغية : ٢/٤٩٧.

[٤٨] ينظر مناهج بلاغية : ٩٨-١٠٠.

[٤٩] في المصطلح النقدي : ١٨٣.

[٥٠] الكناية محاولة لتطوير الإجراء النقدي : ٢٢.

التشبيه من المجاز من هؤلاء : الدكتور حمّادي صمّود في (التفكير البلاغي عند العرب)[٥١] ، والدكتور محمد حسين علي الصغير في (الصورة الفنية في المثل القرآني)[٥٢] والدكتور جليل رشيد فالح في (الصورة المجازية في شعر المتنبي)[٥٣] ، والدكتور اياد الحمداني في التصوير المجازي الذي وجد أيضا أن ((التشبيه ذو مستويات تتفاوت في درجة [اقترابها]* وابتعادها عن المجاز))[٥٤].

أمّا الكناية برأي الدكتور أحمد مطلوب فهي ((ألصق من التشبيه بالمجاز))[٥٥] ، أي إنها أصل مهم في تحقيق الشعرية ، فاللفظ فيها برأيه ((لا يدل على المعنى المقصود حقيقة))[٥٦] ، وقد جعل الدكتور أحمد مطلوب الاستعارة قرينة التشبيه حين قال : ((وتقوم الاستعارة بما يقوم به التشبيه ، وهي أساس الصور الشعرية؛ لأنها سيّدة المجاز ، ولأنها أكثر قدرة على تخطّي الواقع ، ورسم صور جديدة))[٥٧].

---

(٥١) التفكير البلاغي عند العرب : ٦٠١.

(٥٢) الصورة الفنية في المثل القرآني : ١٥٤.

(٥٣) الصورة المجازية في شعر المتنبي (أطروحة) : ٣٦.

(*) في الأصل (اقترانها) وهو تصحيف.

(٥٤) التصوير المجازي : ٢٩.

(٥٥) فنون بلاغية : ١٧٤.

(٥٦) فنون بلاغية : ١٧٤ ، وينظر في المصطلح النقدي : ١٧٩.

(٥٧) فصول في الشعر : ١٧٠.

وقد تابعه الدكتور صلاح فضل في ذلك حين قال إن ((علاقة المشابهة أصل في دراسة الاستعارة))[٥٨] ، وقد صرّح الدكتور أحمد مطلوب بأهمية الاستعارة وميّزها من سائر الأنماط المجازية . ولاسيما في تعليقاته العلمية في كتابه (في المصطلح النقدي) الذي أجد أن رؤيته للمجاز فيه قد بلغت ذروتها ، فهو القائل إن ((دراسة المجاز مهمة في تشخيص الشعرية والوقوف على فاعليتها ولاسيّما الاستعارة التي هي من أهمّ أنواعه))[٥٩] ، وهي عنده ((أساس التصوير الذي يعتمد على التنظيم والتخييل))[٦٠] ؛ والاستعارة في رؤية الدكتور أحمد مطلوب ((أسمى من التشبيه في التصوير وخلق الشعرية))[٦١].

ولفت الانتباه إلى أن ((المعنى في الاستعارة يُعرف من طريق المعقول دون اللفظ))[٦٢] ، وبهذا يمكن القول إن كتاب (في المصطلح النقدي) واحدٌ من أهم الكتب التي لخّصَتْ فاعلية المجاز في التصوير ، وتحقيق الشعرية أو لنقل إنه أحد أهمّ المراجع التي رصدت التطوّر الحاصل في الذائقة النقدية والبلاغية.

والله أعلم

---

[٥٨] نظرية البنائية : ٣٥٣.

[٥٩] في المصطلح النقدي : ١٧٣.

[٦٠] المصدر نفسه : ١٨٢.

[٦١] المصدر نفسه : ١٧٧.

[٦٢] المصدر نفسه : ١٧٨.

الخاتمة :

ترتبط (الأصالة) بالجودة والإحكام والعودة إلى الموروث والتراث المشرق والاستعانة به ، والوعي بخصوصية اللغة الإبداعية ، ومتعلقاتها النقدية والبلاغية؛ وبدا ذلك واضحا في فكر الدكتور أحمد مطلوب الذي حرص على تفعيل الدرس البلاغي.

وكان التفكير المجازي في الإبداع النقدي العربي قد شكل جزءا مهما من تلك الأصالة ، فالمجاز مَكْمَنُ عظمة التفكير النقدي عند العرب ، وقد تتبع مظاهر تطوّر مفهومه استنادا إلى الموروث.

ويحث الدكتور أحمد مطلوب المجاز في ثنيّات رصده للمستوى الدلالي ضمن علم البيان الذي جعله ثالث مستوى بعد المستويين : الأول القائم على علم الفصاحة والبديع وأسماه (الصوتي)؛ أما الثاني فقد مثله المستوى التركيبي وارتبط بعلم المعاني ، ووازن الدكتور أحمد مطلوب بين هذه الرؤية والأسلوبية ، وأكّد أن القراءة الأسلوبية إنما هي قراءة بلاغية.

ودعا الدكتور أحمد مطلوب إلى إلغاء التقسيم الثلاثي للبلاغة (المعاني ، البيان ، البديع) وجعلها قسما واحدا تحقيقا للشمولية؛ بيد أن واقع دراساته كان يغلب عليها هذا التقسيم ، لطغيان الجانب التعليمي ، لأنه كان يبحث في التأصيل ، ويبدو أن ذلك قد جاء بتأثير المدرسة الكلامية وتعمّقه بدراسة أبي يعقوب السكاكي (ت٦٢٦هـ) في كتابه (مفتاح العلوم).

لقد كان منطلق الدكتور أحمد مطلوب مواكبا وذا رؤية خاصة ، وكان يعي آلية عمل اللغة ، ويصرّح عنها بوضوح ، وكان لا يميل الدكتور أحمد

مطلوب إلى التعريب خشية طغيان الألفاظ الأجنبية ، لذلك نجده يحاول إيجاد لفظة عربية مناسبة عن طريق القياس أو الاشتقاق أو المجاز أو التوليد اللغوي .

يبدو واضحا أن الدكتور أحمد مطلوب ذو قدرة واضحة على الرّصد الأسلوبي ومعرفة أنواع الأداء المجازي ، وما يرتبط به من أحكام معيارية ، وكان يناقش الآراء ويستنتج الأحكام الجمالية ، ويرصد المظاهر الأسلوبية ويراعي المقام ويعلل الظواهر ويناقش القدماء ويتفحّص طرائق الأداء وينظّر بأسلوب واضح يستند فيه إلى الأمثلة القريبة من البيئة ، وكانت رؤيته النقدية شمولية قلّ نظيرها؛ تبتدئ - غالبا - بالتتبع التاريخي الفني للظاهرة ، وتستعرض جهود السابقين ، وتنتهي بالإجراءات وترسّخ المفاهيم أو الاصطلاحات .

تتبع الدكتور أحمد مطلوب المنجز الذي قدّمه اللغويون والنحاة في تطوير فنون البلاغة ، فضلا عن النقّاد ، وكان اعتزازه بمنجز عبدالقاهر الجرجاني وأبي يعقوب السكاكي واضحا ، فهما قطبان رئيسان من المتكلّمين الذين شكّلوا جزءا من بنائه الفكري ، فقد كان يميل في تنظيراته إلى المدرسة الأدبية ، لكنَّ منهجه وإجراءاته تميل إلى أحكام المدرسة الكلامية؛ ومن ذلك وجد أن علم البيان الذي يقع ضمنه (المجاز) نَمَا بتأثير الفلاسفة المتكلمين.

يرى الدكتور أحمد مطلوب أن المجاز عنصر مهم من عناصر الإبداع الشعري ، ولا يمكن الاستغناء عنه أو عن الأساليب الخبرية والإنشائية ، والفصل والوصل ، والإيجاز والاطناب . والمجاز عنده أصل مهم في الإبداع ، ومن أفكاره واستنباطه أنه وجد رابطا بين البيان ونظرية النظم.

إن البلاغة في فكر الدكتور أحمد مطلوب اهم وسائل دراسة (الشعرية Poetics) ، والابتعاد عن فنون البلاغة خسارة فادحة وقع فيها الغربيون قبل العرب حيث تحولت إجراءاتهم النقدية إلى انطباعات أو ألغاز أو تمحلات أو مباهاة بعيدا عن الذوق الأصيل .

جعل الدكتور أحمد مطلوب الاستعارة قرينة التشبيه ، وميّزها من سائر الأنماط المجازية ، وهي عنده أهم أنواع المجاز لصلتها بتوليد الشعرية.

أخيرا يمكن القول إن كتاب (في المصطلح النقدي) واحد من أهم كتب الدكتور أحمد مطلوب التي تخصصت فاعلية المجاز في التصوير ومتعلقاته ، وهذا المرجع أحد أهم المراجع التي رصدت التطوّر الحاصل في الذائقة النقدية والبلاغية المعاصرة.

المصادر والمراجع :

1. اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة ، الدكتور أحمد مطلوب ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
2. الاستدلال البلاغي ، شكري المبخوت ، دار المعرفة للنشر ، الجمهورية التونسية ، ط١ ، ٢٠٠٦م.
3. أسرار البلاغة ، للشيخ الإمام عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ) ، تحقيق: هـ. ريتر ، مطبعة وزارة المعارف ، استنابول ، ١٩٥٤م.
4. بحوث بلاغية ، الدكتور أحمد مطلوب ، المجمع العلمي ، بغداد ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
5. بحوث نقدية وبلاغية ، الدكتور أحمد مطلوب ، المجمع العلمي ، بغداد ، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
6. البلاغة عند الجاحظ ، الدكتور أحمد مطلوب ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٨٣م.
7. البلاغة عند السكاكي ، الدكتور أحمد مطلوب ، مطابع دار التضامن ، بغداد ، ط١ ، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
8. التصوير المجازي وأنماطه ودلالاته في مشاهد القيامة في القرآن ، الدكتور اياد عبد الودود عثمان الحمداني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٤م.
9. التشريع اللغوي وبحوث أخرى ، الدكتور أحمد مطلوب ، المجمع العلمي ، بغداد ، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

١٠. دراسات بلاغية ونقدية ، الدكتور أحمد مطلوب ، دار الحرية للطباعة ، دار الرشيد للطباعة ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

١١. [كتاب] دلائل الإعجاز ، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) ، قرأه وعلق عليه : أبو فهر / محمود محمد شاكر ، دار المدني بجدة ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر . ط٣ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٢. شعرية المغايرة – دراسة لنمطي الاستبدال الاستعاري في شعر السياب ، الدكتور اياد عبد الودود الحمداني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٩م.

١٣. الصورة الفنية في المثل القرآني ، الدكتور محمد حسين علي الصغير ، دار الرشيد للطباعة والنشر ، ١٩٨١م.

١٤. عبدالقاهر الجرجاني بلاغته ونقده ، الدكتور أحمد مطلوب ، بيروت ، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

١٥. فصول في الشعر ، الدكتور أحمد مطلوب ، المجمع العلمي ، بغداد ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٦. في المصطلح النقدي ، الدكتور أحمد مطلوب ، المجمع العلمي ، بغداد ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٧. الكناية محاولة لتطوير الإجراء النقدي ، الدكتور اياد عبدالودود عثمان الحمداني ، المطبعة المركزية ، جامعة ديالى ، ط٢ ، ٢٠١١م.

١٨. مع الآخر ، الدكتور أحمد مطلوب ، المطبعة المركزية ، جامعة ديالى ، ط١ ، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

١٩. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، الدكتور أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، الجزء الأول ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢٠. مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ) ، حققه وقدم له وفهرسه : الدكتور عبدالحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢١. مناهج بلاغية ، الدكتور أحمد مطلوب ، بيروت ، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

٢٢. نظرية البنائية في النقد الأدبي ، الدكتور صلاح فضل ، دار الشؤون الثقافة العامة ، بغداد ، ط٣ ، ١٩٨٧م.

مرجع أجنبي :

Metaphor and thought, edited ortony, Cambridge University Press, first published, 1979 m London, New York, Melbourne.

رسالة وأطروحة :

- أحمد مطلوب وجهوده البلاغية (رسالة ماجستير) ، نبراس جلال عباس الجبوري ، مقدمة إلى مجلس كلية التربية الأساسية – الجامعة المستنصرية ، بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور حمد عبدالهادي حسين ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- الصورة المجازية في شعر المتنبي (أطروحة دكتوراه) ، جليل رشيد فالح ، مقدمة إلى مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد ، بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

الاعجاز القرآني في معجم المصطلحات البلاغية وتطورها

الأستاذ الدكتور محمد خضير مضحي الزويعي
جامعة بغداد – كلية العلوم الإسلامية

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى اله وصحبه اجمعين

أما بعد

فمن دواعي سروري أن أكون في سمط المرشدين ونمط الهادين في الكلام على علم البلاغة الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب (رحمه الله تعالى) الذي نال أعلى الجوائز المحلية والعالمية ، وعلى رأسها جائزة الملك فيصل العالمية لسنة ٢٠٠٨م ، وكان عضوا في معظم المجامع العلمية العربية ورئيس المجمع العلمي العراقي سنين عديدة . ثم آن للفارس ان يترجل[1] بعد أن قدّم أعمالا علمية لا تقوم بها إلاّ مؤسسات ومنها هذا السفر العظيم (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) في ثلاثة أجزاء و (معجم النقد العربي القديم) في جزأين وقد سارت الركبان بكتبه ، ولا سيما هذا الكتابان وبها استحق أعلى الجوائز .

---

[1] توفي رحمه الله عصر يوم السبت ٢٠ / ٧ / ٢٠١٨ .

بدأت بحثي عن المعجزة لغة واصطلاحا وذكرت بعض مذاهب العلماء في تفسير الإعجاز القرآني ، وذكرت مفهوم الإعجاز القرآني عند الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب إذ إنه يرى أن التفسير الأدبي وسيلة من وسائل إدراك إعجاز القرآن الكريم ، والذوق عنده من جنس البلاغة والفصاحة ، ذوق مهذب مصقول بمعرفة أصول البيان العربي .

والموضوع الذي كتبت فيه هذه الكلمات يستحق أن يكون بحثا كبيرا أو رسالة جامعية ، ولكني اقتصرت على بعض المصطلحات ، وما فيها من آي الذكر الحكيم ؛ وذلك مراعاة لمقتضى الحال ومراعاة للإيجاز .

ومهما كتب الكاتبون فالكلمات تبقى عاجزة أمام عظمة القرآن الكريم وروعته ، إذ إنه استعمل كلمة الآية والبينة والبرهان والسلطان وكلها تدل على الإعجاز وعلى الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي .

وقد تركت كثيرا من مباحث الإعجاز لمن أراد الكتابة في هذا الفن العظيم إذ إن معظم كتب الإعجاز القرآني كانت كتبا بلاغية ، وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المعجزة لغة واصطلاحا :

العجز أصله التأخر عن الشيء ، وحصوله عند عَجُز الامر أي مؤخره ... ، وصار في التعريفات اسماً للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة ومثاله في التنزيل [فَبَعَثَ اللهُ غُرابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرابِ فَأُوارِيَ

سوءة أخي فأصبح من النادمين] [المائدة: ٣١] [2] وأعجزت فلانا وعجزته وعاجزته : جعلته عاجزا [فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين] [التوبة: ٢] [3] و [وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير] [الشورى: ٣١] [4] و [والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم] [الحج: ٥١] [5]

وقرئ (مُعجّزين)[6] فمعاجزين قيل : معناه ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا ؛ لأنهم حسبوا أن لا بعث ولا نشور فيكون ثوابا وعقابا [7] .

ويكاد السمين الحلبي ت ٧٥٦ ينقل الكلام المتقدم بنصّه أو بقضّه وقضيضه من الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) .

والمعجزة اصطلاحا :

امر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة[8].

وللعلماء مذاهب في تفسير الإعجاز منها ما ذكره الإمام الجعبري في كتابه الحميلة ، قال : ((فالقول الاول وهو الحق : إنّ القرآن معجز بفصاحته

---

[2] المائدة : ٣١ .

[3] التوبة : ٢ .

[4] الشورى : ٣١ .

[5] الحج : ٥١ .

[6] وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو (مُعجّزين) بغير ألف مع تشديد الجيم .
ينظر : السبعة لابن مجاهد ٤٣٩ ، والنشر في القراءات العشر ٣٢٧/٢ .

[7] ينظر : مفردات الفاظ القرآن ٥٤٧ (عجز) .

[8] ينظر : الإتقان في علوم القرآن ٢ / ١٠٠١ ومباحث في إعجاز القرآن ١٨ .

ألفاظه وبلاغة معانيه))[٩] وقال : ((واعلم أن المرقاة المنصوبة الى معرفة إعجاز القرآن هو علم المعاني والبيان ، لأن الاول يظهر بلاغته والثاني يبرز فصاحته ومن ثم كان تحصيلهما من أشرف المطالب .

والفصاحة اشتمال الكلام الكثير على التركيب المتناسب والصناعات اللفظية ، من فصيح اللبن ، تمحض عن الغش وقد يطلق على ذرابة اللسان ، منه فصيح الأعجمي ، وليست في المفردات ، والا لا تحدث تراكيب كلمات معينة[١٠] .

والبلاغة : هي الكلام الذي يبلغ به الانسان كنه ما في قلبه بأحمد الطرق[١١] ، من بلغ أي : وصل .

مفهوم الاعجاز عند الاستاذ الدكتور أحمد مطلوب (رحمه الله تعالى)

لا يختلف مفهوم الإعجاز عند الأستاذ أحمد مطلوب عمن سبقه من العلماء ، وله مشاركات في هذا الفن ، وله بحث سماه (التفسير الأدبي والإعجاز)[١٢] يرى فيه ((أن التفسير الأدبي وسيلة من وسائل إدراك

---

(٩) جميلة أرباب المراصد للجعبري ١٤٦ . والكتاب بتحقيقي .

(١٠) ينظر : كتاب الصناعتين ١٠ ، ودلائل الاعجاز ٣٦ ونهاية الايجاز ٤٠ وحسن التوسل ١٠٢ والإيضاح ١ / ١٢ ومعجم المصطلحات البلاغية ١ / ٤٠٢ – ٤٠٦ وجميلة أرباب المراصد ١٥٨ .

(١١) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن ١٤٤ – ١٤٥ ، (بلغ) ولسان العرب ٨ / ٤١٩ (بلغ) وجميلة أرباب المراصد ١٥٨

(١٢) منشور في الاعجاز القرآني ٤٧ - ٦٤ وهي بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني في بغداد ٢١ – ٢٦ رمضان ١٤١٠ هـ - ١٦ – ٢١ نيسان ١٩٩٠ م .

إعجاز القرآن الكريم وهو إعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها كالملاحة ومدركه الذوق ليس إلا وهو من جنس البلاغة والفصاحة أي : إن التفسير الأدبي المعتمد على الاحساس الفني المرهف والذوق المهذب المصقول والمعرفة بأصول البيان العربي طريق يوصل الى أجواء القرآن الروحية والتأمل بما فيه روعة واعجاز [١٣] .

ويعتقد الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب ، كما قال ((إن الزمخشري (ت ٥٣٨) لو تمسك بالتفسير الأدبي كل التمسك ، وترك غيره لجاء بكل طريف عجيب)) [١٤] .

ومع هذا كله فإنه يصرح بأن تفسير الزمخشري يظل أهم مصدر في دراسة التفسير الأدبي ، وذكر ، (رحمه الله) ، مجموعة من الباحثين الذي هيأهم الله سبحانه وتعالى لحمل العبء في هذا الاتجاه التفسيري للإعجاز منهم أمين الخولي والدكتورة بنت الشاطئ ومصطفى صادق الرافعي وسيّد قطب والدكتور شكري محمد عياد والدكتور أحمد أحمد بدوي وغيرهم من الباحثين [١٥] .

وأعظم أعمال الدكتور أحمد مطلوب (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) [١٦] إذ إنّ الجهد الذي قام به لا تقوم به الا مؤسسة إذ إنه أجاد

---

[١٣] التفسير الأدبي والإعجاز ٦٣ .

[١٤] المصدر نفسه ٦٠ .

[١٥] ينظر : التفسير الأدبي والإعجاز ٦٣ .

[١٦] طبع في مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م وهناك طبعات أخرى لهذا الكتاب .

فيه وأحسن على كثرة الصعوبات والتفريعات في هذا العلم ولم يكن العمل سهلا ، إذ إنَّ تاريخ البلاغة عريق ، ولأن القدماء لم يضعوا معالم لمثل هذا العمل[17] .

ولنا أن نتصور عملا نجز فيه مؤلفه ألف مصطلح ومئة . وهو علم لم ينضج ولم يحترق[18] . ولنا أن نتصور جهده الكبير أن بعض المصطلحات لها اكثر من اسم ومثاله : إنّ بعضهم يسمي بعض المصطلحات بالتبليغ وآخر بالإشباع أو الإيغال ، والتجنيس سماه بعضهم جناسا ومجانا ومماثلا وتماثلا ، والتورية سماها بعضهم ايهاما وتوجيها وتخييلا ، والتشبيه المقلوب : غلبة الفروع على الأصول والطرد والعكس ، ولزوم ما لا يلزم سماه بعضهم إلزاما والتزاما وإعناتا وتشديدا وتضييقا .

والذي يطلع على هذا العمل يرى الشيء الكثير من تداخل المصطلحات وتشابهها ، فالعمل لم يكن سهلا ولا يتصدى له الا كبار العلماء ، فرحمه الله رحمة واسعة .

واختياري لهذا الكتاب عن قصد ، لأنّ الدكتور أحمد مطلوب يرى أنّ معظم كتب (إعجاز القران) كانت كتبا بلاغية ، وهذا من فضل القران العظيم[19] .

---

[17] ينظر : معجم المصطلحات البلاغية ١ / ٧ .
[18] ينظر : معجم المصطلحات البلاغية ١ / ٨ .
[19] ينظر المصدر نفسه ١ / ٢٥١ .

وهذا هو التناسب بين اللفظ والمعنى ، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، وتكون الألفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له ، وهذا باب عظيم في علم البديع وجاء القرآن الكريم على هذا الأسلوب[20] .

فإذا كان المعنى فخما كان اللفظ الموضوع له جزلا ، وإذا كان المعنى رشيقا كان اللفظ رقيقا ، وإذا كان غريبا كان اللفظ غريبا ، وإذا كان متداولا كان اللفظ مألوفا[21] .

وهذا الكلام الذي ذكره الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب لم يختلف عن كلام السابقين وصاغه بعبارته الجزلة وضرب له أمثلة من القرآن الكريم ، قال : ومثاله قوله تعالى [إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ] { آل عمران : ٥٩} [22]

فعدل سبحانه عن الطين الذي أخبر في كثير من مواضع الكتاب العزيز أنه خلق آدم منه ، منها قوله تعالى [إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ] { ص : ٧١} [23] ... فعدل عز وجل عن ذكر الطين الذي هو مجموع التراب والماء الى ذكر مجرد التراب ؛ لأنه أدنى العنصرين ، وأكثفهما لما كان المقصود مقابلة من أدعى ذلك فلهذا كان الاتيان بلفظ

---

[20] ينظر : الطراز للعلوي ٣ / ١٤٤ ، ومعجم المصطلحات ١ / ١٨ .

[21] معجم المصطلحات ١ / ٢٠ .

[22] آل عمران ٥٩ .

[23] ص : ٧١ .

التراب أمتن بالمعنى من غيرها من العناصر ، ولو كان موضعه غيره لكان اللفظ غير مؤتلف بالمعنى المقصود ، ولما أراد سبحانه الامتنان على بني اسرائيل بعيسى ، عليه السلام ، أخبرهم عنه أنه يخلق لهم من الطين كهيئة الطير تعظيما لأمر ما يخلقه بإذنه ، إذ كان المعنى المطلوب الاعتداد عليهم بخلقه ليعظموا قدر النعمة به[٢٤].

وذكر في هذا الباب أيضا قوله تعالى [وَلا تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ] { هود :١١٣}[٢٥] فإنه سبحانه لما نهى عن الركون للظالمين وهو الميل إليهم والاعتماد عليهم كان ذلك دون مشاركتهم في الظلم ، أخبر أن العقاب على ذلك دون العقاب على الظلم وهو مسُّ النار دون الإحراق والاصطلاء،وإن كان المسّ قد يطلق ويراد به الاستئصال بالعذاب ... ولما كان المسّ أول ألم ، أو لذة يباشرها الممسوس جاز أن يطلق على ما يدل عليه استصحاب تلك الحال مجازا .

فائتلاف اللفظ مع المعنى أساس الكلام البليغ ، ويتضح ذلك عند شعراء العرب ، أما صغارهم فإنهم يقعون بعيدا عن هذا الفن البديع[٢٦] .

---

(٢٤) معجم المصطلحات البلاغية ١ / ٢٠ .

(٢٥) هود : ١١٣ .

(٢٦) معجم المصطلحات البلاغية ١ / ٢٢ .

إيجاز القصر : هو تقليل الألفاظ وتكثير المعاني ، وكان الجاحظ ت ٢٥٥ هـ قد أشار إليه وهو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه[٢٧] .

ونقل الدكتور أحمد مطلوب عن الجاحظ في كتابه البيان والتبيين آيا من القرآن الكريم ، ليعرف بها فصل ما بين الايجاز والحذف .... فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة ... فمنها قوله تعالى في وصف خمر أهل الجنة [لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ] { الواقعة : ١٩} [٢٨] وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا ، وقوله تعالى حين ذكر فاكهة الجنة فقال [لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ] {الواقعة :٣٣} [٢٩]جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني[٣٠] وهذا النوع عند المتقدمين مفتقر الى التأمل .

ومن ذلك قوله تعالى [وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] { البقرة . ١٧٦} [٣١] وتظهر روعة هذه الآية عندما تقارن بقول العرب (القتل أنفى للقتل) ويتضح ذلك في وجوه :

الأول : أنّ عدد حروف (في القصاص حياة) عشرة في التلفظ وعدد حروفه أربعة عشر .

---

[٢٧] معجم المصطلحات البلاغية ١ / ٣٦١ .

[٢٨] الواقعة : ١٩ .

[٢٩] الواقعة . ٣٣ .

[٣٠] معجم المصطلحات البلاغية ١ / ٣٦١ .

[٣١] البقرة : ١٧٩ .

الثاني : ما فيه من التصريح المطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها فيكون أزجر عن القتل بغير حق لكونه أدعى الى الاقتصاص .

الثالث : ما يفيده تنكير (حياة) من التعظيم أو النوعية .

الرابع : اطراده بخلاف قولهم ، فإن القتل الذي ينفي القتل هو مكان على وجه القصاص لا غيره .

الخامس : سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف قولهم .

السادس : استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فإن تقدير : القتل أنفى من تركه .

السابع : إنَّ القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما طباق .

الثامن : جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بإدخال (في) عليه[32] .

وقال في موضع آخر : ((ما دلّ لفظه على محتملات متعددة ولا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها بل يستحيل ذلك وهو أعلى طبقات الإيجاز ومنه قوله تعالى [وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] { البقرة -١٧٩} [33] الذي فاق كل الكلام وفَضُلَ غيره من كلام العرب))[34].

---

[32] النكت في إعجاز القرآن ٧٧ – ٧٨ ، وسر الفصاحة ٢٠٠ – ٢٠١ ونهاية الإيجاز ١٧٦ – ١٧٦ والإيضاح ١ / ١٨٢ – ١٨٣ والتبيان للطيبي ١٥٦ وجميلة أرباب المراصد ١٥٧ ومعجم المصطلحات البلاغة ١ / ٣٦٢ .

[33] البقرة : ١٧٩ .

[34] معجم المصطلحات البلاغة ١ / ٣٦٤ .

وقوله تعالى [وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] { البقرة : ١٧٩} [٣٥] وهو جزء من آية أوصلها بعض العلماء مقارنة بقول العرب (القتل أنفى للقتل) أن الآية الكريمة تفضل المثل بعشرين وجها أو أكثر [٣٦] .

وهذا يدل على بلاغة العبارة القرآنية وأن القرآن الكريم إعجاز يتحدى على مرِّ العصور ، ولا يخلق من كثرة الرد ، وكثرة التلاوة وفيه من المعاني العجيبة للجن والإنس [قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً {١} يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً {٢}] { الجن : ١-٢} [٣٧] .

تأكيد المدح بما يشبه الذم :

وهذا الفن عزيز في كتاب الله سبحانه وتعالى وهو من محاسن الكلام وتعد الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب أقوال العلماء أنه في غاية العزة في القرآن الكريم قال : ((قال المصري : ولم اجد منه الا آية واحدة تحيلت على تأويل تدخل به في هذا الباب ، وهي قوله تعالى [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ]{ المائدة : ٥٩} .[٣٨]

---

[٣٥] البقرة : ١٧٩ .

[٣٦] ينظر : معترك الاقران ١ / ٢٢٧ . ومباحث في إعجاز القرآن ١٢٥ – ١٢٨.

[٣٧] الجن : ١ – ٢ .

[٣٨] المائدة : ٥٩ .

فإن الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ على ما عابوا به المؤمنين من الإيمان يوهم بأن يأتي بعد الاستثناء ما يجب أن ينقم على فاعله مما يذم به ، فلما أتى بعد الاستثناء ما يوجب مدح فاعله كان الكلام متضمنا تأكيد المدح بما يشبه الذم

وقال السيوطي : وتفسيرها قوله [يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ] { التوبة : ٧٤} [39]

وقوله [الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ] { الحج : ٤٠} [40]

فإنّ ظاهر الاستثناء أن ما بعده حق يقتضي الاخراج ، فلما كان صفة مدح تقتضي الإكرام لا الإخراج كان تأكيدا للمدح بما يشبه الذم .

وجعل منه التنوخي في (الاقصى القريب) : [لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا {٢٥} إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا {٢٦}] {الواقعة ٢٦،٢٥} [41]

---

[39] التوبه : ٧٤

[40] الحج : ٤٠

[41] الواقعة : ٢٥ - ٢٦

المتنى (سلاماً سلاماً) الذي هو ضد اللغو والتأثيم فكان ذلك مؤكداً لانتفاء اللغو والتأثيم[42].

وهنا نتبين الجهد الكبير الذي بذله المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب في مسألة عزيزة في كتاب اسماه انه استقصاها من مصادر متعددة .

الإطناب بالتكرير

وهو الإطناب بالتكرار وهو من الأساليب الشائعة في اللغة العربية وذكره معظم أهل اللغة .

وذكر الدكتور أحمد مطلوب أقوال العلماء في هذا الفن فنقل عن الفراء وأبي عبيدة والجاحظ وغيرهم[43] .

فالتكرار محمود إذا جاء في الموضع الذي يقتضيه وتدعو الحاجة اليه .

ويأتي الإطناب بالتكرار لنكتة كتأكيد الانذار في قوله [كلا سوف تعلمون{3} ثمَّ كلا سوف تعلمون{4}] (التكاثر : 3-4)[44]

وفي (ثم) دلالة على أن إنذار الثاني أبلغ وأشد . وكزيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول كما في قوله تعالى [وقال الذي

---

[42] معجم المصطلحات البلاغية ٢ / ١٣ - ١٤ .

[43] معجم المصطلحات البلاغية ١ / ٣٦١ .

[44] التكاثر : ٣ - ٤ .

آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد{٣٨} يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار {٣٩}] {غافر : ٨٣ – ٣٩ }[45]

وقد يكرر اللفظ لطول الكلام كما في قوله تعالى [ثمَّ إنَّ ربك للَّذين عملوا السوء بجهالة ثمَّ تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إنَّ ربَّك من بعدها لغفورٌ رحيمٌ] { النحل : ١١٩}[46]

وقد يكرر لتعدد المتعلق كما كرره الله تعالى من قوله في سورة الرحمن [فبأي آلاء ربكما تكذبان] لأنه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة ، وعقب كل نعمة بهذا القول ، والغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى وقد يأتي للتهويل والتخويف وغير ذلك[47] .

تناسب الأطراف

تناسب الأطراف : عبارة عن أن يبتدئ المتكلم كلامه بمعنى ثم يختمه بما يناسب ذلك المعنى الذي ابتدأ به .

ونقل الدكتور أحمد مطلوب (رحمه الله تعالى) أقوال العلماء في إيضاح هذا المعنى وذكر أنهما نوعان ظاهر وخفي قال :

---

(45) غافر : ٣٨ – ٣٩ .

(46) النحل : ١١٩ .

(47) معجم المصطلحات البلاغية ١ / ٢٣٧ – ٢٣٨ ، وينظر في بيان ذلك : الانتصار للقرآن لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ص ٦٥٤ .

فالأول كقوله تعالى [لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ]{ الأنعام : ١٠٣ } [٤٨]

فإن اللطيف يناسب كونه غير مدرك بالأبصار والخبير يناسب كونه مدركا للأشياء لأن المدرك للشيء يكون خبيرا .

والثاني كقوله تعالى [إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]{ المائدة : ١١٨ } .[٤٩]

فأن قوله سبحانه (وإن تغفر لهم) يوهم أن الفاصلة (الغفور الرحيم) ولكن إذا أمعن وأنعم النظر على أنه يجب أن تكون على ما عليه التلاوة ؛ لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب الا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو (العزيز الحكيم) .[٥٠]

والتناسب أنواع ومنه أيضا التناسب بين المعاني ، وتناسب الفصول والوصول وحسبنا في هذا الباب ما ذكرته في تناسب الأطراف إذ إن الاستاذ الدكتور اجاد وأفاد في إيضاح هذه المعاني المؤدية الى فهم إعجاز القرآن .

---

[٤٨] الأنعام : ١٠٣ .

[٤٩] المائدة : ١١٨ .

[٥٠] معجم المصطلحات البلاغية ٢ / ٣٥٩ ، ٣/ ٣٠٨ .

حسن المقطع

يعرف بتعريفات منها ما ذكره الدكتور أحمد مطلوب عن الأئمة : هو الانتهاء ، وبراعة المقطع وحسن الخاتمة ، ومن حسن المقطع جودة الفاصلة وتمكنها في موضعها [51] .

ومن ضرب على ذلك أمثلة منها قوله تعالى [وأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى{٤٣} وأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وأَحْيَا{٤٤} وأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى{٤٥}] {النجم : ٤٣- ٤٥} [52] فأبكي مع أضحك وأحيا مع أمات والأنثى مع الذكر .

وقوله تعالى [وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى{٤} وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى{٥}] { الضحى : ٤ – ٥ } [53]

فالأولى مع الآخرة ، والرضا مع العطية في نهاية الجودة وغاية حسن الموقع .

مراعاة مقتضى الحال

ونختم هذا البحث الموجز بـ (مراعاة مقتضى الحال) فقد ذكر الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب أقوال العلماء في هذا المصطلح ، وذكر أنه من أهم ما ينبغي أن يهتم به الشاعر أو الخطيب أو الكاتب [54] .

---

(51) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية ٢ / ٤٤٢ .

(52) النجم : ٤٣ – ٤٥ .

(53) الضحى : ٤ – ٥ .

(54) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية ٣ / ٤٤٢ .

وذكر الجاحظ أن الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف ، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام[55] والأمثلة كثيرة في كتاب الله عز وجل وهو مفتقر إلى نظر وتأمل ومراجعة كتب القدماء . قال الجاحظ ((فأصوب العمل اتباع آثار العلماء والاحتذاء على أمثال القدماء والأخذ بما عليه الجماعة))[56] .

الخاتمة وأبرز النتائج

١. الذي يقرأ هذا السفر (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) يجد الجهد العظيم الذي بذله هذا العالم في سبعة عشر عاماً بين التأليف والتنقيح حتى يخرج لنا هذا الكتاب المبارك .

٢. يرى الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب أن التجديد هو قتل القديم درساً ، وهو ما فعله في هذا الكتاب إذ إنه سبر الاتجاهات المختلفة وغاص ، واستنبط من القديم وتابع المصطلح وتطوره ، وأخرج لنا الدرر الكامنة في الإعجاز القرآني وغيره ويتضح ذلك في معظم الكتاب .

٣. يرى الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب أن البلاغة توقفت عند رسوم المتأخرين ، ولم يضف إليها في هذا العصر إلا ما يهدف إليه المنهج

---

[55] ينظر الحيوان للجاحظ ١ / ٩٤ ومعجم المصطلحات البلاغية ٣ / ٢٤٣ .

[56] الحيوان للجاحظ ١ / ٩٤ .

نسبت في تصنيف الموضوعات ، وهو منهج اتضح في (فن القول) لشيخه أمين الخولي ، ونهج منه الدرس البلاغي الجديد .

٤ - لم يكتف الأستاذ الدكتور في كتابه هذا بالجمع والترتيب وهو عمل ليس باليسير، بل إنه أفادنا فوائد جمة في الإعجاز القرآني وغيره قلّما تجدها في كتاب آخر كما في مبحث تأكيد المدح بما يشبه الذم وغير ذلك كثير .

وبعد فهذا ما يسره الله سبحانه وتعالى في الكلام على عالم احتذى على مثال القدماء أمثال الجرجاني الذي كان من أكثر البلاغيين دقة في المصطلح وضبطا للقاعدة ورسما للأصول كما قال الأستاذ الدكتور احمد مطلوب ثم إن عالمنا الجليل قد يكون تأثر بأمين الخولي وزوجه بنت الشاطئ وغيرهما ، ولكنه فاق معاصريه بعلمه وتصنيفاته وطريقته المبتكرة بين القديم والجديد .

ونسأل الله سبحانه وتعالى ان نكون متبعين ومعرفين لآثار هذا العالم الرباني الذي كان على أمثال القدماء علما وعملا وهمة ، فرحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة على ما قدّم للغة القرآن الكريم . وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

القرآن الكريم

المصادر :

١. الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ت٩١١هـ ، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، دمشق ط٥ ١٤٢٢ - ٢٠٠٢م .

٢. الانتصار للقرآن ، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ت ٤٠٣ هـ تحقيق محمد السيد عثمان ، بيروت ط١ ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م .

٣. الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب جلال الدين القزويني ت٧٣٩ ، القاهرة ، مكتبة المثنى بغداد (د.ت) .

٤. التبيان في علم المعاني والبديع والبيان ، حسين بن محمد الطيبي ت٧٤٣ هـ ، تحقيق الدكتور هادي عطية مطر الهلالي ، بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٥. التفسير الادبي والإعجاز ضمن الإعجاز القرآني ، بغداد ١٤١٠هـ ١٩٩٠ م .

٦. جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد ، تأليف برهان الدين ابراهيم بن عمر الجعبري ت٧٣٢ هـ ، تحقيق الأستاذ الدكتور محمد خضير مضحي الزوبعي ، دار الغوثاني ، دمشق ط١ ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .

٧. حسن التوسل الى صناعة الترسل ، شهاب الدين محمد الحلبي ت ٧٢٥ هـ ، تحقيق أكرم عثمان يوسف ، بغداد ١٩٨٠ م .

٨. دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١ هـ ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة ط٢ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

٩. السبعة في القراءات ، لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد ت ٣٢٤ هـ ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة ١٤٠٠هـ .

١٠. سر الفصاحة ، لأبي محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦ هـ) ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، مصر ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

١١. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني (ت ٧٤٩ هـ) مصر ، ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م .

١٢. عمدة الحُفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم ، تأليف الشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ت ٧٥٦ هـ ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط١ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م .

١٣. كتاب الحيوان تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م .

١٤. كتاب الصناعتين ، لابي هلال الحسن بن عبدالله العسكري ت ٣٩٥ هـ ، تحقيق علي محمد البجاري ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، مصر ط١ ١٣٧١ هـ ، ١٩٥٢ م ، وبيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

١٥. لسان العرب ، لابن منظور المصري (ت ٧١١ هـ) ، دار صادر ، بيروت (د.ت)

١٦. مباحث في إعجاز القرآن ، تأليف أ.د مصطفى مسلم ، دمشق ط٤ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

١٧. معترك الأقران في إعجاز القرآن ، لأبي الفضل جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ٩١١ هـ ، تحقيق أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط١ ١٤٠٨ هـ - ١٦٨٨ م .

١٨. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، تأليف الدكتور أحمد مطلوب مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد ، الجزء الاول ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م والثاني ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م والثالث ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .

١٩. مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ت ٤٢٥ هـ ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ذوي القربى ، دمشق ط١ ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

٢٠. النشر في القراءات العشر ، محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) ، تصحيح علي محمد الضباع ، بيروت (د.ت) .

٢١. النكت في إعجاز القرآن ، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني ت ٢٩٦ هـ ، تحقيق محمد خلف ، والدكتور محمد زغلول سلام ، مصر ط٢ ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) .

٢٢. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين محمد بن عمر الرازي ت٦٠٦ هـ ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ، والدكتور محمد بركات حمدي أبو علي ، عمان ، ١٩٨٥ م .

تهجدات الذات

في ديوان (رفيف المنى)

للدكتور أحمد مطلوب

الأستاذة الدكتورة وسن عبد المنعم

العراق / جامعة ديالى

كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية

الملخص :

تبدو العلاقة بين ذات الإنسان والمكان الذي يعيش فيه علاقة مأزومة ومربكة وربما جدلية ، فالمكان يشتمل على الذات ، والذات نواة للمكان ، فهي تتشظى لحظة تشظي الذات ، وهكذا يصبح المكان في حالة حركة مستمرة بسبب هذه العلاقة ، ولعل في شعر الدكتور أحمد مطلوب ، سواء أكان ذاتيا محضا أم موضوعيا ، ذلك لأن تعلق ذاته بالمكان(الوطن) تبادلية تؤثر في صورته وتتأثر بها .

تقوم هذه القراءة على ركنين ، أما الأول : فهو محاولة استقراء ذات الشاعر عبر نصوصه الحاضرة بين أيدينا ، وأما الثاني : فهو أثر نزيف الذات في المتلقي بوصفه الطرف الآخر للعملية الإبداعية .

المقدمة :

لا نرى أن النص يمثل مبدعه اخلاقيا ومبدئيا ، فلحظة الكتابة لحظة انفصال الذات عن كل ما هو شخصي ، لتتحول الى ذات إنسانية عامة يمكن أن تسمتها الذات الشخصية التي لا يمكن معايرتها بسلوك المبدع او انتمائه ، فمن اهم سمات العبقرية ان يكتب المبدع في ما ليس جزءا من اهتماماته الذاتية بمعنى أن يتبنى تجربة الآخر وذاته ، وهو ما علينا أن نقف عنده .

ان الشعر لا يقرأ عقائديا ولا حياتيا حتى وان تحدث المبدع عن ذاته فيه ، ولكن لا يمكن أن ننكر ان أي موضوع لابد من أن يدخل في ذات الكاتب أو مبدع النص لكي يذوب فيها لا لننقلها إلينا أو ينقل الموضوع كما هو في الحياة [1] ، وتبقى الذات هي المذيب لكل موضوع لتنتج ما ليس مألوفا وإلا فالأمر يتحول إلى شعر تقريري ونظم بارد لا مزية فيه ..

ويبدو أن فكرة موت المؤلف مرتبطة بإبعاد الذات الخاصة بالمؤلف عن العمل الادبي لكي يبقى النص في منأى عن تحويل القصيدة الى وثيقة حياتية او تقرير للواقع ، ووجدت في العمل الادبي لتذويب الموضوعات وصهرها من اجل انتاج موضوع اخر غير الموجود في واقع الحياة ..

ان جوهر نصوص الديوان يشي باندفاعه البوح الفياض التي تتقاطر صدقا واخلاصا لسبر أغوار الذات ورؤاها المحبة للوطن والأمة والإنسانية المتطلعة إلى حياة العز والسلام .

---

[1] ينظر : فضاءات النقد الثقافي ... دار الشروق ، الدكتور سمير الخليل : ٣٣٤ وما بعدها .

لعل في تجربة الدكتور أحمد مطلوب الشعرية القائمة على تفاعل جدلي دائم وارتهان ذاته بواقعه المعيش في ارتباط فيرياني مستمر يجعلها تجربة متميزة لها عمق وإيغال في جذور الحياة والتراث وحب الوطن وإيمانه المطلق به ، وفي سعينا لاستنطاق قصائد الديوان سيتبين ارتباطها بنبرة وطنية وقومية تتصاعد قوتها كلما ازدادت استقاء من منهل الوعي القومي الذي يجلوه عروبة الـ واللسان .

العنوان مولد دلالي :

ينهض العنوان الرئيس بعبء الوظيفة المركزية فهو يهب نفسه القارئ منذ الوهلة الأولى من خلال الانزياح الاستعاري في إطار صورة حركية بصرية تنزع إلى التمري بها بوصفها بؤرة التفجير الدلالي فلفظة (الرفيف)، تنفتح على دلالات إيحائية تؤطر رغبة البوح لدى ذات المبدع المترعة بالأمل والتفاؤل فالمحدد الوصفي الذي اقترحه المبدع يضفي على النصوص الكثير من إيحاءات الرومانسيين الذين لم ينشغلوا بشيء قدر انشغالهم بالنظر إلى داخل الذات المندمجة بالطبيعة الحرة ، فـ (رفيف) واحدة من أشهر مفردات معجمهم ، ترتبط بمعان ثلاث ؛ الحركة فهي تعني الحركة الدائبة المتكررة ، والرقة لأنها صفة لأجنحة الفراشات والطيور ، والجمال فقد كانوا يصفون بها الرموز الجمالية من مثل الورد كما فعل الشابي في قصيدة (طريق الهاوية)[٢] حيث قال :

---

[٢] ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله ، قدم له مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ط٢ ، ٨٥

والربيع الجميل في هاته الدنيا خريف يذوي رفيف الورود

بل أن القدماء لم يكونوا بعيدين عن هذه الدلالات ، فالمجنون مثلا وظفها في وصف ليلى في قمة إحساسه بضياعها منه :

بدينك هل ضممت إليك ليلى قبيل الصبح هل قبلت فاها

وهل رفّت عليك قرون ليلى رفيف الأقحوان على نداها [٣]

وهو حين يقول :

الليل يزحف والحياة تذوب في بحر الضياع

والذكريات تئن من ألم الجراح

والسائرون معي أراهم يرجعون

من بعد ما هبت رياح

وترنح المجداف في الليل البهيم فلا شراع

يقتادني للشاطئ المرح الطروب

للعالم المسحور حيث الذكريات

تغفو على ألق الحياة .... [٤]

---

[٣] خزانة الأدب ، عبد القادر البغدادي ، تح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ط١ ، ٥٣/١٠ .

[٤] الديوان ١٣ .

فإنه يشحن النص بحزمة مفردات تصنع خليطاً سحرياً يحول الموضوعي إلى ذاتي ، فكلمات مثل (الضياع ، الذكريات ، تئن ، المجداف ، الشراع ....) كلها من مفاتيح المعجم الرومانسي الغارق في الذاتية ، بينما كان الدكتور مطلوب يحاول رسم حال صورة الوطن .

الوطن محراب تهجدات الذات :

لم يكن الوطن في شعر الدكتور أحمد مطلوب قضية موضوعية أو سياسية ، بل كان ، نزيفاً للذات يتسلل إلى أكثر قصائده إغراقاً في البوح الذاتي ، ففي قصيدة (البيت المفقود) :

الليل يسكنني

فلست أرى حطاه ولا تراني

والليل ، قيل : تناثرت خصلاته

كعروس زنج

وأنا أفتش في المتاهات المقيمه

عن واحة كانت تطل على مشارفها

منازلنا القديمه

لا الليل يرحل

لا الصباح تلوح في همساته

أطياف وهج

فعلى الرغم من أن عنوان القصيدة يوحي أنها ستكون قصيدة استرجاع لذكريات بيت قديم ، والحزن عليه ، فإن تدفق صورها كله يتوهج من مشاهد كبيرة ؛ واحات ومتاهات وليل في فضاء فسيح ، وحين ذكر البيت لم يذكره إلا منزلا بين مجموعة منازل . واللافت إنه قال (منازلنا) ولم يقل منزلي ، فالجمع يذوب في الجمع ، أو أن ذات الشاعر في القصيدة لم تستطع أن تعبر عن نفسها إلا بصيغة الجمع كأنها ضمير الأمة ، وهي تنتمي لكل منازلها ، والبيت المفقود هو الوطن المفقود .

إن قصائد (رثيف المنى) تحيل على ذاكرة شعرية للدكتور أحمد مطلوب لا تتوفر لغيره من الشعراء ، فهي - القصائد - مصب لكل التيارات الخارجية المسلطة على الشاعر ، وإن الناظر إلى ديوانه عند الاستقراء يدرك أنها غطت عمره كله بحلوه ومرّه بشبابه وكهولته وشيخوخته بحبه وانفعالاته بأنينه وزفراته بحنينه وغربته بعشقه الكبير لوطنه العربي وتفرغه لاستقراء واقع أمته والشعور الوطني عنده يصل حد الذوبان والعشق والتألب الوجداني للوطن وشوقه الدائم إليه ، ولم يكن أحمد مطلوب متعلقا بوطنه حد التقديس وحده وإنما كثير من الشعراء ارتبطوا بوطنهم منذ القديم ، وإن الوطن في الأصل هو المنزل الذي يقيم فيه الانسان ، وهو ما قصد إليه الشاعر ابن الرومي حين قال :

ولي وطن آليت أن لا أبيعه   وان لا أرى يوما له الدهر مالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم   عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

وساومه لئيم على أن يبيعه منزله فأبى :

وقد ضامني فيه لئيم وعزني   وها أنا منه معصم بحبالكا [٥]

وأخذ (الوطن) بعد قيام الدول معنى أوسع فشمل القطر الذي يولد فيه الانسان وينشأ ويحيا ، وظهرت كلمة (الوطنية) التي تعني الانتماء إلى دولة معينة والاعتزاز بها والحنين إليها ، وكثر الشعر الوطني في العصر الحديث ، إذ كان الوطن عند الشعراء أعظم ما يعتزون به ، وليس بعيدا عن الاذهان قول أحمد شوقي في سينيته :

وطني لو شغلت بالخلد عنه   نازعتني إليه بالخلد نفسي

شهد الله لم يغب عن جفوني   شخصه ساعة ولم يخل جسمي [٦]

وقال بعد عودته إلى الوطن من منفاه :

ويا وطني لقيتك بعد يأس   كأني لقيت بك الشبابا

ويأخذ (الوطن) في (رفيف الهمس) مكانا محببا ممتزجا بالذاتية مذ ظهرت هذه النزعة (الوطنية) ، مبكرا لأنه نشأ في بيت يؤمن بالأمة العربية الواحدة وبالإسلام الذي وحد الناس .

فقد ألقى وهو طالب في المرحلة الثانوية كلمة على طلبة ثانوية الكرخ ببغداد في ١٢/ ١/ ١٩٥٢م عنوان (أيها العربي) بمناسبة مطالبة مصر بإلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦م ، وكانت الحماسة عظيمة فيها ، ومنها :

---

[٥] ديوان ابن الرومي ، تحقيق ، الدكتور حسين نصار ج٥ . ١٨٢٥ .

[٦] الشوقيات ، ج٢ : ٥٥ .

"القضية العربية رأس كل شيء فكيف يغمطها قوم من الغرب تعلموا على المين والإفك والمكر والخداع ؟ أليس العرب أمة يحق لها أن تعيش ، فما لها إذن سلبت الحقوق وتركت في مفاوز الظلام ومفترق الطرق تندب حظها وما آلت إليه وتبكي مجدها الضائع" .

وكان يطلق على عيدي الفطر وعيد الأضحى اسم أعياد العروبة ، وقد أبان ذلك في إحدى بواكير شعره وهي (عيد العروبة) بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك سنة ١٣٧٠ هـ -١٩٥١م .

وفي السنة نفسها حيا (مصر) بقصيدة (ابشري يا مصر) محتفيا بنضالها ضد الظلم والاستبداد وكانت أنباء الفدائيين في قناة السويس تصل إليه فنظم قصيدة(أخا العروبة) في ٥/١/ ١٩٥٢م . وفيها حيا نضال مصر قائلا :

أخا العروبة قد شطت بك السبل وزعزعتك خطوب أمرها جلـل

إلى أن قال عن المستعمرين :

أرض الكنانة قد ضاقت مكائدهم ويل لهم يوم هم في النيل قد نزلوا

إن توجيه الخطاب إلى الآخر المفرد يولد احساسا بالحميمية والتقارب ، وسيشعر كل مصري يتلقى القصيدة أن الشاعر يخاطبه هو تحديدا كما لو كان صديقا أو قريبا .

وفازت القصيدة في المسابقة الشعرية لثانويات العراق ثم نشرت في جريدة اليقظة بعد ذلك .

وحين قامت ثورة مصر في عام ١٩٥٢م نظم قصيدة (مصر المجاهدة) في ٢٦/ ٨/ ١٩٥٢م وذلك قبل تنازل الملك فاروق عن العرش ، وفيها قال :

يا مصر يا أم العروبة ناضلي — عما قريب تنهزم الأشباح

يا مصر يا تاج العروبة جاهدي — إن الحياة تحرر وكفاح

شقي طريقك في الحياة فإنما — شق العباب بيأسه الملاح

فيؤنسن مصر ويخاطبها كما لو كانت امرأة حبيبة وقع عليها الضيم.

على أن الشاعر في لحظات التاريخ الفارقة التي تحمل للأمة أحداثا جساما يغادر ذاتها لتذوب في الذات الجمعية كما أنشد لثورة الجزائر في ١٩٥٨م قائلا :

أيها الشعب الذي هز الجبالا

لم يعد نصرك حلما وخيالا

صوتك الحر تسامى ، وتعالى

يملأ الدنيا كفاحا ، ونضالا

....

أيها الشعب لئن حررت (فرنسا)

وأذاقتك الردى ، كأسا فكأسا

فالشباب الحر اعطى (السين) درسا

ومضى يحطم أغلالا ثقـــالا .. [7]

ويناغي ابنه البكر (أثيرا) وهو في القاهرة ويقول له إن (مصر) موئل الإسلام والعرب :

من هنا ، من موئل الاسلام والعرب

من هنا ، من موطن الأكارم النجب

من هنا ، من (مصر) دنيا العلم والأدب [8]

ليصبح الانتماء القومي شأناً ذاتيا يتداخل بالعلاقات الأسرية .

وبينما كان الشعراء يتحدثون عن الحدود التي خطتها معاهدة سايكس بيكو بتقريرية وحماسة فجة ، كان أحمد مطلوب يعالجها بالأسلوب الرومانسي ذاته .

قصيدته (الحدود) وفيها يقول :

كم اقاموا ما بيننا من حدود   ((هدم الله ما بنوا من حدود))

كلما رمت زورة لحبيب   قيدوني ، فمن يفك قيودي

لي بحمص حب ، وفي(مصر) حب   بصنعاء و (الحجاز) جدودي [9]

وله في المعنى نفسه قصيدة أخرى وهي (الجواز) يقول فيها :

---

[7] الديوان : ٣٧

[8] الديوان دار المعارف : ٤٠.

[9] الديوان الدكتور احمد مطلوب : ٢٣٣.

سئمت القيود وما لي جناح

يحلق بي في سماء (الحجاز)

بغير جواز

وفي (القدس) ... في (مصر) .... في المغرب

لأبصر أهلي ، وأسمع صوت الكفاح

يؤذن في فجرنا اليعربي

يهد الحدود

يهد السدود

لنحيا أباة بغير قيود ... [10]

فهو يشعرنا هنا كما لو أن قضية الحدود تخصه هو وحده أو هي قضيته التي فرقت بينه وبين أهله

ومن الواضح أن هذا الأسلوب كان يخفي وراءه عقيدة راسخة ، ولم يكن محض تقنية فنية ففي قصيدة (العودة) التي نظمها في القاهرة يوم الأحد ٢٣/ ٣/ ٢٠١٤م وألقاها في مجمع اللغة العربية بالقاهرة يوم السبت ٢٩ /٣/ ٢٠١٤م :

عدت يا مصر فما أحلى رجوعي	والمنى بين صلاة وخشــوع
ربـــع قـــرن وأنا أسأل عـــن	وطـــن كان أزاهير ربيعـــي

---

[10] الديوان : ٢٣٥.

هذه السنة كم ظفت بها ولا أرقل في الروض المريع

....

وطني مصر وبغداد وما ضمت الضاد من المجد الرفيع

لغة وحدت العرب فمن دولة كبرى ومن صرح منيع

فعلى الرغم من أن هذه القصيدة واحدة مما كتب في أخريات حياته الحافلة . يحافظ على التقدة ذاتها ، مزج الذاتي بالموضوعي لتتحول قضايا سياسية جامدة إلى تيجد ذاتي مرهف .

تلك التحولات المزدوجة كلها ، تجلت لنا محامل الفعل الشعري القائم على ركائز البناء اللغوي لتحلق في أفق الصيرورة النفسية في ضروب تداعيات الذات واستفاضات الوجدان ، ومما يحسب للشاعر تلك العقلية المنظمة والثبات الذهني فقد التزم في تنظيم قصائد ديوانه بحسب تسلسلها الزمني فجاءت القصائد الأولى مما نظمه في ريعان شبابه ثم القصائد التي تغطي كهولته ، وجاءت القصائد المتأخرة لتمثل حاضره الحياتي ، وذاكرة الشاعر تعني انسياب حركة الزمن من الماضي الى الحاضر الذي يتوغل في المستقبل عبر جدلية التطور وحركية التفاعل على صعيدي الحياة والأدب ، وقصائده في هذا الديوان من انتماء إلى الظروف الموضوعية بما في ذلك الطبيعة ودلالة المكان فضلا عن الهواجس الذاتية التي تتجانس مع مؤثرات الحياة ، وهواجسه الشعرية الذاتية تعني الأمانة لمدينة الطفولة والصبا حيث تتصير الطبيعة بوجودها المادي بنشوة الحلول الروحي وكأنه قطب الرحى

الذي تتوالد من حوله الدوائر حتى تعدّ حافزا للارتماء في مسبح القول الشعري .

الوطن المكان :

يبدو الوطن في ديوان (رفيف المنى) كيانا قدسيا عبر فاعلية الالتحام بين سطح الملفوظات والمحسوسات بكل الأجواء الأليفة وما فيها من بساطة ودفء وما يؤطر ذلك من علاقات إنسانية ووشائج جمالية متدفقة بالحب والحنان ، فالوطن العربي هو الوطن الأكبر الذي آمن بوحدته على الرغم من الظروف التي مرت بها الأمة العربية ، أما وطنه الذي ولد فيه ونشأ فهو العراق الذي أحبه حبا جما وخدمه خدمة تجلى ، ولم تفارق صورته في حله وترحاله . وكانت بغداد جنته ، وتكريت مسقط رأسه ومجلى طفولته ، وفيها قال كثيرا من القصائد أما تكريت فقد فارقها في صباه وظل يحن إليها وإلى البيت القديم وإلى البيت القديم الذي يطل على نهر دجلة الخالد ، ولعلّ مدينة صباه ليست هي كل همه فبغداد نالت منه الحظ الأوفر في شعره وظلت إبرة ذاكرته تؤشر إليها في كل حين فهي المدينة الامتداد والتماهي ، ومدينة الشاعر الأول هي الحنين إلى أيام الطفولة إلى الأمس المبتعد إلى شرارة الحب الأول وتلاقي العاطفة ومرابع الطبيعة ، حيث الولادة والاستقاء من معين المكان بعوالمه الوجدانية التي فجرت طاقة الإلهام الشعرية ، ومن ثم الرحيل إلى المدينة ، وهاجس الحنين إلى ذاك الماضي من دون إنكار لحاضره ، يقول في قصيدته (تكريت) مدينته الأولى :

الصـــبا راح والحنـــين التيـــاع   والليـــالي مجنونـــة لـــيس تُضـــحي
أنكرتـــي الأيـــام حتـــى استحالت   بســـمة الفجـــر ليلـــة دون صـــبح

كان نور الإيمان يملأ قلبي والنداء العظيم يغمر صرحي

إيه تكريت يا حديث شبابي أنت نجوى قلبي وأشواق بوحي

أنت نور أبصرت فيه طريقي أنت ظل إذا تقاصر دوحي

لست أنساك ما حييت وإني يا وجودي من أجل ذاك أضحي(11)

إن بالإمكان استبدال كلمة تكريت بأي اسم لامرأة لتبقى القصيدة مستقيمة المعنى ولتتحول إلى قصيدة غزلية وما ذلك إلا لقصد الشاعر إطلاق العنان لذاته لتتعامل هي مع فضاءاته .

لا شك في أن الشاعر المبدع في سعيه الدائب إلى الخلق والإبداع لا يغفل جانب اللغة والتصرف فيها ، فهو يدرك تماما أن شاعرا واحدا قد يصنع للغة ما لا يصنعه ألف نحوي مجتمعين ، والشعر على حد تعبير فاليري ((لغة داخل لغة))(12) ، واللغة ((لدى العرب ميزة وسمة صاغها الأدب ونفث في كلماتها الشعر))(13) . وانطلاقا من كون الأديب – وفقا لبالي – ((يقوم باستعمال طوعي وواع للغة ... وهو ثانيا ، وفوق كل شيء يستعمل اللغة بقصد جمالي ، ويناضل من أجل إبداع للجمال بواسطة الكلمات كما يفعل الرسام بالألوان ، والموسيقي بالموسيقى))(14) فمكامن الإبداع تبدأ من كيفيات التشكل وصولا إلى المضمون الدلالي الخاضع للمقامات المنجبة للنصوص ، وديوان (رفيف المنى) فيه تطويع للغة

---

(11) الديوان ٨٨ .

(12) بنية اللغة الشعرية ، جان كوهين : ١٢٩ .

(13) ما وراء اللغة ، الدكتور عبد السلام المسدي : ١٠٨ .

(14) الأسلوب والأسلوبية : كراهام هاف ، ترجمة كاظم سعد الدين ٣٦ .

وتوظيف لخدمة البلاغة الشعرية تبعا للرؤية الكونية الحاصلة للمبدع التي هي مترعة بالجزالة وسبك العبارة والإفادة من مبدأ الاقتصاد في اللغة ، لانها تظل وسيلة طيعة بيد الشاعر لخلق الصورة الشعرية المؤثرة المتجانسة العناصر إنها مهمة صعبة إلا على ذوي المواهب الثرة من أمثاله وهو الأديب واللغوي والباحث الجهبذ الذي لا يدانيه أحد في ثراء الفكر والنتاج والإبداع .

أمس جاءت فراشة وهي تبكي	قلت ماذا ؟ قالت فقدتُ الخليلا
أنّى ؟ قالت : أتتنا رياح	عاصفات لم تبق إلا القليلا
فرحلنا حيث الصحارى عطاشى	نتقرى في السافيات السبيلا
ومضينا نطوي الصحارى ، ولكن	ما وجدنا غير الرمال بديلا [(١٥)]

هكذا صاغ الشاعر فكرته بصورة شعرية مركبة تقوم على حوار بينه وبين فراشة ، لتصبح معادلا موضوعيا لما يريد التعبير عنه من حال بلاده .

وتبقى بغداد المدينة الاكثر حضورا في هذا الديوان مما ينم على عمق روحه الوطنية ووجدانية طافحة يتألب فيها تألبا انفعاليا ضاغطا ، فحبه لوطنه وشوقه إليه ورغبته في تمجيده واكباره يصل إلى حد الذوبان والانصهار فيه ، فقد تكرر اسم (بغداد) في هذا الديوان بشكل لافت : -

وصفوا الجنة لي ، قلت بلادي	أين (بغداد) وأحلام فؤادي

---

(١٥) الديوان سمير الخليل : ٩١.

ها هو (النيل) ولكن (دجلة)   سحرها الغافي تباريح ودادي [١٦]

فعلى الرغم من حبه الجم لمصر ونيلها يعبر هنا عن حنينه لبغداد ودجلتها وهو يقف على شاطئ النيل .

إن الشعر لدى الدكتور احمد مطلوب كيان إنساني محايث للواقع متساوق معه ، سابح في محيطه الغزير ، يفتش عن الطرافة والإبداع فيما يفتله من ضفائر قصائد فاعلة وخلاقة إيجابية مكتنزة الأفكار والصور حينا ، وقد يرتد إلى آليات التشكيل العفوي من دون الحفر وراء الباطن حينا آخر ، ومن خلال ذلك كله نستقري موهوبية الشاعر والاستئناس بتميزه ، فصوره ذات صلة بأبعاد التجربة الروحية المتجلية بانبثاق الومضة الشعرية التي تتكئ على جماليات الافضاء والتلقي وصولا إلى جماليات الأسلوب . وإن نظرة استقصاء لصور قصائده تحيلنا على كونها نقية من الظفر الكسبي بل أنها مترعة بالوثبات الوطنية والحب النقي المخلص من الغايات لوطنه العراق خاصة ووطنه العربي عامة عبر آليات كشف المعاناة الانسانية للشعب العربي : –

(بغداد) صوتك لا تنال حدوده	في الخافقين ، ولا توثب معتدي
صورتـــــه برسالـــــة عربيـــــة	نبويـة الإيحـاء ، ذات توقـد
إن العروبـة وهـي وحـي نضالنا	قـدر ، ونهـج سـبيلنا المتوحـد
يا (مصر) يا بنت العروبه والهدى	مشت القرون وأنت نبع السؤدد
لابـد مـن فجـر يوحـد أمـة	عربيـة ، ويـرد كيـد المفسـد

[١٦] الديوان ٦٥ .

(بغداد) انت الفجر والأمل الذي لولاك لم يشرق ، ولم يتجدد [17]

ويتكثف إشعاع الوعي القومي دونما تكسر أو انقطاع في لحظات الإفضاء عن مكنونات الذات تجاه الأرض المقدسة السليبة (فلسطين) فإنها تستحوذ على حيز مركزي في قصيدته المعنونة(من أجل لبنان) ، ومن البديهي أن تتقدح شرارة البوح الوجداني تجاهها ، وأن يذوب الشاعر في هواها حبا ، ويذكر شهداءها وآلامها وتضحية أبنائها ، ولا شك في أن الآثار السالبة وخيبات الأمل تخيم على فضاء النصوص أحيانا الا أنها في آخر المطاف تكون السبيل لتحصيل الايجابيات والسعي لاسترجاع الحق المسلوب ، فهو يرى المدن العربيه تتعرض للاحتلال والاستلاب فلا نجد (فلسطين) بدا تمسح جراحها : -

تلك (فلسطين) ومن معاقل الإباء

ينطلق الشعب فيا سماء

طلي فقي بجرمك الوضاء

ألف سنا يشع في الصباح

تلك (فلسطين) لظى خلدها الكفاح

والموت من أجل غدٍ يشرق بازدهاء

ما أروع الفداء

وأعظم العطاء

---

(17) الديوان ٤٨ – ٤٩ .

تلك (فلسطين) فنا مواكب الحياة

طوفي على (سيناء)

و (الهضبة) السمراء

و (الضفة) العذراء [١٨]

فقد جعل الشاعر (فلسطين) الفاتنة الحسناء الفائقة الجمال التي تعاني فجيعتها وعرسها الدم والشهادة لينتهي بها المطاف إلى جنان الخلد ، وإن رحيق الحياة لا ينبض في فلسطين الفداء ، فالقدس سارية دمائنا وهواها حي في القلوب ، تبقى رمز الفجيعة في قلب الشاعر الذي أراد أن يمسح جراحها بنسمة من عبق الشعر .

الوطن بين امرئ القيس وأحمد مطلوب

لطالما قيل في المصادر القديمة أن امرأ القيس أول من بكى واستبكى ووقف واستوقف ، وينسبون اليه تقليد الوقوف على الطلل الذي ما برح ركنا من أركان القصيدة العربية ، كما لو أن العربي ابتلي بمفارقة الأوطان والتغرب عنها .

وفي غير قصيدة لأحمد مطلوب تتبدى النزعة ذاتها ناضحة صدق الشعور من بين ألفاظها التي دلت بساطتها على عمق صدقها كما في (البيت المفقود) :

---

[١٨] الديوان ٢٣ – ٢٤ .

الليل يسكنني

فلست أرى خطاه ولا ترابي

وأنا أفتش في المتاهات المقيمة

عن واحة كانت تطل على مشارفها

منازلنا القديمة

لا الليل يرحل

لا الصباح تلوح في هسماته

أطياف وهج

أأقول . صبح ؟

وضاعت الأحلام لما غاب

في حلك الليالي رسم بيتي [19]

وتبقى الذات مصدر لأي تجربة إذ تقوم بقدرة الخيال بتهشيم الموضوعات وتذويبها ومن ثم إنتاجها بصور غير مألوفة تتماز بالشعرية التي تتجاوز تقرير الحقائق ، وعلى الرغم من أن الشاعر في نصه (البيت المفقود) ينطلق من ذاته في البحث عن(يوتوبيا) تشعر ذاته بالسكينة غير أنه صاغها تجربة يتفاعل معها المتلقي بحيوية وانسجام بعيداً عن ذات

---

(19) الديوان : ٣٠٦.

الشاعر الخاصة (الأنا) الواقعية . فكل نص هو خطاب طرفاه باث ومتلق والمتلقي بعد إنتاج النص هو الأكثر حضورا في غياب الشاعر ذاتيا .

ونلحظ هنا أن احمد مطلوب حاول الخروج ولو بصريا على سيمترية العروض العربي الذي تمثله كثيرا باستعمال الأسطر الشعرية بدلا من الشطرين لكنه ظلّ وفيا لغنائيته المحببة باستعماله إيقاع (الكامل) اللذيذ والمتحرك بقوة إيقاعية ولكن بتنوع القوافي وتلك مزية تجديدية في شعره ، وهو شاعر غنائي في حكمه وشعره الاجتماعي يستغرق قارئه ويمتلكه بلطف حديثه وجمال صياغاته وثراء تجربته الاجتماعية ، ولا يمكن أن نقول إن خطابه ذاتي شخصي بالمعنى الفردي الضيق فهو يحوله بقدراته الخيالية إلى مدارات منفتحة قوامها الإصلاح الوجودي عبر موشور رؤيته الذاتية للواقع ، فالشاعر يخاطب امرأ القيس في عودة للتراث ورغبة بالماضي الشعري متأثرا بثقافته التراثية لكنه خطاب شعري للإنسان عموما ولكن نبقى بعض صوره غير مبتكرة مثل تشبيه شعر الحبيبة بعروس من الزنج التي شبه المعري بها الليل .

ثمة ارتباط مبهر بين ما شعر به امرؤ القيس وما يعبر عنه الشاعر في هذه القصيدة ، فالمنازل ما عادت هي المنازل ، وامحت تلك الصورة التي كانت مصدر بهجته . فوقف كما وقف سلفه ، غير أن وقوفه أكثر إيلاما ، فامرؤ القيس كان يجد رفاقا يستوقفهم لمواساته ، بينما وجد الشاعر نفسه وحيدا في وحشة عبر عنها بتعبير لافت إذ جعل الليل يسكن ذاته ليكون هو أشد وحشة من الليل نفسه .

وكما قال امرؤ القيس عن ليله :

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل[٢٠]

فمنع انشدادها دحول يذبل مجيء الصباح ، فكذلك كان ليل أحمد مطلوب يبدو سرمديا لا يرحل ولا تلوح همسات الصباح .

ويبدو هذا التلازم بين البيت المفقود والليل المعبر عن الوحشة قارًا في شاعرية مطلوب ، ففي قصيدة (السور) يقول :

للأفاعي في كل ركن دبيب أين أمضي والدرب قفر مريبُ ؟

قلت : ماذا أرى ؟ فقالت : خيال من بقايا منازل لا تجيبُ

قلت : هذا بيتي ، فقالت : أذكرى والليالي مجنونة لا تثيبُ ؟

فتحسرتُ والأسى ملء قلبي ثم قالت : أنت البعيد القريبُ

أفحق أنني غريبٌ وهذا بيتُ جدي ؟ ، وللحفيد نصيبُ [٢١]

بيد أن هذه الصورة تبدو أكثر شبها بأطلال امرئ القيس ، فالمنازل القديمة أضحت بقايا منازل ، وهي غارقة في الليل الشديد الوحشة .

واللافت أن مطلوب لا يتحدث في شعره عن المنزل إلا بصيغة الجمع (منازل ، منازلنا) ، وهذا يعيدنا مرة أخرى إلى فكرة ذوبان الذات في

---

[٢٠] ديوان امرئ القيس : ١٩.

[٢١] الديوان : ٢٦٧.

الجماعة لتصبح الضمير المعبر عن الأمة . فالمنازل هي الأرض كله وليست منزل الشعر أو منزل حبيبته كما كان حال امرئ القيس .

الضمائر الشخصية :

في الدراسات السيميائية وضع (بنفنست) تمييزا بين الضمائر يختلف عن المفهوم النحوي ، فضمائر الرفع في النحو كلها بمنزلة إعرابية واحدة ، كلها مثلا يمكن أن تكون فاعلا . بينما ميز (بنفنست) بين الضميرين (أنا – أنت) وسماهما الضمائر الشخصية ، وبين الضمائر الأخرى ، فهو يرى أن الضمائر الشخصية متلازمة لا يحضر احدها إلا بحضور الآخر معه ، ففي السرد عندما يتحدث الراوي بضمير المتكلم فإنه ضمنا يتحدث الآخر (أنت) علينا تحديده ونطلق عليه اصطلاح المروي له[٢٢] .

ونجد هذا التلازم في ثنائية (أنا – أنت) في شعر أحمد مطلوب كلما اقتربت القصيدة من الذاتية ، كما في (الرحلة)

غدا تنتهي الرحلة الباهره ونبقى غريبين في آسره
كأنّ الأحاديث طيف سرى ورفّ على الليله الساهره
وما كنت أعلم أنّ المنى خيال ، وأنّ الرؤى حائره
وأنّ الحياة على طيبها تمرّ ، وأيامها قاهره
وأنّك يا منيتي وردة لغيري ، وأنّك لي زائره

---

[٢٢] ينظر التحليل السيميائي للخطاب الروائي ، عبد المجيد نوسي : شركة النشر والتوزيع المدارس ، الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠٢ ، ص٤٧ وما بعدها .

نعم إذا بعد الملتقـــى   يطوف خيالك في الذاكرة

فأستاف في وحدتي نفحة   شذاها كأنفاسك العاطرة[٢٣]

إن من الصعب بمكان أن نحكم فيما إذا كانت القصيدة تتحدث عن الشاعر نفسه أم عن زائرته ، فهما يبدوان متلازمين على رأي بنفنست ، فعلى الرغم من أن الثيمة الرئيسة في النص هي (الفراق) فهو يجمعهما معه في فعل الاغتراب ، وحتى لو حدث الفراق فعلا فإنه سيحملها معه خيالا . فضلا عن النعوت التي تقاسمها معها ، فكلمة (زائرة) مثلا رغم اختصاصها بها لكنها تجمعهما لأنها إنما تزوره هو .

والظاهرة نفسها تتجلى في قصيدته (عند الوداع) :

شاعرتي لا تذرفي الدموع

في دمي ذكراك والوفاء

لا تجزعي

إن لفني البعاد

بجزره ، وضمني إليه

ففي غد أعود والربيع

نطلبه ... وبشره يضوع

لا تجزعي

---

[٢٣] الديوان : [illegible] .

فطيفك الحنون

يبعث في الدفء والأمل

أنت معي

في الأرض والسماء

أغنية ألحانها القبل [24]

فهو حين يخاطبها إنما يرسم في الوقت نفسه صورة لها لتبدو كما لو كانت ذاتا موازية لذاته يعتريهما شعور واحد فهو على الرغم من (البعاد) لا يشعر بالوحشة لأن الذات الموازية تصاحبه باستحضار شعري لا مادي بل إنه يذهب أبعد من هذا إذ يتصور وجودهما معا في السماء .

وفي (لا تظلميني) :

لا تظلميني ، فما أنكرت أيامــي	أنا الوفــي وإن أشجيــت أحلامــي
يا مــن رجعت بها حبا ألوذ بـــه	وقد نسامت على (السبعين) أعوامـي
قد يسخر الشيب مني وهو مبتسم	وليس في الحب من عــار ومن ذام
ولسـت أول من يصبو وتأســره	عينـــان لــم تخلقــا إلا لإلهامـــي
الشعر بالحـب يسمو في تألقــه	لا يعرف الحب الا الشاعر السامي [25]

---

(24) الديوان : 27.

(25) الديوان . 23.

تبدو الضمائر متلازمة أيضا ، فعلى الرغم من أن عنوان القصيدة يوحي أنها قصيدة عتاب فإن بإمكاننا أن نحدد بسهولة كيف تقاسم معها الدلالات الحسان ، فهي ملاذه وملهمته وحبه السامي .

الخاتمـة :

خلاصة الأمر أن شعر أحمد مطلوب يمتاز بانفتاح الخاص على العام وتمازج الذات بالجماعة حتى يصبح من العسير الفصل بينهما ، ولعلّ الوطن وثيمات حبه والحنين إليه تصبح المثال الجلي على هذا ، فالوطن عنده قضية ذاتية ، ولم يكن قضية موضوعية أو سياسية ، بل كان نزيفا للذات يتسلل إلى قصائده إغراقا في البوح الذاتي .

وما يدل على هذا أيضا معالجته للقضايا الوطنية كما لو أنه يتحدث عن منزله ومنازل الجيران فيصبح الوطن أشبه بحي صغير يعرفه هو كل ساكنيه وهذه التقنية أتاحت له أن يبرز حميمية باذخة حتى اقترن مع مشاعر امرئ القيس وهو يناجي أطلال الديار بل ربما تطابق معها .

نلمس بوضوح أن قصائد الشاعر كلما اقتربت من الذاتية أكثر انفتح ضمير المتكلم على الجماعة حد الذوبان ، ولعلّ هذا واضح حتى في غزلياته فقد تجلت مطالع الفعل الشعري القائم على ركائز البناء اللغوي المحلق في أفق الصيرورة النفسية في ضروب تداعيات الذات وانتفاضات الوجدان ، فهو حين يتحدث عن الحبيبة يتحدث عن نفسه وحين يتحدث عن نفسه يتحدث عنها ، فلا يحضر أحدهما بغير الآخر .

المصادر :

(١) الأسلوب والأسلوبية ، كراهام هانف ، ترجمة ، كاظم سعد الدين ، دار آفاق عربية ، بغداد ، ١٩٨٥م .

(٢) بلاغة المكان ، قراءة في مكانية النص الشعري ، فتحية كحلوش ، الانتشار العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م.

(٣) التحليل السيميائي للخطاب الروائي ، عبد المجيد نوسي: شركة النشر والتوزيع المدارس ، الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠٢.

(٥) خزانة الأدب ، عبد القادر البغدادي ، تح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ط١ ، ١٠/٥٣ .

(٦) ديوان ابن الرومي ، تحقيق ، الدكتور حسين نصار ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

(٧) ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله ، قدم له مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٤م .

(٨) ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ط٥ ، ١٩٦٩.

(٩) ديوان (رفيف المنى) الدكتور احمد مطلوب ، المطبعة المركزية ، جامعة ديالى ، العراق ط١ ،٢٠١٢م .

(١٠) الزمن في الأدب ، هانز مير هوف ، ترجمة ، الدكتور أسعد رزوق ، مراجعة ، العوضي الوكيل ، الناشر ن مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

(١١) السيموطيقا والعنونة ، جميل حمداوي ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مج٢٥ ، ع٣ ، ١٩٩٧م.

(١٢) الشوقيات ، ج٥ ، القاهرة .

(١٣) علاقات الحضور والغياب في شعرية النص الأدبي ، الدكتور سمير الخليل ، دار الفراهيدي ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٠م.

(١٤) العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي ، محمد فكري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م .

(١٥) فضاءات النقد الثقافي من النص إلى الخطاب ، الدكتور سمير الخليل ، دار البصائر ، ط١ ، ٢٠١٥م .

(١٦) قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر ، صلاح صالح ، دار شرقيات للنشر ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٧م .

(١٧) ما وراء اللغة (بحث في الخلفيات المعرفية) ، الدكتور عبد السلام المسدي ، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٤م .

(١٨) المغامرة السردية ، جماليات التشكيل القصصي ، رؤية فنية جمالية في مدونة فرج ياسين القصصية ، سوسن هادي جعفر ، دار الثقافة والإعلام ، الشارقة ، ٢٠١٠م .

(١٩) النقد والحداثة ، الدكتور عبد السلام المسدي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣م .

الدُّكتور أحمد مطلوب مُصطلِحيًّا

الأستاذ المساعد الدُّكتور كيان أحمد حازم
قسم اللُّغة العربيّة / كُلّيّة الآداب / جامعة بغداد

لِلدُّكتور أحمد مطلوب ، رحمهُ الله ، شبهٌ كبيرٌ بعلماء الأمّة في عصورِ ازدهارِها العلميّ ، حين كانَ أحدُهم لا يُرضي نَهمَهُ العلميَّ الاكتفاءُ بالتأليفِ في فنٍّ واحدٍ دونَ أن تكونَ لهُ مشاركةٌ في سائرِ فنونِ العلمِ ، ولا يُقنعُهُ في الوقتِ نفسهِ عدمُ التخصُّصِ الدقيقِ في أحدِ تلكَ الفنونِ بحيثُ يكونُ تأليفُهُ فيه واسطةَ عقدِ تأليفِه . فقد جمعَ الدكتور بينَ هاتينِ الحُسنيينِ العلميّتينِ اللتينِ قلَّ مَن جمعَ بينهُما من أبناءِ جيلِه . فنجدُهُ ، من جهةٍ ، قد ضربَ بسهمٍ وافرٍ في مختلفِ حقولِ العلمِ ؛ من تبريزٍ في حقلِ البلاغةِ ، فمن مؤلّفاتِه فيه (البلاغةُ عندَ السَّكّاكيّ) و(القزوينيّ وشروحُ التلخيص) و(فنونٌ بلاغيّة) و(أساليبُ بلاغيّة) و(البلاغةُ والتطبيق) ؛ وحظٍّ كبيرٍ في ميدانِ الأدبِ ونقدهِ ، فمن مصنّفاتِه فيه (النقدُ الأدبيُّ الحديثُ في العراق) و(اتّجاهاتُ النقدِ الأدبيِّ في القرنِ الرابعِ للهجرة) و(عبد الخالق فريد – شاعرُ الحبِّ والجمال) و(غُربةُ الرُّوح – قراءةٌ في شعرِ إبراهيم السامرّائي) و(في المنهجِ النقديّ) ؛ ونصيبٍ باذخٍ في مجالِ اللغةِ بمختلفِ فروعِها ، شيئًا سطّرهُ يراعُهُ فيه (بحوثٌ لغويّة) و(معجمُ النسبِ بالألفِ والنون) و(فصولٌ في العربيّة) و(التشريعُ اللغويُّ وبحوثٌ أخرى) و(معجمُ تصحيحِ التصحيح) . ونُلفيه ، من جهةٍ أخرى ، قد اختارَ حقلَ المصطلحِ بجميعِ أصنافِه

وتفرُّعاته ؛ ليكون اللونَ الأبرزَ وسطَ ألوانِ تصانيفِه ، فممّا أمدّ به المكتبةَ المُصطلحيّةَ (مُصطلحاتٌ بلاغيّةٌ) و (مُعجمُ المُصطلحاتِ البلاغيّةِ وتطوُّرها) و (مُعجمُ مُصطلحاتِ النّقدِ العربيّ القديم) و (في المُصطلحِ النّقديّ) و (بحوثٌ مُصطلَحيّة).

فلا غرابة ، بعد ذلك ، في ان تكون أرفعُ جائزةٍ ينالُها في مسيرتِه العلميّةِ في المُصطلحِ وما يرتبطُ به من صناعةٍ مُعجميّةٍ ، إذ اختيرَ فائزًا بجائزةِ الملكِ فيصلٍ العالميّةِ للُغةِ العربيّةِ والأدبِ لِعامِ ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م ، وجاءَ في قرارِ اختيارِه للجائزةِ أنَّ لجنةَ الاختيارِ لجائزةِ الملكِ فيصلٍ العالميّةِ لِلُغَةِ العربيّةِ والأدبِ لعام١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ، وموضوعُها (قضايا المُصطلحيّة في اللّغةِ العربيّة) ، قرّرتْ منحَ الجائزةِ مُناصفةً بينَ البروفيسور أحمد مطلوب الناصريّ العراقيّ الجنسيّةِ أُستاذِ البلاغةِ والنّقدِ ورئيسِ المَجمعِ العلميّ العراقيّ والبروفيسور رشاد محمّد الصّالح حمزاوي التّونسيّ الجنسيّةِ أُستاذِ اللّغةِ العربيّةِ ورئيسِ قسمِ اللّغةِ العربيّةِ في كُلّيّةِ الآدابِ بجامعةِ قابوس سابقًا ، وأنَّ البروفيسور أحمد مطلوب قد مُنحَ الجائزةَ تقديرا لِجُهودِهِ المُتميّزةِ في خدمةِ المُصطلَحِ العربيّ مِن خلالِ عِلمِهِ الغزيرِ بالمُصطلَحاتِ البلاغيّةِ والنقديّة ، ومَعرفتِه الدّقيقةِ بالنُّصوصِ الأساسيّةِ والثّانويّةِ من حيثُ خصائصُها وطريقةُ انتظامِها وترابطُ مُكوّناتِها المُصطلحيّة ، وأعمالِه التي تُمثّلُ إنجازًا مَرجعيًا مُهمًّا وأصيلًا في رَصدِ تلكَ المُصطلحاتِ وتطوُّرِها التّأريخيّ مع تنظيمِها وعَرضِها على وفقِ قواعدَ علميّةٍ راسخةٍ واضحةِ المَعالمِ[1].

---

[1] يُنظر : رفيقُ عُمري في كتابات الآخرين : ١٢-١٣.

فمن أجل الكشف عن جهود الدكتور أحمد مطلوب في مجال المصطلح وإماطة اللثام عن مسيرته الحافلة فيه ارتأيت أن أكتب هذه الدراسة لتعرف بهذا الموضوع في مختلف تنوّعاته وتفرّعاته ؛ إذ لم أجدْ مَن وفّى هذا الجانب الإبداعيّ الأهمّ من جوانب إبداع الدكتور حقّهُ من الدّراسةِ والتّحليلِ ، وإن وُجِدَتْ جهودٌ تناولتْ شيئًا من ذلك . لكنّها كانتْ إمّا جُزئيّةً تقتصرُ على دراسةِ صِنفٍ أو صنفيْن من أصنافِ المُصطلَحاتِ ومُعجَماتِها في تُراثِ الدُّكتور الرّاحلِ[٢] مُغيّبةً بذلكَ مَعالِمَ الاتّجاهِ العامّ لديهِ في مُعالَجةِ المُصطلَحِ عُمومًا مِن غيرِ اقتِصارٍ على بَعضِ أصنافِهِ ،وإمّا كُلّيّةً تَشمَلُ بالدَّرسِ والمُتابَعَةِ جَوانِبَ كثيرةً مِن اهتِماماتِهِ اللّغويّةِ مِنها المُصطلَحُ جاعِلَةً إيّاهُ بذلكَ مَظهرًا واحدًا مِن مَظاهِرَ مُتعدِّدةٍ تُشكِّلُ بمجموعِها تَجلّياتِ اهتِماماتِهِ اللّغويّةِ[٣] ، بما لا يُتيحُ المعرفةَ الدّقيقةَ لمُعالَجتِهِ المُفَصَّلَةِ للمُصطلَحِ

وسأعمدُ في بَحثي هذا إلى عرض جُهودِ الدُّكتور أحمد مَطلوب في المُصطلَح ، قديمِهِ وحَديثِهِ ، بمُختلفِ أصنافِهِ ومُعالَجاتِهِ في محاوِرَ تَكشِفُ عن مَنهَجِهِ في التّناوُلِ وأسلوبِهِ في المُعالَجَةِ ، فأسألُ اللهَ تَعالى العَونَ على هذهِ المُهِمّةِ الشّاقّةِ والغايةِ الصّعبةِ وأن يَجعَلَ ما نُسطِّرُهُ عَن المَآثِرِ العِلميّةِ لفقيدِنا الكَبير في ميزانِ حَسَناتِهِ قَبلَ أن تكونَ في مَوازينِ حسَناتِنا نَحنُ ؛ فقَد

---

(١) كرسالة الماجستير (أحمَد مَطلوب وجُهودُهُ في تحديثِ المُصطلَحاتِ البَلاغيّةِ والنّقديّةِ) ، لياسر محمود حمّادي العبيديّ ، التي نوقِشَتْ في كُلّيّةِ التَّربيةِ بجامعَةِ الأنبارِ في عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٢) كرسالةِ الماجستير (أحمَد مَطلوب وجُهودُهُ اللّغويّة) ، لوجدان إبراهيم ، التي نوقِشَتْ في كُلّيّةِ الآدابِ بجامعَةِ بغدادَ في عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

جاء في الحديث النَّبويّ الشَّريف : ((إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله ، إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم يُنتفع به ، أو ولدٍ صالح يدعو له))[4] . ولا شكَّ في أنَّ المُتحدِّث فيه علمُ نافعُ ورَّثه الرّاحلُ ، وأنَّ المُتحدِّث من أولاده الذين رباهُم على العلم وحبِّه.

أوَّلًا. تعريفُ المصطلَح واللفظ الحضاريّ والفرقُ بينهما :

١. تعريفُ المُصطلَح :

نقلَ الدُّكتور أحمد مطلوب عن (المُعجَم الوَسيط) أنَّ معنى (اصطلَح القومُ على الأمر) : تعارفوا عليه واتّفقوا ، وأنَّ (الاصطِلاح) مصدرُ (اصطلَح) ، وهو "اتّفاقُ طائفة على شيء مخصوص"[5]. وعرّف الدُّكتور المُصطلَحَ أو الاصطلاحَ بأنَّهُ "اتّفاقُ طائفةٍ مخصوصةٍ على وضع شَيءٍ"[6]. فيُلحظُ وُجودُ اختلافٍ في موقع الوَصف بالـ(مخصوصيّة) في تَعريفَي الدُّكتور ومؤلّفي (المُعجَم الوسيط) ؛ إذ وصفَ بها هؤلاء كلمةَ (شيء) ، أمّا الدُّكتور فوَصَفَ بِها كلمة (طائفة) . والذي أراهُ أنَّ تصرُّفَ الدُّكتورِ أرجَحُ من تصرُّفهم ؛ لأنَّ المُهمَّ في عَمليّةِ الاصطِلاحِ اتفاقُ طائفةٍ مخصوصةٍ ، لا اتّفاقُ طائفةٍ أيًّا تكُنْ على شيءٍ مَخصوصٍ ، أي أنَّ المَخصوصيَّةَ أليَقُ بالطّائفةِ لا بالشّيءِ ؛ إذ إنَّ أهمَّ أركانِ الاصطلاحِ وُجودُ طائفةٍ مُتخصِّصَة

---

[4] رَواهُ مُسلمٌ في صَحيحِه : ج٩ : ٤١٢ ، كتاب الوَصيَّة ، باب (ما يلحَقُ الإنسانَ من الثّواب بعد وفاته).

[5] المُعجَمُ الوَسيط : ٥٢٠.

[6] بُحوثٌ مُصطلحيَّة : ٨.

في علمٍ أو فنٍّ مُعيَّن تُجمِع على اكتساب كلمةٍ ما معنى مُعيّنًا ، فالعبرة بالطائفة المخصوصة المتّفقة لا بالشيء المتّفق عليه ، فما هو إلا كلمة كسائر الكلمات لا تكتسب خصوصيتها الاصطلاحية إلّا بعد اتّفاق الطائفة المَخصوصة عليها.

ويلوح لي أنّ تضمُّنَ التّعريف الذي ساقه الدّكتور تعبيرَ (وضع شيء) يَجعلُهُ غيرَ مقصورٍ على وَضع الألفاظ ، بل يدخُلُ فيه وضعُ كُلّ شيءٍ يتّفقُ على وَضعِهِ الواضِعونَ ، وهذا يُدخِلُ في التّعريفِ ما لا ينبغي أن يَدخُلَ فيهِ ، فهو لذلكَ غيرُ مانعٍ ، ومَعلومٌ أنّ عدمَ المانعيّة من عُيوبِ التّعريف. ثُمَّ إنّ التّعريفَ لا يتضمّنُ نقطةً أساسيّةً يجبُ أن يتحلّى بها المُصطلحُ ، هيَ أن يكونَ للكَلِمةِ مَدلولٌ جَديدٌ غيرُ مَدلولِها اللّغويّ أو الأصليّ ، لكنْ بشرطِ وُجودِ مُناسبَةٍ بينَ مَدلولَيها اللّغويّ والاصطلاحيّ .

ويبدو أنّ الدُّكتور شَعَرَ بأنّ التّعريفَ الذي ساقهُ للمُصطلَح قد يُثيرُ التحفُّظات التي ذَكَرْتُها آنِفًا . فنقلَ عَن الأميرِ مُصطفى الشّهابيّ عدّةَ تحديداتٍ للمُصطلَح مِن شأنِ مُراعاتِها تَجنُّبُ المُؤاخَذاتِ المُثارَة ، مِنها أنَّ المُصطلَح لَفظٌ ، وأنّ الاصطلاحَ يجعلُ للألفاظِ مَدلولاتٍ جَديدَةً ، ووُجوبُ وُجودِ مُناسَبَةٍ أو مُشارَكَةٍ أو مُشابَهةٍ كبيرَةٍ أو صغيرَةٍ بينَ المدلولَين القَديم والجَديد[7]. ثُمّ خلصَ الدُّكتور إلى جُملةِ شُروطِ المُصطلَح لا بُدَّ مِن توافُرِها فيه لِيكونَ مُصطلَحًا ؛ أوّلُها : اتّفاقُ العُلَماءِ عَلى دَلالتِهِ عَلى معنىً مِن المعاني العلميّة ؛ وثانيها : اختلافُ دَلالَتِه الجديدة عن دَلالَته اللُّغويّة

(٧) يُنظر : المصطلحات العلميّة في اللّغة العربيّة : ٣-٤.

القَديمة ؛ وثانيها : وُجودُ مُناسبةٍ بين المدلولين القديم والجديد ؛ ورابعُها : أن يَكونَ المُصطلَحُ لفظًا واحدًا يدُلُّ على معنى عِلميّ واحدٍ[٨].

والحقُّ أنَّ ثمّةَ خِلافًا في الشّرط الأوّل من الشّروط الأربعَة المذكورة ، فقد يختارُ شخصٌ مّا مُصطلحًا ويستعملُهُ ، ثمّ يأخذُهُ الآخرون عنهُ ويَحذُونَ حذوَهُ في جعل المُصطلَح يدُلُّ على المَفهوم على وفق ما اختارَهُ واضِعُهُ الأوّلُ . على أنَّ المُخالِفَ في هذا الشّرط لا يقصدُ باعتِراضهِ هذا إمكانَ الاستِغناء عن الاتّفاق ، فالاتّفاق ضروريٌّ في المصطلَح ، لكن لا في مَرحلة الوضعِ بل في مَرحَلَة الاستعمال بعدَ الوَضعِ[٩]. وكذلكَ ، قد يُوهِمُ الشَّرطُ الرّابِعُ اشتِراطَ أن يَكونَ المُصطلَحُ كلمةً واحدةً دائمًا ، وليس هو المقصود ، فقَد يَكونُ المُصطلَحُ عِبارةً مُركّبةً[١٠] ، بَل المقصودُ أن يَكونَ لكُلّ مفهومٍ واحِدٍ مُصطلَحٌ واحدٌ لا عِدّةُ مصطلحاتٍ ؛ تحرُّزًا للوُقوع في التَّرادُف الذي يُعَدُّ هوَ والاشتِراكُ اللفظِيُّ ، أي أن يُعبِّر المُصطلَحُ الواحِدُ عَن عِدّةِ مفاهيمَ ، من العُيوبِ الأساسيّةِ في الاصطلاح[١١].

٢. تعريفُ اللّفظِ الحَضاريّ والفرقُ بينَهُ وبين المُصطلَح :

تَتَداخَلُ دِراسةُ ألفاظ الحضارة مع دِراسة المُصطلَحات ؛ لاشتِراكِ الفنّين في الحاجَةِ الماسّة إلى ألفاظهِما ومعرفة وَسائل وَضعِها بَعد ان وَفدَت إلينا

---

(٨) يُنظَر : مُعجمُ مُصطلَحات النَّقد العرَبيّ القديم : ١-٦ ؛ وبُحوثٌ مُصطلَحيّة : ٩ ، و٩٩-١٠٠ ؛ وفي المُصطلَح النَّقديّ : ١٠.

(٩) يُنظَر : مِن قضايا المُصطلَح اللُّغويّ المُعاصر : ١/٤-١٠.

(١٠) يُنظَر : الأُسُس اللُّغويّةُ لعِلم المُصطلَح : ١٢.

(١١) يُنظَر : عِلمُ المُصطلَح- أُسسهُ النَّظريّة وتطبيقاتُهُ العمَليّة : ٣٧٢.

من خارج ثقافتنا ولغتنا ، لكنْ هل من الميسور تحديدُ الفروق بين ما يُعدّ مُصطلَحًا وما يُعدُّ لفظًا حضاريًا ؟

أمّا الدُّكتور أحمد مَطلوب فأقرّ بصُعوبة تحديد الألفاظ الحضاريَّة وحصرها ؛ لأنّها قد تشمل ، عنده ، الفنونَ الأدبيّة والعُلوم السّياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيّة والفنّيّة ، وقد تَشمَلُ ما يستعمله الإنسان من أدواتٍ ؛ لتحقيقِ أغراضه المُختلفة ، وأقرّ الدُّكتور أيضًا بأن الاتّفاقَ على المُصطلَحاتِ العِلميَّة ووَضعها أيسَرُ من الاتّفاق على الألفاظِ الحضاريّةِ ووَضعها لما في ذلكَ من اختلافٍ في فهم الحَضارة[12] ، ونقل عن الدُّكتور إبراهيم مدكور قولَهُ إنّ ألفاظَ الحضارة ضَربٌ آخرُ من المُصطلَحات اللُّغويَّةِ ، وإنّ مُعالَجتَها قد تكونُ أعسر من مُعالَجةِ المُصطلَحِ العلميّ ، وإنّ الإجماعَ عَليها ليسَ بالأمرِ الهيّنِ[13] .

وعابَ الدُّكتور أحمد مَطلوب كُرّاسًا خاصًّا بالألفاظِ الحَضاريَّةِ عُنوانُهُ (ألفاظٌ حَضاريَّةٌ مُحْدَثةٌ) وضعَتْهُ لجنةُ اللُّغَةِ العربيّةِ في المَجمَع العِلميّ العراقيّ لأسبابٍ أهمّها أنّهُ لم يُخلصْ لهذا اللون من الألفاظ ، وإنّما دَخَلتْهُ ألفاظٌ لغويَّةٌ عامّةٌ مثل : حالًا ، والحاليّ ، والرَّشح ، ومُسبقًا ، وشخصيًّا ، والشّارع ، والتّسبيب ، ودَخَلَتْهُ مُصطلَحاتٌ علميَّةٌ مثلُ : الأسّ ، والإحداثيّات ، والتّصعُّد ، والمَنسوب ، ونحوها من مُصطلَحاتِ الهَندَسةِ والفيزياء والكيمياء[14].

---

[12] يُنظر : ألفاظٌ حضاريّة : ٥

[13] يُنظر : مُعجَمُ الحَضارة الحديثة : ٦٠٢.

[14] يُنظر : ألفاظٌ حَضاريّة : ٥.

وذكرَ الدكتور أحمد مطلوب أنّ الصُّعوبات التي تكتنفُ تحديد الألفاظ الحَضاريّة تجعلُ وضعَ مُعجمٍ لغويّ عامّ ؛ لإثباتِ ما استقرَّ من الكلمِ الجَديد أيسَرَ مِن وَضعِ مُعجَمٍ لألفاظ الحَضارةِ ؛ وهوَ ما فعَلَهُ محمود تيمور في (مُعجَم الحضارة) ومَجمعُ اللغةِ العربيّةِ في القاهرةِ في (مُعجم ألفاظِ الحَضارة ومُصطلحاتِ الفُنون) ، إذ اكتفيا بمُتابعةِ لوازمِ البَيتِ والأغذيَةِ والمَركَبات والثّيابِ والأمكنةِ والحرفِ والأدواتِ والسُّوقِ والرّياضةِ والزّينةِ والفُنون ، وهيَ ما يَستعملُهُ النّاسُ في شؤونِهم العامّةِ ، وما يُقدِّمُ مادّةً لُغويّةً للكُتّابِ والإعلاميّينَ ، ولا سيَّما أهلُ الصّحافةِ الذين كانَ لَهُم فَضلٌ كَبيرٌ في ازدِهارِ العربيّةِ[15].

ويَبدو أنَّ مَحمود تيمور كانَ مِن أوائل مَن حاوَلوا التفريقَ بينَ ألفاظ الحَضارَةِ والمُصطلَحاتِ ، إذ فرّقَ بينَ نوعَيْنِ من الألفاظ : ألفاظ الحَياةِ العامّةِ ، وألفاظ الثّقافاتِ الخاصّةِ. وتَقصِدُ بالنّوعِ الأوّل ما يَشيعُ بينَ النّاس من ألفاظٍ تَدورُ بَينَهُم وتُستعمَلُ في دائرَةِ التّخاطُبِ ، وتُسَمّى ألفاظًا حَضاريّةً. أمّا النّوعُ الثّاني فعَنى بِهِ ما يُلَقّنُهُ الطُّلابُ في مَعاهِدِ العِلمِ وتُصنّفُ فيهِ التّصانيفُ المُتخصّصَةُ ، وألفاظُ هذا النّوعِ تُمثّلُ لُغةَ التّأليفِ العلميّ والتّفاهُمِ بينَ العُلَماءِ والمُتَعلّمِينَ . وتُسَمّى مُصطلَحاتٍ[16].

ويَبدو لي أنَّ مِعيارَ الشّيوعِ في الحَياةِ العامّةِ الذي وَضَعَهُ مَحمود تَيمور لتَحديدِ ألفاظِ الحَضارةِ لا يمنَعُ دُخولَ غيرِها مِن الألفاظِ فيها ؛ لأنَّ ثَمّةَ

---

[15] يُنظر : ألفاظٌ حَضاريّة : ٥-٦.

[16] يُنظر : الفِكرُ اللّغويّ وألفاظُ الحَضارة عندَ مَحمود تيمور : ٤٨.

كلمات شائعة في الاستعمال اليومي لا تُعدُّ من ألفاظ الحضارة نحو : الهواء ، والجدول ، والذَّهبَ ، والحصاد ، والبون[17] ولذلك ، حاول الدكتور عليٌّ القاسميّ إيجاد معيار يحدد ألفاظ الحضارة على وفقه ، هو كونها أسماء لمنجزات ماديّة يصنعها الإنسان ، وهي وإن كانتْ في بدايةِ أمرها متداولةً على نطاقٍ ضيقٍ بين المُتخصصين ومنحصرةً في المُعجمِ الخاصِ فإنها شاعَتْ لاحقًا في الاستعمالِ في الحياةِ اليوميَّةِ وأخَذَت تنتقلُ من المُعجَمِ الخاصِّ إلى المُعجَمِ العامّ. وبذلك نكونُ قد ضيّقْنا مجالَ (ألفاظ الحضارة) لينحصر في أسماءِ الأدواتِ والآلاتِ والأبنيةِ والملابسِ والمأكولاتِ وما إليها ممّا يستعملُهُ الإنسانُ في حياته اليومية العامّة[18].

فقد اتّضح أنّ الدُّكتور القاسميّ أخرج ما افترضَ الدُّكتور أحمد مطلوب إمكانَ دخولِه في خانةِ ألفاظ الحضارة كالفنون الأدبية والعلوم السياسيةِ والاقتصاديَّةِ والاجتماعيّةِ والفنّيةِ ؛ لأنّها ليستْ منجزاتٍ ماديّةً بل هي منجزاتٌ ثقافيَّةٌ أوّلًا ، ولأنّها لم تغدُ شائعةً ومتداولةً في حياةِ النّاسِ اليوميّةِ الاعتياديّةِ ثانيًا. والذي أراهُ أنّ تعريفَ الدُّكتور القاسميّ هذا جديرٌ بأنْ يُتبنّى لأنَّهُ يَحكمُ معيارًا واضحًا ينطوي على بُعدَيْنِ مبنيٍّ ثانيهما على أوّلِهما ؛ أمّا أوّلُهما فكونُ الاسمِ مُعبّرًا عن منجزٍ ماديٍّ ؛ وأمّا ثانيهما فانتقالُهُ من المُعجمِ الخاصِّ إلى المُعجمِ العامّ.

---

(17) يُنظر : علم المصطلح – أسسه النظريّة وتطبيقاته العمليّة : ٨١.

(18) يُنظر : علم المصطلح – أسسه النظريّة وتطبيقاته العمليّة : ٨٦–٨٧.

ثانيًا. أهمُّ مصادر المصطلحات عند العرب :

تتبّعَ الدُّكتور أحمد مطلوب مصادر المُصطلحات عند العرب ، فذكر أنَّهم اهتمّوا بالمصطلحات العلميّة والفنّيّة مُنذُ عهد مبكّر وأنّ أهمّيّتها ازدادَتْ حين نشطت الحركة العلميَّة والفكريّة في عهد التّرجمة واحتاج المؤلّفون والمُترجمونَ إلى ألفاظٍ تَدُلُّ بدقة على العلوم والفنون ، وأصبح المُصطلحُ مُهمًا في تحصيل العلوم ؛ لأنّهُ يُحدِدُ قصدَ المؤلف أو المُترجم[١٩].

وقد حاول الدُّكتور تلمّس بدايات ظُهور المصطلحات في البيئة الإسلاميّة[٢٠] ، فوجد أنَّ أوائلها ما جاء منها في القُرآن الكريم . ممّا كان لهُ معنى لُغويٌّ فنُقِل إلى مَعنًى جديد ، وأنَّ المفاهيم الشّرعيّة كانتْ من أهمِّ أسباب نُمُوِّ اللُّغة وفتحِ باب تطوُّر الدّلالة وانتقال الألفاظ من معانيها اللُّغويّة إلى معانٍ أُخرى يقتضيها الشرعُ وتتطلّبها الحياةُ الجديدةُ ، كالأسماء الشّرعيّة نحو (الشّهادة) و(الزّكاة) و(الصّوم) و(الحجّ) و(العُمرة) ، والأسماء الدّينيّة نحو (الإسلام) و(الإيمان) و(الكُفر) و(النّفاق) و(الفسق) ، فضلًا عن الأسماء الجديدة الّتي لم تعرف من قبلُ نحو (القُرآن) و(الفرقان) و(التّيمُّم)[٢١].

وذكَرَ الدُّكتور أنَّ المُتكلّمين كانوا أوّل مَن اهتمّ بالمُصطلحات ، ونقلَ عن الجاحظ (٢٥٥هـ) قولَهُ عنهُم إنَّهم تخيَّروا المعانيَ واشتقّوا لها من كلامِ

---

(١٩) ينظر : بحوث مصطلحية : ٥.

(٢٠) يُنظر : بُحوثٌ مصطلحيّة : ١٠-١٢ ؛ وفي المُصطلح النّقدي : ١١.

(٢١) يُنظر : بُحوثٌ مُصطلحيَّة : ١٠-١١.

العرب الأسماء ، واصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم . ومن ذلك : (العرض) ، و(الجوهر) ، و(أيس) ، و(ليس) ، و(التلاشي) ، و(الهيئة) ، و(الهوية) ، وأشباهها[31]. ونقل عن الجاحظ أيضا وضع الخليل ابن أحمد (١٧٥هـ) ألقابا لأوزان الأشعار لم تكن العرب تعرفها نحو (الطويل) و(البسيط) و(المديد) و(الوافر) و(الكامل) وغيرها ، ووضع النحويين مصطلحاتهم الخاصة نحو (الحال) و(الظرف)[32].

أمّا التأليف المعجمي المختص بالمصطلحات فقد قسّم الدكتور أحمد مطلوب ، زمنيًّا ، ما أنجز منه على قسمين ، هما :

أ. **المعجمات الخاصة** : وتضمّ مصطلحات خاصة بعلم أو فنّ معيّن ، ونذكر منها المعجمات الآتية :

أ. **كتاب الزينة** ، لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (٣٢٠هـ) ، وهو في الكلمات الإسلامية .

ب. **كتاب الحدود** ، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ) ، وهو في مصطلحات النحو .

ت. **الرسالة القشيرية** ، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن (٤٦٥هـ) ، وهو في مصطلحات التصوف .

---

(٣١) ينظر : البيان والتبيين : ١/١٣٩ ؛ وبحوث مصطلحية : ١٢ ؛ وفي المصطلح النقدي : ١١.

(٣٢) ينظر : البيان والتبيين : ١/١٣٩–١٤٠ ، ومعجم مصطلحات النقد العربي القديم : ٢ ؛ وبحوث مصطلحية : ١٢ ؛ وفي المصطلح النقدي : ١١.

ش. **المُغرِب في ترتيب المُعرِب** ، لأبي الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي بن المُطرِّز المشهور بالمُطرِّزي (٦١٠هـ) ، وهو في مُصطلَحات الفقه.

ج. **اصطلاحات الصُوفيّة** ، لمُحيي الدين بن عربي (٦٣٨هـ).

ح. **اصطلاحات الصُوفيّة** ، لأبي الغنائم كمال الدين عبد الرزّاق بن أبي الفضائل جمال الدين الكاشاني (٧٣٠هـ)[24].

ويُفيدُنا التسلسُلُ الزَمنيّ الذي رتّب الدُكتور المُعجماتِ الخاصّة للمُصطلَحات على وفقه أنّ (كتاب الحُدود) للرُمّاني هو أوّلها ظُهورًا إذا استبعدْنا (كتاب الزينة) للرّازيّ بوصفهِ لا يضمُّ مصطلَحات علمٍ أو فنٍّ مُعيّن ، وهذا ما أقرّهُ أيضًا الدكتور مُصطفى طاهر الحيادرة[25].

ويُلاحظُ أنّ قائمة الدُكتور أحمد مطلوب للمُعجمات الخاصّة اشتملَتْ على ثلاثةِ مُعجَماتٍ لمُصطلَحات الصُوفيّة ، في حين أنّها خلَتْ من مُعجماتِ مصطلَحات فروعٍ علميّة أخرى كعلم أُصول الفقهِ ، وقد وَصَل إلينا من مُعجَماتِه المُتقدّمة (كتابُ الحُدود في الأُصول - الحُدودُ والمُواضعات) لأبي بكرٍ مُحمّد بن الحَسَنِ بن فورك الأصبهاني (٤٠٦هـ) و(كتابُ الحُدود في الأُصول) لأبي الوليد سُليمان بن خَلَف الباجيّ الأندلسيّ (٤٧٤هـ) ، والفلسَفةِ ، وقد وصل إلينا من مُعجمات مُصطلَحاتها رَسائلُ مُختلفةٌ جَمَع عَدَدًا منها الدُكتور عبد الأمير الأعسم في كتاب (رسائلُ منطقيّة في الحُدود

---

[24] يُنظر : بحوث مُصطلَحيّة : ١٥-١٦.

[25] يُنظر : من قضايا المُصطلَح اللغوي المُعاصر : ١/ ٨٠.

والرسوم للفلاسفة العرب : ابن حيّان – الكنديّ – الخوارزميّ – ابن سينا – الغزّالي).

٢. **المعجمات العامّة** : وتضمّ مصطلحات علوم وفنون مختلفة ، ولا تقتصر على إيراد مصطلحات علم أو فنّ معيّن ، وذكر منها المعجمات الآتية :

أ. **مفاتيح العلوم** ، لمحمّد بن أحمد بن يوسف الخوارزميّ (٣٨٧هـ) ، الذي أراده أن يكون جامعا لمفاتيح العلوم والصناعات ، ومتضمّنًا المصطلحات التي خلت منها أو من جلّها كتب اللغة[26]. وذكر الدكتور أحمد مطلوب أنّ هذا المعجم أوّل موسوعة بالعربيّة جمعت العلوم ومصطلحاتها[27] ، ووافق هذا الحكم الدكتور مصطفى طاهر الحيادرة[28]. وقد عرف الدكتور لهذا الكتاب ريادته وقيمته ، فكتب عنه في غير مناسبة ، وأفرد له بحثًا خاصًّا عنوانه (المصطلحات العلميّة في مفاتيح العلوم) ، عرض فيه مادّته ، واستخلص أهمّ أسسه ، وبيّن أهمّيّته في إحياء التراث[29].

ب. **التعريفات** ، لعليّ بن محمّد بن عليّ الجرجانيّ المعروف بالسيّد الشريف ، (٨١٦هـ) ، وحكم عليه الدكتور بأنّه من أدقّ الكتب تعريفا ، وذكر أنّ أهمّ مزاياه أنّ مؤلّفه يورد المعنى اللغويّ ثمّ الاصطلاحيّ

---

[26] ينظر : مفاتيح العلوم : ١١.

[27] ينظر : بحوث مصطلحيّة : ١٦ ، و٣٥.

[28] ينظر : من قضايا المصطلح اللغويّ المعاصر : ١/٦٠.

[29] ينظر : بحوث لغويّة : ١٦١–٢٠٣ ، وبحوث مصطلحيّة : ١٢٣–١٦٨.

للفظ ، ويعزو المصطلح إلى أصحابه ، فيقول : هو من اصطلاح النحاة ، أو العروضيين ، أو البلاغيين ، أو الفقهاء ، ويشير إلى أصل اللفظ[30].

ت. **الكليات** ، لأيوب بن موسى الحسيني الكفوي (١٠٩٤هـ) ، وذكر الدكتور أنه معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، جمع فيه صاحبه معاني الألفاظ لغة واصطلاحًا وعرفًا ، ورتبها على ترتيب كتب اللغة[31].

ث. **كشاف اصطلاحات الفنون** ، لمحمد علي الفاروقي التهانوي (القرن الثاني عشر للهجرة) ، وذكر الدكتور أنه معجم لمصطلحات علوم العربية والعلوم الشرعية والعلوم العقلية[32].

أما وسائل وضع المصطلحات عند العرب قديمًا ، فذكر الدكتور أحمد مطلوب أن أهمها ثلاث ، أولها : اختراع أسماء لما لم يكن معروفًا ، كما فعل المتكلمون والنحويون والعروضيون وأصحاب الحساب ؛ وثانيها : إطلاق الألفاظ القديمة للدلالة على المعاني الجديدة كما في الأسماء الشرعية والأسماء الدينية وغيرها مما جد بعد الإسلام من علوم وفنون ؛ وثالثها : التعريب ، وهو نقل الألفاظ الأجنبية إلى العربية بإحدى الوسائل المعروفة عند اللغويين[33]. ومما يحسن ذكره أن هذه الوسائل الثلاث هي بعض

---

[30] ينظر : بحوث مصطلحية : ١٦ ، و٥٣-٥٤.

[31] ينظر : بحوث مصطلحية : ١٦ ، و٥٤.

[32] ينظر : بحوث مصطلحية : ١٦ ، و٥٤.

[33] ينظر : معجم مصطلحات النقد العربي القديم : ٦ ؛ وبحوث مصطلحية : ٥٢ ؛ وفي المصطلح النقدي : ١٦-٢٠

الوسائل التي تتبع الآن في مجال إيجاد المصطلحات والتي سنفصل في الآتي القول في تصنيفها عند الدُكتور والكلام على كلٍّ منها.

ثالثًا. وسائلُ وضع المصطلحات قديما وحديثًا :

رُبّما يُسمّي المُحدثُون ، ومنهم الدُكتور أحمد مطلوب ، وسائل وضع المصطلحات في العربيّة وسائل نموّ اللغة العربيّة أو تنميتها[٣٤] ، ولا مُشاحّة في التّسميات ما دامت تدلّ على مُسمّى واحد[٣٥].

وقد تناول الدُكتور أحمد مطلوب وسائل وضع المصطلحات عند القدماء وعند المحدثين في عدّة مواضع من كتبه ، على اختلاف بين تلك المواضع في ترتيب بعض الوسائل وعددها وتسمياتها.

فأمّا وسائلُ الوضع عند العرب القُدماء فجعلها في بعض المواضع ثلاثًا . فأولاها : اختراعُ أسماء لما لم يكن معروفًا ، كما فعل المتكلمون والنّحويُّون والعروضيُّون وأصحابُ الحساب . وثانيتُها : إطلاقُ الألفاظ القديمة : للدّلالة على المعاني المستحدثة في الأسماء الشّرعيّة والأسماء الدّينيّة وغيرها ممّا جدّ بعد الإسلام من علوم وفنون . وثالثتُها : التّعريب .

---

[٣٤] تُستثنى من ذلك التّرجمةُ ، فهي وسيلةٌ أساسيّةٌ لوضع المصطلحات بيد أنّها لا تُعدّ وسيلةً فعليّةً لتنمية العربيّة ؛ لأنّ الألفاظ المُتوصّل إليها بالتّرجمة موجودةٌ بألفاظها ومعانيها في المعجم العربيّ القديم ، فمن ثمّ ليس لها إسهامٌ كبيرٌ في تنمية العربيّة ، وإن عُدّت من وسائل تنميتها في أحد قرارات لجنة اللّغة العربيّة في المَجمع العلمي العراقيّ التي كان الدُكتور أحمد مطلوب أحد أعضائها. يُنظر : حركة التّعريب في العراق : ١٨٢ ؛ والنّحت في اللّغة العربيّة – دراسةٌ ومُعجم : ٣٨.

[٣٥] يُنظر : بحوثٌ مُصطلحيّة : ١١ ، وعوامل تنمية اللّغة العربيّة : ٦٦.

وهو نقل الألفاظ الأجنبية إلى العربية بإحدى الوسائل المعروفة عند اللغويين(٣٦).

وفي موضعٍ ثانٍ ، نقل الدكتور أحمد مطلوب عن مصطفى الشهابي أنّ قواعد وضع المصطلحات عند القدماء أربع : أولاها : تحوير المعنى اللغوي القديم للكلمة العربية وتضمينها المعنى العلمي الجديد ؛ وثانيتها : اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية أو معرّبة ؛ للدلالة على المعنى الجديد ؛ وثالثتُها : ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها ؛ ورابعتُها : تعريب كلمات أعجميةٍ وعدُّها صحيحة(٣٧) ، ووافقه الدكتور في أنّ هذه القواعد هي التي ينبغي اتباعُها في وضع المصطلحات الحديثة(٣٨) ، فهي قواعدُ متّبعةٌ حتّى في اللغات الأجنبية ، فقد يخترعُ أهلُها كلماتٍ جديدةً ، وقد يولّدون كلمات جديدة من كلمات مستعملة من قبل لكنْ بإضافة معنًى جديد ، وقد يلجؤون إلى تحويل الفئات النحوية لبعض الكلمات ليستعملوها استعمالاً جديدًا(٣٩).

---

(٣٦) يُنظر: معجم مصطلحات النقد العربي القديم : ٦ ؛ وبحوثٌ مصطلحيّة : ٥٢ ؛ وفي المصطلح النقدي : ١٦-١١.

(٣٧) يُنظر : المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث : ٣٤.

(٣٨) يُنظر : بحوثٌ مصطلحية : ١٠٨.

(٣٩) يُنظر: منهجُ المعجميّة : ٩٨-٩٩ ؛ وبحوثٌ مصطلحيّة : ٧٨. وأمثلةُ تحويل الفئات النحويّة لبعض الكلمات في العربيّة لتُستعملَ استعمالاً جديدًا : تحويلُ الصفات إلى أسماءٍ نحو (عفيف) و(زبيد) و(وريد) ؛ وتحويلُ المصادر إلى أسماء ، الواحد (الطُّرق) وهو في الأصل مصدرٌ ، و(الكنز) واحد (الكنوز) وهو في الأصل مصدرٌ. يُنظر : علمُ المصطلح وطرائقُ وضع المصطلحات في العربية : ٩٢-٩٣.

وفي موضع ثالث ، جعل الدكتور أحمد مطلوب وسائل الوضع عند القدماء ستاً هي : المجاز ، والاشتقاق ، والارتجال ، والتوليد ، والقياس ، والاقتراض أي التعريب[40].

وفي موضع رابع ، ثم نجده يجعلها سبعا هي : الارتجال ، والاشتقاق ، والقياس ، والمجاز ، والتوليد ، والاقتراض ، والنحت[41].

وبالموازنة بين الطرائق الأربع في إيراد تلك الوسائل عند القدماء يتضح أن الدكتور أجمل في الأولى فأبهم وطوى ذكر بعض الوسائل ، في حين أنه فصّل قليلا في الثانية وأكثر في الثالثة والرابعة ما أجمله في الأولى وأوضحه فأظهر ما كان قد طواه . فما سمّاه في الطريقة الأولى (اختراع أسماء لما لم يكن معروفا) يمكن أن ينطبق على ما جاء في الطريقتين الثانية والثالثة والرابعة من وسائل (الارتجال) و (الاشتقاق) و (القياس) و (التوليد) و (النحت). وما عبّر عنه في الأولى بعبارة (استعمال الألفاظ القديمة للدلالة على المعاني الجديدة) وفي الثانية بعبارة (تحوير المعنى اللغوي القديم للكلمة العربية وتضمينها المعنى العلمي الجديد) هو النقل الذي هو نوع خاصّ من أنواع المجاز المذكور في الطريقتين الثالثة والرابعة . على ما سيأتي تفصيل القول فيه. وما سمّاه (التعريب) في الطريقتين الأولى والثانية عبّر عنه بتعبير (الاقتراض) في الطريقتين الثالثة والرابعة ، بيد أنه سمّاه في الثانية بكلمة

---

(40) ينظر : بحوث مصطلحية : ٧٨.

(41) ينظر : بحوث مصطلحية : ١٧.

(التَّعريب) أيضاً . والوضعُ أو الافتراض وسيلةٌ رئيسةٌ تتدرجُ فيها وسيلتان ثانويتان هما التَّدخيلُ والتعريب[٤٢] .

وأمَّا وسائلُ وضع المصطلحات عند المحدثين فجعلها الدُّكتور أحمد مطلوب ثماني هي : الوَضعُ ، والقياسُ ، والاشتقاقُ ، والترجمة ، والمجازُ ، والتَّوليدُ ، والتَّعريبُ ، والنَّحتُ[٤٣] ، بزيادة وسيلة الترجمة التي لم ترِدْ عندهُ في قِسمتهِ للوسائل عِندَ القُدماء إلا نقلاً عن مُصطفى الشِّهابي .

وبالموازنــة بيـن المواضــع المُختلفـةِ التـي وردَتْ فيهـا وسـائلُ وضــع المُصطلحات عند القُدماء وعند المُحدثِين تتبيّنُ لنا جُملةُ مسائل . المسألةُ الأُولى : أن ترتيب الوسائل عند الدُّكتور أحمد مطلوب لم يكُن ترتيباً مبنيّاً عَلى أساس أولويّة الوسيلة المتقدّمة على غيرها ، بدليل أنّهُ غاير في مواقع الوسائل في المواضع المختلفة ولم يُحافظْ على ترتيبٍ واحد ثابت . والمسألةُ الثَّانيةُ : أنّ عدد الوسائل لم يكُن ثابتاً في المواضع الثَّلاثة ؛ إذ كانتْ ثلاثاً في موضع ؛ وستّاً في موضعٍ ثانٍ ؛ وسبعاً في موضع ثالث ؛ وثماني في موضعٍ رابع .والمسألةُ الثَّالثةُ : أنّ ما سمّاهُ الدُّكتور ارتجالاً فـي بعض المَواضع سمّاهُ وضعاً في موضعٍ آخر ، وأرى أنّ تسمية الوسيلة المعنيّة ارتِجالاً أولى ؛ لأنّ (الوضع) قد يُطلقُ عند بعض أهل العلم على الارتِجال والاشتقاق والمَجاز جَميعاً[٤٤] . والمَسألةُ الرَّابعَةُ : أنّ الدُّكتور أورد الارتِجالَ

---

(٤٢) يُنظر : علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية : ٢٠ .

(٤٣) يُنظر : معجم مُصطلحات النقد العربي القديم : ٦ .

(٤٤) يُنظر : علمُ المُصطلح وطرائق وضع المُصطلحات في العربيّة : ٨٣ .

وسيلة مستقلة ، مع أنّ هناك من يُلحقه بالتوليد[٦٠]. والمسألة الخامسة : أنه جعل القياس وسيلة مستقلّة من وسائل وضع المصطلح ، مع أنه لا ينفصل عن الاشتقاق ؛ إذ إنّ الطريقة التنفيذية للقياس هي الاشتقاق حين يكون غرض القياس تنمية الألفاظ ؛ ولذلك قال بعض أهل العلم : القياس هو النظرية ، والاشتقاقُ هو التطبيق[٦١] والمسألة السادسة : أنّه ساق الاشتقاق والمجاز والتوليد على أنّها وسائلُ مستقلٌ بعضُها عن بعض ، في حين أنّ غيره يجعلُ التّوليدَ وسيلةً رئيسة تضمُّ وسيلتَين ثانويتَين هما الاشتقاقُ والمَجازُ[٦٢]. والمسألةُ السابعةُ : أنّه أوردَ التّرجمةَ إيرادًا صريحًا عند المُحْدثين بوصفها وسيلة من وسائل وضع المصطلحات ولم يوردْها في تقسيماته الشخصيّة صراحةً عند القُدماء ، بل وردتْ عنده نقلًا عن مصطفى الشهابي كما ذكرْنا آنفًا ، فيُحتملُ أنّهُ جعلَها مستبطَنة بوصفها إحدى طرائقِ التعريب عندهم ، ولعلّ في ذلك إلماعًا ذكيًا إلى أنّ مُعظم ما وضعهُ العربُ قديمًا من مُقابلاتٍ للمُصطلَحاتِ الأجنبيّةِ لم يكن من المُفرداتِ العربيّةِ المحفوظة في المُعجَم التي تُؤدّي المعاني المَقصودةَ أداءً مُباشرًا بل ، اجتهدوا فيه بوضع كلماتٍ جديدةٍ غير مُستَعمَلةٍ سابقًا بالمَعاني المقصودَة ؛ ولذلك لا يَصحُّ أنْ نُسَمّي طَريقةَ الوَضعِ هذهِ ترجمَةً ، بل هيَ طَريقةُ التّوليد التي سيأتي الكَلامُ عليها لاحِقًا . والمسألةُ الثّامنةُ : أنّهُ جعلَ النّحتَ وسيلةً مُنفصلةً عن

---

[٦٠] يُنظر : علم المصطلح وطرائقُ وضع المصطلحات في العربيّة : ٢١٣.

[٦١] يُنظر : عوامل تنمية اللّغة العربيّة : ٧٣ ، و٨٧.

[٦٢] يُنظر : علمُ المصطلح وطرائق وضع المُصطلَحات في العَربيّة : ١٩.

الاشتقاق . مع أنّه يُعدُّ عند جمعٍ من العلماء من الاشتقاق حتّى إنّ بعضهم يسمّيه (الاشتقاق النّحتيّ)[48]

وقبل أن أبدأ بالحديث عن كلّ وسيلة من الوسائل المذكورة آنفًا كما تناولها الدّكتور أحمد مطلوب ، أودّ أن أبيّنَ أنّ من المشتغلين بالمصطلح مَن اختزلَها ورتّبها بحسَب أولويّات اللّجوء إليها. ولعلّ من أفضل نماذج الاختزال والتّرتيب ما جاء به الدّكتور أحمد عيسى ، إذ جعل الوسائل خمسًا ورتّبها ترتيبًا ذكر أنّه مبنيٌّ على درجة التسامح أو الخطر ، فلا يُلجأ إلى أشدّها خطرًا إلّا بعد أن يُبذلَ الجهدُ في استكناه كلّ وسيلةٍ قبلها ، فإذا عجز فالضّرورات تبيحُ المحظورات ، وهي بحسب التّرتيب : "التّرجمةُ أوّلا ، فإذا لم يُوجد للّفظ الأعجميّ مقابلٌ عربيٌّ فالاشتقاق ثانيا ، فيُشتقُّ لفظٌ من كلمة عربيّةٍ تؤدّي معنى المُسمّى . فإذا عجزنا فالمجازُ ثالثًا ، فيُتجوّزُ للّفظ مجازًا بعلاقةٍ في المعنى بين المُسمّى والمجاز ، فإذا حصلَ العجز يُنحَتُ للكلمة لفظٌ مُركّبٌ من كلمتيْن يؤدّي معناهما مدلول الشّيء المُسمّى ، فإذا حصل العجزُ يُعرّبُ اللّفظُ تعريبًا مُطابقًا لقواعدِ اللّغة"[49]. وجاءَ بعدَ الدّكتور أحمد عيسى الدكتور ممدوح محمد خسارة فاختزلها في ثلاث وسائلَ فقط مُدرجًا بعضَها في بعض ومُرتّبًا إيّاها بحسب أولويّات ما ينبغي اللّجوءُ إليه ، فكانتْ عِندَهُ على النّحو الآتي : التّرجمةُ أوّلا ، فإن تعذّرتْ فالتّوليدُ (الذي يندرجُ فيه

---

[48] يُنظر : علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربيّة : ٨٣.
[49] التّوليد في أصول التّعريب : ١٢٠.

الاشتقاق والمجاز) ثانياً ، فإن تعذّر فالاقتراض (الذي يندرج فيه التعريب والدخيل) ثالثاً[50].

وسأوردُ في الآتي وسائل وضع المصطلح بحسب سوق الدكتور أحمد مطلوب في قسمته لها عند المحدَثين.

١. الارتجال :

عرّفَ الدكتور أحمد مطلوب الارتجال بأنّه وضعُ كلمات جديدة لم تكن معروفةً أو مُستعملةً من قبلُ، وضرب مثلين للارتجال عند العرب قديماً ؛ أحدهما تسميةُ النابغة الأرض التي لم تحفر قطّ ولم تُحرث إلّا فُعل بها ذلك (مَظلومة) ؛ والآخر تسميةُ الذين أدركوا الجاهليّة والإسلام (مخضرمين)[51]. وهذان المثالان أوردهما الجاحظُ من ضمن عدّة أمثلة أخرى لوضع كلماتٍ بعد الإسلام لم يعرفها العرب في الجاهليّة ، بيدَ أنّه لم يُسمّ ذلك ارتجالاً ولم يُسمّ الكلمات الموضوعة بهذه الوسيلة مرتجلة بل ذكر أنّها أسماءٌ حدثت بعد أن لم تكن وأنّها اشتقت من أسماءٍ متقدّمة على التشبيه ، كتسميتهم من أدرك الجاهليّة والإسلام مُخضرماً[52] ، ونصّ على أنّ ما قاله النابغة بتسميته الأرض المذكورة (مظلومة) في قوله :

---

(50) يُنظر : علمُ المصطلح وطرائقُ وضع المصطلحات في العربيّة : ١٩–٢٠.

(51) يُنظر : بُحوثٌ مُصطلحيّة : ١٧.

(52) يُنظر : الحيوان : ٢١٨/١. ونبيّنُ أنّ الكلمة مشتقّةٌ من أصلٍ معروفٍ عند العرب ما نقله الزبيديّ في (تاج العروس) – مادّة (خضرم) : ٣٢/١١ – [illegible] تسمية مَن أدرك الجاهليّة والإسلام مُخضرماً ، بكسر الرّاء ، أنّ أهلَ الجاهليّة لمّا دخلوا في الإسلام خضرموا آذانَ إبلهم ، أي قطعوها ، لتكون علامة لإسلامهم إن أُغير عليهم

إلا الأواريَّ لأياً ما أُبيّنها ... والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلَد[52]

الاشتقاق من خصائص اللغة[53] لذلك ، أرى أن يُلحق الارتجالُ بهذا المعنى بالاشتقاق لتبقى وسيلةُ الارتجال خاصةً باختراع كلمات جديدة لا تمتُّ إلى موادّ اللغة بصلة أو لا تُناظر صيغةً من صيغها[54] ويُشبه ذلك ما فعله الدكتور محمد عيد الذي أطلق عليه اسم (الارتجال بالاشتقاق)[55] ، والدكتور تمّام حسّان الذي ردّ الارتجال إلى (الوضع من طريق الاشتقاق) ، مُعرّفاً إيّاه بأنّه ابتداعُ المفردات على الأنماط القياسية ، ومُوضّحاً أن يكون استعمالاً لصيغة مُهملة من أصل اشتقاقيّ مستعمل[56].

والدكتور أحمد مطلوب يُقرّ بأنّ الارتجال قليلٌ في اللغات بعد تطوّرها واستقرارها ، لكنّه مع ذلك يرى أنّ الأخذ به نافعٌ في وضع المصطلحات الجديدة ، ولا سيّما أنّ في العربيّة ما يُعين عليه ؛ إذ إنّ حروفها تحتوي

أو خُوربوا ، وأمّا من اختار جعل الراء من (مُخضرَم) فتأويلُ التسمية عنده أنّه قُطع عن الكفر إلى الإسلام.

[52] ديوانُ النّابغة الذبيانيّ : ٢٦ ، وذكر جامعُ الدّيوان محمّد الطّاهر بن عاشور في هامش التحقيق : ٧٧ ، أنّ (المظلومة) صفةٌ لموصوف محذوف ، أي الأرض المظلومة ، وهي اليابسةُ التي احتبس عنها المطر ، فكأنّ المطر منعها حقّها إذ انقطعَ عنها ، أو أنّ الأرضَ تُسمّى مظلومةً إذا حفر فيها السائرون في البرّيّة حوضاً وليستْ بموضع تحويض ، فتُسمّى مظلومةً ؛ لأنّها تُحفر وليستْ موضعَ حفر.

[53] يُنظر : [illegible] : ٥/١٥١.

[54] يُنظر : من أسرار اللغة : ٥٩.

[55] ينظر : في اللّغة ودراستها : ١٤٢-١٤٣.

[56] يُنظر : الأصول – دراسةٌ إبستمولوجيّةٌ لأصول الفكر اللّغويّ العربيّ : ٢٨٥.

مئات الكلمات التي لم يُستعمَلْ منها إلّا القليلُ ، فيُمكنُ أن يُفاد من غير المُستعمل أو المُهمَل بشرط مراعاة ائتلاف الحروف وترك ما لا يجوزُ ائتلافه في كلام العرب[58].

٢ . الاشتقاق .

الاشتقاقُ عند الدكتور أحمد مطلوب هو "أخذُ كلمة أو أكثر من أخرى لمُناسبةٍ بين المأخوذ والمأخوذ منه في الأصل اللفظي والمعنوي لِيُدلّ بالثانية علَى المعنى الأَصلي مع زيادة مُفيدة لأجلها اختلفت بعضُ حُروفِها أو حركاتها أو هُما معًا"[59]. وأظنُّ أنّ ثمّة وهمًا قد وقع في قول الدكتور : " أخذُ كلمةٍ أو أكثر من أخرى " ، وأنَّ الصحيح هو : " أخذُ كلمةٍ من كلمةٍ أو أكثر "[60] ؛ ليشملَ التعريفُ جميع أقسام الاشتقاق ولا سيَّما النَّحتُ الذي لا يكونُ إلّا بالأخذ من أكثر من كلمة ، على ما سيأتي إيضاحُهُ .

وذكَرَ الدُّكتور أنَّ القُدماءَ قد حصروا الاشتقاقَ في مسائلَ مُعيّنةٍ ولم يُطلقوه ، وأنَّ عربيّة العصر الحديث تحتاجُ إليه كثيرًا في وضع المُصطلحات ، وأنّ ممّا يُيسِّر ذلك أنّ العربيّة لغةٌ اشتقاقيّةٌ وأبنيةُ المُشتقّات فيها كثيرةٌ ، لكنها لم تُستثمَرْ كما ينبغي إلى الآن جهلًا أو تزمّتًا[61].

---

[58] يُنظر : بحوث مصطلحيّة : ١٨.

[59] بحوثٌ مُصطلحيّة : ١٩. وينظر : فصولٌ في العربيّة : ٢٩٠-٢٩١ ، وأبنيةُ الصّرف في كتاب سيبويه - معجمٌ ودراسة : ١٧١.

[60] يُنظر : الاشتقاق : ١.

[61] يُنظر : بحوثٌ مُصطلحيّة : ١٨.

٣. القياس :

ذكرنا آنفاً رجحان إنتاج القياس في الاشتقاق وعدم بُعده وسيلة لتشكيله، [illegible] عرّفه الدكتور بأنّه "حملُ مجهولٍ على معلوم ، وحملُ غير المنقول على ما نُقل ، وحمل ما لم يُسمَع على ما سُمع في حُكمٍ من الأحكام وبصلة جامعة بينهما"[62].

٤. المجاز :

عرّف الدكتور أحمد مطلوب المجاز بأنّه "نقل الكلمة من المعنى القديم إلى معنى جديد مع قرينة تدلّ على ذلك النقل"[63]. ومن الواضح أنّ الدكتور أرادَ بتعريفه هذا إدخالَ (النقل) في (المجاز) . والنقلُ هو أن يُعمد إلى لفظ موضوعٍ في الأصل لمعنى محدد فيُستعمل في معنى آخر لمناسبة فاشتهر في المعنى الثاني وتُرك استعماله في الأول[64]. وقد أولى الدكتور أحمد مطلوب المنقولات اهتماما كبيرا ، فنجدُ الكلام عليها حاضرا في كَثير من كتاباته في موضوع الحقيقة وأنواعها وصلتها بوضع المصطلحات ، إذ قسّمها على ثلاثة أقسام رئيسة هي :

---

[62] بحوث مصطلحية : ٢٠.

[63] بحوث مُصطلحيّة : ٦١.

[64] يُنظَر : طُرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين : ٨٨.

أ. الحقيقةُ اللغويَّةُ :

يمكنُ القولُ إن هذا النوعِ من الحقائق هو الذي يُقابِلُ المَجاز . وقد عرّفها الدُّكتور أحمَد مَطلوب بأنَّها استعمالُ اللَّفظ في وَضعه الأوَّلِ بحيثُ لا يَتبادَرُ إلى الذِّهنِ غيرُ ذلكَ عندَ الإطلاقِ[٦٥].

ب. الحَقيقَةُ العُرفيّة :

عَرَفها الدُّكتور أحمد مَطلوب بأنّها نَقلُ اللَّفظِ من تسمِيَتِهِ اللُّغويَّة إلى غيرِها بِعُرف الاستعمال الذي قد يَكونُ عامًّا كاستِعمالِ لَفظِ (الدّابَة) بالعُرفِ العامِّ في ذي الأَربَع ، وقد يَكونُ خاصًا كاستعمال لَفظ (الفِعل) بعُرفِ النَّحوِ في الكَلِمَة المَخصوصَة[٦٦]. وألفاظُ الحقيقَة العُرفِيَّةِ الخاصة هيَ التي يُعنى بها عِلمُ المُصطلَح ؛ لأنَّها أساسُ المُصطلَحاتِ العِلميَّةِ في كُلِّ فرعٍ مِن فُروعِ العلمِ والمَعرِفَةِ وفي ما يُتَّفَقُ عليهِ في بيئةٍ مِن البيئاتِ أو عَهدٍ مِن العُهودِ[٦٧].

ت. الحَقيقَةُ الشَّرعيَّة :

أَورَدَ الدُّكتور أحمَد مَطلوب لِهذا النَّوع مِن الحَقائق تَعريفًا مُفادُهُ أنّها اللفظُ الذي يُستَفادُ مِن جِهةِ الشَّرعِ وضعُهُ لمَعنًى غيرِ المَعنى الذي كانَ يَدُلُّ عليهِ في أَصلِ وَضعِهِ اللُّغويِّ ، ومِثالُهُ لَفظُ (الصَّلاة) إذا استَعمَلَهُ المُخاطَبُ بِعُرفِ الشَّرعِ في العِبادَةِ المَخصوصَة[٦٨]. ورَأى الدُّكتور أنَّ البَحثَ في

---

[٦٥] يُنظَر : بُحوثٌ لُغويَّة : ٧١.

[٦٦] يُنظَر : البَلاغَةُ والتَّطبيق : ٣٢٢.

[٦٧] يُنظر : بُحوثٌ لُغويَّة : ٧١-٧٢.

[٦٨] يُنظَر : بُحوثٌ لُغويَّة : ٧٢ ؛ والبَلاغَةُ والتَّطبيق : ٣٢٢.

الحقيقة الشرعية يفتح الباب أمام تعريب العلوم والفنون الحضارية حينئذ ؛ لأن الأساس الذي يقوم عليه الحقيقة الشرعية ينطبق على الحقيقة العرفية ، لكلتا الحقيقتين مجاز ، لكن حين يستعمله العلماء أو أصحاب الحرف والصنّاعات يصبح مصطلحًا أو لفظًا حضاريًّا لا ينصرف الذهن إلى غيره ، بل قد يُنسى أصله القديم[19].

٥. التوليد :

ذكرنا آنفًا رجحان أن يكون التوليد هو الوسيلة الرئيسة الثانية لوضع المصطلح بعد الترجمة ، وأنّه ينقسم على قسمين : أحدهما الاشتقاق ؛ والآخر المجاز . وعلى الرغم من أنّ الدكتور أحمد مطلوب قد عدّه وسيلة رئيسة ، نجده ينصّ على أنّه يكون بالاشتقاق أو المجاز أو النقل[20] ، وهذا موافق لما ذكرنا.

٦. الاقتراض :

عرّفه الدكتور أحمد مطلوب بأنّه أخذ كلمة أو أسلوب من لغة واستعمالهما في لغة أخرى[21]. وذكر أنّه على قسمين : أحدهما التعريب ، وعرّفه بأنّه أن تُصاغ الألفاظ الأجنبية صياغة لا تخرج عن ذوق العربيّة ، وأن تكون خاضعة لمقاييس العربيّة وأبنيتها وحروفها وجرسها ، ويشمل ذلك [illegible] المصطلحات التي يستعصي علينا وضع لفظ عربيّ لها الآن[22] ؛

.٨٣

ق : ٢٤

: ٢٤.

عراق : ١٩ ، و٣٦.

والقسم الآخر تعرفه النحل، وعرّفه بأنه ما بقي على حاله غريباً في اللغة العربية [illegible] بعد دخوله معاجم العربية [illegible] بحروفه. وذكر أنّه يغلب في بعض المصطلحات العلمية التي لا يمكن صوغها على وفق الأبنية العربية، وبذلك يتّضح إدخال ما لا يعرف عند المصدر النصوصي[73].

٧. النحت :

سبق أن ذكرنا أن من أهل العلم من أدرج النحت في الاشتقاق. بيد أنّ الدكتور أحمد مطلوب أفرده عنه. وعرّفه بأنّه أخذُ كلمةٍ من كلمتين أو أكثر مع المناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه حتّى لا يقعَ لبسٌ، نحو أن يقال: بسمل، ومن (بسم الله الرحمن الرحيم)، وذكر أنّه إنّما يُلجأ إليه للاختصار[74]، وأنّهُ ليس كثيراً في العربية وأنّ هذه القلّة لا تُبيحُ التوسّع فيه لأنّهُ غيرُ مُستساغٍ في كثيرٍ من الصّيغ ولا سيّما ما استعمله بعضُ المُحْدَثين في مؤلّفاتِهم ومُترجماتهم، ولذلك قد يكون استعمالُ كلمتَيْن أو أكثرَ خيراً وأجدى إذا أدّى النحتُ إلى مصطلحات لا يقبلُها الذوقُ السّليمُ ولا الدّقّةُ العلميّةُ كقول بعضهم في (فحم السُّكر): فحْمَس، أو فسكَرٌ، أو فحْسَكٌ، أو فحْكَرٌ، أو قولهم في (كبريتات + أكسيجين + حديد): كُبْأكْحَدٌ، بدلًا من (كبريتات الحديد)[75]. وقد تجلّى موقفُ الدكتور أحمد مَطلوب من النَّحت وسيلةً لِوَضع المُصطلحات الحديثة في القرار الخاصّ بالنَّحت الذي وَضَعَتْهُ لجنــةُ اللُّغــةِ العَرَبيَّــةِ فــي المجمَــع العلمــيّ العِراقــيّ التــي كــانَ الــدكتور أحمد

---

(73) يُنظر: بحوثٌ مصطلحية: ٣٦ ...

(74) يُنظر: فصولٌ في العربيّة: ٢٦٧، والنحت في اللغة العربيّة – دراسةٌ ومعجم: ٤.

(75) يُنظر: بحوثٌ مصطلحيّة: ٢٨–٢٩، والاشتقاق: ٤٣٦، و٤٤١.

[illegible] المجمع [illegible] هو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

قديم [illegible] ستنفاد وسائل [illegible] اللغة من اشتقاق ومجاز واستعارة لغوية [illegible] على أن تلجئ إليه ضرورة قصوى، وأن يراعى في اللفظ المنحوت الذوق العربيّ وعدم اللبس[illegible].

رابعا. قواعدُ وَضع المصطلحات :

نُفصحُ عن قواعدِ وضع المُصطلحِ عند الدُكتور أحمد مطلوب مجموعةَ القواعد العامَّةِ لِوَضع المُصطلحات التي وَضعتْها لجنةُ اللغةِ العربيّةِ في المجمع العلميّ العراقيّ التي كان هو أحدَ أعضائها. ويُلحظُ تقارُبُ عَدَدٍ من هذه القواعد مع القواعدِ التي وضعتْها المجامعُ اللُّغويَّةُ الأخرى في العالم العربيّ ولا سيّما مَجمعُ اللُّغة العربية القاهريّ ، ويُلحظُ كذلك تقارُبُها الكبيرُ جدًا مع المبادئ الأساسيّة لاختيار المصطلحاتِ العلميّة ووضعِها التي أقرَّتْها ندوةُ توحيدِ مَنهجيّاتِ وضعِ المُصطلحِ العلميّ العَرَبيّ التي عُقدتْ في الرِّباط عام ١٩٨١ والتي اشتركتْ فيها عدةُ هيئاتٍ ومؤسساتٍ منها المجمع العلميُّ العراقيُّ . وسأسردُ في الآتي قواعد المجمع العلميّ العراقيّ مُبيِّنًا نقاطَ التداخل بينها وبين قواعدِ مجمع اللغة العربيّة القاهريّ ومبادئ ندوة توحيد المنهجيّات ، أو نقاطَ مُخالَفَة بعض أهل العلم لبعضها.

[illegible] حركة التعريب في العراق : ١٨٢. وينظر : البحث في اللغة العربية – دراسة ومعجم : ٣٨.

١. **القاعدة الأولى** : مراعاة التماثل أو التشارك بين مدلولي اللفظ اللغوي والاصطلاحي ولو لأدنى ملابسة[٧٧]. وجاء في قرارات المجمع القاهري أنه يحسن ذكر المناسبة أو الأصل اللغوي الذي يعتمد عليه في اختيار الكلمات[٧٨]، وشددت ندوة الرباط على ضرورة ذلك[٧٩].

٢. **القاعدة الثانية** : الاقتصار على مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد[٨٠]. ونصّ أحدُ قرارات المجمع القاهري على أنّ المصطلحات العلمية والفنّيّة والصناعيّة يجبُ أن يُقتصر فيها على اسم واحد خاصّ لكلّ معنى[٨١].

٣. **القاعدة الثالثة** : تجنُّبُ تعدّد الدلالات للمصطلح الواحد[٨٢]، وأكّدت ندوة الرباط ذلك[٨٣]. ويُلحظ تكامُل القاعدتين الثانية والثالثة ؛ فالقاعدةُ الثانيةُ تُوجبُ توحيد المصطلح وعدمَ تعدُّد المصطلحات الدالّة على مفهوم واحد ، والقاعدةُ الثالثةُ تُوجبُ توحيد المفهوم وعدمَ تعدُّد مفاهيم المصطلح

---

(٧٧) يُنظر : بحوث مُصطلحيّة : ٤١ ، و١١٥.

(٧٨) يُنظر : مجمع اللغة العربيّة في ثلاثين عاماً ١٩٣٢-١٩٦٢ : ١٥٠.

(٧٩) يُنظر : ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلميّ العربيّ : ١٧٥.

(٨٠) يُنظر : بُحوث مُصطلحيّة : ٤١ ، و١١٥.

(٨١) يُنظر : مجمع اللغة العربيّة في ثلاثين عاماً ١٩٣٢-١٩٦٢ : ١٤٤.

(٨٢) يُنظر : بحوث مصطلحيّة : ٤١ ، و١١٥.

(٨٣) يُنظر : ندوة توحيد منهجيّات وضع المصطلح العلميّ العربيّ : ١٧٥.

الواحد ، والقاعدةُ الثانيةُ تُحاوِلُ تجنُّبَ مُشكلةِ التَّرادُفِ في الاصطلاحِ ، أمّا القاعدةُ الثالثةُ فتسعى إلى تجنُّبِ مشكلةِ الاشتراكِ اللفظيِّ فيها[84].

٤. **القاعدةُ الرابعةُ** : التزامُ ما استقرَّ قديمًا من مصطلحاتٍ عربيَّةٍ وهو صالحٌ للاستعمالِ الجديدِ[85]. وكذلك فضَّلَ المجمَعُ القاهريُّ المُصطلَحاتِ العَرَبِيَّةَ القديمةَ على الجديدةِ ، إلّا إذا شاعتْ[86] ، ووافقَتْهُ ندوةُ الرِّباطِ في ذلكَ[87].

٥. **القاعدةُ الخامسةُ** : تجَنُّبُ المُصطلَحاتِ الأجنبيَّةِ[88]. وينصُّ المبدأُ السَّابِعُ من مبادئِ ندوةِ الرِّباطِ على تفضيلِ الكلِماتِ العربيَّةِ الفَصيحةِ على الكلِماتِ المعرَّبةِ[89].

٦. **القاعدةُ السادسةُ** : إيثارُ اللفظةِ المأنوسةِ على اللفظةِ النَّافِرةِ الوحشيَّةِ أو الصَّعبةِ النُّطقِ[90]. وكذلكَ آثَرَ المَجمَعُ القاهِريُّ السُّهولةَ في اختيارِ ألفاظِ الشُّؤونِ العامَّة ، وأوصى أن تُدقِّقَ لجنَةُ الشُّؤونِ العامَّة اختيارَ الكلماتِ بحيثُ تكونُ سَهلَةً خفيفةً على اللِسانِ بقَدرِ الإمكانِ[91] ، وفَضَّلَتْ

---

[84] يُنظَر : من قضايا المُصطلَح اللُغويّ المعاصر : ١/٨٩.

[85] يُنظَر : بحوثٌ مُصطلَحيَّة : ٤١ ، و١١٥.

[86] يُنظَر : مجمَعُ اللُّغَةِ العَرَبيّة في ثلاثين عامًا ١٩٣٢-١٩٦٢ : ١٤٣.

[87] يُنظَر : ندوةُ توحيد منهجيّات وضع المُصطلَح العِلميّ العَرَبيّ : ١٧٥.

[88] يُنظَر : بُحوثٌ مُصطلَحيَّة : ٤١ ، و١١٥.

[89] يُنظَر : ندوةُ توحيد منهجيّات وضع المُصطلَح العِلميّ العَرَبيّ : ١٧٦.

[90] يُنظَر : بُحوثٌ مُصطلَحيَّة : ٤١ ، و١١٥.

[91] يُنظَر : مجمَعُ اللُّغَةِ العَرَبيّة في ثلاثين عامًا ١٩٣٢-١٩٦٢ : ١٤٧.

ندوةَ الرّباط الصِّيغة الجَزلَةَ الواضحَة على النّافر من الألفاظ[٩٢].

٧. **القاعِدَةُ السّابِعَةُ** : ألّا يُشتَقَّ مِن المُصطلَح إلّا بقَرارِ هَيئةٍ عِلميَّةٍ مُختَصَّةٍ بوَضعِ المُصطلَحاتِ[٩٣].

٨. **القاعِدَةُ الثّامِنَةُ** : إيثارُ اللفظةِ المُفردة على المُصطلَح المُركَّب أو العبارةِ لِتَسهيلِ النّسبةِ والإضافةِ ونَحوِهما[٩٤]. ونَصّ المَبدأُ الحادي عَشَر مِن مَبادِئ ندوةِ الرّباطِ عَلى تَفضيلِ الكلمَةِ المُفرَدَةِ ؛ لأنّها تُساعِدُ عَلى تَسهيلِ الاشتِقاقِ والنِّسبَةِ والإضافَةِ والتَّثنيَةِ والجَمع[٩٥].

٩. **القاعِدَةُ التّاسِعَةُ** : تَجَنُّبُ الألفاظِ العامّيَّة[٩٦]. وأَوصى المبدَأُ الثّامِنُ مِن مَبادِئ نَدوَةِ الرّباطِ بِتَجَنُّبِ الكلِماتِ العامّيَّةِ إلّا عِندَ الاقتِضاءِ بِشَرطِ أن تَكونَ مُشتَرَكَةً بَين عِدّةٍ لَهَجاتٍ عَرَبيَّةٍ وأن يُشارَ إلى عامّيَّتِها بِأن تُوضَعَ بَينَ قَوسَيْنِ مَثَلًا[٩٧].

---

(٩٢) يُنظَر : نَدوَةُ تَوحيدِ مَنهَجِيّاتِ وَضعِ المُصطلَحِ العِلميِّ العَرَبيّ : ١٧٦.

(٩٣) يُنظَر : بُحوثٌ مُصطلَحِيَّة : ٤١ ، و١١٥.

(٩٤) يُنظَر : بُحوثٌ مُصطلَحِيَّة : ٤١ ، و١١٥.

(٩٥) يُنظر : نَدوَةُ تَوحيدِ مَنهَجِيّاتِ وَضعِ المُصطلَحِ العِلمِيِّ العَرَبيّ : ١٧٦.

(٩٦) يُنظَر : بُحوثٌ مُصطلَحِيَّة : ٤٢ ، و١١٥.

(٩٧) يُنظَر : نَدوَةُ تَوحيدِ مَنهَجِيّاتِ وَضعِ المُصطلَحِ العِلمِيِّ العَرَبيّ : ١٧٦.

١٠. **القاعـدَةُ العاشـرةُ** : تفضـيلُ مُصـطلحات التُراث العَربـيّ علـى المُولّداتِ والمُحْدَثاتِ[٩٨]. ولا يخرج مَضمونُ هذهِ القاعدَة عمّا جاءت به القاعدةُ الرّابعةُ .

١١. **القاعِدةُ الحادِيـة عشرَةَ** : تَرجَمةُ المُصطلَحِ الأجنَبيّ عِندَ ثُبوتِ دلالتِهِ علـى مَعناهُ الاصطِلاحيّ[٩٩]. وهذهِ القاعِدةُ مُوافقةٌ لِلمَبدأ الثّاني عشر مِن مَبادِئ ندوةِ الرّباطِ[١٠٠]. وقَد أوضَحَ الدُكتور جميل المَلائكة هذهِ القاعِدة بما ذَكرَهُ من وُجوبِ النّظَر عندَ اختيار مُصطلَح عرَبيّ يُقابِلُ المُصطلَحَ الأجنَبيَّ إلى المَدلولِ الاصطِلاحِيّ لِلمُصطلَحِ الأجنَبيّ قَبلَ معناهُ اللُّغويّ ؛ لأنَّ كَثيرًا مِن المُصطلَحاتِ العلمِيَّةِ رُبَما لا يُؤدّي مَعناها اللُّغويُّ سوى جُزءٍ ضَئيلٍ مِن مَدلولِها الاصطِلاحيّ ، أو لا تَربِطُ بينَهُما سِوى علاقةٍ ضَعيفةٍ ، لكِنَّ واضِعي المُصطلَح يتَواضعونَ عَلى إضفاءِ مَدلولٍ مُعيّنٍ عَلى لَفظٍ عِندَما لا يَجِدونَ اللفظَ الذي يُؤدّي ذلكَ المَدلولَ ويَستوعِبُهُ[١٠١].

١٢. **القاعـدَةُ الثّانيـةَ عشـرةَ** : تجنُّبُ تعريبِ المُصطلَحاتِ الأجنَبيَّةِ إلّا إذا تَعذّرَ العُثورُ عَلى لَفظ عَرَبيّ مُوائمٍ[١٠٢]. وكانَ المَجمَعُ القاهِريُّ قَد أصدَرَ قَرارًا بِشأنِ التَّعريبِ يُوافِقُ مَضمونُهُ مَضمونَ قَرارِ المَجمَعِ العِراقِيّ هذا ، إذ جاءَ فيهِ أنّهُ "يُجيزُ المَجمَعُ أن يُستَعمَلَ بَعضُ الألفاظِ الأعجَمِيَّةِ عندَ

---

[٩٨] يُنظر : بُحوثٌ مُصطلَحيّة : ٤٢ ، و١١٥.

[٩٩] يُنظر : بُحوثٌ مُصطلَحيّة : ٤٢ ، و١١٥.

[١٠٠] يُنظر : ندوةُ تَوحيدِ مَنهَجيّاتِ وَضعِ المُصطلَحِ العِلميّ العَرَبيّ : ١٧٦.

[١٠١] يُنظر : من قضايا المُصطلَحِ اللُّغويّ المُعاصِر : ١/١٣٣-١٣٤.

[١٠٢] يُنظر : بُحوثٌ مُصطلَحيّة : ٤٢ ، و١١٦.

الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم[103] ، ونصّ المبدأ السّابع عشر من مبادئ ندوة الرّباط على أنّ التّعريب إنّما يكونُ عند الحاجةِ ، ولا سيّما في حالة المُصطلحات ذات الصّيغة العالميّة كالألفاظ ذات الأصل اليونانيّ أو اللاتينيّ أو أسماء العلماء المستعملة مصطلحات أو العناصر والمُركّبات الكيماويّة[104].

١٣. **القاعدةُ الثّالثة عشرة** : أن يراعى عند استعمال الألفاظ الأعجميّةِ أسهلُ نُطقٍ في رسمِ الألفاظ المُعرّبةِ عند اختلاف نطقها باللّغاتِ الأعجميّةِ ، وإحداثُ بعضِ التّغيير في نُطقِ المصطلحِ المُعرّبِ ورسمه ليَتّسقَ مع النُّطقِ العربيّ[105]. وهذهِ القاعدةُ مُوافقةٌ لما نصّتْ عليهِ مُقرّراتُ المجمعِ القاهريّ مِن النُّطقِ بالاسمِ المُعرّبِ على الصُّورةِ التي نطقتْ بها العربُ[106] ، ومُوافقةٌ كذلكَ لِمُتَضمّناتِ المبدإ السّابع عشر من مبادئ ندوة الرّباط الخاصّ بالتّعريب[107].

١٤. **القاعدةُ الرّابعةَ عشرةَ** : تَجَنُّبُ استعمالِ السّوابقِ واللّواحقِ الأجنبيّةِ ؛ لأنّ العربيّةَ لُغةٌ اشتقاقيّةٌ لا إلصاقيّةٌ[108]. وحاصِلُ هذهِ القاعِدَةِ الحَثُّ عَلى اعتمادِترجَمةِ المُصطلحاتِ الأجنبيّةِ التي فيها سَوابِقُ أو لَواحِقُ

---

(١٠٣) المَجامعُ العَربيّةُ وقَضايا اللّغة : ٢١٧-٢١٨.

(١٠٤) يُنظَر : نَدوةُ تَوحيدِ مَنهجيّاتِ وَضعِ المُصطلَحِ العِلميّ العَربيّ : ١٧٦.

(١٠٥) يُنظَر : بُحوثٌ مُصطلَحيّة : ٤٢ ، و ١١٦.

(١٠٦) يُنظَر : من قضايا المُصطلَحِ اللّغويّ المُعاصِر : ١٦٧/١.

(١٠٧) يُنظَر : ندوةُ توحيد مَنهجيّاتِ وَضعِ المُصطلحِ العِلميّ العَربيّ : ١٧٦.

(١٠٨) يُنظَر : بُحوثٌ مُصطلَحيّة : ٤٢ ، و ١١٦.

بالأبنيةِ الصَّرفيَّةِ العَرَبيَّةِ ، بُغيةَ إيجادِ قاعدةٍ مُطَّرِدةٍ تُسهِّلُ توفيرَ المُقابِلاتِ العَرَبيَّةِ لِلكلماتِ المُشتمِلَةِ عَلى تلكَ اللَّواصِق[١٠٩].

١٥. **القاعِدَةُ الخامِسَةَ عَشرَة** : استِعمالُ كُلِّ لَفظٍ مِن الألفاظِ المُتَرادِفَةِ في مَعناهُ الخاصِّ في المُصطلَحاتِ العِلمِيَّة ؛ لأنَّ المُتَرادِفاتِ كَثيرًا مَا تَكونُ أوصافًا لا تُرادُ بِها المُطابَقَةُ التّامَةُ في المَعنى[١١٠]. ولا يَخرُجُ مَضمونُ هذهِ القاعِدَةِ عَمّا جاءَ في المَبدأَيْنِ الثّالِثَ عشَرَ والخامِسَ عَشَرَ مِن مَبادِئِ نَدوَةِ الرّباطِ[١١١].

١٦. **القاعِدَةُ السّادِسَةَ عَشرَةَ** : ألّا يُلجَأَ إلى النَّحتِ إلّا عِندَ عَدَمِ العُثورِ عَلى لَفظٍ عَرَبِيٍّ قَديمٍ واستِنفادِ وَسائِلِ اللُّغَةِ مِن اشتِقاقٍ ومَجازٍ واستِعارَةٍ لُغَوِيَّةٍ وتَرجَمَةٍ ، وأَن يُراعى في اللَّفظِ المَنحوتِ الذَّوقُ العَرَبِيُّ وعَدَمُ اللَّبسِ[١١٢]. ولا يَختَلِفُ مَضمونُ هذهِ القاعِدَةِ عَمّا قَرَّرَتْهُ اللجنَةُ التي كانَ المَجمَعُ القاهِرِيُّ قَدشَكَّلَها عامَ ١٩٤٧ لِبَحثِ مَوضوعِ النَّحتِ ومَدى الاستِفادَةِ مِنهُ ، إذ وافَقَتْ عَلى إباحَتِهِ عِندَما تُلجِئُ إليهِ الضَّرورَةُ العِلمِيَّةُ[١١٣].

وبَعدُ ، فما مَضى لَيسَ سِوى غَيضٍ مِن فَيضٍ مِمّا سَطَّرَتْهُ أَنامِلُ أُستاذِنا الرّاحِلِ الدُّكتورِ أحمَد مَطلوب في مَوضوعِ المُصطلَحِ ، ولَولا ضِيقُ المساحَةِ المُخَصَّصَةِ لِهذا البَحثِ لكَشَفْنا عَن المَزيدِ مِن جُهودِهِ في هذا المَجالِ

---

(١٠٩) يُنظَر : علمُ المُصطلَح وطرائقُ وضعِ المُصطلَحات في العَرَبيَّة : ٤٩–٥٠.

(١١٠) يُنظَر : بُحوثٌ مُصطلَحِيَّة : ٤٢ ، و١١٦.

(١١١) يُنظَر : ندوةُ توحيدِ منهجيّاتِ وضعِ المُصطلَحِ العِلميِّ العَربيّ : ١٧٦.

(١١٢) يُنظَر : بُحوثٌ مُصطلَحِيَّة : ٤٢–٤٣ ، و١١٦.

(١١٣) يُنظَر : المَجامعُ العَرَبيَّةُ وقضايا اللُّغة : ٢٤٤–٢٤٥.

الحبوي . فرحم الله راحلنا وجزاه بكل حرف كتبه خدمة للغته الشريفة حسنة تثقل ميزانه ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون﴾ (النحل : ١١١).

المصادر

- القرآن الكريم

- أبنية الصرف في كتاب سيبويه – معجم ودراسة ، الدكتورة خديجة الحديثي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م.

- الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، الدكتور محمود فهمي حجازي ، دار غريب ، القاهرة ، د.ط. ، د.ت.

- الاشتقاق ، عبد الله أمين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

- الأصول – دراسة إيبستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي ، الدكتور تمام حسان ، دار الثقافة – الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- ألفاظ حضارية ، لجنة اللغة العربية في المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع العلمي ، د.ط. ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

- بحوث لغوية ، الدكتور أحمد مطلوب ، دار الفكر ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م.

- بحوث مصطلحية ، الدكتور احمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي ، العراق ، د.ط. ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- البلاغة والتطبيق ، الدكتور أحمد مطلوب والدكتور كامل حسن البصير ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – جامعة بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.

- تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسينيّ الملقّب بمرتضى الزبيديّ (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة.

- التهذيب في أصول التعريب، الدكتور أحمد عيسى، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، الطّبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- حركة التّعريب في العراق، الدكتور أحمد مطلوب، المنظّمة العربيّة للتربية والثّقافة والعلوم – معهد البحوث والدّراسات العربيّة، بغداد، د.ط، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت١٥٥هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطّبعة الثّانية، ١٤٢٤هـ.

- ديوان النّابغة الذّبيانيّ، جمع وشرح وتكميل وتعليق محمّد الطّاهر بن عاشور، الشّركة التّونسيّة للتّوزيع، تونس، د.ط، د.ت.

- رفوق عمري في كتابات الآخرين، الدّكتورة خديجة الحديثيّ، المطبعة المركزيّة – جامعة ديالى، العراق، د.ط، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

- صحيح مسلم – مع شرح الإمام محيي الدّين النّوويّ المتوفّى سنة ٦٧٦هـ المسمّى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج، أبو الحسين مُسْلِمُ بنُ الحجّاج النّيسابوريّ (ت٢٦١هـ)، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطّبعة الخامسة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

- [illegible] المصطلح ومصطلح [illegible] الأصوليين، [illegible] بن عبد [illegible] الباحسين، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، [illegible] م.
- علم المصطلح – أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، الدكتور علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، الدكتور ممدوح محمد خسارة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- عوامل تنمية اللغة العربية، الدكتور توفيق محمد شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م
- فصول في العربية، الدكتور أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي، العراق، د.ط.، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- الفكر اللغوي وألفاظ الحضارة عند محمود تيمور، الدكتور فتح الله أحمد سليمان، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ط.، د.ت.
- في اللغة ودراستها، الدكتور محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، د.ط.، ١٩٧٤م.
- في المصطلح النقدي– دراسة ومعجم، الدكتور أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
- المجامع العربية وقضايا اللغة (١) – من النشأة إلى أواخر القرن العشرين، الدكتورة وفاء كامل فايد، عالم الكتب، القاهرة، د.ط.، ٢٠٠٤م.

- مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ١٩٣٢-١٩٦٢ - مجموعة القرارات العلمية من الدورة الأولى إلى الدورة الثامنة والعشرين ، محمد خلف الله أحمد ومحمد شوقي أمين ، مجمع اللغة العربيّة ، الجمهوريّة العربيّة المتحدة ، الطّبعة الثانية ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- المصطلحات العلميّة في اللغة العربيّة في القديم والحديث ، الأمير مصطفى الشّهابيّ ، جامعة الدُّول العربيّة – معهد الدراسات العربيّة العالية ، د.ط. ، ١٩٥٥م.
- مُعجَمُ الحضارة الحديثة ، الدُّكتور أحمد مطلوب ، بحث في مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق – المجلّد (٧٨) – الجزء (٣) ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- معجم مُصطلحات النّقد العربي القديم ، الدُّكتور أحمد مطلوب ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، الطّبعة الأولى ، ٢٠٠١م.
- المُعجمُ الوسيط ، مَجمعُ اللّغة العربيّة بالقاهرة ، الطّبعة الرّابعة ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- مفاتيحُ العُلوم ، أبو عَبد الله مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ بن يوسُفَ الخوارزميّ (٣٨٠هـ) ، دار المناهل ، بيروت ، الطّبعة الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- مِن أسرارِ اللّغة ، الدُّكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، القاهرة ، الطّبعة الخامسة ، ١٩٧٥م.
- مِن قَضايا المُصطَلَح اللّغويّ المُعاصِر ، الدُّكتور مُصطفى طاهر الحيادرة ، عالمُ الكُتب الحديث ، إربد – الأردن ، د.ط. ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- منهجُ المُعجَميَّة ، جورج ماطوري ، ترجمة عبد العليّ الودغيري ، منشورات كلّيّة الآداب بالرّباط ، د.ط. ، د.ت.
- ندوةُ توحيدِ منهجيّات وضع المصطلح العلميّ العربيّ - في ضمن (مجلّة اللِّسان العَربيّ) ، العدد ١٨-١ ، ١٩٨٠م.
- النّحتُ في اللُّغة العَربيّةِ - دراسةٌ ومُعجم ، الدُّكتور أحمد مطلوب ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، الطّبعة الأولى ، ٢٠٠٢م .

مسوّغات تصحيح الاستعمال اللغوي
في (معجم تصحيح التصحيح) للعلّامة
أحمد مطلوب

الأستاذ المساعد الدكتور
محمّد هادي محمّد عبد الله العيساوي
جامعة الفلوجة ـ كلية العلوم الإسلامية
قسم اللغة العربية

الملخّص :

في جهود بعض المعاصرين في التصحيح اللغوي هناك قيود لا تتوافق مع روح اللغة ، فكان نقد العلّامة احمد مطلوب تصحيحًا بحسب سعة العربية ، وبحثي هذا يقف على جهده في هذا الجانب ، فكان عنوانه (مسوّغات تصحيح الاستعمال اللغوي في "معجم تصحيح التصحيح" للعلّامة أحمد مطلوب ، ت: ٢٠١٨م) ، وقسمته على مقدمة وتمهيد ومطلبين ، فالتمهيد (معجم تصحيح التصحيح تعريف وبيان) ، والمطلب الأول (مظاهر التسويغ في التنظير العلمي) ، والثاني (مظاهر التسويغ في الواقع الاستعمالي) تعقبهما خاتمة ونتائج ، وقسمتُ كل مطلب على فقر بحسب ما يناسبه علميًا ، وكان منهجي منهجًا وصفيًا سبرتُ فيه غور المعجم وتحليلاته ، ولاسيّما أنّ اللغة أداة فاعلة في نهضة الأمم ، فالنظرة الضيقة في تصحيح استعمالاتها تجعلها في حلبة اللغات غير

المشاكلة على عكس حقيقة لغتنا العربية التي وسعت بيناتها بما تملكه من مرونة في الاشتقاق وسعة في التعبير

المقدمة .

يعدّ العلامة احمد مطلوب رحمه الله تعالى من القليل المنتقى ممّن يجمع برصانة ودقة وعُمق بين اللغة والأدب في دراسة العربية فضلا عن إبداعه فيها نظما ونثرا . وله في كلا الأمرين جهود متنوّعة ، ومنها جهدُهُ في التصحيح اللغوي ، وتماز مشاركته فيه بميزات مهمّة أحدها رئاسة المجمع العلمي العراقي ، وهذه تجعله يقف على متطلبات المصطلح العلمي واحتياجات لغة العلوم ، فيتعرّف إلى معالجة بما تمتلكه اللغة من طاقات ، والثانية أنه أستاذ جامعي ومؤلف بارع ، وهذه تجعله يقف على التنظير العلمي للعربية ويوازنه بمنتجها الإبداعي ، فيتحقّق من إمكاناتها في مسايرة التطور ، والثالثة أنه أديب شاعر ، وهذه تمكّنه من توظيف اللغة ، ويبدو أنّ ذلك كله جعله يراجع ما كُتب في التصحيح اللغويّ عند المعاصرين ، فدرسه من جهة تذوّق الاستعمال ومعرفة دلالته . فالتصحيح اللغوي إن لم ينبع من فهم معاني اللغة وإدراك أساليبها وتذوّق دلالتها يصبح عبئا عليها ، ومن هنا جاء مؤلّفه (معجم تصحيح التصحيح معجم في الأخطاء اللغوية) ؛ ليعالج مشكلة قائمة ، إذ إنّه في جهود بعض المعاصرين هناك قيود لا تتوافق مع روح اللغة ، وهذه المشكلة يراد لها حلّ يلائم بين روح الاستعمال وضوابط اللغة ، فكان مؤلّفه سبيلًا في ذلك بما يساير سعة العربية .

مما تقدم [illegible] هذا البحث للوصول إلى مقاربات [illegible] في سبر غور جهد العلامة أحمد مطلوب في التصحيح اللغوي ، ومعرفة مسوغات معالجاته بما يُفيدنا في تصحيح انحراف الاستعمال اللغوي ، ولاسيما أنّ اللغة أداة فاعلة في نهضة الأمم ، فالنظرة الضيقة في تصحيح استعمالاتها تجعلها غير متفاعلة . على عكس حقيقة لغتنا التي يُسعف متداولها بما تملكه من وسائل النماء . فكان بحثي (مسوغات تصحيح الاستعمال اللغوي في 'معجم تصحيح التصحيح' للعلامة احمد مطلوب ، ت: ٢٠١٨م) مشاركة في هذا الجانب ، وقسمته على مقدّمة وتمهيد ومطلبين . فالتمهيد (معجم تصحيح التصحيح تعريف وبيان) ، والمطلب الأول (مظاهر التسويغ في التنظير العلمي) ، والثاني (مظاهر التسويغ في الواقع الاستعمالي) تعقبهما خاتمة بنتائج وتوصيات ، وثبت المصادر والمراجع ، واتبعت في البحث المنهج الوصفي.

إنّ العلامة أحمد مطلوب (رحمه الله تعالى) قد دُرس برسائل وأطاريح وأبحاث جامعية . وهو ما سأوضّحه في التمهيد؛ لكنّني لم أقف على من خصّص دراسة علمية عميقة منفردة لمعجمه هذا ، فإن أكن قد وُفّقت فلله الفضل والمنّة ، وإنْ تكن الأخرى فحسبي أنّي حاولتُ أنْ أخدمَ اللغة العربية في موضوع مهم من موضوعات دراسة استعمالها اللغوي .

التمهيد :

(معجم تصحيح التصحيح) تعريف وبيان

كان لحرص العلّامة أحمد مطلوب وتسنمه كثيرا من المناصب الإدارية والعلمية أثر في قيادة دفة الحفاظ على اللغة العربية[1] ، فوقف بقوة المؤمن بقضايا أمته ومكانة لغتها حارسًا أمينًا عليها بما يخدمها دراسة واستعمالا ، والذي يعنينا من جهوده ما يخص جانب التصحيح اللغوي في كتابه (معجم تصحيح التصحيح) ، إذ نقد فيه بعض التصحيحات اللغوية ، وأعطى المعالجات الواقعية ، فكان لا بد من التعريف بمعجمه هذا من غير إطناب ممل ولا إيجاز مخل ، وعلى النحو الآتي :

١. عنوان المعجم وطباعته :

بدأ هذا المعجم مذكّراتٍ وملاحظاتٍ سجّلها العلّامة أحمد مطلوب ، إذ قال : (كان التفكير في قراءة بعض ما أُلف في التصحيح اللغوي للوقوف على الآراء وتسجيل الملاحظات)[2] ، ثم (ما كان لهذه المذكرات أن تظل سجينة لا ينتفع بها ... ، حتى إذا جاء صوت الأستاذ الدكتور جورج متري عبد المسيح عبر الهاتف من بيروت لتستلّ تلك المذكّرات لتكون تصحيحا للتصحيح)[3] فطُبعتْ بعنوان (معجم تصحيح التصحيح معجم في الأخطاء اللغوية) بمطبعة "صائغ" في "جمهورية لبنان" بطبعتها الأولى عام (٢٠١٢م)

---

(1) ينظر : الهيئة العليا للعناية باللغة العربية ، الدكتور أحمد مطلوب : ١٩٥ ـ ٢٠٧.

(2) معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب : ٨.

(3) م . ن : ٨.

من القطع الكبير تقع بواقع (٢٠٤) صفحة ، وحقوق الطبع محفوظة لمكتبة (لبنان ناشرون) ، ولم أقف على غير هذه الطبعة ، وهي المعتمدة في بحثي هذا .

وعنوان المعجم يجعلك تظنّ أنه تركيب بشكل مستعجل ، فتكرار لفظ (معجم) مرتين أخلّ برشاقة العنوان ، فكأنه جملة شرحت المضمون ، وليس عنوانًا يمثل روح العصر ، فلعلّ العنوان وضع في المطبعة ، وأعلم به لاحقًا العلّامة أحمد مطلوب فوافق عليه من جهة أنّه يمثّل مضمون الكتاب.

٢.منهج المعجم:

(معجم تصحيح التصحيح) نوعٌ من التأليف المعجمي يعرف بالمعجمات الخاصّة وهي: مجموع دلاليّ يأخذ جانبًا محددًا ويعتمد على نوعٍ معيّنٍ من الاستعمال اللغوي ، كمعجمات المصطلحات العلمية والتعبيرات السياقية ومعجم ألفاظ الحضارة وغيرها[4] ، والمعجم الذي بين أيدينا هو مذكرات (نشر بعضها في أوراق مجمعية[5] كان المجمع العلمي في بغداد يصدرها)[6] ، ثم

---

[4] ينظر: صناعة المعجم الحديث ، الدكتور أحمد مختار عمر: ٣٩ـ ٤٠ ، والعربية والبحث اللغوي المعاصر ، الأستاذ الدكتور رشيد العبيدي: ١٢٥.

[5] كان نشرها على سنوات متتالية ، إذ نشر كل مجموعة منها في سنة ، فنشر عام (١٩٩٨م) ثلاثة منها ، وفي عام (١٩٩٩م) نشر اثنتي عشرة مذكرة منها ، وفي عام (٢٠٠٠م) نشر أيضًا اثنتي عشرة مذكرة منها ، وفي عام (٢٠٠١م) نشر أيضًا اثنتي عشرة مذكرة منها ، وفي عام (٢٠٠٢م) نشر أيضًا اثنتي عشرة مذكرة منها ، وفي عام (٢٠٠٣م) نشر اثنتين منها.

[6] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٨.

(أسهمت هذه الخطة في تكوين معجم التصحيح) ... على أي حال يمكننا تلخيص منهج المعجم بما يأتي :

أ. يتألف المعجم من مقدمة ثم مواد المعجم ، ثم فهارس المعجم من الآيات القرآنية الكريمة والأشعار والمصادر والمراجع ثم فهرس المواد).

ب. مقدمة المعجم مقالةٌ للعلاّمة احمد مطلوب بعنوان (التصحيح اللغوي) نشرها مرتين بحسب ما وقفت عليه الأولى في (مجلة اللغة العربية وآدابها ـ جامعة الكوفة) العدد (٦) في (حزيران ٢٠٠٨م)[8] ، والأخرى زاد عليها تطبيقات ونشرها في كتابه (التشريع اللغوي) الذي طبعه (المجمع العلمي العراقي) عام (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م)[9] ، ثم جعلها مقدمة معجمه في الصفحات (٥ ـ ٩) ، لكنه زاد عليها توصيات عن مشروع تصحيح التصحيح.

ت. مواد المعجم رتّبتْ بحسب حروف الهجاء الألفبائية ، فبدأ بالمواد التي أولها حرف الهمزة ، وأوّل لفظ فيها (الآتي) وانتهى بالمواد التي أولها حرف الياء ، وآخر لفظ فيها (اليمين) ، وكان أكثر الأبواب عددا هو باب حرف (الميم) ، إذ بلغ مجموع ألفاظه (٢٣) لفظا ، وأقلها باب

---

(7) م . ن : ٥.

(8) ينظر: التصحيح اللغوي ، بحث: الدكتور احمد مطلوب ، منشور في (مجلة اللغة العربية وآدابها) ، العدد: (٦) ، حزيران ٢٠٠٨ : ٦٧ ـ ٨٠.

(9) ينظر: التشريع اللغوي بحوث أخرى ، الدكتور احمد مطلوب: ٢٥ ـ ٤٦.

حرف (الذال) بلفظ واحد فقط ، وتتوزع باقي الأبواب حجماً بين هذين العددين .

ث. اعتمد المنهج التاريخي في دراسة الألفاظ ، فبدأ بذكر اللفظ وبيان الخلل في استعماله على ما يراه المصححون ، ثم عرض مسيرة اللفظ استعمالاً وتنظيراً ، وقد أصّل كل لفظ يدرسه من معجم (العين) ، فتعدّى بذلك الخلاف العلمي[١٠] في نسبته للفراهيدي ، فجعله بعمقه التاريخي الأصل الذي يرجع إليه في معرفة الدلالة المعجمية .

ج. لم يقف عند ما ذكرته المعجمات اللغوية عن اللفظ المراد تصحيحه ، بل تعدّاه إلى شواهد الاستعمال في كتب اللغة والأدب ، وقد أكثر من الشواهد بجميع تفصيلاتها حتى أنّه استدل باستعمالات العلماء في كتاباتهم داعماً بذلك رأيه في قبول اللفظ .

ح. حاول أن يذكر جميع الآراء التي درست اللفظ ممن تقدمه ، فيذكر المانعين والمجوّزين.

خ. يعتمد كثيراً في تصحيحه على قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة والمجامع الأخرى .

د. يحاول ما استطاع إلى ذلك سبيلاً أنْ يحافظ على اللفظ المستعمل ما وجد له أدنى ملابسة بسعة العربية ، فيحرص على عدم تخطئة الاستعمال ما وسعه التخريج بوسائل نمو اللغة.

---

[١٠] ينظر: المعاجم العربية ، الدكتور عبد الله درويش : ٤٧ ، والمعجم العربي ، الدكتور حسين نصار : ١: ٢٥٤.

ذ. وقف موقفاً حازماً بعدم قبول اللفظ الأعجمي والعامي ، وحرص على رد الألفاظ التي يُظَنّ أنها من العامي إلى منزلتها الفصيحة بأدلّة علمية.

ر. جعل المعنى والمعايير الدلالية في كثير من الأحيان عاملاً في حسم الخلاف.

ز. كان في كل ما تقدم هادئاً في العرض رصيناً في المناقشة واثقاً بطرحه موافقة أو ردّاً.

٣. دوافع تأليف المعجم :

لاحظ العلّامة أحمد مطلوب مآخذ متنوعة على من سبقه في التصحيح اللغوي ، ويمكن أن نعدّها دوافع له في إعادة النظر في ما كتبوه ، ومن أهمها أنهم اقتصروا في تصحيحهم على ما ورد في المعجمات ، وكذلك إهمالهم قسما كبيرا من كلام العرب وإهمال قسم من المؤلفات التي وضعها علماء لهم فضل في حفظ التراث ، وعدم الأخذ بوسائل نمو اللغة ولا القرارات التي أصدرتها المجامع العلمية[11] . فقال: (هذه مذكّرات ومراجعات دفع إليها الحرص على لغة العرب بعد أنْ كثرت كتب التصحيح ، وذهب أصحابها كلّ مذهب ، فإذا بالفصيح يُصبح خطأً ، وإذا بالقياس يُلغى ، وإذا بالاشتقاق يُعطَّل ، وإذا بالمجاز يُنكر بخلاف ما كان عليه القدماء من سعة أفق عند الأخذ بتلك الوسائل)[12] ، فأراد بمعجمه (الرجوع إلى الفصيح الأصيل ممّا

---

(11) ينظر : معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٧.

(12) معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٨.

عدّه بعض كتب التصحيح اللغوي خطأ؛ لأنّ أصحابها لم يأخذوا بوسائل نمو اللغة التي اتخذها القدماء[13].

٤.موارد المعجم :

في ثبت المصادر والمراجع الموجود في آخر المعجم بلغ عددها (٢٥٧) مؤلفاً[14] ، وقد تنوعت هذه المصادر والمراجع في العلوم والآداب والفنون ، فمصادره ومراجعه استوعبت الدراسة من جميع سبلها العلمية والاستعمالية ، ويدلّك هذا التنوّع على مقدار التتبّع الشامل لدراسة المادة حتى أنّك تستغرب في بعض الأحيان من وجود مصادر ومراجع ليست ذات اتصال مباشر في موضوعه ، ولكنّ رجوعك إلى توظيفها في المعجم يُبيّن لك أنّ فيها علاقة مفيدة بمعجمه ، فاستثمرها بحسب هذه العلاقة المهمة؛ لذا نقول: مصادر هذا المعجم ومراجعه كانتْ في دائرة التلاقح العلمي بين العلوم والآداب والفنون للوصول إلى النتيجة المرضية والمقنعة في عرض المادة ودراستها.

٥.الدراسات السابقة :

دُرِسَ العلاّمة أحمد مطلوب دراسات عدة[15] ، والتي وقفتُ عليها لا علاقة لها بموضوعنا ، ولكن هناك (رسالة ماجستير) في (جامعة بغداد ـ

---

[13] م. ن: ٨.

[14] ينظر: م. ن: ٢٦٥ ـ ٢٧٨.

[15] ينظر مثلا : (أحمد مطلوب وجهوده في تحديد المصطلحات البلاغية والنقدية ، للطالب ياسر محمود حمادي) رسالة ماجستير في جامعة الأنبار ـ كلية التربية ، سنة (٢٠٠٤م) ، و(أحمد مطلوب وجهوده البلاغية ، للطالبة نبراس جلال عباس) ، رسالة ماجستير في الجامعة المستنصرية ـ كلية التربية ، عام (٢٠٠٦م).

مظاهر التسويغ في التنظير العلمي

جاءت مشاركة العلّامة أحمد مطلوب في التصحيح اللغوي إيمانًا منه بأنّ إهمال بعض الألفاظ التي خُطّئ استعمالها وهي ليست كذلك سيفقد أثر اللغة في مسايرة التطور ، بل يجني على العربية نفسها التي تمتلك أدوات النمو ، ونحن نسعى (إلى تنميتها بوسائل نموّها المهمة كالقياس والاشتقاق والمجاز)[16] ، فـ(ما القياس والاشتقاق والمجاز إلا بعض تلك الوسائل التي نمت بها اللغة العربية خلال القرون الطويلة ولولا ذلك لعجزت عن التعبير)[17] ، فضلًا عن خشيته على العربية من التشتت بسبب التناحر ، فقال: (اختلفت المجامع العربية في التسمية ... ، وليس وراء هذا الاختلاف ما يخدم اللغة العربية والناطقين بها)[18] ، وإنّ مظاهر تسويغ الاستعمال اللغوي في التنظير العلمي عند العلّامة أحمد مطلوب في معجمه (تصحيح التصحيح) يمكن أن نوجزها بما يأتي :

أولا: شواهد الاستعمال الفصيح :

من المعروف أنّ العلماء وضعوا ضوابط مكانية وزمانية لأخذ اللغة ، وهو ما يُعرف بالمسموع من الفصيح ، وسُمّي هذا المسموع بالشواهد

---

(١٦) معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٢٢٣.
(١٧) م. ن: [illegible] – ١٢٧.
(١٨) م. ن: ٨٣.

اللغوية [illegible] مثل العلامة أحمد [illegible] [illegible] عند اللغة في بعض الأخبار لم يعتمده المحدثون ، فقال: (لكن بعض الذين غلوا بهذا المقياس [illegible] إلى تخطئة بعض ما ورد من كلام العرب ، ويرجع ذلك إلى ... إهمال قسم كبير من كلام العرب القديم شعره ونثره ، وعدم الاعتماد عليه ، وهو الثروة اللغوية التي لا يستغنى عنها)[19] . فأعاد قراءة كتب التراث قراءة واسعة واعية دقيقة ، فوقف على هذه النصوص المهمة في تثبيت صحة الألفاظ التي غلّط فيها ، وأوصى بالأخذ (باللغة العالية بلاغة وفصاحة ودقة[20] في التعبير كما هي في القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب الخلّص البلغاء)[21] [illegible] صح أنه من المآخذ على التصحيح اللغوي إهماله بعض [illegible] : (وكان هذا المعجم الذي هو بداية مشروع [illegible] أولو العزم لإعادة الحياة إلى الألفاظ التي ظن بعضهم أنها غير [illegible] على الرغم من أنها مسموعة ولم تنكرها وسائل تنمية اللغة)[22] ، فالذي يتصدر لمسألة التصحيح يجب عليه (أن يأخذ بثقافة لغوية عربية جيدة واطلاع على مصادر اللغة ... ، ونظر فاحص في نتاج الشعراء والأدباء في العصور الأولى وفي كتب الحديث الشريف والسيرة

---

(١٩) ينظر: أركان المبتدأ ، الشيخ حمدي الشيخ: ٢٧ ، وفي أصول النحو ، سعيد الأفغاني: ١٩.

(٢٠) معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٧.

(٢١) في [illegible] بالرفع والصحيح ما أثبت.

(٢٢) معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: [illegible].

(٢٣) م.ن: ٨.

النبوية المطهرة ، والاطلاع على قرارات المجامع العلمية[24] فيما يتعلق بإقرار الأساليب والألفاظ أو حصر استعمالها)[25] .

إن الأمثلة كثيرة في استناد العلّامة أحمد مطلوب إلى المسموع من الفصيح الذي أهمل . فمن ذلك تأييده تسويغ لفظ "المواصفة" ؛ لأنّ اشتقاق صيغتها مسموع[26] . ومن ذلك أيضاً دفاعه عن عربية لفظ (صك ــ صكوك) مستدلاً بما ورد في الحديث الشريف ، فقال: (الكلمة ليست معربة ولا مجمعبة ، وإنما هي قديمة استعملت منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وربّما قبل ذلك ، وذكرها في أحاديثه ، وشاع استعمالها في ما بعد ... ، وصفوة القول: إنّ كلمة "الصك" عربية . وإنها انتقلت إلى اللغات الأخرى بعد أن شاع استعمالها)[27] ، وكذلك فعل العلّامة أحمد مطلوب لترجيح عربية لفظ (الديوان) ، فبعد أن ذكر الأقوال التي ترى أنّها أعجمية أو معرّبة قال: (ما أغنى القدماء عن هذه التفسيرات والقول بعجمة "الديوان" ... وهي التي وردت في كلام أفصح العرب محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ... إن كلمة "الديوان" عربية ، وإنّها استعملت في الأغراض الإدارية كما تستعمل الآن ، أمّا أن عمر ــ رضي الله عنه ــ دوّن الدواوين فليس معناه أنّه أخذ الكلمة من الفرس ، بل قد يكون معناه أنّ

---

[24] ينظر : القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، خالد بن سعود: ٤٧ ، وما بعدها.

[25] في التصحيح اللغوي ، بحث الدكتور [illegible]: ٩٢.

[26] ينظر : معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٢٠٧.

[27] م . ن: ١٣٧.

العرب مستفادة ... لدى الفرس في هذا الميدان في الضبط والتدوين إذا صحّت [illegible]؟)[٢٨] ، وانظر إلى دفاعه عن لفظ (الترهات) في أنها ليست أعجمية ولا عامية مبتذلة ، بل فصيحة ، فقال مستنكرًا على من أخرجها من الفصيحة: (كيف تكون الكلمة فارسية معربة وقد ذكرها "رؤبة"[٢٩] الذي كان يتصيّد الغريب والغريب ويودعه أراجيزه ؟!)[٣٠] ، ومن ذلك أيضًا تأييده استعمال (عضوة) تأنيث (عضو) للدلالة على المرأة التي تكون في لجنة أو مؤسسة في العصر الحديث ، فإنها مسموعة عن العرب ، فقال: (العرب ذكروا كلمة "عضوة" ــ بكسر العين ــ كما ذكروا "الشلوة" مؤنث "الشلو")[٣١] ، ومن استعمال الأعلام في تسويغ اللفظ دفاعه عن لفظ (السندان) بأنها ليست أعجمية مستدلًا باستعماله اسمًا لشخص عند العرب ، فقال: (إنَّ "سندان" اسم قديم أُطلق على جد عبد الله بن أبي بكر[٣٢] المحدّث)[٣٣] .

---

[٢٨] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ١٠٧.

[٢٩] هو: أبو الجحاف رؤبة بن عبد الله العجّاج التميمي ، من الرجّاز الفصحاء ، (ت: ١٤٥هـ) ، ينظر: طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي: ٢: ٧٦١ ، والأعلام ، الزركلي: ٣: ٣٤.

[٣٠] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٥٩.

[٣١] م. ن: ١٤٨ ، وشلو الشيء: جزؤه وبقيته ، وجمعه "أشلاء" ، ينظر: المعجم الوسيط: ١: ٤٩١.

[٣٢] هو: ابن السندان الحربي ، أبو علي عبد الله بن أبي بكر ، المعروف بـ (ابن طليب) ، [illegible] صحيح السماع ، (ت: ٦٢٢هـ) ، ينظر: إكمال الإكمال ، ابن نقطة: ٣: ٢٦٨.

[٣٣] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ١٢١.

ثانيا: الاشتقاق والإلحاق :

نبدأ أولاً بالاشتقاق، وهو أنواع[34]، ولو أطلق فيراد به الاشتقاق الصغير[35]، وهو : (انتزاع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيبا ، ومغايرتهما صيغة)[36]، وقد جعله العلامة أحمد مطلوب من مسوغات تصحيح الاستعمال ، ولذا نجده قد قال عنه: (يسعى إلى تنميتها ـ أي : اللغة ـ بوسائل نموها المهمة كالقياس والاشتقاق)[37]، وقال أيضاً (ما القياس والاشتقاق ... إلا بعض تلك الوسائل التي تمدّ بها اللغة العربية خلال القرون الطويلة ، ولولا ذلك لعجزت عن التعبير)[38].

وتوسّع العلاّمة أحمد مطلوب فأجاز الاشتقاق من أسماء الأعيان ، وهو موطن خلاف بين العلماء[39]، فيرى بعضهم أنّ اسم الذات واسم المعنى لا يُشتق منهما قياساً ، ويكتفى بما سُمع ، لكنّ هذا فيه حجر واسعا[40]؛ لذا

---

[34] هي: الصغير ، والكبير ، والأكبر ، والكُبّار ، ينظر ، دراسات في فقه اللغة ، الدكتور صبحي الصالح: ١٧٤.

[35] ويسمى الأصغر ، أو العام ، ينظر: المهذب في علم التصريف ، الدكتور هاشم طه شلاش وجماعته: ٢٠١.

[36] التوقيف على مهمات التعاريف ، المناوي: ٦٦.

[37] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٢٢٦.

[38] م.ن: ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

[39] ينظر ، الصاحبي ، ابن فارس: ٥٧ ، والاشتقاق ، المغربي: ٦٠ ، وفقه اللغة ، الدكتور كاصد الزيدي: ٢٩٠.

[40] ينظر: الآلة والأداة ، الرصافي: ١٠ ـ ١١ ، وعلم الاشتقاق ، الدكتور محمد حسن حسن: ٤٩ ـ ٥١.

قال العلامة أحمد مطلوب: (استعمل "الجيل" للدلالة على من ينشؤون في زمن واحد صحيح ... ، ولا يضير أنْ يشتق فعلٌ من الكلمة ، فيقال: "جايله" ، ومصدرٌ ، فيقال: "المجايلة" ، كما اشتقت العرب من أسماء الأعيان)[41] ، بل جعل الاشتقاق ضابطًا لقبول اللفظ ، فإنْ لم نشتق منه كاللفظ الأعجمي لا نستعمله ، فقال: (كلمة "المَصْرف" هي الدالة على المقصود لارتباطها بالفعل "صرف" ، و"صرّف" ، والصرّاف ، والصّيرف ، والصيرفي" ، وكلها ذات دلالة واحدة تدل على ما يقوم به "المصرف" ، ولذلك لا عُذر لمَن نُصر على استعمال كلمة "بنك" التي لا يُمكن الاشتقاق منها كما اشتقت الكلمات الدالة على "الصيرفة" من الفعل "صرَف")[42] ، حتى أنه يستفهم متعجّبا ممن يرى أن الاشتقاق من اللفظ الأعجمي ميسّر ، فقال: (ومنْ يُقر ... أنّ الاشتقاق من اللفظة الأجنبية أيسر من الكلمة العربية الذي يظل جذرها محور المعنى العام ؟!)[43] ، ومن أمثلة تسويغ اللفظ بالاشتقاق قوله: (إنّ لفظة "القيمة" وردتْ في اللغة ، ولا يضير اشتقاق فعل منها ، فيُقال: "قيّم السلعة" ، أي: جعل لها ثمنًا ، و"قيّم البحث" ، أي: وضع له درجة ، أو قدّر قيمته العلمية)[44] ، وكذلك تسويغ لفظ "التسويق" ، فقال: (ولا يمنع اشتقاق الكلمة من "سوق"؛ لأنّ "السين والواو والقاف أصل واحد ،

---

[41] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٨٢.

[42] م. ن: ١٩٥.

[43] م. ن: ٢٢٦.

[44] م. ن: ٣٢.

وهو حذو الشيء)[٤٥] ، والتسويق هو إرسال البضائع إلى غير محلها الذي أنتجتْ فيه ، فكأنّها تُساق)[٤٦] ، وكذلك تفضيل استعمال اللفظ العربي على اللفظ الأعجمي ، فقال: (إنّ اشتقاق المصدر الميمي من "سرَدَ" خير من استعمال اللفظة الفارسية للدلالة على محتويات الكتاب)[٤٧] ، وكذلك قوله: (الفعل "نسخ" الذي اشتقتْ منه كلمات كثيرة ، ولا يضير هذا الفعل أنْ تشتق منه كلمة "الناسوخ" للدلالة على "الفاكس" ... ، وفي ذلك إغناء للعربية وحرص على سلامتها من الدخيل)[٤٨] ، فالاشتقاق مرتكز مهم في تسويغ اللفظ عنده ، وهو باشتقاقاته فتح باب سعة اللغة؛ طلبًا لمسايرتها مع واقعها ، ولاسيّما أنّ لذلك وجهًا مقبولًا في العربية.

أمّا الإلحاق فهو: (زيادة في الكلمة تبلغ بها زنة الملحق به لضرب من التوسع في اللغة)[٤٩] ، وقد عدّه العلّامة أحمد مطلوب من وسائل تسويغ تصحيح الألفاظ ما دام يسري بحسب مستلزمات اللغة ، فقال: (إنّ الزيادة جائزة في العربية إذا أفادتْ معنًى جديدًا ، واحتيجَ إليها توسعًا في اللغة ، والعربية الآن تحتاج إلى مثل هذا التوسع من غير خروج عن أبنيتها)[٥٠] ،

---

[٤٥] مقاييس اللغة ، ابن فارس: ٣: ١١٧.

[٤٦] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٦٣.

[٤٧] م. ن: ١٨٧.

[٤٨] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٢١٦.

[٤٩] المنصف ، ابن جني : ١: ٣٤ ، وشرح شافية ابن الحاجب ، الرضي الإستراباذي : ١: ٥٢.

[٥٠] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ١٤٧.

وقد استعمل الإلحاق الصرفي مسوغًا لتصحيح استعمال لفظ (العصرنة) ، فقال: (يستعمل في كتابات المعاصرين كلمة "العصرنة" ، أي: جعل الشيء عصريًا ، ويُنكر بعضهم استعمالها؛ لأنّها لم ترد في المعاجم على الرغم من ... أنّ في العربية إلحاقًا ... ، وفي كلمة "العصرنة" زيادة تُلحقها بغيرها من الأبنية ، وفيها إفادة المعنى والتوسع في اللغة)[51] ، وكذلك سوّغ لفظ (العولمة) ، فقال: (تشيع في كتابات بعض المعاصرين كلمة "العولمة" ... ، وفي كتب اللغة والنحو أمثلة لهذا البناء ... ، وهو ممّا ألحق بالرباعي ... ، إنّ ورود أمثلة كثيرة على وزن "فوعل" و"فوعلة" يسوّغ استعمال كلمة "العولمة" بزيادة "الواو" على الفعل ، وزيادة "الواو" ممّا وردتْ في كلام العرب)[52] ، فاستعمال العلامة أحمد مطلوب للإلحاق مسوّغًا في تصحيح الألفاظ يُمثّل إحياءً لمنهج القدماء في دراسة اللفظ والتخريج له بحسب معطيات اللغة ما دام له بها أدنى ملابسة.

ثالثًا: القياس:

يُعرّف بأنّه: حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه[53] ، وقد استعان العلامة أحمد مطلوب به في تسويغ الاستعمال اللغوي الذي خطّأه بعض المصحّحين ، فقال: (إنّ القياس قائم في اللغة قديمًا ... ، وفي ذلك إفادة معنى وتوسّع في اللغة ، وحاجة تقتضيها الحياة الجديدة)[54] ، وقال:

---

[51] م. ن: ١٤٥ ، ١٤٦.

[52] م. ن: ١٥٠ ، ١٥١.

[53] ينظر: الاقتراح في أصول النحو ، السيوطي: ٩٤.

[54] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٢٢٣.

(القياس باب واسع وهو أحد أصول اللغة والنحو)[٥٥] ، لذا فإن العربية في حاجة إلى التوسع فيه ، قال: (اللغة العربية تحتاج في الوقت الحاضر إلى التوسع في القياس لتستوعب المستحدثات)[٥٦].

ومن أمثلته جعل القياس مسوّغا في قبول اللفظ موافقة العلامة أحمد مطلوب جمع (باسل) على (بواسل) قياسا على (فارس ـ فوارس) ، فقال: (جمع كلمة "باسل": "بواسل" ، وكان الدكتور مصطفى جواد"[٥٧] قد خطّأ هذا الجمع ... ، ولكنّ ما جاء سماعا وقياسا لا يؤيد هذا)[٥٨] ، ومن ذلك أيضًا تسويغ لفظ (الخصخصة) الذي لم يُسمع عن العرب ، ولا ورد في المعجمات القديمة ، ولكن العلامة أحمد مطلوب قال: (وعلى هذا قد يُقاس من الفعل الثلاثي "خصّ": خصخص ، ومصدره خصخصة")[٥٩] ، ومن ذلك أيضًا تسويغه لفظ (تقييم) ، فأقر العلامة أحمد مطلوب تصحيح مجمع اللغة العربية للفعل (قيّم) قياسًا على ما قالته العرب في (عيّد الناسُ) ، إذا شهدوا العيد[٦٠] ، ومن ذلك أيضًا قوله: (جمع لفظة "النادي" على "النوادي" شاعتْ في الوطن العربي ، ولمْ يكنْ شيوعها خطأً ، وإنّما قياسٌ ، وإنْ لم ترد في

---

(٥٥) معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٩٦.

(٥٦) م. ن: ٢١٦.

(٥٧) الدكتور مصطفى جواد بن مصطفى بن ابراهيم البغداديّ اللغويّ الأديبُ المؤرخ والمدرس في دار المعلمين العالية ، وعضو المجمع في دمشق وبغداد ، (ت: ١٩٦٩م) ، ينظر: الأعلام ، الزركلي: ٧: ٢٣٠.

(٥٨) معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٥١.

(٥٩) م. ن: ٩٥.

(٦٠) ينظر: م. ن: ٧٣.

لسان العرب)[٦١] ، وكذلك قد نبه على مجيء [illegible] اللغويين [illegible] استعمال "حوّر" بمعنى "غيّر" بناء على [illegible] ، إذ قال: (إن "حوّر" بمعنى "غيّر" ، وإذا كان [illegible] لم يذكروا تحوير الكلام فإنهم أشاروا إلى تحوير غيره ، ولذلك يصح أن يقال : "حوّر فلان كلامه"؛ قياسا على ما جاء من معاني التغيير)[٦٢] ، فمما ذكرته من نصوص من معجم العلّامة أحمد مطلوب تبيّن لنا أنه كان ملازما القياس على أنه وسيلة نمو ليست عائقة بوجه اتساع اللغة.

رابعا: التطور الدلالي :

اللغة وسيلة التواصل وهي بذلك تتفاعل مع محيطها لإتمام عملية التواصل ، وهذا التفاعل يملي عليها أن تتلاءم مع بيئتها؛ لذا أخذت ألفاظها ومعانيها ترتدي مستوعبات جديدة ، فأصبحت تتطوّر مع مستجدات حياتها لتؤدي واجبها التواصلي[٦٣] ، وفي هذا السياق وقفت على أقوال مهمة للعلّامة أحمد مطلوب تدلّ على وعي وإدراك لحقيقة التطوّر الدلالي وفائدته للغة ، إذ قال: (إنّ الالفاظ تأخذ دلالات جديدة ، وقد حدث ذلك لكثير من ألفاظ العربية ، وكان هذا من أسباب اتساع اللغة ونموها[٦٤] وازدهارها

---

[٦١] م. ن: ٢٢٣.

[٦٢] م. ن: ٥٦.

[٦٣] ينظر : العربية وعلم اللغة الحديث ، الدكتور محمد محمد داود: ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، والتطور اللغوي ، الدكتور رمضان عبد التواب: ١٨٩.

[٦٤] في الأصل (نحوها) ، والصحيح ما أثبته.

و تستوعب شؤون الحياة المختلفة)[65] ، وقال: (التوسع في العصر نتيجة وتنوعا لا مفر من استعمال الألفاظ بمعنى جديد ، وذلك على سبيل تغير الدلالة ، وهو ما حدث في اللغة العربية خلال القرون الطويلة ، إذ تغيرت دلالة كثير من الألفاظ ، وفي العربية المعاصرة كثير من الألفاظ التي اكتسبت معاني جديدة ولولا ذلك لتوقفت عن استيعاب متطلبات العصر)[66] ، وقال في تصحيح لفظ "الشاشة" : (يرى بعضهم أنها غير صحيحة؛ لأنها لم ترد بهذا المعنى في القديم ضاربا صفحا عن تغير الدلالة أو انتقال الألفاظ من معنى إلى آخر بحسب ما يقتضيه العصر)[67] ، فهو يؤيد ضرورة تطور اللغة في ألفاظها ومعانيها بما تقتضي متطلبات العصر الذي تعيش فيه ، لكن من غير الإخلال بأصولها ومعهود خطابها ، وإلا انحرفت عن مسارها وأصبحت غريبة عن حقيقتها؛ لذلك نجد العلامة أحمد مطلوب لا يوافق على تحميل لفظ "الفشل" معاني لا تحتملها اللغة وثوابت سياقها ، فقال: (لكن استعمال كلمة "الفشل" بمعناها الأصلي خير من جعلها من الأضداد؛ لأن اقتصار الكلمة على معنى محدد أحسن من أدائها عدة معان ، ولاسيما إذا كان السياق لا يحدد المعنى المقصود)[68] ، فالأمثلة كثيرة في معجم العلامة أحمد مطلوب الدالة على استعماله التطور الدلالي مسوغا في تصحيح اللفظ ومعالجته بحسب لغة العصر ، وهذه المعالجات

---

(65) معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٢٠٨.

(66) م. ن: ١٥٣.

(67) م. ن: ١٢٦.

(68) م. ن: ١٥٦.

شملت حسب انواع التطوّر الدلالي من توسّع في المعنى أو تغيّر في الدلالة أو غيرهما ، وهذا ما يُمكن أنْ نوجزه بالأمثلة ، منها قوله : (إنّ استعمال كلمة "المائدة" للدلالة على المائدة صحيح؛ إذ هو نقل الكلمة إلى معنى آخر ملابس له ، والعلاقة بين "الطعام" و "السفرة" علاقة مجاورة)[69] ، وقوله: (معنى كلمة "الهدم" قديمًا: الثوب الخلق أو المرقع؛ لكنّها تستعمل الآن بمعنى الملابس الحديثة ، فيقال في جمعها: "هدوم" ، وهذا لا يسلبها أصالتها وإن اقتصرتْ في القديم على الملابس البالية في حين توسّع معناها في العصر الحديث)[70] ، ومن ذلك ايضا ذكره التطوّر في المعنى الذي أصاب لفظ "الهيأة" ، إذ قال: (إنّ كلمة الهيئة لم تأت بهذا المعنى قديمًا مع العلم أنّ المعاجم تُشير إلى أنّ "الهيئة" في حال الشيء وكيفيته ، وهذا يُبرز استعمال الكلمة بمعناها الجديد؛ لأنّها كيفية معينة مُشكّلة من أعضاء يُعهد إليهم القيام بأعمال الهيئة)[71] ، بل إنّ العلامة أحمد مطلوب بيّن التطوّر السلبي في اللفظ ، فقال: (لقد سلبت الحركات السياسية كلمة "اليمين" معناها ، وأضفتْ عليها معنى سلبيًا في حين أنّ معناها الرفعة والعزّة والتقدّم والخير والاحترام)[72].

---

[69] م. ن: ١١٧.

[70] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٢٣٧.

[71] م. ن: ٢٤٠.

[72] م. ن: ٢٤٧.

خامسا : المجاز :

المجاز: كلمة مستعملة لغير ما وضعتْ له وهو أنواع[٧٣] ، وقد استعمله العلامة أحمد مطلوب مسوغا في نمو اللغة عن طريق تصحيح ألفاظ الاستعمالات الجديدة بما يتوافق مع معطيات اللغة وقضاياها ، حتى أنه عاب على المعاصرين عدم الأخذ به في تسويغ بعض الألفاظ الجديدة ، فقال: (عدم الأخذ بكثير مما أصدرته المجامع العربية ولاسيّما مجمع القاهرة من قرارات أجازت القياس ... ، والمجاز الذي إذا شاع وانتشر لحق بالحقيقة ، وأصبح لفظًا حضاريًا أو مصطلحا علميا)[٧٤] ، بل إنه تفاجأ منهم إهمالهم المجاز وغيره من وسائل تنمية اللغة ، فقال: (وإذا بالمجاز ينكر بخلاف ما كان عليه القدماء من سعة أفق عند الأخذ بتلك الوسائل)[٧٥] ، وقال: (وما القياس ... والمجاز إلاّ بعض الوسائل التي نمتْ بها اللغة العربية خلال القرون الطويلة ، ولولا ذلك لعجزتْ عن التعبير)[٧٦] ، فتسويغ اللفظ المستعمل (لا بأس أنْ يُعد مجازا ... ما دامت المادة اللغوية تحمل هذا المعنى ويقتضيه التفنن بالتعبير)[٧٧].

---

(٧٣) ينظر: معجم البلاغة العربية ، الدكتور بدوي طبانة : ١٤٧ ، ومعجم المصطلحات ، الدكتور أحمد مطلوب : ٣ : ١٩٣.

(٧٤) معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور احمد مطلوب : ٧.

(٧٥) م. ن: ٨.

(٧٦) م. ن: ٢٣٦ ــ ٢٣٧.

(٧٧) م. ن: ٥٦.

[illegible] أمثلة تسويغ الألفاظ بوساطة المجاز ... كثير ، فإنه موجود ، ومنه قوله: (تستعمل كلمة "الحادثة" الآن استعمالاً مجازياً)[78] ، وفي تسويغ لفظ "خريطة" قال: (لقد ترددت في هذه الأيام كلمتا "الخريطة" و"الخارطة" بمعنى واحد ، ووردت الكلمة الأولى ـــ أي: خريطة ـــ منذ القديم بمعنى الكيس الذي توضع فيه كتب السلطان وعماله ، ولعلّ رسوم الارض كانت توضع في الأكياس ، فأطلق المحل على الحال فيه على سبيل المجاز المرسل ، فقيل: "خريطة" للرسم ، وهذه الكلمة أكثر شيوعاً لما لها صلة بالأصل ، أما كلمة "الخارطة" فقد تذهب الى معنى "خرط الشيء" ... ، وقد ينصرف إلى "الخارط" أو "الخارطة" اللذين يقومان بعملية الخرْط)[79] ، وفي تسويغ لفظ "هدف" قال: (هذه خلاصة ما ذكر عن "هدف" ، ويتضح أن في ما ذُكر كثيرا من التخريجات ومحاولة الابتعاد عن معنى "الرمي إلى الشيء" على الرغم من ان معنى الهدف هو الوصول والمقاربة ونحو ذلك فضلا عن أنّ في المجاز متسعا لنقل الكلمة إلى معنى آخر لأدنى ملابسة . ولذلك يصح أن يُقال: "هدف في الإصلاح" ... ، وليس من الخطأ ما جرى استعماله مثل: "الأدب الهادف")[80].

هذه الأمثلة تبين لنا مقدار عناية العلامة احمد مطلوب بالمجاز بعدّه مسوغا في تصحيح الاستعمال اللغوي المعاصر ما دام يسير مع روح اللغة وفي أطرها الاستعمالية.

---

[78] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور احمد مطلوب: ٧٨.

[79] م. ن: ٩٣.

[80] م. ن: ٢٣٦.

مظاهر التسويغ في الواقع الاستعمالي

تنوعت هنات استعمال اللغة على مستويات دراستها كلها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، لكن هذه الهنات تتفاوت بحسب نوع المستوى ، ولعل أكثرها يكون في المستوى الدلالي ثم الصرفي ثم النحوي ثم الصوتي[٨١] ، وهذا ما يشهد به واقع التأليف في لحن العوام والتصحيح اللغوي ، وكان لهذا التنوع أثره في سبل معالجته ، فمعالجة الهنة الدلالية ليست كمعالجة الهنة الصوتية وهكذا ؛ لذا نجد العلّامة أحمد مطلوب قد أخذ لكل ظاهرة ما يناسبها من سبل تسويغ الاستعمال ومعالجته ، وهي كلها من الأنواع المهمة لنمو العربية وقدرتها على مواكبة التطور ، فالعلامة أحمد مطلوب بعيد عن اي رأي أو توجيه او تفسير (لا يتصل باللغة العربية وروحها وآفاقها الرحيبة)[٨٢].

لقد صرّح العلّامة أحمد مطلوب بأهمية الاستعمال اللغوي المعاصر للعربية ما دام له موافقة ولو بوجه مع العربية ؛ وعدّه من وسائل تنمية اللغة ، فقال : (ما تذكره أقلام الكُتّاب الذين لا يُشَك في فصاحتهم وحرصهم على سلامة اللغة العربية والتوصّل بوسائل تنميتها إلى أنْ تستوعب

---

(٨١) ينظر : حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث ، الدكتور محمد ضاري حمادي : ٩.

(٨٢) معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب : ٣٠.

المستجدات)[83] ، وسأبيّن في هذا المطلب ما عالج من تصحيحات معتمدا على الواقع الاستعمالي للغة العربية ، وعلى وفق ما يأتي :

أولا: شيوع اللفظ :

عدَّ العلّامة أحمد مطلوب شيوع اللفظ مسوّغا في قبوله حتى إنْ كان اللفظ مُحدثا، إذا نجده يقبل اللفظ المُحدث "مشتل" ، إذ قال : (أصبحتْ كلمة " المشتل " معروفة في الوطن العربي واستعملها المزارعون والكُتّاب ، ولا يضير أن تكون مُحدثة؛ لأنّ الحاجة تقتضيها وإنْ كانت كلمة " المَغْرس" فصيحة تُستعمل للدلالة على " المشتل ")[84] ، وإنّ قبول العلّامة أحمد مطلوب شيوع اللفظ مسوّغًا في تصحيح اللفظ لا يعني أنه يقبل اللفظ الشائع المخالف للعربية ، وفي هذا قال : (لا عبرةَ بالشيوع إذا ما أخل بأصول اللغة أو أحدث التباسًا في المعنى وخلطا في المدلول وإيهاما في التعبير)[85].

إنَّ من أمثلة مسوّغ الشيوع تأييده استعمال " الاستبيان" على " الاستبانة"، فقال: (القياس الصحيح أنْ يقال : " الاستبانة " من الفعل " استبان" لا "الاستبيان" الذي ليس له فعل مسموع ، ولكنّ كلمة "الاستبيان" هي المستعملة الآن ... ، ولهذا رأت اللجنة المختصّة في المجمع[86] قبول القائل: "استعوض استعواضا" ...؛ لشيوع استعمالها)[87] ، ومنه تأييده لفظ

---

[83] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٢٣٦ ــ ٢٣٧.

[84] م. ن: ١٩٢.

[85] م. ن: ٢٤٥.

[86] في الأصل "المجتمع" والصحيح ما أثبته.

[87] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٢٥.

[illegible]
عربيًا ، واستعملت بدل "قانون الأساسي" وليس هناك من مبرر لإلغائها ؛ لأنها شاعتْ وأصبحتْ جزءًا من اللغة العربية)[88] ، ومنه أيضًا قوله: (كلمة "رئاسة" أكثر شيوعًا وليس من الخطأ تسمية الرياسة")[89] ، ومنه تفضيله مصطلح (الحاسوب) على مصطلح (الحسّابة)؛ لشيوع الأول ، فقال: ("الحسّابة" والحاسوب صحيحتان ولكن استعمال كلمة "الحاسوب" أفضل لشيوعها في كثير من الأقطار العربية)[90] ، بل إنه جعل شيوع الاستعمال قرينة أخرى لتقوية استعمال اللفظ العربي الفصيح على الرغم من سلامته اللغوية وأنّ البديل أعجمي ، فمن ذلك تفضيله لفظ (سيف) بكسر السين على اللفظ الأعجمي (كورنيش) ، فقال: (إن إطلاق كلمة "السِّيف" على شاطئ النهر أو شاطئ البحر خير من استعمال كلمة "الكورنيش" (corniche) ، وممّا يدعو إلى استعمالها ـ فضلا عن صحتها ـ أنّ بعض الأقطار العربية تستعملها الآن)[91].

ثانيا: أمن اللبس :

أهم ما يسعى إليه المتكلّم هو تمييز الدلالات وعدم اختلاطها؛ ليبعد عن المتلقّي كل ما يؤدّي إلى اللبس[92] ، فأمن اللبس مطلب

---

[88] م. ن: ٩٩.

[89] م. ن: ١١١.

[90] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٨٤.

[91] م. ن: ١٢٥.

[92] ينظر: الجملة العربية والمعنى ، الدكتور فاضل السامرائي: ٦٩

"تواصلي"[93] ، ومن هنا نجد أن العلامة أحمد مطلوب جعل أمن اللبس مسوّغا تطبيقيا في قبول استعمال اللفظ ما دام يوافق العربية بأدنى ملابسة ومن أمثلة ذلك تفضيل لفظ (زوجة) بدلا من لفظ "زوج" للدلالة على الأنثى ، فقال: (فتسمية "زوجة" فصيحة صحيحة ، وتستعمل دفعا للبس ، أمّا "الزوج" فهي اللغة العالية ، وبها جاء القرآن الكريم ، واستعمالها أفصح عند أمن اللبس)[94] . وتجويزه النسبة إلى جمع التكسير من غير إرجاع الجمع إلى المفرد ثم النسبة إليه بحسب ما تقتضيه القاعدة الصرفية[95] ، وسببه أنه يرى أنّ العرب عندما تنسب إلى الجمع تحافظ على دلالة اللفظ من الاختلاط بغيرها ، وهو ما يُعرف بأمن اللبس؛ لذا قال: (فالنسبة إلى جمع التكسير واردة لدفع اللبس ... ، فلو قيل: "هرمي" نسبة إلى "الأهرام" ، و"جزري" نسبة إلى "الجزائر" ، و"مشطي" نسبة إلى "الامشاط" لانصرف الذهن إلى الصفة لا النسبة ، فيُفهم من "هرمي" أنّ شكله كشكل الهرم ، ومن "جزري" كشكل[96] الجزيرة ، ومن "مشطي" أن له شكلَ المشط)[97]؛ لذا فضّل لفظ (الآثاري) على لفظ (الأثري) . فقال: (إنّ النسبة إلى "الآثار" ترفع اللبس ، فلا ينصرف الذهن إلى ما نُسب إلى الكلمة المفردة "الأثر" ، وقد يُظن أنّ عبارة "فلانٌ أثريٌّ" حينما تُطلق أنّه من "رجال الحديث" ... ، فالآثاري

---

(٩٣) ينظر: مقالات في اللغة والأدب ، الدكتور تمام حسان: ٢١٨.

(٩٤) معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٤٠١.

(٩٥) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب ، الرضي الإستراباذي: ٢: ٧٧ ـــ ٧٨.

(٩٦) في الأصل (بشكل) ، والصحيح ما أثبته.

(٩٧) معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور احمد مطلوب: ٤١.

هم المتمرّسون بالآثار أو عالمو الآثار ، فيجدر بنا أن نمعن عند إطلاق هذه اللفظة ، وقد يذهب الظن شتى مذاهب حين نطلق كلمة الأثري ، ومن أجل ذلك أجاز القدماء النسبة إلى جمع التكسير؛ أمنًا للّبس ودقة في الدلالة ، وهم أصحاب الذوق السليم والحسّ الرقيق والنظر الدقيق)[98] ، والأمر نفسه قال: (المتمسكون بالقاعدة النحوية يصرّون على أن تكون "دُوَلي" ، وهي نسبة صحيحة لكنها تحدث التباسًا في معرفة القصد؛ لأنها نسبة إلى المفرد "الدَّوْلة" ، فإذا أريد مجموعة الدول فإن هذه النسبة لا تكون واضحة الدلالة؛ إذ يُفهم منها دولة واحدة)[99] ، فيرى أن النسبة في (دَوْليّ ـ دُوَليّ) صحيحة ، ولكلٍّ معنى يختلف عن الآخر وبه يؤمن اللبس.

ومن أمن اللبس تفضيله لفظ (البؤساء) على (البُؤس) في جمع (بائس)؛ لأنّ كلمة "بؤس" ثقيلة بسبب الهمز فضلا عن أنّها تختلط بكلمة "بؤس" بمعنى المشقة والفقر ، فلم تكن دقيقة الدلالة على الجمع ، وبذلك فضّل لفظ (البؤساء)؛ لأنّ جمع (فاعل) على (فعلاء) كثير في كلام العرب[100] ، ومنه قوله: (إن كلمة "الصيدلاني" فصيحة ، وتُطلق الآن كلمة "الصيدلي" على المذكر ، فإذا أريد المؤنث قيل: "الصيدلانية"؛ لأنّ كلمة "الصيدلية" تعني مكان بيع الأدوية والعقاقير ، فيحدث التباس في المقصود)[101] ، فالعلامة

---

[98] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ١٥.

[99] م. ن: ١٠٢.

[100] ينظر: م. ن: ٣٩ ــ ٤٠.

[101] م. ن: ٤١.

أحمد مطلوب جعل أمن اللبس مسوغًا في قبول الاستعمال ، ما دام هو في ضمن حلقة الاستعمال العربي الفصيح وله ما يؤيده تنظيرا .

ثالثًا: الابتعاد عن الأعجمي والعامي :

الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية[١٠٢] من مظاهر ضعف الاستعمال اللغوي في اللغة الواحدة[١٠٣] ، وعربيتنا لم تنجُ من ذلك في أوجه استعمالاتها الفردية ، فنجد العلّامة أحمد مطلوب قد جعل النجاة من هذين الأمرين مسوّغًا لقبول اللفظ وتأييد استعماله وردّ غيره مهما بلغ استعماله؛ لذا قال: (إنّ استعمال كلمة فصيحة سهلة النطق خير من استعمال كلمة أجنبية)[١٠٤] ، وقال: (التمسّك بالعربية الفصيحة أولى من استعمال الكلمة الأجنبية ، والعودة إلى الاستعمال الصحيح محمودٌ لتبقى لغة القرآن الكريم صافية نقية لا تكدّرها الألفاظ الأعجمية)[١٠٥] ، ويتعجّب العلّامة أحمد مطلوب من قبول بعض اللغويين لفظ (التلفون) وترك لفظ (الهاتف) للدلالة على الجهاز الأرضي الذي يُتصل به ، فقال: (وهذا كلام عجيب غريب يصدر من رجل[١٠٦] يُفترض فيه أنْ يُحافظ على سلامة اللغة العربية)[١٠٧] ، ولاسيّما أنّ

---

[١٠٢] الأولى تعني: استعمال اللهجة العامية والعربية الفصحى ، والثانية تعني: استعمال اللغة العربية ولغة أعجمية أخرى ، ينظر: العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية ، بحث: الدكتور إبراهيم كايد: ٥٥.

[١٠٣] ينظر: ازدواجية اللغة ، بحث: الدكتور محمد الزغلول: ٩٧.

[١٠٤] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٨٠.

[١٠٥] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٢٠٢.

[١٠٦] يريد به: الدكتور حسن ظاظا ، ينظر: كلام العرب ، الدكتور حسن ظاظا: ٦٧.

[١٠٧] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٢٢٦.

العربية تجد ما يعينها في الاستغناء عن الأعجمي ، فـ (اللغة العربية وهي تنزع عنها الألفاظ الأعجمية بما لديها من وسائل تنميتها تجد ما يُغنيها عن عبارات مثل "بنك" ... ممّا تتداوله الألسن والأقلام)[١٠٨] ، بل إنّه من دقّة حرصه على الاستعمال العربي أو ما يقاربه يفضل اللفظ المُعرّب على النطق باللفظ الأعجمي ، فقال: (إنّ كلمة "سكر" سواء أكانتْ عربية أم مُعرّبة خير من استعمال بعضهم كلمة (sugar) التي ينطقها نطقًا أعجميا)[١٠٩] ، فالأمثلة على تفضيل اللفظ ما دام عربيًا وليس أعجميًا أو عاميًا كثيرة في المعجم ، ومنها قوله: (كلمة "كادر" غير عربية ، وأنّ ما يقابلها في لغة الضاد كلمة "الملاك" ذات الدلالة الواضحة والاستعمال العربي الفصيح الذي يحرص عليه المؤمنون بأمّتهم وبلغة القرآن الكريم)[١١٠] ، ومنه أيضًا قوله: (ومهما يكنْ من أمر فإشاعة كلمة "مدوّنة" و"المصرف" خير من استعمال كلمة "بنك" الأعجمية)[١١١] ، ويذهب العلّامة أحمد مطلوب في متابعة اللفظ العربي وإلزام استعماله مذهبًا عميقًا واعيًا بتتبعه أصول اللفظ ، ولذا نجده يُفضل لفظ (الكَبْل) العربية على لفظ (الكيبل ــ cable) التي تُنطق بأداء العوام ، فقال: (وهذا هو معنى كلمة "الكيبل" الأجنبية التي ربّما أُخذتْ من كلمة "كَبْل" العربية ، ومن الخير أن تعود بأصلها بدلًا من الكلمة الإنكليزية للدلالة على أسلاك الكهرباء والهاتف ، فهي أصيلة وأخف في النطق وأقل

---

(١٠٨) م. ن: ١٧٧.

(١٠٩) م. ن: ١١٩.

(١١٠) م. ن: ٢٠٤.

(١١١) م. ن: ١٧٧.

في عدد الحروف ، وليس فيها إمالة حرف "الياء" التي هي أقرب إلى نطق عامة الناس)[١١٢] ، فانظر إلى تنبّهه على الجانب الصوتي في الإمالة عند العوام وحثّه على ترك كل ما يشوب اللفظ من أداء اللهجة العامة ، ومن ذلك أيضًا دفاعه عن لفظ (التزويق) بأنها ليستْ عامية مستدلًّا باستعمالها عند العرب للدلالة على "الزئبق" ، فقال: (فكلمة "التزويق" بمعنى "التزيين" ليستْ عامية مبتذلة)[١١٣] ، بمعنى لو أنها عاميّة لأهملها ، وكذلك قبوله لفظ (المسطبة)؛ لفصاحتها ، فقال: (إنّ كلمة "المسطبة" أو "المصطبة" ليستْ عامية ، وإنّما هي عربية أصيلة ... ، ولا تزال مستعملة حتى الآن؛ لأنّها لم تفقد دلالتها ، أو يندثر ما يجلس عليه الناس في الحدائق)[١١٤].

ما تقدّم وغيره كثير يدلُّ على عناية العلاّمة أحمد مطلوب باللفظ الذي يوافق اللغة العربية ولو بوجه ، فهو يريد من التصحيح أنْ يكون ميسرًا منضبطًا بما يوقّر العربية ويحفظ لها مكانتها بمعنى أنّه حريص على البعد كل البعد عن اللفظ الأعجمي أو العامي مهما كانت الأسباب ، وهذه النظرة رصينة وجادّة وحازمة ، وبها تستقيم للغة هيبتها وتدوم لها سلامتها.

رابعا: خفّة اللفظ وسلامته :

هنا تتجلى لنا ذائقة العلاّمة أحمد مطلوب اللغوية وتظهر لنا معرفته الدقيقة في ميزة جرس الألفاظ ما يدلّ على أثر شاعريته في فهم اللغة ، إذ

---

[١١٢] م. ن: ١٦٥.

[١١٣] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٦١.

[١١٤] م. ن: ١٨٩.

أنه يحاول أن يرقى بالاستعمال اللغوي إلى ما ينسجم مع ذائقة العرب في سلامة لغتهم ورشاقة ألفاظهم . فنجده يحاول أنْ يختار من الألفاظ المصححة أقربها إلى ما تمتاز به العربية من العناية بخفة الألفاظ . ولا ننس أنّه في كل ذلك يقف على أرض صلبة في البحث عن أدنى ملابسة في مطابقة اللفظ المصحح بالعربية الفصيحة .

إنّ ممّا يطالعنا في ذلك رأيه في تفضيل جمع (نيّة) على (نوايا) ، وليس (نيّات) ، فقال: (وكلمة "النوايا" أخف من كلمة "النيات" وأجمل إيقاعًا)[115] ، وكأنّ تشدد "ياء" لفظ (نيّات) كان عقبة في خفة اللفظ ، ومنه أيضًا قبوله ترجيح المجمع العلمي العراقي استعمال لفظ "الاستمارة" لخفّتها قياسًا إلى "الاستئمارة"[116] . ومن الخفة عنده الابتعاد عن اللفظ المهجور الذي يعد استعماله من التقعر في الكلام ، وجد هذا في تفضيل لفظ (الفنّان) على (مِفَنّ ، ومِتفنّن ، وربيز) ، فقال: (كلمة "الفنّان" هي الكلمة الرقيقة الدلالة على المقصود ، وقد انتهى زمن التقعر ، ومن ذلك ما ذهب إليه بعضهم من استعمال كلمة "ربيز" ومعناها: الكبير في فنّه ... ، وكل مَنْ له ذوق لغوي لا يستسيغها كما يستسيغ كلمة "فنّان" التي لا ينصرف ذهن سامعها الآن إلاّ إلى معناها الحديث)[117] ، وكذلك قوله: (إنّ استعمال كلمة "الأناني" الذي يؤثر نفسه على غيره أخف من كلمة "أنويّ" و"أناويّ")[118] ، ومن الخفة عنده

---

[115] م. ن: ٢٢٤.

[116] ينظر: م. ن: ٢٦.

[117] معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ١٥٩.

[118] م. ن: ٣٥.

تقليل الألفاظ . فقال: (وكانت لجنة اللغة العربية في المجمع العلمي العراقي قد أطلقتْ على "الفاكس" اسم "الهاتف الناسخ" ... ، ولكنّ كلمة "الناسوخ" قد شاعتْ في بعض الأقطار العربية ، وهي أخف من كلمتين وأيسر استعمالا)[119] ، ومنه أيضًا قوله عن لفظ "الكبل": (فهي أصيلة وأخف في النطق وأقل في عدد الحروف)[120] . ومن تفصيلاته في مسوغ الخفة في قبول اللفظ قوله: (كلمة "المرايا" أخف من كلمة "المرائي" التي تحتاج إلى تنوين عند تنكيرها ، فيقال: "مراءٍ")[121] ، وقوله: (كلمة "المعاجم" ليستْ خطأ ، ولذلك يمكن أنْ يقال في جمع كلمة "معجم": معاجم ومعاجيم ومعجمات ، ولكنّ كلمة "المعاجم" هي المستعملة كثيرًا في الوقت الحاضر ؛ لخفّة النطق بها)[122].

هذه النصوص وغيرها كثير تدلنا على أهمية خفّة اللفظ مسوّغا للاستعمال عند العلّامة أحمد مطلوب في ترجيح لفظ على آخر ، وهو مهم في سلاسة لغة العصر بعيدًا عن التنطع والغرابة.

خامسا: دقّة الدلالة ووضوحها:

لا تُعنى العرب بشيء مقدار عنايتها بدقة مطابقة اللفظ لمعناه ووضوح دلالته[123] ، وهنا تتجلّى لنا وصية مهمّة للعلّامة أحمد مطلوب ، إذ قال:

---

[119] م. ن: ٢١٧.

[120] م. ن: ١٦٥.

[121] م. ن: ١٨١.

[122] م. ن: ١٩٨.

[123] ينظر: الجملة العربية والمعنى ، الدكتور فاضل السامرائي: ١٤٢.

(إنّ الخروج عن الصحيح الذي ألفه الناس والمجيء بكلمات غريبة لا تدل دلالة واضحة على المقصود لا يخدم العربية بل ينشر البلبلة بين الناطقين بها)[١٢٤] ، وقال أيضاً: (دقة المصطلح ودلالته على شيء واحد خير من مصطلح يدل على كثير من الأشياء والمعاني)[١٢٥] ؛ ومن أمثلة هذا المسوّغ في قبول اللفظ وتصحيحه قوله: (ليس من الدقّة استعمال كلمة "العائلة" التي لها عدّة معان غير ما تدل عليه كلمة "الأسرة" ، ولا عبرة بتأويل المتأولين)[١٢٦] ، وقوله: (إنّ كلمة "الفاكهاني" أدق من كلمة "فاكهي" التي تعني الصفة لا الحرفة ، وليس من مسوغ لإلغاء كلمة دالة استعملها القدماء للدلالة على بائع الفاكهة)[١٢٧] ، ومنها أيضاً أنه اختلف المصححون في أيهما أصح في قولهم: (هذا شيء أساس) ، أو (وهذا شيء أساسيّ) ، ويرى أكثرهم أنّ الصحيح (هذا شيء أساس) ، فقال العلّامة أحمد مطلوب: (يستعمل بعضُهم كلمة "أساس" ، وهو استعمال غير دقيق؛ لأنّ النسبة إلى "أساس": أساسيٌّ ، وهذه "الياء" المشدّدة يُراد بها الصفة ... ؛ فالياء المشدّدة في "الأساسيّ" للوصف ، وهي مثل: "فلانٌ إنسانيٌّ" ، أي: إنّه متصفٌ بالإنسانية ، وليس منسوباً إلى الإنسان؛ لأنّه هو إنسان)[١٢٨] ، ومن ذلك عدم تأييده استعمال لفظ (الباهت) بمعنى (تغير اللون وقلة زهوه) ، إذ قال:

---

(١٢٤) معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ١٧٨.

(١٢٥) م. ن: ٢٠٠.

(١٢٦) معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ١٦٨.

(١٢٧) م. ن: ١٥٣.

(١٢٨) م. ن: ٢٣.

(إنّ استعمال كلمة "الباهت" لتغير اللون وضعفه لا خير فيه؛ لأنّ كلمة تغير مطلقة لا تعني معنى فقدان اللون زهوه ونصاعته وحده كما تعطيه كلمة "الباهت" التي تدل على بقاء اللون مع خفوته ، لا تغيّره إلى لون آخر)[١٢٩] ، فعدم الدقة في الدلالة جعلته يرفض هذا الاستعمال ، ومن ذلك أنّه فرّق بين لفظي (الكفاية) و(الكفاءة) ، فقال: (يستعمل المعاصرون كلمة "الكفاية" للدلالة على القدرة وحُسن التصرّف ، ويقول اللغويون: إنّ هذا الاستعمال غير صحيح ، وإنّما كلمة "الكفاية" هي الدالة على هذا المعنى ... ، وليس الأمر كذلك ، بل الدقة في التعبير أنْ تُستعمل "الكفاية" بمعنى الاستغناء والاكتفاء ، وتُستعمل "الكفاءة" للقدرة على العمل وحُسن الأداء والتصرف)[١٣٠] ، وكذلك لم يمنع استعمال لفظ (هامش) للدلالة على إشارات المصادر والمراجع في نهاية الصفحات فضلا عن استعمال لفظ "الحاشية" مع الأخذ بالحسبان دقّة المعنى ، فقال: (إنّ كلمة "الهامش" إذا استعملت لحواشي صفحات البحث أو الكتاب لم تكن بعيدة عن الدقة والصواب ، فضلًا عن أنّ للكلمتين دلالات أخرى غير ما يقصده الباحثون والمؤلفون ، وهي ما لا يصح أنْ تحل إحداهما محل الأخرى ... ، إنّ لكل منهما استعمالا دقيقًا ، وإن اشتركت الكلمتان فيما يُطلق عليه بالإنكليزية كلمة (footnote) ، ولذلك كان استعمال كلمة "هامش" صحيحا مثلما كان استعمال كلمة "الحاشية" التي تكون لها معانٍ تتجاوز ما يُراد منها في البحث

---

(١٢٩) م. ن: ٤٣.

(١٣٠) م. ن: ١٦٧، ١٦٩.

والتأليف)[131] ، ومنه قبوله لفظ "التقييس"؛ (لأنه من الفعل قيس الذي ورد في بعض المعاجم ، ولا تدل كلمة "القياس" على المقصود في عملية التقييس ذات الأهداف والاختصاصات الكثيرة التي ذكرها قانون الجهاز المركزي للتقييس والسيطرة النوعية ، ويفهم منها المعنيون الاختصاصات ودلالة كلمة "التقييس")[132] ، ومن ذلك قبوله التعبيرين (النفسي والنفساني)؛ لأنه في كلٍّ معنى دقيق لا يوجد في الآخر . فقال: (والنسبة بالألف والنون عدّها العلماء شاذة[133] ، وقد نسوا أنّ لها دلالات ومنها "النفساني" التي لا تدل عليها كلمة "النفس" ولذلك نقال: "العالم النفساني" ، و"المرض النفسي"؛ للتفرقة بين النسبتين)[134].

إنّ ما ورد من نصوص مهمة في معجم العلّامة أحمد مطلوب أوقفتنا على اعتداده بضابط دقّة دلالة اللفظ على المعنى المراد في قبوله مسوّغًا ومرجّحًا لهذا اللفظ على ذاك ، وهو من الأهمية بمكان؛ لأنك عندئذ ستحدّد لك المعاني والدلالات بألفاظ واضحة في ذهن المرسل والمتلقي.

---

(131) معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٢٢٩.

(132) م. ن: ٧١.

(133) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب ، الرضي الإستراباذي، ٢: ١٤ ، وجامع الدروس العربية ، الغلاييني: ٢: ٧٥ ، ومسائل في العربية ، الدكتور أحمد مطلوب: ٣٧٦.

(134) معجم تصحيح التصحيح ، الدكتور أحمد مطلوب: ٢٢٠.

الخاتمة

وصل البحث إلى خاتمته التي أدوّن فيها أهم ما تمخض عنه من نتائج وعلى وفق ما يأتي:

١. جهد العلّامة أحمد مطلوب في معجمه جهدًا رصينا كبيرًا يدل على عمق في العرض ودقّة في المعالجة ، ويُعدّ من المعجمات الخاصة في التأليف المعجمي الحديث.

٢. تنوّعتْ مصادر المعجم ومراجعه بين الفنون والعلوم والآداب مما يدل على استطلاع واسع وشامل لنصوص الأدب العربي ممّا أعطى حكمًا رصينا في قبول الاستعمال أو ردّه.

٣. كان لتصدّر العلّامة أحمد مطلوب في المناصب الإدارية والعلمية ومعايشته الطويلة مع دراسة العربية الأثر في الاطلاع على الكثرة الكاثرة من جهود التصحيح وعلاج هناتها.

٤. أرجع العلّامة أحمد مطلوب حقوق الحصانة اللغوية العربية الفصيحة إلى بعض الألفاظ المستعملة التي اتهمتْ بالعجمة والعامية.

٥. كان لدلالة الألفاظ أثر في تسويغ الاستعمال بما يتلاءم مع روح العربية وسعتها من غير إخلال بها ، فضلًا عن أمن اللبس في الحكم على اللفظ استعمالا أو تركا ، وشيوع اللفظ ودقّته على المعنى ، وكذلك كان للذوق حضورٌ في تسويغ استعمال بعض الألفاظ تمثّل بخفتها ورشاقتها.

٦. كان لقرارات المجامع العلمية العربية أثرها الواضح في تسويغ العلّامة أحمد مطلوب لبعض التصحيحات اللغوية ، فضلًا عن المسوّغات العلمية كالاشتقاق والإلحاق والقياس والمجاز.

التوصيات

١. التأني قبل الحكم على الاستعمال الحديث قبولًا أو رفضا.

٢. الإسراع في إيجاد التسمية العربية الصحيحة للمنتج الحديث قبل دخول الأسواق.

٣. مراجعة كتب التصحيح اللغوي ودراستها بحسب طرائق نمو اللغة وتطور دلالتها وسعتها.

٤. متابعة النتاج الإبداعي ومراقبته من دخول الاستعمالات العامية إليه بشكل خفي.

٥. تعميم هذه التصحيحات على المؤسسات العلمية ، ولاسيّما أقسام اللغة العربية؛ للإفادة منه ، ومعالجة تصحيح الاستعمالات اللغوية بحسب منهجيّتها.

المصادر :

١. الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات، معروف عبد الغني الرصافي، (ت: ١٩٤٥م)، تح: عبد الحميد الرشودي، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام ــ سلسلة المعاجم والفهارس (٣١)، دار الرشيد للنشر، بغداد، والمركز العربي للطباعة والنشر، بيروت، توزيع الدار الوطنية للتوزيع والنشر، بغداد ــ ١٩٨٠م.

٢. أحمد مطلوب وجهوده اللغوية، رسالة ماجستير، للطالبة: وجدان إبراهيم جابر، إشراف: الدكتور نهاد حسوبي صالح، جامعة بغداد ــ كلية الآداب، ١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م.

٣. ارتقاء السيادة في علم أصول النحو، الشيخ يحيى الشاوي المغربي الجزائري، (ت: ١٠٩٦هـ)، تح: الدكتور عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي، دار الأنبار للطباعة والنشر، الرمادي، ط١، ١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م.

٤. ازدواجية اللغة، بحث: الدكتور محمد راجي الزغلول، منشور في ضمن كتاب المورد (دراسات في اللغة)، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط١ ــ ١٩٨٦م.

٥. الاشتقاق والتعريب، عبد القادر بن مصطفى المغربي، (ت: ١٩٥٦م)، مطبعة الهلال، الفجالة، مصر ــ ١٩٠٨م.

٦. الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٧ ــ ٢٠٠٧م.

٧. الاقتراح في علم أصول النحو ، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي ، (ت: ٩١١هـ) ، تح: أحمد سليم الحمصي ، ومحمد أحمد قاسم ، وجروس برس ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م.

٨. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، أبو نصر علي ابن ماكولا ، (ت: ٤٧٥هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م.

٩. التشريع اللغوي وبحوث أخرى ، الدكتور أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي ، مطبعة المجمع العلمي ، ١٤٣٢هـ ــ ٢٠١١م.

١٠. التصحيح اللغوي ، بحث: الدكتور أحمد مطلوب منشور في مجلة اللغة العربية وآدابها ــ جامعة الكوفة ، العدد: (٦) ، حزيران ــ ٢٠٠٨م.

١١. التطور اللُّغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م.

١٢. التوقيف على مُهمّات التعاريف ، زين الدين محمّد عبد الرؤوف المُناوي ، (ت: ١٠٣١هـ) ، تح: الدكتور محمّد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ودار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م.

١٣. جامع الدروس العربية ، الشيخ مصطفى الغلاييني ، (ت: ١٩٤٤م) ، ضبطه وخرّج آياته وشواهده: الأستاذ محمد فريد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (بلا ط ، ت).

١٤. الجملة العربية والمعنى ، الدكتور فاضل السامرائي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٥. حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث ، الدكتور محمّد ضاري حمادي ، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، سلسلة دراسات (٢٣٩) ـ ١٩٨٠م.

١٦. دراسات في فقه العربية ، الدكتور صبحي الصالح ، (ت: ١٩٨٦م) ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ ٢٠٠٩م.

١٧. رفيق عمري في كتابات الآخرين ، الدكتور خديجة الحديثي ، المطبعة المركزية ، جامعة ديالى ، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

١٨. شرح شافية ابن الحاجب ، الرضي الإستراباذي ، (ت: ٦٨٦هـ) ، تح: محمّد نور الحسن ، ومحمّد الزفزاف ، ومحمّد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

١٩. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهم ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، (ت: ٣٩٢هـ) ، تح: السيد أحمد الصقر ، مكتبة ومطبعة دار احياء التراث العربي ، (لا ط. ت).

٢٠. صناعة المعجم الحديث ، الدكتور أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٢ ـ ٢٠٠٩م.

٢١. طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلاّم الجمحي ، (ت: ٢٣١هـ) ، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م.

٢٢. طبقات النحويين واللغويين ، أبو بكر محمَّد بن الحسن الزُّبيدي ، (ت: ٣٧٩هـ) ، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٣م.

٢٣. العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية ، بحث لـ (الدكتور إبراهيم كايد محمود) ، منشور في المجلة العلمية ــ جامعة الملك فيصل للعلوم الإنسانية والإدارية ــ مجلد: (٣) ، العدد : الأول ، ذو الحجة (١٤٢٢هـ) ــ مارس (٢٠٠٢م).

٢٤. العربية والبحث اللغوي المعاصر ، الأستاذ الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع العلمي ، بغداد ، ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م.

٢٥. العربية وعلم اللغة الحديث ، الدكتور محمد محمد داود ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ــ ٢٠٠١م.

٢٦. علم الاشتقاق نظريًّا وتطبيقيًّا ، الأستاذ الدكتور محمَّد حسن حسن جبل ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٦م.

٢٧. فصول في العربية ، الدكتور أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م.

٢٨. فقه اللغة العربية ، الأستاذ الدكتور محمد ياسر الزيدي ، دار الفرقان ، عمان ، المملكة الأردنية ، ط١ ــ ٢٠٠٥م.

٢٩. في أصول النحو ، سعيد الأفغاني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م.

٣٠. في التصحيح اللغوي ، بحث: الدكتور طه محسن ، منشور في مجلة الضاد ، تصدرها الهيئة العليا للعناية باللغة العربية في الجمهورية العراقية ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، الجزء الرابع ، ذو الحجة ١٤١٠هـ ــ تموز ١٩٩٠م.

٣١. القرارات النَّحْوية والتصريفية لمجمع اللُّغة العربيّة في القاهرة جمعًا ودراسة وتقويمًا إلى نهاية الدورة الحادية والستين عام (١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م) ، خالد بن سعود بن فارس العصيمي ، دار ابن حزم ، ودار التدمرية ، السعودية ، ط٢ ، ١٤٣٠هـ ــ ٢٠٠٩م.

٣٢. كلام العرب من قضايا اللغة العربية ، الدكتور حسن ظاظا ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط١ ، (بلا. ت).

٣٣. المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم (العين) للخليل بن احمد ، الدكتور عبد الله درويش ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة الرسالة ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٦م.

٣٤. معجم البلاغة العربية ، الدكتور بدوي طبانة ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط٤ ، ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م.

٣٥. معجم تصحيح التصحيح معجم في الأخطاء اللغوية ، الدكتور أحمد مطلوب ، مكتبة لبنان ناشرون ، مطبعة صنائع ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢م.

٣٦. المعجم العربي نشأته وتطوره ، الدكتور حسين نصّار ، مطابع دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م.

٣٧. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، الدكتور أحمد مطلوب ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣٨. المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وجماعته ، المكتبة الإسلامية ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

٣٩. مقالات في اللغة والأدب ، الدكتور تمّام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٤٠. مقاييس اللغة ، احمد بن فارس ، (ت: ٣٩٥هـ) ، تح: عبد السلام محمّد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، (بلا. ط. ت).

٤١. المنصف ، أبو الفتح عثمان بن جنّي ، (ت: ٣٩٢هـ) ، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، وزارة المعارف العمومية ، إدارة إحياء التراث القديم ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط١ ، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م.

٤٢. المهذب في علم التصريف ، الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي ، والدكتور هاشم طه شلاش ، و الدكتور عبد الجليل العاني ، مطابع بيروت الحديثة ، لبنان ، ط١ ، ١٤٣٢هـ ــ ٢٠١١م.

٤٣. الهيئة العليا للعناية باللغة العربية ، الدكتور أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع ، ١٤٣٠هـ ــ ٢٠٠٩م.

أصالة التفكير البلاغي والنقدي
عند الدكتور أحمد مطلوب

الأستاذ المساعد الدكتور

سعد جمعة صالح الدليمي

جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

استباقة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإنَّ البلاغة العربية علمٌ جليلٌ واسع الدرب طويل الغاية قريب المنال بعيد المقال ، من داوم على أخذه نجا ومن طال مغنمه فاز ومن ركب سفينته حيًّا ومن رام مقاله ثرى .

وعلماء البلاغة في كلِّ زمن ومكان لهم علو الإشادة وواضح الإرادة فهم كالنجوم بين العمم وكالشموس في وقت الظلم ، ولاسيما أنَّ علم البلاغة طريق المتكلم في إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو الكلام ، بجمال وتكثيف وتوسع وأثر في نفس السامع ؛ فهو مبتغى الطامع فلا يلوذ النص بمحياه إلا من خلال مبناه ومضناه ، ولا يفوز قائله بالمقام بين الخلق إلا من خلال أساليبه وفنونه .

وللدكتور أحمد مطلوب (رحمه الله) في زماننا هذا نصيبٌ كبيرٌ من هذا العلم وأفنانه ، ومعالمه وآثاره فهو فارسه في عصرنا هذا وصاحب عنان

جواده في مركننا هذا ، فهو وريث علماء البلاغة والنقد الأوائل وصاحب المنجز الذي لا يكاد يرى البلاغة اليوم على أفضل حالها حتى تركب مركبه ويروم الأخذ بزناده . لأستاذنا (رحمه الله) باع طويل في نيل العلم وتحصيله ومكانية موضوعاته وشرح معطياته والأخذ بكل جوانبه .

حتى لم يدع صغيرة ولا كبيرة قيلت في أساليب البلاغة والنقد حتى تناولها في عماد بحثه حرفا ودرسا ، فهو صاحب المعجمين (و) ، فضلا عن المكاسب الكثيرة في مؤلفاته وبحوث درسه وثنايات كتبه .

ودراستنا تقف على هذا الإرث العظيم والمنجز الرائع لأستاذنا أحمد مطلوب رحمه الله ، يراقب عن كثب أسرار الأصالة فيما درسه من قيم معرفية وفصائل أسلوبية ، وطرائف بديعة ، وهي عنده والله كثيرة فقد زادت مؤلفاته في البلاغة والنقد والأدب والشعر على نحو الـ ("٧٠" ونيف) كتابا حوت عصارة فكره فيها.

والدراسات الأكاديمية في منجز أستاذنا كثيرة منها دراسة تحمل عنوان (أحمد مطلوب وجهوده في تحديد المصطلحات البلاغية والنقدية ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير ، للباحث : ياسر محمود حمادي ، من جامعة الأنبار ، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م) ، وأخرى تحمل عنوان (أحمد مطلوب وجهوده اللغوية ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير ، للباحثة : وجدان إبراهيم جابر ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) . وآخرها دراسة (أحمد مطلوب وجهوده البلاغية ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير . للباحثة نبراس جلال عباس الجبوري ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية الأساسية ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م) .

فالباحث لا يرسم لنفسه الخطى نفسها التي تدولها الباحثون بالدرس والتحليل ، بل ينظر إلى التفكير البلاغي والنقدي عند العلامة المرحوم " أحمد مطلوب " من قريب أقرب ، فقد صاحبت أستاذنا ولازمته قرابة العشر سنوات حين مكنني الله من أن أكون آخر طلابه في الدراسات العليا ، أشرف عليّ فتشرّفتُ به فكانت الأطروحة "عبد القاهر الجرجاني في الخطاب النقدي المعاصر" . وقد زودني هذا القرب من فهم الروح التي تعاملت مع البلاغة والنقد بوصفهما منجزين معرفيين ، يعطيان مساحة واسعة من التراث العربي الأصيل في هذا الجانب .

والبحث يرسم خطاه على وفق التصور الآتي :

المبحث الأول : الدفاع عن اللغة العربية وتراثها البلاغي .

المبحث الثاني : رؤية الدكتور أحمد مطلوب للنقد العربي المعاصر .

والمطمع في هذه الوريقات نبيل ومن الله التوفيق .

المبحث الأول : الدفاع عن اللغة العربية وتراثها البلاغي :

كتب الدكتور أحمد مطلوب (رحمه الله) الكثير من الكتب والبحوث التي سعى بوساطتها في الدفاع عن اللغة العربية ، وصونها من كل المؤثرات الخارجية التي تحط من قدرها أو تضعف من وجودها ، وقد اتسمت بحوثه هذا بالرؤية الشمولية والتنوع في المضامين .

يقول الدكتور أحمد مطلوب ((ولن يكون الجديد مثمرا إن لم يقم على قديم أصيل ، والعودة إلى المنابع الأولى ، واستنطاق كتب التراث العلمي من

أو ما تدعو إليه النهضة الحديثة وفي تأريخ العرب والمسلمين خير زاخر لتلك النهضة))[1].

لم يكن التراث العربي في فكره مصادر عابرة ، ولا تصورات آنية يدّون منها مادته العلمية أو يأخذ بها في سبيل الاستشهاد على ما يريد من أفكار بلاغية ، بل كان ينظر إليها نظرة المحب المعجب المولع وكأنّ التراث العربي لأستاذنا (رحمه الله) الأم التي يستقي من ثديها حليب الاصالة اللغوية الممزوج بالفكر ، فقد كان مولعا يراقب (التراث) عن كثب فلا يدع كبيرة ولا صغيرة تتناول الإجراءات البلاغية او النقدية إلا تناولها بالدرس والتحليل والتمحيص والتفكير موضحا سبل الاستشهاد فيها وكيفية تناولها ، حريصا على إخراجها للقارئ بأسلوب واضح لا غموض فيه ولا لبس في محتواه متتبعا القضايا النقدية والبلاغية من جذورها الأولى ، ومن هنا يمكن رؤية ذلك على وفق التصور الآتي :

١- **أصالة نسبة التراث إلى الأمة العربية :**

لعلّ كثيرا من القضايا اللغوية للعبث والاجتهاد والدعوات الممزوجة بالبعد عن الموضوعية أحيانا أو منقوصة الدليل أحيانا أخرى ، وقد كان لأستاذنا الدكتور أحمد مطلوب الإسهام الفاعل في التصدي لهذه الدعوات وإثبات بطلانها بالأدلة الواضح والبينة المنقطعة ، والبحث يسجل منها على سبيل المثال : (**عروبة ألف ليلة وليلة**) ؛ فكما هو معلوم أن كتاب ألف ليلة

[1] بحوث مصطلحية ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع العلمي ، ٢٠٠٦م : ١٦٦.

فالباحث لا يرتسم لنفسه الخطى نفسها التي تداولها الباحثون بالدرس والتحليل ، بل ينظر إلى التفكير البلاغي والنقدي عند العلامة المرحوم " أحمد مطلوب " من قريب أقرب ، فقد صاحبته أستاذا ولازمته قرابة العشر سنوات حين مكنني الله من أن أكون آخر طلابه في الدراسات العليا ، أشرف عليّ فتشرّفت به، فكانت الأطروحة "عبد القاهر الجرجاني في الخطاب النقدي المعاصر" . وقد زودني هذا القرب من فهم الروح التي تعاملت مع البلاغة والنقد بوصفهما منجزين معرفين . يغطيان مساحة واسعة من التراث العربي الأصيل فى هذا الجانب .

والبحث يرسم خطاه على وفق التصور الآتي :

المبحث الأول : الدفاع عن اللغة العربية وتراثها البلاغي .

المبحث الثاني : رؤية الدكتور أحمد مطلوب للنقد العربي المعاصر.

والمطمح في هذه الوريقات نبيل ومن الله التوفيق .

المبحث الأول : الدفاع عن اللغة العربية وتراثها البلاغي :

كتب الدكتور احمد مطلوب (رحمه الله) الكثير من الكتب والبحوث التي سعى بوساطتها فى الدفاع عن اللغة العربية ، وصونها من كل المؤثرات الخارجية التي تحط من قدرها أو تضعف من وجودها ، وقد اتسمت بحوثه هذا بالرؤية الشموليه والتنوع في المضامين .

يقول الدكتور أحمد مطلوب ((ولن يكون الجديد مثمرا إن لم يقم على قديم أصيل ، والعودة إلى المنابع الأولى ، واستنطاق كتب التراث العلمي من

أول ما تدعو إليه النهضة الحديثة وفي تأريخ العرب والمسلمين خير زاخر لتلك النهضة))[1].

لم يكن التراث العربي في فكره مصدر عابرة ، ولا تصورات آنية يدوّن منها مادته العلمية أو يأخذ بها في سبيل الاستشهاد على ما يريد من أفكار بلاغية ، بل كان ينظر إليها نظرة المحب المعجب المولع وكأنَّ التراث العربي لأستاذنا (رحمه الله) الأم التي يستقي من ثديها حليب الاصالة اللغوية الممزوج بالفكر ، فقد كان مولعا يراقب (التراث) عن كثب فلا يدع كبيرة ولا صغيرة تتناول الإجراءات البلاغية او النقدية إلا تناولها بالدرس والتحليل والتمحيص والتفكير موضحا سبل الاستشهاد فيها وكيفية تناولها ، حريصا على إخراجها للقارئ بأسلوب واضح لا غموض فيه ولا لبس في محتواه متتبعا القضايا النقدية والبلاغية من جذورها الأولى ، ومن هنا يمكن رؤية ذلك على وفق التصور الآتي :

١- أصالة نسبة التراث إلى الأمة العربية :

لعلّ كثيرا من القضايا اللغوية للعبث والاجتهاد والدعوات الممزوجة بالبعد عن الموضوعية أحيانا أو منقوصة الدليل أحيانا أخرى ، وقد كان لأستاذنا الدكتور أحمد مطلوب الإسهام الفاعل في التصدي لهذه الدعوات وإثبات بطلانها بالأدلة الواضح والبينة المنقطعة ، والبحث يسجل منها على سبيل المثال : (عروبة ألف ليلة وليلة) ؛ فكما هو معلوم أن كتاب ألف ليلة

---

[1] بحوث مصطلحية ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع العلمي ، ٢٠٠٦م : ١٦٦.

وليلة مجهول هوية المؤلف ومجهول زمن التأليف أيضا . هذا العاملان وغيرهما من العوامل الأخرى تفتح الباب على مصراعيه من تقولات القائلين في أصالة هذا المنجز الأدبي العربية .

يقول الدكتور أحمد مطلوب ((وقد أوقعهم إهمالهم التراث العربي في الغموص أحيانا وفي الابتعاد عن روح اللغة العربية وفنها القولي))[٢]؛ لذلك نجد الكثير من الأساتذة الكرام ذهبوا في التقليل من شأن التراث العربي كل مذهب ، وقد تصدّى أستاذنا (رحمه الله) لهم بكل ما ساقه التراث من قدرة معرفية ، ومنجز فني ، وأوردهم الدليل تلو الدليل حتى أغرق في الشرح والتفصيل ، والأمثل في هذا الجانب كثير نأخذ منها على سبيل المثال لا الحصر ، تأليفه لكتاب يحمل عنوان (ألف ليلة وليلة عروبتها – لغتها – أسلوبها).

أشار الدكتور أحمد مطلوب إلى ما ذهب المسعودي (٣٤٦هـ) صاحب كتاب ((مروج الذهب ومعادن الجوهر)) . من أنَّ كتاب (ألف ليلة وليلة) مترجم من الفارسية عن كتاب (هزار أفسان)[٣].

ويشير كذلك إلى أنَّ أستاذة الدكتورة سهير القلماوي تذهب إلى أنَّ المستشرقين في العصر الحديث هم من روجوا لفكرة انتساب كتاب ألف ليلة

---

(٢) في المصطلح النقدي : ٥٠.

(٣) ينظر كتاب (ألف ليلة وليلة عروبتها لغتها شعرها) . الدكتور أحمد مطلوب . منشورات المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع العلمي . ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م : ٧. وينظر: كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر ، – أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي – طبعة شارل بلا – بيروت ١٩٦٦م : ٢/٦٠٤.

وليلة لغير العرب ، بقوله ((وقد فصّلت الدكتورة سهير القلماوي – رحمها الله – في هذه المسألة ، وذكرت المستشرقين الذين اهتموا بالكتاب – وكان (انطوان جالان) الفرنسي قد أشار في ترجمته الليالي إلى أنَّ أصل القصص هندي ، ونشر فون هامر سنة ١٨٢٧م نص المسعودي ، وفيه أنّ الكتاب مترجم عن الفارسية))[٤].

وقد قدّم الدكتور أحمد مطلوب أدلة توضح أصالة كتاب (ألف ليلة وليلة) ، إذ ركز الكتاب على ثلاث بيئات عربية تدور فيها معظم الأحداث ، منها " العراق " وتدور كثير من الحكايات في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد ، ومنها أيضا " بلاد الشام " وفيها وقعت بعض الأحداث التي وقائعها في دمشق وحمص وحلب والقدس ، ومنها أيضا بيئة " مصر " وفيها تدور بعض الأحداث وتذكر القاهرة ، وبين القصرين ، والإسكندرية[٥].

وكذلك وضّح الدكتور أحمد مطلوب أنّ أسلوب كتاب " ألف ليلة وليلة " ، يدلل على أساليب اللغة العربية ، فهو يتسم بالسلاسة وسهولة التعبير ، إذ ليس فيه أثر يعود إلى أساليب الكتّاب المتقدمين من مثل "عبد الحميد الكاتب ، و " ابن المقفع " و " الجاحظ " وغيرهم ، فضلا عن أنّ هذه الأساليب قد أزينت فيها الليالي بـ " الآيات القرآنية " ، والأحاديث النبوية ، والأمثال العربية ، وكان للشعر العربي خصوصية كبيرة في الحضور ويكاد يكون ربع الليالي[٦].

---

(٤) ألف ليلة وليلة عروبتها – لغتها – شعرها : ١٢ ، ١٣ .

(٥) ينظر : ألف ليلة وليلة عروبتها – لغتها – شعرها : ١٦–[illegible] .

(٦) ينظر : ألف ليلة وليلة عروبتها – لغتها – شعرها : الصفحات (٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩).

وكذلك من المسائل الأخرى التي لاقت اعتراضاً من قبل الدكتور أحمد مطلوب هو إجماع علماء اللغة على أن الشعر العربي صغير السن لا يمتد إلى أكثر من خمسين ومئة عام أو إلى مئتي عام[7] ، فهو يرفض هذا الرأي مستنداً إلى دليل العقل والاعتبار ، ((إن هذا العمر لا يحدد تاريخ العربية ؛ لأنه قصير ولا يعقل أن تكون اللغة قريبة من عهد الإسلام ؛ لأن ما وصل منها يدل على عبقرية صاغتها القرون وصقلتها الأجيال))[8].

فضلا عما قيل في مجال التراث من تأصيل لقضايا النثر والشعر ، نجد الدكتور أحمد مطلوب ، يقف من المتنقصين من شأن التراث موقفا حازما ، فقد ذكر الأسباب التي دعت اللغويين المعاصرين العرب إلى تبني مفاهيم مخطوءة للحداثة ونبذ التراث والصدّ عنه[9]:

أ- تقليد أصحاب الحداثة الغربيين الذين كانت ثورتهم على اللغة من أول معالم تجديدهم . ب- التجديد رمز تجديد ينفي الماضي ويدعو الى نسف اللغة العربية ، وليس بالتجديد الذي يسعى إليه المخلصون لأمتهم ، المؤمنون بلغتها وتراثها ، وكان الأوائل والمعاصرون قد جددوا في أساليب اللغة تجديدا اتخذ من خصائصها منهجا ، ومن وسائل نموها سبيلا ، وهو تجديد مارسه القدماء كأبي تمام ، والمتنبي ، والمعري ، ولكنهم لم يحطموا اللغة ، وإنما أكسبوها حياة وأضافوا إليها جديدا . ج - نظر بعض دعاة الحداثة إلى الشعر العربي نظرة ازدراء ممزوجة بالرفض؛ لأنَّ " الشعراء

---

(7) ينظر الحيوان : ١/٧٤.

(8) فصول في العربية : ٦٣.

(9) ينظر : في المصطلح النقدي : ٢٥٠-٢٥٣.

الحقيقيين لا علاقة لهم بالشعر الجاهلي والاموي والعباسي ، والرجعي المعاصر ، وأنهم شاهدوا حياة مختلفة تتطلب شعراً عربياً من نوع آخر .

ولم يكن اهتمام الدكتور أحمد مطلوب بالتراث العربي مرحلة عابرة في فكره ، بل هو تمثّل إنساني لحضارة عظيمة أنتجتها أجيال تلو أجيال ، ولاسيما ((أنّ التراث العربي الإسلامي عالمي بمعنى أنه تراث حضاري عالمية– حضارة الإنسانية في فترة من فترات تأريخها ، إنَّ الثقافة العربية الاسلامية كانت تمثل خلال أوج إزدهارها ثقافة عصرها على المستوى العالمي))[10].

٢– موقفه من الشعوبية :

سار الدكتور أحمد مطلوب (رحمه الله) على نهج عشاق العربية الأوائل من أمثال الجاحظ ، وعبد القاهر الجرجاني ، في التصدي لكل الحركات الهدامة التي وافقت زمانه ، ولعلَّ منها الشعوبية بألبستها المختلفة ومحاسناتها المتباينة ، فهو المدافع عن اللغة العربية وحاميها من كل ما يدنسها من شوائب ، وقد تمثل موقفه هذا في توضيح مسارات هذه الحركات وتبيان المغزى منها ، حتى جسده يقول في وصفها ، ((لقد لقيت اللغة العربية تحدياً منذ القدم ، وكانت الشعوبية أقوى تلك التحديات))[11].

---

(١٠) التراث والحداثة دراسات ومناقشات : ٣٧.

(١١) فصول في العربية ، الدكتور أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع العلمي ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م : ٤٥.

ويذهب الدكتور أحمد مطلوب إلى أن مظاهر الشعوبية قد اتخذت مسارات مختلفة تمثلت بالآتي :

أ- إفساد اللغة العربية واستبدال ألفاظها بالألفاظ الأعجمية والفارسية والعامية المبتذلة ، ويتضح هذا واضحا في أشعار أبي نواس الذي استعمل الألفاظ الفارسية[١٢]. ولعلّ رصد هذه الظاهرة قديم جدا في التراث العربي فقد سجل الجاحظ ذلك بقوله : ((وقد يتملح الأعرابي بأن يدخل في شعره شيئا من كلام الفارسية كقول العماني للرشيد في قصيدته التي مدحه فيها ...))[١٣].

ب- الفخر بالأعاجم وتفضيلهم على العرب ، فالذي بشار بن برد يفخر بخراسان وبالعجم ، ويعتز بهم ويسخر من العرب ويبرأ من الولاء ، ويسخر أبو نواس من الشعراء العرب ووقوفهم على الديار وفخر بقومه واعتز بفارسيته...[١٤].

ت- التأليف في مثالب العرب ، والطعن في خطبائهم ، ورفض استعمالهم للعصا عند مناقلة الكلام ومساجلة الخصوم بالموزون والمقفى والمنثور[١٥].

ث- الانتحال والكذب على اللغة العربية وأدبها ووضع القصص كما فعل حماد عجرد ، وإشاعة الغزل الماجن والتغزل بالغلمان والإكثار من

---

(١٢) ينظر فصول في العربية : ١٣-١٤.

(١٣) البيان والتبيين : ١٠١.

(١٤) ينظر فصول في العربية : ٧٤-٧٥.

(١٥) ينظر فصول في العربية : ٧٦.

الألفاظ الأدبية التي تمجها الذوق ، وأدى ذلك إلى انتشار الألفاظ الأعجمية بعيدة عن العرف الاجتماعي وتقاليد العربية الإسلامية الأصيلة[16].

٣- موقفه من العامية :

قضية الفصحى والعامية من القضايا القديمة المتجددة التي تثار بين حين وآخر تحت مسوغات كثيرة ، والدكتور أحمد مطلوب كان من المتصدين لهذه الدعوات فهو يرى ، أنّ ((كثرت المؤلفات بالعربية كثرة لا مثيل لها في التراث الإنساني ، ولكن الغزاة والمبشرين في القرن العشرين أرادوا أن يقضوا على الفصحى ؛ ليسهل عليهم تحطيم الأمة وبقاء الوطن العربي أجزاء متناثرة تمثل دولا وأمارات متناحرة . وكان الغربيون أول من دعا إلى اتخاذ العامية لغة ومنهم : ولهلم سبيتا ، وكارلو لندبرغ- عمر السويدي- ووليم ولكوكس ، وماسبيرو ؛ وتبنى هذه الدعوة أحمد لطفي السيد ، وأشاع استعمال العامية ؛ ليحقق شعار مصر للمصريين وتمصير اللغة ، وسلامة موسى الذي بشّر بآراء وليم ولكوكس ومجدّها ، ولويس عوض الذي أخذ على نفسه موثقا [...] ، أن لا يخط كلمة واحدة إلا بالمصرية ، والخوري مارون غصن ، وأنيس فريحة ، وسعيد عقل ، وجماعة شعر البيرونية))[17].

وقد أشار إلى أنّ المعرفة بخطورة التعامل الرسمي يولد تبعات سلبية على وحدة الأمة العربية وحركيتها بالنتاج العالمي ، ولاسيما ((أنّ تحطيم اللغة العربية ، والقضاء عليها ، وإشاعة العامية يعني الإبقاء على تجزئة

---

(16) ينظر : فصول في العربية : ٦٦-٦٧ .

(17) فصول في العربية : ٤٥-٤٦

للأمة العربية وتقسيمها إلى أكثر مما هي عليه من فرق وشتات ، وقد أحسّ العرب في أول تصديهم بعصبة اللغة في وحدتهم ، وكانت بوادر اليقظة هي العودة إلى لغة القرآن ، والالتزام بها ؛ لأنها وعاء فكرهم وعنوان مجدهم ، وكان أول ما سعوا إليه إحياء التراث العربي الإسلامي الذي يمثل جوهر اللغة ، ويجعلها قادرة على استيعاب متطلبات الحياة الجديدة ، وكان المؤمنون بأمتهم ، ولغتها ، وتراثها يقارعون أعداء الأمة من الغزاة والمبشرين وأعوانهم ، واستطاعوا بعد جهود مضنية ان يجعلوا كلمة الله هي العليا ، وأن تظل العربية لغة العرب والمسلمين ، وأن يشيع التراث حياة جديدة))[١٨] ، وهذا الموقف الصارم في رفضه لفكرة الأخذ من الآخر إنما نابع من الإيمان المطلق بقدر الأمة وأصالة فكرها ، وثراء نتاجها المعرفي ، وبنائها اللغوي العمراني الشامخ أبد الدهر .

٤- موقفه من تأثر العرب بغيرهم :

كتب الدكتور أحمد مطلوب في هذا الشأن بحوث كثيرة ، مثلتها آراء موضوعية قائمة على الدليل العلمي ردّ بوساطتها كل دعوات الطعن في نسبة علوم اللغة العربية للعرب ، من ذلك قوله : ((إنّ البيان العربي ليس يونانيا ، أو فارسيا ، وإنما هو فن أصيل عُرفت أنواعه في كلام العرب قبل الإسلام ، وفي القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وكلام الصحابة والتابعين ، ولكن بعض الباحثين تلقف كلام الدكتور طه حسين والمستشرقين وأداره في كتبه ، وبنى عليه الدكتور ابراهيم سلامة كتابه "بلاغة أرسطو بين العرب واليونان" وقلّده آخرون ؛ لأنهم لم يدرسوا المسألة دراسة علمية ،

---

(١٨) فصول في العربية : ٤٧ .

[illegible] بعض الآراء من غير [illegible] ، ودراسة لواقع اللغة العربية عند العرب قبل الإسلام وبعده ، والعودة إلى بلاغة الجاحظ وهو من أوائل الدارسين للبيان العربي تؤكد عروبة البيان وأصالته))[19].

ولقد احتجت الكثير من الدراسات المعاصرة بتبعية النحو العربي إلى النحو الهندي ، منطلقة من رواية البيروني لذلك[20] ؛ وقد رفضها الدكتور وتحضيه بالأدلة والبراهين ، من منطلق أن ما قاله ((البيروني : إنّ العرب تأثروا بالنحو الهندي أو نقلوه ، وإنما ربط بين مبدأ النحو في الأمتين ؛ لتقريب الفكرة ، وقال: "كما وضعه في العربية أبو الأسود الدؤلي" ؛ لأنّ الصورة الهندية بعيدة عن الأذهان فربطها بنشأة النحو العربي التي كانت واضحة عند العرب والمسلمين في عهده ، وهذا دأبه في التقريب والتشبيه فقد ربط بين هوميروس الشاعر اليوناني وامرئ القيس الشاعر العربي وليس بينهما علاقة سوى تقدمهما في أمتيهما))[21].

ويضيف الحال ((لا يكفي بعض التشابه دليلا على هذا التأثير المزعوم ؛ لأن للغات منطقا متقاربا إن لم يكن واحدا ، ولأن أقسام الكلام معروفة في جميع اللغات ، ولأن النحو العربي بُنيَ على نظرية العامل وهي غير موجودة في أي نحو أجنبي))[22].

---

(19) فصول في العربية : [illegible] .

(20) ينظر: تحقيق ما للهند من مقولة : ١/٢٤٥ .

(21) ينظر فصول في العربية : ١٢٩ ، ١٣٠ .

(22) فصول في العربية : ١٣١ .

ولم تكن البلاغة العربية ولا أصالتها لتتأثر ببعض المشتركات العامة بين اللغات ((فالصحيفة الهندية - ار محت - ليست بالدستور الذي قلب كيان البلاغة العربية التي بدأت عربية ، واحتفظت بأصالتها على الرغم من دخول أساليب المنطق ، وعلم الكلام في مباحثها ، لقد تعرضت الصحيفة الهندية لصفات الخطيب))[٢٣].

٥- رفض فكرة الفصل بين الأسلوبية والبلاغة :

وما زال الدكتور أحمد مطلوب يسهم وبشكل فاعل في التصدي لكل التيارات التي تحط من قدر علوم اللغة بما فيها علم البلاغة ، فقد رفض الفصل بين البلاغة والأسلوبية ، يقول ((وكانت دراسة الأسلوب مرتبطة بالبلاغة وقواعدها المعيارية ، ولكن المتأثرين بالنقد الأجنبي حاولوا أن يفصلوا بين البلاغة والأسلوب فصلا لا تقره طبيعة اللغة وطرائقها في التعبير ، واتخذوا مصطلح " الأسلوبية " سبيلا لهم ، وذهب بهم القول فيه كل مذهب))[٢٤] ، وهو يرى أنّ ((للابتعاد عن البلاغة أثر في جفاف النقد الأسلوبي ، فقد قالوا : إنّ الأسلوبية وريث البلاغة))[٢٥].

وقد عاب الدكتور أحمد مطلوب على النقاد المعاصرين ما تأولوه من رؤى تبعد الأسلوبية عن البلاغة فقد نقل رأي لهم يقول إنهما ((شحنتين متنافرتين متصادمين لا يستقيم لهما تعايش آني في تفكير أصولي موحد ، والسبب في ذلك أنّ الأسلوبية قامت بديلا من البلاغة ، فهي امتداد

---

[٢٣] فصول في العربية : ١٣٨.

[٢٤] في المصطلح النقدي : ٢٠.

[٢٥] في المصطلح النقدي : ٢٤.

بنا معنى ، وهي بمثابة حبل الذ ممل وخط الفصل))[26] . وقد رفض الرؤية التي تفصل الأسلوبية عن البلاغة رفضاً قاطعاً بقوله : ((هذا فهم غير دقيق للبلاغة العربية ؛ لأنها مستمدة من معطيات البلاغة الغربية))[27] ولاسيما أن معطيات البلاغة عند البلاغيين الغربيين هي ((إنتاج نصوص حسب قواعد فن معين))[28]، فضلاً عن ذلك يؤكد رفضه للفصل بقوله : ((وليست البلاغة العربية كبلاغة القدماء من الأوربيين ، فهي قواعد تعلم فن القول ، وهي مقاييس نقدية ، وقد أوضح أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) أهدافها بوضوح))[29] حين قال : ((إنها تسعى إلى تحقيق الهدف الديني وهو الوقوف على إعجاز القرآن ، والهدف التعليمي ، والهدف النقدي وهو تحليل النصوص واختبارها))[30].

والأدلة في الفصل بين البلاغة والأسلوبية تتجاوز الرؤية العربية ، إذ يذكر أستاذنا دليلاً من نتاج الحاضنة الغربية نفسها يتضح بقوله : ((ومن الدراسات الغربية التي اتخذت البلاغة سبيلاً لها كتاب 'بنية اللغة الشعرية' لجان كوهين ، ومن الدراسات العربية التي سلكت مسلكاً بلاغياً كتاب 'خصائص الأسلوب في الشوقيات' لمحمد الهادي الطرابلسي . ويتضح في

---

(26) النقد والحداثة : الدكتور عبد السلام المسدي ، بيروت ، ١٩٨٣م : ٤٥ . وينظر: البلاغة والأسلوبية للدكتور محمد عبد المطلب ، القاهرة ، ١٩٨٤م : ١٩١.

(27) في المصطلح النقدي : ٤٤ .

(28) البلاغة والأسلوبية ، هنريش بليث ، ترجمة محمد العمري ، الدار البيضاء المغرب ١٩٨٩م : ١٦-١٧ ، وينظر في المصطلح النقدي : ٤٤.

(29) في المصطلح النقدي : ٤٤.

(30) كتاب الصناعتين : ١-٢.

يتبين أثر البلاغة في دراسة د. مطلوب وتحليل النصوص تركيبا وتصويرا وتحسينا . وهو ما يطلق عليه "النقد البلاغي" الذي يضم كل ما تعرضت له كتب النقد والبلاغة القديمة))[٣١] . ويختم الدكتور أحمد تصوراته في ذلك بقوله : ((فهي في أوضح معانيها التحليل البلاغي للنص))[٣٢]. ودعا أستاذنا الى ((العودة الى البلاغة في تحليل بنية النص ضرورية ؛ لأنها تمثل بنيته))[٣٣].

المبحث الثاني : رؤية الدكتور أحمد مطلوب للنقد العربي المعاصر.

للدكتور أحمد مطلوب رؤيه خاصة في الكشف عن سمات النقد العربي المعاصر وسبل تعاملاته لدى النقاد . وذلك بوساطة مراقبتها وبيان وجهتها ، ورصد مسببات فقدانها الخصوصية ، وصاحب ذلك دعواته الكثيرة إلى استقلالها بخصوصية .

ونظرته في ذلك كانت تجري على وفق التصور الآتي :

أولا : نكران الرؤية التعصبية في التعامل مع المناهج النقدية المعاصرة :

لم يكن الدكتور أحمد مطلوب من المتعصبين إتجاه قضية علمية ، بل كان ميدانه البحث بغية التعلم واستكشاف المساحات التي لم يضيء لنا النقد نعلل ذلك بقوله ((وكان لابد لمن يُعنى بالدراسات النقدية والأدبية من أن

---

[٣١] في المصطلح النقدي : ٤٤-٤٥.

[٣٢] في المصطلح النقدي : ٤٥.

[٣٣] بحوث نقدية وبلاغية : ٢٨/١

يخوض مع الخائضين في هذا الحقل الذي يعد من مستلزمات المعاصرة التي ينبغي التعامل معها بوعي وإدراك ليتضح الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر))[٣٤].

وبالرغم هذا الحرص الذي انتهجه الدكتور أحمد مطلوب في التعامل مع المناهج النقدية . إلا أنَّ ذلك لم يشغله عن البحث في خصوصية المنتج النقدي العربي الأصيل ومحاولة إيجاد موطئ قدم له في منازل العلوم العالمية ، وبيّن ما أصابه من نكسات إنما يرجع إلى ما ((قام الجهل أو الضياع إلى إنكار ما للعرب من مناهج بلاغية وما لديهم من نظرات صائبة وتحليل للنص ينبع من طبيعة اللغة وروح أدبها . فأعرض الباحثون عن العودة إلى النبع الأصيل دفعا للراحة أو تباهيا بالحداثة التي تصوروا أنها هدمٌ للتراث ، وقد نسوا أنها تنهض من غير أصول ، وأنّ التجديد عكوف على الموروث ، وفهم وتمثل له ، وانطلاق إلى الآفاق ، وهذا ما فعله الأوربيون في نهضتهم الحديثة إذ عادوا إلى تراثهم يدرسونه ويقفون عند قضاياه وقفة المتأمل ، ويستخلصون منه ما ينسجم ومعالم نهضتهم ، وما يصور واقعهم الذي ارتبطوا به لغة وثقافة وطموحا))[٣٥] ، لقد اتضح لديه بما لا يقبل الشك إيمانا مطلقا أن الانطلاقة نحو الجديد إنما هو قتل القديم درسا ؛ واستشهد على ذلك بما فعله الغربيون من الانكباب على تراثهم على الرغم من الانقطاع الطويل بينهم وبين تراثهم.

---

[٣٤] في المصطلح النقدي ، الدكتور أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي ، مطبعة المجمع العلمي ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م : ٣ .

[٣٥] [illegible] ية : ٣١٨-٣١٩.

ثانيا : دعواته إلى منهج التكاملي في فهم مراد النص .

ساد القرن العشرين تراكم معرفي كبير للمناهج النقدية ، ولاسيما أن التحولات الفكرية التي سادت العالم من الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ، والحاجة إلى مسوغات هذه الحروب أسهم ذلك بشكل فاعل في ولادة التيارات النقدية المختلفة ونشأت المدارسة اللغوية الكثيرة ، والنقد العرب وسط هذا الزحام يخوض أصدائه مع الخائضين ، في تسابق لأخذ المناهج النقدية الغربية وتسخيرها لديمومة الحركة النقدية والأدبية في الوطن العرب ؛ لأن الفكر الإنساني لا يتوقف وإنْ استعار مادته من غيره وإن اجتر نفسه .

لكن وجه الإشكال في تعاملات النقد العربي المعاصر مع المناهج النقدية الغربية يكمن في التناول من غير بصيرة ، وأخذ كل جديد من غير تفريق بين الغث والسمين ولا المتأخر والمتقدم ، دونما فرز الطالح من الصالح الذي ربما لا ينفع الحضارة العربية في شيء ، ولا يخدم أدبها في شيء .

وفي ظل هذا التراكم المعرفي نقف أبجديات الدكتور أحمد مطلوب (رحمه الله) لتحقق التفرد في الدعوة إلى خصوصية النقد العربي وتلبي طموح الراغبين نهضة هذه الأمة وعلو شأنها ، ذلك من خلال تبني منهج نقدي خاص يستل روحه من التراث العربي أصالةً ورقيًا ويبني عمران هيكليته من الحاضر المشرق ، ويسهم في بناء حركة الفكر الإنسانية ، المنهج المقترح يحمل مسمّى (المنهج التكاملي) ، ولهذا المنهج مبرراته ، فـ ((النقد الأدبي الحديث ، لم تتضح فيه خصائص الأدب العربي ، ومعالم النقد الذي

بتمييز بين العربي ، وأهملت المناهج الأخيرة كثيراً من أصول النقد التي تلقي ضوءاً كاشفاً على النص وتقربه إلى المتلقي))[٣٦]. فضلاً عن ذلك مع نهاية ((القرن العشرين لا يجد الدارسون منهجاً عربياً في النقد ، وربما لا يجدون منهجاً في القرن الجديد إذا ظل التقليد سمة الدرس ، والتبعية مدار البحث))[٣٧].

ويرسم هذا المنهج بمجموعة من الخطوات والإجراءات ، على وفق التصور الآتي[٣٨]:

أ- الاهتمام بمبدع النص وثقافته وطباعه وبيئته ، وملامح عصره ، وبمناسبة كتابة النص وزمانه .

ب- الانطلاق من طبيعة النص ورؤية مبدعه والهدف الذي توخاه .

ت- اختيار النص الذي يستحق الدراسة وبذل الجهد لإظهار ما فيه من قيمة فنية ، وهدف إنساني نبيل .

ث- القراءة المعتمدة على ما حول النص- أي خارجه- وعدم التأويل البعيد الذي يضع النص في مهب الريح .

ج- التحليل الدقيق للنص من خلال أصول اللغة العربية : صرفها ، ونحوها ، وبلاغتها ، وتبيان خصائصه الأسلوبية ، وعدم إقحام ما تأباه روح اللغة العربية وأساليبها في التعبير . وإظهار ما في النص من جودة ورداءة ، وإبداع وتقليد .

---

(٣٦) بحوث نقدية وبلاغية : ١/ ٤٧.

(٣٧) بحوث نقدية وبلاغية : ١/ ٥٤.

(٣٨) ينظر نفسه وبلاغية : ١/ ٥٥، ٥٦.

ج- موازنته بالنصوص الأخرى المتسع مريته وقيمته . ومدى انتفاعه بها فيما سُمّي أخذا أو اقتباسا أو تضمينا في القديم و" تناصا " في الحديث ، ثم الحكم عليه .

ح- الوقوف على معاني النص قديمها وجديدها .

د- عدم الفصل بين الشكل والمضمون ، لأنهما وجها النص . النظر في النص نظرة متكاملة وعدم تجزئته او تحطيمه .

ذ- توظيف المعارف بما ينسجم مع هدف النص كالأحوال السياسية والاقتصادية .

ر- الحكم على النص وتحديد موقعه ، والاطلاع بما يستجد في ميدان النقد الأجنبي من غير أن نلوي النصوص العربية تطبيقا لمنهج نقدي يتعصب له الدارس أو الناقد

وقد حدد الدكتور أحمد مطلوب معطيات المنهج التكاملي الذي ندعو له مما لاحظه من ((الاهتمام ببنية النص ضروري ؛ لأنه يكشف عن شبكة العلاقات القائمة بين أجزائه ، وهو ما فعله النقاد العرب القدامى متخذين من البلاغة منهجا او طريقة في التحليل ، ولعلّ عبد القاهر الجرجاني كان من أبرعهم في كتابه "دلائل الإعجاز"))[٣٩].

ولاسيما أنّ عبد القاهر الجرجاني يُعدّ صاحب ((الدعوة إلى دراسة النص دراسة متكاملة تشمل بنيته ومكوناته ، وتوضح أصالته ، وتدلّ على مبدعه وثقافته وبيئته وعصره ؛ ليكون واضحا جليا ، وتحافظ على جوهره

---

[٣٩] بحوث نقدية وبلاغية : ٣١.

[illegible] قراءاته ، ويهدف المنهج لتحسس الدراسات وتلمس المقاصد والأهداف))(٤٠).

ثالثًا: مراقبة التيارات النقدية :

كما أسلفنا في الصفحات الماضية لم يكن منهج الدكتور أحمد مطلوب يتماشى مع المناهج النقدية الغربية التي عاصرها أخذًا وقبولًا وتسليمًا مطلقًا بل كان يدرس الظواهر النقدية الحديثة ويعكف على دراستها ويأخذ المفيد منها ويرفض الضار ، وقد رفض بعض الدعوات التي من شأنها أن تبعد النص عن وجهته التي رسمها مؤلفه ، ولاسيما ((أن النص وليد صانع هو قبل كل شيء ، تعبير عن وجدان صاحبه وموقفه من الحياة ، وليس صحيحًا ما دعا إليه رولان بارت في مقالة "موت المؤلف"))(٤١).

وقد استبعد الدكتور أحمد مطلوب بنقضه هذا لرؤية رولان بارت بعدة نقاط منها:(٤٢)

١- إن النص ينبع من روح صاحبه وفكره ، وإلا فكيف نفهم خمريات أبي نواس ، وزهديات أبي العتاهية ، وحجازيات الشريف الرضي ، وهاشميات الكميت .

---

(٤٠) بحوث نقدية وبلاغية : ٣١.

(٤١) بحوث نقدية وبلاغية ، الدكتور أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي ، مطبعة المجمع العلمي ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م : ١٠.

(٤٢) ينظر: بحوث نقدية وبلاغية : [illegible].

٢- ما أورده الناقد العربي ([illegible]) ، عن أهمية البيئة في فهم مرات النص ، فلكل عصر سماته ، وللأديب عصره الذي ينشأ فيه ، مهما تفرّد بخصائص معينة

٣- الفرق واضح بين أثر البيئات في إنتاج صور الشاعر ورؤاه ، فهناك فرق بين بيئة بدوية وأخرى حضرية ، وقد عرف النقاد العرب ذلك.

وقد رفض الدكتور أحمد مطلوب ما ذهب إليه النقاد المعاصرون من أنّ البنيوية تشكل منهجا نقديا يلغي الديمومة والبقاء أبدا ، من ذلك رؤية الدكتور كمال أبو ديب إذ يقول: ((يستحيل بعدها أن نرى العالم ونعاينه كما كان الفكر السابق عاجزا يعاين العالم ويعاينه))[43].

وفي ردّ الدكتور احمد مطلوب على تصور الدكتور كمال ابو ديب يقول : ((والبنيوية تجرد النص من كل ما يتصل به وتنظر إلى بنيته الداخلية))[44].

وهذه الرؤية تتفق مع تصورات الدكتور محمد عابد الجابري الذي يرى ((إنّ النظرة البنيوية ، باهتمامها بالكل أكثر من اهتمامها بالأجزاء ، وبنظرتها إلى الأجزاء في إطار الكل الذي تنتمي إليه ضرورة لاكتساب رؤية أشمل وأعمق ، ولكنها وحدها لا تكفي ، بل لابدّ من المزاوجة بينها وبين النظرة التاريخية))[45].

---

(٤٣) جدلية الخفاء والتجلي : [illegible].

(٤٤) في المصطلح النقدي : ٨٨.

(٤٥) التراث والحداثة : ٤٣.

قد كان للدكتور أحمد مطلوب رأي في التداولية بحثاً مفاده أن التداولية ليست منهجاً ، وإنما هي ضرب من البحث في الدرس البلاغي القديم من جانب مطابقة الكلام لمقتضى الحال (1).

رابعاً: استشراف حال النقد في القرن الواحد والعشرين .

1 ـ كان الدكتور أحمد مطلوب رحمه الله صاحب نظر ثاقب وبصيرة واعية وعقل لامع ، يستنبط الرؤى التي تعزز الحضور اللغوي ، وهو يؤكد على الدوام قابلية التراث العربي على الاتساع والتطوير ؛ لأن يحوي أفكاراً عميقة ومساحات واسعة لم تنل عناية كبرى من لدن الدارسين والباحثين تبقى مجالاً خصباً للدرس والتفصيل والشرح والتأويل ، ومن تلك المساحات الشاسعة القابلة للتطوير جهود عبد القاهر الجرجاني فقد جمع ((في بلاغته ونقده بين القاعدة والتذوق فكان ناقداً ذا منهج وبلاغياً صاحب رأي سديد ، ولم يستفد البلاغيون من هذا المنهج الواضح ومضى السكاكي (٦٢٦هـ) والقزويني (٧٣٩هـ) وشراح التلخيص يدخلون كلام عبد القاهر ويلتقطون بعض أمثلته مضيفين إليها الكثير من مسائل الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ، تاركين تحليله وملامح منهجه النقدي ، وقد حاول ابن الأثير أن يقترب من عبد القاهر ولكن ازدراءه النحو ومتبعيه النحاة ، أبعده عن منهج عبد القاهر التحليلي))(2) ، وهذا التصور الذي تبناه الدكتور أحمد مطلوب عين

---

(1) ينظر : (بحث) التداولية ليست منهجاً ، الدكتور أحمد مطلوب أحمد ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع العلمي ، العدد ٣ ، المجلد [illegible] ، [illegible]م .

(2) بحوث بلاغية : الدكتور أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي ، بغداد ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م : ١٤٤ .

الصواب إذا ما سلمْنا بحقيقة أنّ جهود عبد القاهر البلاغية والنقدية يجب أن تكون نقطة الانطلاق في الدراسات البلاغية والنقدية العربية ، ويجب أخذها من منبعها لا من تصورات الدارسين بعد كتصورات السكاكي وأصحاب شروح التلخيص وغيرهم ، وهذا الأمر عينه ما حصل في الدراسات اللسانية الغربية إذ كانت نقطة الانطلاق من دو سيسور

ولم تكن نظرة الدكتور أحمد مطلوب الاستشرافية للدرس النقدي العربي في القرن الواحد والعشرين نابعة من تصوره للدرس النقدي العربي ، فحسب بل بنى رؤاه على ما لاحظه من تصورات للمصطلحات ((الأسلوبية ، والشعرية ، والحداثة ، وما بعد الحداثة ، والبنيوية ، وما بعد البنيوية ، والتفسيرية ، والتفكيكية ، والتناص ، والظاهراتية ، والسردية ، ونحو ذلك من المصطلحات التي استعمل معظمها في غير ما أراده أصحابها الاجانب إما لقصور في الفهم أو لسوء الترجمة ، فضلا عن الاجتهادات المتناقضة [...] في حين أنّ هذه المصطلحات ومناهج النقد الأدبي تعرضت للنقد العنيف في ديارها ، وبدأ ظلها ينحسر وتصبح تراثا يرجع إليه مؤرخو النقد والأدب))[٤٨]

وقد اتسمت دعوته لاستشراف حال النقد من واقع حال الحداثة العربية المنشودة في الدراسات المعرفية المعاصرة ، ولاسيما أنها ((ينبغي أن تبنى بناء يستمد أصوله من فكر الأمة ويقتبس أصالته من تطلعاتها لا أن تكون شطحات يمليها الخيال الفاسد ، والتصور القاصر ، والفكر الشاذ ، والحداثة العربية رؤية شاملة وأصالة صريحة ، وطموح واسع ؛ لأنها تؤمن بالحياة وتجددها ، وتستمد أصولها من واقع الأمة ، وتنفتح على الحضارة

---

(٤٨) في المصطلح النقدي : ٣٠.

الإنسانية ، [...] وأنها استلهام للماضي ، وليس تقديس له ، وأنها امتداد للتراث الحي وليست تقاطعاً ونكرانا وتمرداً عليه ، وأنها اكتشاف اللغة العصرية التي تستمد أصولها من اللغة الحية وليست تحطيما لها أو خروج على أسسها ، وأنها خلق للأدب المعبر عن الواقع بصوره الايجابية التي تبني الحياة وتعلي شأن الإنسان))[٤٩].

فضلا عن ذلك يجد الدكتور أحمد مطلوب أنّ الأدب العربي ما زال زاخرا بالكثير من القدرات والمنجزات التي من شأنها أن تأخذ مساحة في تطويرها وتأسيسها ((طبع النقد العربي بطابع الفكر الغربي ، ولم يكشف عن روح الأدب وإنما هو – في الغالب – تنظير لا يحقق الهدف ، أن النقد ليس وصف التركيب اللغوي للنص فحسب ، وإنما هو الشرح والتفسير والموازنة والتعمق في كشف معناه وهدفه وصلته بمبدعه والظروف المحيطة به))[٥٠]؛ هذه الأسباب وغيرها من تصورات على حال النقد في يومنا هذا دفعته لأن يشرع في رسم تصورات ((لآفاق النقد الأدبي في القرن الحادي والعشرين؟))[٥١] ؛ وقد أورد تصورا عاما سبقته دعوته لمنهج نقدي تكاملي؛ انبثقت تصوراته ... منتزعة من ((ملامح النقد العامة في القرن الماضي التي قد تسمى بنظرة مستقبلية))[٥٢] وقد دعا إلى تأليف معجم نقدي ((حديث يتفق عليه معظم الأطراف المتنازعة بعد أن أصبح الاتفاق في

---

(٤٩) في المصطلح النقدي : ٤٤.

(٥٠) بحوث نقدية وبلاغية : ٣٢/١.

(٥١) بحوث نقدية وبلاغية : ٣٤/١.

(٥٢) المصدر نفسه : ٣٤/١.

المصطلحات مهما في الدراسات ليصدر الباحثون عن موروث صادق ونهج علمي أصيل))[٥٣].

الخاتمة ونتائج البحث :

وفي نهاية هذا التطواف في مؤلفات الدكتور أحمد مطلوب "رحمه الله" ، لا يسعنا إلا القول : إنَّ جهده الذي بذله في خدمة اللغة العربية وتراثها الأصيل ، كبيرٌ جدا يصل إلى حدِّ إقامة مدرسة في التحقيق والدراسة لقضايا التراث اللغوي والبلاغي والنقدي إن صح التعبير ، لعل السؤال المركزي الذي يمكن أن يجيب البحث عن بعض معطياته هو : (هل حققت منجزات الدكتور أحمد مطلوب اللغوية والفكرية سبيلا فاعلا في تحقيق (المركزية اللغوية - الفكرية العربية الخاصة) ؟ . يبقى هذا السؤال مفتوحا على آفاق قراءة منجزه المعرفي ، وإدراك قيمته من خلال التراث أولا ، والقراءات المعاصرة للتراث العربي ثانيا.

إجمالا يمكن أن نسجل بعض النتائج التي عساها أن تبصر القارئ بغيض من فيض مما حوته مؤلفات أستاذنا .

- كان تعامل الدكتور أحمد مطلوب مع التراث النقدي والبلاغي من جانب الاستلهام لمسائله ، وتحليل قضاياه وموضوعاته ، وجعلها قيما معرفية أصيلة في الدرس النقدي والبلاغي المعاصر .

---

(٥٣) في المصطلح النقدي : ٤ ، وينظر : المصدر نفسه : ٢٦ .

- اتسمت دراسات الدكتور أحمد مطلوب بطابع الموضوعية في المعالجة، ومراقبة القضايا الإشكالية من جذورها الأولى.
- اتسمت دراساته بالوضوح في الطرح، والسهولة في التناول، والدقة في التعبير، والسلاسة في البناء، بأسلوب عربي فصيح ينم عن معرفة باللغة العربية وأفنانها.
- عُرف الدكتور أحمد مطلوب بمتابعته الحثيثة لكل الإصدارات النقدية المعاصرة، فلم يترك منهجا نقديا معاصرا، إلا تناوله في دراساته، بغية المعرفة أولا، ومن ثم الإسهام في حركية المنجز المعرفي العربي.
- عرفت الدراسات التي وقف عليها الدكتور أحمد مطلوب، بالتعددية في مناهج الأخذ، والإغداق في دراسة المصادر التي تتحدث عن الظاهرة الواحدة، حتى تكاد تكون دراسات مستوفية لأغلب الآراء التي قيلت فيها.

المصادر والمراجع :

- بحوث بلاغية : الدكتور أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي ، بغداد ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- بحوث مصطلحية ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع العلمي ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- بحوث نقدية وبلاغية ، الدكتور أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي ، مطبعة المجمع العلمي ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- البلاغة والأسلوبية للدكتور محمد عبد المطلب ، القاهرة ، ١٩٨٤م.
- البلاغة والأسلوبية ، (هنريش بليث) ، ترجمة محمد العمري ، الدار البيضاء ، المغرب - ١٩٨٩م.
- البيان والتبيين - أبو عثمان الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.
- التراث والحداثة دراسات ومناقشات ، الدكتور محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط٣ ، ٢٠٠٦م .
- جدلية الخفاء والتجلي (دراسة بنيوية في الشعر) ، الدكتور كمال ابو ديب ، بيروت ١٩٧٩م.
- الحيوان - أبو عثمان الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م
- كتاب (ألف ليلة وليلة سرديتها لغتها شعرها) ، الدكتور أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع العلمي ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م : ٧٠ وينظر :

- فصول في العربية ، الدكتور أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع العلمي ، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م :
- في المصطلح النقدي ، الدكتور أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي ، مطبعة المجمع العلمي ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري - تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي - طبعة شارل بلا ، بيروت ١٩٦٦م.
- النقد والحداثة : الدكتور عبد السلام المسدي ، بيروت ،١٩٨٢م.
- (بحث) التداولية ليست منهجاً ، الدكتور أحمد مطلوب أحمد ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع العلمي ، العدد ٣ ، ج ٤ ، المجلد ٦٠ ، ٢٠١٨م.

فقيد العراق والعرب : أحمد مطلوب

الأستاذ الدكتور حسن الشافعي

رئيس مجمع القاهرة - رئيس اتحاد المجامع العربية

١- كان الفقيد الكريم معنا ، في مقدمة الوفود العربية لمؤتمر مجمع القاهرة السنوي ، في العام قبل الماضي ، في دورته الثالثة والثمانين ، وكان ملء الأسماع والأبصار ، إذ فاضت عواطفه العامرة ، نحو مصر والقاهرة؛ فألقى إحدى قصائده الشعرية ، التي ستحثت رميله الراحل - رحمهما الله - الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف نائب رئيس المجمع حينذاك ، فحاوره بلحن مصري ، شعري أيضا ، في مساجلة جميلة حميمة ، لا أظنها غابت عن ذاكرة المشاركين في هذا الملتقى ، الذي حظي بحضوره ، ومشاركاته المرموقة ؛ إذ لم تمكنه الظروف من حضور الملتقى اللاحق ، في السنة التالية .

وما كنا نحسب أن ذلك اللقاء الذي حرص فيه على تحية مصر وسعدت به مصر هو آخر العهد بمحضره الكريم ، لكن الدهر الذي لا يبقي على شيء يمرُّ به ، فجأة فجعنا هذا العام برحيله ، على حين كان العراق والعالم أحوج ما يكونان إلى مثله ، في خبرته وحكمته ، وغيرته وهمته - فما أعجب الأقدار وأقسها حينما تصنعت ، وإن كنا نسلم بحكمة القدر ، ونتوكل على القوي المقتدر ، وقد عبر أحد شعراء البغداديين من قبل عن هذا العجب ، مع موقفه الديني ونسبه النبوي فقال :

ما أسرع الأيام في طيّنا تمضي علينا ثم تمضي بنا !!

٢- لقد عاصر الفقيد الكريم عصرين من عصور المجمع العلمي اللغوي العراقي : شهد أحدهما نشاطا وازدهارا ، وذلك قبل الغزوة البربرية المتذرعة بحجج باطلة للعراق ، ولكن يبدو أن السبب الحقيقي هو تعمد ضرب

و[illegible] معرفتنا التي كانت تمثلها [illegible] العرب [illegible]
ومقومات من العائلة العربية ، تمثيل التراث الحضاري ، والثروة اللغوية ، ونشر البنية التحتية فيها ، والتمييز الحركة الداعشية العائلية ، التي تذهب بما بقي من عناصر القوة ، ومداريث الماضي العريق .

غير أن الدكتور مطلوب ، الذي كانت رسائله إلينا ، تشي بما يواجهه المجمع البغدادي من ظروف قاسية – في هذه المرحلة المؤلمة من حياة العراق الحبيب ، بقي صامدًا كالطود ، محافظًا على اسم المجمع كمؤسسة علمية حضارية تقوم على اللغة الأم ، والحضارة المشتركة ، والوشائج القومية الباقية ، مع قلة الإمكانات ، ومواجهة التحديات ، الداخلية منها والخارجية . وإنا على ثقة من أن من سيخلفون الرجل في مهمته ، في رئاسة المجمع اللغوي العراقي ، سيقتدون به في موقفه في هذه المرحلة الحرجة من حياة المجمع العتيد وحياة العراق ، وسوف يحملون الشعلة ، ويخلدون ذكره – بإذن الله .

وهذا ما لمسته بنفسي في حفلة المجتمع الثقافي القاهري – منذ أسابيع – بمكتبة [illegible] برعاية من مكتبة الإسكندرية الدولية ، وسفارة العراق في القاهرة ، إذ تردد اسم الراحل الكريم ، بوصفه علمًا من أعلام الثقافة العربية ، ورمزًا من رموز التواصل الفكري واللغوي بين القاهرة وبغداد .

وهذه الحفاوة إنما يعود إلينا لوصل الحاضر بالماضي ، ولحفظ ذاكرة الأمة الحضارية ، أما فقيدنا فهو الآن في أكرم جوار ، ووديعة عند من لا تضيع عنده الودائع ، القائل في كتابه الكريم : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[١٢] صدق الله العظيم . رحم الله الفقيد العظيم ، فقيد العراق ، وفقيد العروبة ، وفقيد العربية ، وجزاه الله عن وطنه ، وعن أمته ، وعن لغته خير الجزاء .

أحمد مطلوب

ثراء إبداع ، وسيرة عطاء

الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد

نائب رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق

فقدت أمتنا العربية عالماً كبيراً من علمائها ، ألا وهو الصديق الصدوق الأستاذ الدكتور احمد مطلوب رئيس المجمع العلمي اللغوي في بغداد ، رحمه الله الرحمة الواسعة سعة ما قدمه لأمته من أفانين العطاء العلمي الباذخ .

ومن يطلع على السيرة العلمية للأستاذ المرحوم الدكتور أحمد مطلوب يجد أنه كان متميزاً في أدائه عندما كان طالباً في مرحلة الإجازة الجامعية الأولى حيث حصل على الشهادة من قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم في بغداد بدرجة امتياز عام ١٩٥٦ ، وكان الاول على جميع أقسام الكلية ، وكان متميزاً في دراساته العليا حيث حصل على شهادة الدكتوراه في البلاغة والنقد بمرتبة الشرف الأولى من جامعة القاهرة سنة ١٩٦٣ .

وكان (رحمه الله) متميزاً في عمله التدريسي الجامعي ومشهوداً له في الكفاية العلمية في جميع الأماكن التي عمل فيها إن في جامعة بغداد ، أو في جامعة الكويت ، أو في الجامعة المستنصرية أو في جامعة وهران بالجزائر أو في جامعة مارتن لوثر في ألمانيا ، إضافة إلى عمله استاذاً محاضراً في معهد البحوث والدراسات العربية العليا في القاهرة سنة ١٩٦٨

و ١٩٨١ ، وتوفي في بغداد سنة ١٩٩٧ ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٤ ، وعمل أستاذا محاضرا في معهد التطوير الإذاعي في السنوات ١٩٨٣ و ١٩٨٤ و ١٩٨٥ وما بعدها .

لقد عرفته في سبعينيات القرن الماضي عندما كان أستاذا في قسم اللغة العربية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة الكويت برفقة قرينته الفاضلة المرحومة الأستاذة الدكتورة خديجة الحديثي ، وكنت آنئذ أعمل في كلية التربية ومعهد التربية للمعلمين ومعهد التربية للمعلمات في الكويت ، وكان الصديق العراقي المرحوم الأستاذ الدكتور [illegible] حمدي زميلا لنا في العمل في المعهد وكان جارا لي في السكن .

ولقد كانت للمرحوم الدكتور مطلوب ورفيقة دربه المرحومة الدكتورة خديجة جهود طيبة في ترسيخ دعائم التدريس الأكاديمي والبحث العلمي في كلية الآداب . وقد أشرفا على طلبة كثيرين في الدراسات العليا بعضهم من العرب وبعضهم الآخر من غير العرب . وكانا مضرب المثل في الموضوعية والنزاهة والاستقامة . فإذا ذكرا ذكرت المناقب الرفيعة ، والقيم السامية ، والجدية في العمل والتفاني ، والحرص على المستوى العلمي الراقي .

وشاءت الظروف أن ألتقي الدكتور مطلوب (رحمه الله) في رحاب مؤتمر التعريب الذي عقد في دمشق عام ٢٠٠٢ ، وكنت آنئذ وزيرا للتربية في الجمهورية العربية السورية ، ورئيسا لهذا المؤتمر ، ولا يمكنني أن أنسى إسهاماته القيمة في المؤتمر مناقشة للمصطلحات المنجزة والمعروضة ،

وتعقيباً على أوراق العمل المقدمة ، وكانت آراؤه وملاحظاته محل تقدير المؤتمرين كافة .

وتتالت لقاءاتنا في مؤتمرات مجمعي اللغة العربية في دمشق والقاهرة ، وفي اجتماعات اتحاد المجامع اللغوية العلمية في الوطن العربي في القاهرة ، فكان نعم الصديق ، ونعم العالم الرزين والرصين ، ونعم الناصح الأمين .

وإن أنس لا يمكنني أن أنسى مشاركته الإيجابية والمتميزة في المؤتمر السنوي السابع لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٨ ، وكان عنوان المؤتمر التجديد اللغوي ، وقد ألّف فيه بحثاً أصيلاً عن التجديد اللغوي في البلاغة تحدّث فيه عن التجديد اللغوي في البلاغة فرّق فيه بين دعوات هدامة للقضاء على أهم مقومات وحدة الأمة العربية وبين دعوة المخلصين من أبناء الأمة الغيارى على عروبتهم ولغتهم ، وهي دعوة تنطلق في تجديدها من أصول اللغة العربية وخصائصها التي تميز بها ، والتجديد عندهم ليس الهدم الذي دعا إليه المستشرقون ومن والاهم ، وإنما هو التيسير الذي يجعل اللغة على كل لسان ، وأبان أن التجديد في البلاغة تجلّى لدى أمين الخولي وعبد الله العلايلي وأحمد الشايب وأحمد مطلوب ومحمد عبد المطلب ، وكان لهم أثرٌ في رسم منهج البلاغة وتيسير مباحثها ، وكان تجديدهم ينبع من التراث ، ومما استجد في العصر الحديث من دراسات تتصل بالبنيوية والأسلوبية والشعرية ، وما بينها وبين الدرس البلاغي من صلات .

وأشار إلى أن الاكتفاء بالمؤتمرات لا يحلّ مشكلة اللغة ، ولن يجدي نفعاً كبيراً ما لم ينجز التعريب في الوطن العربي كله ، ويكون البحث

والتأليف والتدريس باللغة العربية كما هو الأمر في سورية التي صمدت أمام التحديات قرنا كاملا ، وستصمد إلى ما شاء الله ؛ لأن هذا قدرها وقدر كل مخلص من العرب .

وكان ثمة توجه في المؤتمر المتعلق بالتجديد اللغوي في البلاغة إلى :

١- إلغاء التقسيم الثلاثي وجعل البلاغة فنا واحدا ، وبحث موضوعاتها في ضوء الترابط بين واحد وآخر ، وما أشار إليه البلاغيون الجدد من مستويات المستوى الصوتي والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي .

٢- الاهتمام بالمستوى الصوتي والألفاظ ودلالاتها وما فيها من جمال وجرس له أثر في التعبير ، وأن يكون البحث في الفصاحة من صميم المستوى الصوتي ، وهو ما عني به القدماء كابن سنان الخفاجي وضياء الدين بن الأثير .

٣- البحث في الجملة وأحوالها ، وما يحدث فيها من حذف وذكر وتقديم وتأخير وارتباط الجمل مما بحثه البلاغيون في موضوع الفصل والوصل .

٤- البحث في الفقرة والقطعة الأدبية والنص الكامل ما أمكن ذلك .

٥- البحث في صور التعبير المختلفة كالتشبيه والاستعارة والكناية وغيرها من مباحث علم البيان .

٦- التقليل من التقسيمات والتفريعات التي يضلّ الدارس فيها .

٧- توحيد المصطلحات والأخذ بأكثرها دلالة على الفن البلاغي، وترك التسميات المتعددة للفن الواحد، إذ بلغت مصطلحات البلاغة الأساسية والفرعية أكثر من ألف مصطلح.

٨- تنقية البلاغة مما علق بها من مصطلحات الفلاسفة وأهل المنطق والعلوم التي لا تمت إليها بصلة وثيقة مثل: الكم والكيف والعرض والجوهر والمؤمن والدهري والماهية والتأسيس والموجبة والسالبة واللذة والألم وحرارة الحروف وبرودتها ورطوبتها ويبوستها ... الخ.

٩- تحلية البلاغة بما استجد ويستجد من دراسات بلاغية ونقدية وأدبية وجمالية مما يرفدها بكل جديد لا يهدم أصولها، ولا يمحو معالمها.

١٠- الاهتمام بعرض الفنون البلاغية بأسلوب رفيع يثير المشاعر، ويحرك النفوس قبل أن ينفذ إلى العقول فتدركه؛ لأن البلاغة فن يرتبط بالذوق والإحساس الروحاني.

١١- اختيار النصوص الرفيعة، وتلمس البلاغة فيما استجد من فنون أدبية تعبر عن المعاصرة.

١٢- تحليل النصوص تحليلا أدبيا، والابتعاد عن المماحكة والتحليل الذي يجعلها طلاسم.

١٣- توحيد أسلوب التأليف، وعدم الانتقال من أسلوب إلى آخر كما كان القدماء ينتقلون إلى أساليب الفلاسفة وأهل المنطق عندما يناقشون، وأساليب الفقهاء حين يعللون، وأساليب النحاة حين يعرضون مباحث علم المعاني، ويفصلون القول فيها.

١٤- الدعوة إلى التكامل بين النحو والبلاغة ، بمعنى أن نضع ما يتصل بموضوعات النحو بموضوعات علم المعاني في البلاغة في سنة واحدة ، فالمعارف في النحو ترافقها في السنة نفسها دراسة دواعي التعريف والتنكير من علم المعاني ، ومواضع ذكر المبتدأ والخبر وحذفهما وتقديمهما وتأخيرهما ترافقها دواعي الذكر والحذف ودواعي التقديم والتأخير ، حرصا على وحدة الموضوعات التي فرقتها مناهجنا وأساليب تعليمنا تأليفا وتوزيعا للموضوع الواحد بين المدرسين والامتحانات، حتى تمزقت في عقول الطلبة ، ولم يقم في عقولهم أنها مادة واحدة وأن لها جميعا هدفا واحدا يجب أن نبلغه ونبلّغه على حد تعبير الأستاذ الدكتور مازن المبارك.

لم يكن الدكتور مطلوب مجليًا في أدائه التدريسي والأكاديمي فقط ، وإنما كان متميزا في الوظائف الإدارية التي شغلها عبر مسيرته حيث عمل عميدا لكلية الآداب في جامعة بغداد بالوكالة سنة ١٩٦٦ و١٩٦٨ ثم بالأصالة عام ١٩٨٤- ١٩٨٦ ، كما عمل رئيسا لهيئة العناية باللغة العربية في الأعوام ١٩٩٢ وحتى ١٩٩٦ ثم عيّن أمينا عاما للمجمع العلمي العراقي من ١٩٩٦ وحتى ٢٠٠٣ وأصبح رئيسا للمجمع منذ سنة ٢٠٠٧ إلى أن توّفاه الله ، وتسلّم وزارة الثقافة والإرشاد في العراق من قبلُ سنة ١٩٦٧.

وتجدر الإشارة إلى أن فقيدنا الكبير كان عضوا عاملا في المجمع العلمي العراقي منذ عام ١٩٨٥ وعضوا عاملا في المجمع الملكي (مؤسسة آل البيت الملكية للبحوث الإسلامية في الأردن) منذ عام ١٩٩٢ ، وعضوا عاملا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ٢٠١٦ وعضوا مراسلا في مجمع

اللغة العربية في دمشق منذ عام ٢٠٠٠ ومؤازرا في مجمع اللغة العربية الأردني منذ عام ١٩٨٨ ، وعضو اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في القاهرة منذ عام ٢٠٠٧ ، وعضو المجلس العلمي في مكتب تنسيق التعريب في الرباط منذ ٢٠٠١.

لقد كان فقيدنا معطاء بكل ما تحمل كلمة العطاء من معان ودلالات ، إذ لم يقتصر عمله على التدريس . وإنما كان له في الصحافة باع كبير ، حيث شارك في تحرير بعض المجلات رئيسا للتحرير أو عضوا لهيئة التحرير أو عضوا استشاريا في هيئة التحرير ، وقد زادت المجلات التي عمل فيها على ثلاث وعشرين مجلة . وألقى كثيرا من الأحاديث الاذاعية في ستينيات القرن الماضي ، كما قدّم عدة ندوات تلفازية وحاور فيها أعلاما بارزين .

أما اللجان الدائمة التي كان عضوا فيها فقد بلغت سبعا وعشرين لجنة أغلبها في المجمع العلمي العراقي . فضلا عن مئات اللجان المؤقتة ، ومنها لجان مناقشة رسائل الدراسات العليا في العراق والأردن ومصر والكويت ؛ ذلك كله إلى جانب عضو مجلس أمناء هيئة المعجم التاريخي للغة العربية منذ عام ٢٠٠٧.

وإذا وقفنا على الكتب والبحوث التي ألفها فقيدنا الكبير فإننا لنقدر عاليا وفرة هذه الكتب المؤلفة والمحققة ووفرة البحوث العلمية المنشورة في المجلات العلمية المحكمة ، إذ إنه ألف واحدا وتسعين كتابا في البلاغة والنقد والأدب والثقافة والمعاجم والتعريب والتراث والمصطلحات ، وأصدر ستة عشر كتابا محققا من كتب التراث في الشعر وبلاغة القرآن والأدب ،

ونشر أكثر من مئة وثلاثين بحثاً علمياً داخل العراق وخارجه. وقد نشرت كتبه في بغداد والكويت والقاهرة وبيروت والموصل وعمان وديالى ، وكانت أغلب الكتب المحققة التي نشرها بالمشاركة مع قرينته الفاضلة المرحومة الدكتورة خديجة الحديثي .

ولقد أسهم عالمنا الجليل الدكتور مطلوب في تأليف الكتب المدرسية في وزارة التربية في العراق بمشاركة نوري القيسي وعبد المطلب الهاشمي في بعضها ومشاركة الدكتور عمر الملا حويش وعبد الرضا صادق في تأليف كتاب البلاغة للمدارس الإسلامية وقد طبع عدة مرات .

وغني عن البيان أن فقيدنا كان شاعراً مشهوراً أيضاً ، وقد صدرت له عدة كتب شعرية منها : مرافئ الأمس وأحبك يا عراق وحبيبتي بغداد ، حبيبتي وفاء وحبيبتي سناء ، وحبيبتي فداء ، رفيف المنى ، لولا حبك ، فضلا عن مجموعة رباعيات منها : أنين الزمن ، أنين الشجن ، أنين الوطن

ولقد نال بكل جدارة وكفاءة عدداً من الأوسمة والجوائز والدروع ، ومن الأوسمة التي حازها وسام الدولة للآداب في العراق سنة ١٩٨٧ ونوط الامتياز من الطبقة الأولى من مصر سنة ١٩٩٠ ، ونوط الاستحقاق العالي من العراق سنة ١٩٩٣ و ٢٠٠٠ و ٢٠٠٢ ووسام العلم سنة ٢٠٠٠ وشارة العلم سنة ٢٠٠٠ - ٢٠٠١ و ٢٠٠٢ ثم وسام جائزة الملك فيصل العالمية سنة ٢٠٠٨. ومن الجوائز التي نالها جائزة الدولة التقديرية للآداب في العراق سنة ١٩٨٧ وجائزة الملك فيصل العالمية سنة ٢٠٠٨ في قضايا المصطلحية .

ومن الدروع التي سلمت إليه تقديرا لعلمه وجدارته درع وزارة الثقافة والإعلام عام ١٩٨٧ ودرع كلية التربية في الجامعة المستنصرية سنة ١٩٩٢ ودرع جامعة مؤتة في الأردن عام ١٩٩٨ وجامعة الكوفة عام ٢٠٠٩ وجامعة ديالى عام ٢٠١٠ ودرع بيت الحكمة عام ٢٠١٢ وجامعة الزيتونة الأردنية عام ٢٠١٣ ودرع يوم اللغة العربية العالمي من مجلس الوزراء في العراق عام ٢٠١٣.

ومن الفعاليات والمناشط التي قام بها فقيدنا الكبير إسهامه في أعمال المؤتمرات والندوات على جميع الصعد محليا وعربيا وإقليميا وعالميا ، وبلغ عدد الندوات والمؤتمرات التي حضرها وشارك فيها في العراق وخارجه أكثر من مئة ندوة ومؤتمر .

ولكم كنت أنتظر بشوق عارم لقاءه في المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة واجتماع اتحاد المجامع العلمية اللغوية العربية على هامشه ، فقد كنا نستقل السيارة معا من الفندق الذي كنا نقيم فيه إلى مقر المؤتمر في المجمع ، ومن المؤتمر الى الفندق ، ونتناول الغداء معا ، ونتبادل الأحاديث والآراء في أعمال المؤتمر وهموم اللغة.

وكان مجمع القاهرة في مؤتمره الذي يمتد أسبوعين كاملين يخصص ثلاثة أيام منها للقيام برحلة إلى أحد المنتجعات السياحية ، فكنا نتزامل في هذه الرحلات ، وصدف أن اعتذر (رحمه الله) عن عدم اشتراكه في إحدى الرحلات ، وكنت أصطحب معي مخطوطة لكتابي «أزاهير أدبية» وفيه مختارات لأدباء اتسموا بفرط الحساسية واتقاد المشاعر ورهافة الوجدان ، واشتمل على عشرة فصول في الأمثال والحكم والتصوف والحب والعشق

والحنين والتعلق بالوطن وقضايا الأمة والوصف والسمات الشخصية والنفسية والتربية والتحلي بالمناقب...الخ. وطلب إليّ أن يحتفظ بالمخطوطة معه في الفندق ليطلع عليها وهو مقيم فيه في أثناء اشتراكي في الرحلة ، واطلع (رحمه الله) على المخطوطة ، وسجّل بعضا من ملاحظاته القيمة ، واقترح أن أضيف إلى فصل أزاهير مسقية بالدمع قصيدة الشاعر نزار قباني في رثاء زوجته بلقيس فهي من عيون الشعر والأدب ، وأخذت بمقترحه وشكرت له ذلك مسجلا له الشكر في مقدمة كتابي .

لقد افتقدته في المؤتمر السنوي لمجمع القاهرة عام ٢٠١٨ ، إذ لم يحضر أعمال هذا المؤتمر ، بسبب وضعه الصحي ، وإنما ارسل بحثا إلى المؤتمر عنوانه « الغزو اللغوي » وزّع على المؤتمرين ، وكان آخر بحث أطلع عليه لفقيدنا الكبير ، وقد أبان في بحثه أن أهم معالم الغزو إعلاء لغة المحتل والتبشير بها ، وفتح المعاهد لتعليمها وتكريم دارسيها ، وتعيينهم في الوظائف العامة دون غيرهم ممن لا يعرفون لغة المحتل زاعما من أن لغته عالمية. ومن معالم الغزو الادعاء بأن اللغة العربية ليست لغة علمية ، والدعوة إلى العامية ، وهذه من أخطر أهداف الاستعمار والدعوة إلى الأخذ بالحرف اللاتيني ، وإهمال الشهور العربية ، واستعمال أسماء الشهور الفرنسية في المغرب العربي ، واسماء الشهور الإنجليزية في دول الخليج العربي ، والتراجع في التعريب ، ومحاولة إلغاء تدريس العربية في أقسام غير الاختصاص ، والسماح للدول الأجنبية بفتح كليات وجامعات تدرس بلغات دولها ، والسماح لرياض الأطفال ومدارس التعليم الأساسي والثانوي التعليم بالأجنبية ، واتخاذ اللغة الأجنبية لغة السوق. وأبان الباحث أن الاهتمام

باللغة الأجنبية شيء ، والتدريس بها شيء آخر ، ففي الأول انفتاح على الثقافة والحضارة والعلوم ، وفي الثاني قهر للغة الأم .

ووقف الباحث على ما يروجه دعاة العولمة من أنهم يريدون عالما موحدا يسيطر عليه القطب الواحد الذي يفرض لغته وثقافته ونمط حياته ، ويسعون إلى نشر اللغة الأجنبية وإشاعة العامية ، وصهر المجتمعات في بوتقة واحدة. وأوضح أن الاهتمام بالعربية والحفاظ عليها يقتضي إيمان السلطة بأهمية العربية وأن تكون حرسا أمينا عليها ، وإصدار قوانين لحمايتها ، ونشر الوعي اللغوي بين المواطنين في وسائل الإعلام المختلفة ، وتشكيل هيئات عامة للعناية بالعربية وتكون مسؤولة عن تنفيذ قوانين الحفاظ على اللغة ، وأن يكون لمجامع اللغة سلطة تنفيذية ، وأن ينفذ التعريب بقرار سياسي كما فعلت سورية في مطلع القرن العشرين ، وما حدث في العراق في سبعينيات القرن الماضي ، والاهتمام بالترجمة ، وألا يسمح للتعليم الأجنبي مدّ خيوطه اللغوية ؛ ليبعد المواطنين عن لغتهم ، ودراسة التراث اللغوي دراسة معمقة وإجراء بحوث مستفيضة ، وإنشاء منظمة دولية تعنى باللغة العربية على غرار المنظمة الدولية الفرانكفونية ، مهمتها وضع الخطط الكفيلة بالحفاظ على سلامة العربية وتنميتها ونشرها في العالم على أن يكون لها سلطان تنفيذي في جميع أنحاء الوطن العربي ، ويكون ارتباطها بالمنظمة الإسلامية أو بجامعة الدول العربية.

وخلص الباحث في نهاية بحثه إلى أن الغزو اللغوي الذي أعقب الاحتلال أفقد العرب هويتهم حين جنحوا للغة المحتل ، وكادت العربية تصبح نسيا منسيا حين بدأ التعليم بالأجنبية ، وأن الأخذ بالأجنبية في التعليم

والعمل كاد يفضي إلى التشرذم ، وفي هذا ضياع الأمة العربية ، وهو ما تسعى إليه العولمة وقتل بيها الواحد . والغزو اللغوي أول الشرر فهل من يخمده قبل أن يصبح نارا تحرق الأخضر واليابس ؟ ».

رحمك الله أيها العالم العلامة الجليل القدر والمكانة ، والمشهود له بالرزانة والرصانة ، فكم في بحوثك من فكر مستنيرة ورائعة ومن توجيهات خيّرة ولامعة ، وجزاك الله عن أمتك ولغتها الخالدة خير الجزاء .

((مناجاة لشاعر عاشق))

الأستاذ الدكتور خالد الكركي
رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

ببالغ الأسى الذي ملأ نفوسنا ليلة ودعت العراق أو ودعك العراق ... ونعاك الناعي بأن عبد القاهر الجرجاني يغادرنا ثانية ... نلتقي اليوم فيك ؛ لأنك العالم الفذ واللغوي الذي لا يُشق له غبار ... صاحب الأدب الرفيع لغة وبلاغة ونحوا ونقدا وصرفا ومعجم زاخرة بالمصطلحات ... الحافظ المفسر ... والشاعر العاشق في "رشيقة عمري" وفي قصائد : حبيبتي ، وطيف ، وأطياف ، وعشرون ... في خديجة الحديثي : ويموت " أحمد " معج " وكأنه وجد المكان مفتوحة من روحه درجا على الدرب الطويل وهاله أن غادرت ... وبقي هنا في صرحه فسلامٌ عليك . ألف سلام يا ابن تكريت الغافية على أكتاف دجلة ، سلام يمتد من عمان إلى بغداد الجريحة ، وإلى الكرخ وكربلاء ، أبعث إليك بالتحايا الصادقات ... وأعلم أنك رحلت وفي النفس أمنيات وأمنيات ... تاقت نفسك لحمحمة خيل العروبة على أعتاب القدس ... حيث نور الشعاب ورواء النفوس التي ظمئت من الاستعباد والقهر والظلم والتشرذم والطائفية والفساد . وحالما بزمان بهي نصلي فيه الفجر في الأقصى ونقصد بغداد الرشيد ، وقاهرة المعز ، ونحج البيت العتيق ، ونمسح الحزن عن صنعاء اليمن السعيد . ولكننا يا صاحبي ... ما زال نخل قلوبنا يحمل رطبا جنيا ... يحدونا الأمل فيمن قالوا فيك اليوم " : كنت أنت أيها

الفذ منكئة على سرير من علم ومعرفة وإرادة ، وكنت أنت يا عزيز الله استمع إليك بشغف وأنت تحدث لي أرض أزرعب نسيم البنفسج ونفح الجوري وأغصان عنب ردليب ." نعم يا صاحبي ، إنها إرادة الشباب التي عليها نعول لبناء الأمة من جديد حاضراً ومستقبلاً وأحلاماً وحرية وخبزاً ملكه الكرامة والإباء . وفي النفس حاجات وفيكم فطانة ... رحم الله أخي الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، وأمد طلبته بالعزيمة والإرادة لمواصلة مشروعات التعريب وخدمة العربية الخالدة . وللمجمع العلمي العراقي كل أمنيات التوفيق والنجاح والتقدم والازدهار .

همسة وفاء لشيخ العربية

الدكتور عبد الله الوشمي
الأمين العام لمركز الملك
عبد الله بن عبد العزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية في الرياض

" كنتُ أحد العاملين في حقل المصطلحات ، وأصدرتُ معاجم وكتباً ، ونشرتُ بحوثاً ، ودعوتُ إلى أن يكون علم المصطلح مساقاً دراسياً ، وأنا أقوم بتدريسه منذ سنوات . لقد تجمعتْ جهودي المعجمية بعد سنين طوال ، ولم تذهب سدى "

هذه كلمات فقيدنا الكبير - رحمه الله - وهو يصف حركة اللغة وموقعه في ركاب أهلها وعلمائها ، وذلك ضمن كلمته التي ألقاها أمام الجمهور الذي احتفى به وبعلمه حين فاز بجائزة الملك فيصل العالمية في حقل اللغة العربية ، وقد كان يصف امتداده التاريخية ضمن الثقافة العربية الكبيرة الممتدة .

لقد توفّر لفقيدنا من التكوين العلمي والمساهمة المتنوعة والجهود المتعددة والزيارات واللقاءات ما جعله حاضرا بقوة في معظم مسارات البحث اللغوي العربي المعاصر ، وكان إنجازه النوعي سببا ؛ ليكون ضمن الخالدين الذين ستتداول الأجيال ذكرهم بما ألّفه من كتب ، وصنّفه من معاجم ، وحقّقه من تراث ، ورعاه من جهود ، وأشرف عليه من رسائل ، ورأس من مجلات ، وعلّم من طلبة علم ، إضافة إلى ما شغله من مناصب في الوزارات والجامعات والمؤسسات المتنوعة .

وقد أسعدني الله بأن تشرفت - شخصيا - بالتواصل معه في السنوات الأخيرة من حياته ضمن أعمال اتحاد مجامع اللغة العربية ، بعد أن تعلّمت منه الكثير بواسطة مؤلفاته وكتبه المهمة ، وكان حاضرا معي في دراساتي العليا أو محاضراتي الجامعية .

لفت انتباهي في الاجتماعات الأخيرة حضوره الأنيق ، وتهذيبه الذي لا مزيد في الكلام والنقاش ، مع هيبة الكبار وابتسامة حاضرة ، وأما في التداولات العلمية ونقاشاته العابرة ، فقد تحدثت معه عن الإمام الجرجاني ومختاراته الشعرية . فأفادني بأنه أودع كتابه كل ما توصل إليه في هذا الشأن ، وتحادثنا عن الثقافة العربية وتجلياتها القطرية المتنوعة ، ويغرف من ذاكرته ؛ ليمازح الحاضرين عن بلدانهم بطرافة وهدوء ، وسألته عن سيرته وسيرة زوجته رحمهما الله (رفيق عمري) و (رفيقة عمري) فأفادني بأنه يضع الحد الأدنى منها لمن سأل عنها وطلبها !

وسعدت بأن تأتيني منه - رحمه الله - في السنة الفارطة نصه التعريفي بمجمع العربي العلمي ؛ لينشر ضمن الكتاب الخاص بمؤسسات اتحاد مجامع اللغة العربية الذي يصدره مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية .

أشكر لكم دعوتي الكريمة لأشارككم لحظة الوفاء العلمية إتجاه رجل نذر نفسه للعلم والبحث والتأليف ، وهي كلمات يسيرة تومئ إلى حجم المحبة والتقدير ، ولا تختصر مستواها ، ولا تلم بأطرافها ، متطلعا معكم أن تتحول اللحظة إلى مدى واسع ، وأن ينتقل الاحتفاء المنبري المهم إلى احتفاء علمي محرر أعم ، بحيث نوفي الشخص حقه ، ثم نتعمق في النص والجهد والمسيرة بالتحليل والدراسة الأثر ومواطن التحول والإضافة والبناء .

أخيرا : مهما حازه فقيدنا من جوائز وأوسمة وتقدير ، فإن الجائزة الحقيقية هي هذا الذكر النبيل والقيم الذي يتركه الإنسان بعد رحيله ، وأن يتنادى العلماء والمحبون والمسؤولون والطلاب إلى قراءته ، وتأمل درسه وإنتاجه ، والإشادة بما قدم ، والبحث عن المتلقي ، والنظر في تأمين الجهود والبناء عليها .

رحمك الله عالمنا الجليل ، فقد تركت لحظاتك في الحياة المنتهية حياة تنمو مع كل جيل ، وكل من يتحدث عن المعاجم والبلاغة والتحقيق واللغة العربية وخدمتها ، فسيتذكر ويحن .

أحمد مطلوب في خدمة
التراث العربي والإسلامي

الأستاذ الدكتور محمد مسعود جبران

رئيس مجمع اللغة العربيّة في ليبيا

لقد كان لهذا العالم الجليل الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب – لقّاه الله نضرة وسرورا – من العلماء الأعلام الأجلاء ليس بين شوامخ العراق الفخام فحسب ، بل بين علماء الأمة العربيّة والإسلاميّة أيضا ، فقد وظّف هذا العالم الجليل حياته الحافلة ، التي أربت سنواتها على الثمانين من السنين في بناء صرح الدولة العراقيّة وفي خدمة تراثها الثقافيّ والمعرفيّ ، وفي تكوين طلاب العلم في المدارس والجامعات المختلفة ، وكذلك في الإسهام في خدمة التراث العربيّ والإسلاميّ الأصيل .

لقد قُدّر لي على المستوى الشخصيّ أن أتشرّف بلقاء هذا الأستاذ الكبير ، رئيس المجمع العلميّ العراقيّ وعضو اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في القاهرة ، كما قُدِرَ لي أن أتشرّف بلقاء زوجته المشمولة برحمة الله تعالى ورضوانه الأستاذة الدكتورة (خديجة الحديثي) التي كانت تحتلُّ من نفسه أعز مكان ، عدة أيام في القاهرة المعزيّة ، بمناسبة انعقاد اجتماعات اتحاد المجامع اللغويّة في سنة ٢٠١٦ فكانت تلك الأيام المسعدة أياما غامرة بالسعادة واللطف والألفة ، حظيتُ خلالها بمعرفة الاهتمامات العلميّة والبحثية للدكتور أحمد مطلوب وزوجته ، وشاقني منه عمقُ غوره في تناول القضايا

والمسائل المعرفية ، وعنايته باللغة العربيّة ، والعمل على الرقي بها ، والعمل على نشرها ، كذلك اطلعت خلال تلك الأيام على الأحوال الوسيعة التي كان يحلّقُ الدكتور أحمد مطلوب في آفاقها العالية ، بحيث أعطت لحياته المائزة ، ولتجاربه المتنوعة بعدًا ممتدًا ورائعا ، جديرا بالكتابة والتدوين عن عمقه الفكري .

كذلك سعدت في تلك الأيام القاهريّة بالاستمتاع اللطيف بما خصّ به الفقيدُ وزوجُه (الدكتورة خديجة الحديثي) – رحمهما الله – من رزانة عقل ، وسماحة نفس ، ولُطف معشر وأدب ، ورهافة حسّ متميز ، فلله ما مُتّع به هذا الفقيدُ العالمُ وزوجهُ من علم غزير ، وذوق يشبه الحقول الفيح الموشّاة بالأزاهير الشذيّة الفوّاحة والمحصنة بالأمواه والأنسام البليلة .

رحم الله الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب ، وأنزل على روحه وروح زوجه المحترمة الأستاذة الدكتورة خديجة الحديثي شآبيب الرحمة والغفران والرضوان ، والله نسأل أن يعوضنا فيهما خيرًا .

(أحمد مطلوب والثراء المعرفي)

مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي / عمان

العلماء ركن الأمّة الركين ، وحصنها الحصين بهم نسعد وبهم نتقدم وبهم نبلغ ونعانق السماء .

لقد فقدت مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي والأمة جمعاء أستاذًا قديرًا وعالمًا كبيرًا ، وعلَما من أعلام الثقافة والأدب ، فالفقيد كان أحد الأعضاء البارزين في مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي منذ عام ١٩٩٣م .

امتازت كتابات الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب بتنوعها وشمولها ميادين شتى من المعرفة والحضارة المسلمين . فكتب في البلاغة قديمها وحديثها ، وأرّخ للنقد الأدبي قديمه وحديثه ، وعنى بالمعاجم العربية ، وقدّم العديد من المؤلفات النافعة أثرى بها المكتبة العربية ، وكتب الكثير من الأبحاث التي أغنت العربية بالمصطلح الأصيل ، فضلًا عمّا له في الحضارة الإسلامية من أعمال رصينة ومتقنة .

هذه الحياة العلمية المضيئة وصل إشعاعها إلى كثير من المؤسسات العلمية التي سَعدت بضم هذه القامة الكبيرة - ومنها مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي - فقدّم لها عصارة خبرته ودأب على خدمتها بكل طاقة .

ونظرًا لما قدّم فقد استحق (رحمه الله) الكثير من الجوائز والأوسمة الرفيعة محليًا ودوليًا .

تولى (رحمه الله) العديد من المناصب الأكاديمية الرفيعة فكانت حياته حافلة بالمهام الوظيفية فعمل في التعليم الثانوي ثم انتقل إلى التدريس

الجامعي وتدرّج إلى أعلى المناصب الأكاديمية وتولى كذلك المناصب العامة حتى أصبح وزيرا للثقافة والإرشاد بالجمهورية العراقية سنة ١٩٦٧م وآخرها كان رئيسا للمجمع العلمي العراقي .

عُرف عنه رحمه الله حرصه الشديد على المشاركة في الكثير من الندوات والمؤتمرات داخل الوطن وخارجه .

ونحن في مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي نستذكر حضوره المشرف ومشاركته الفعّالة في المؤتمرات التي عقدتها المؤسسة ، فقد كانت أولى مشاركاته في المؤتمر التاسع للمؤسسة عام ١٩٩٣م ، وآخر مشاركة له كانت في المؤتمر العام السابع عشر للمؤسسة سنة ٢٠١٦م .

وقد عُرف عن فقيدنا الكبير مجموعة من الخصال أهمها : تواضعه العظيم وحبّه المنقطع النظير للغة القرآن الكريم ونضاله عنها من تحريف الغالين وانتحال المبطلين .

وامتاز بوفائه الشديد لأساتذته وأصدقائه ، وعنايته بتلاميذه ومتابعة شؤونهم وتيسير عسيرها وتذليل صعبها ، فكان كثير الفوائد لهم والعوائد عليهم ؛ مما جعل له محبّة دائمة في قلوبهم فكل من عرفه أحبه .

فقد كان رحمه الله جبلا من البلاغة والنقد والأدب وأرسى الكثير من التقاليد في حقول الثقافة والمعرفة ، وسيظل حاضرا في الذاكرة العربية لأجيال وأجيال ، فهو وإن غاب عن الحضور اليومي اللامع فإنه موجود دائمًا في أعماق طلابه ومحبيه ومريديه وعشاق نتاجه العلمي .

تحيّة إكبار وإجلال لروح عالمنا الجليل الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب ، والله أسأل أن يتقبّل علمه وعمله ويجعلهما سراجًا وهاجًا ﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾{الإسراء: ٩}.

فقيدُ البيان..!!

الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن علي الحربي
رئيس مجمع اللغة العربية في مكة

يموت العالم ، ويبقى ذكره حيًّا بين الناس ، أي : إنّ حياته تزداد قوةً وسعة وانتشارًا ، وإنما تكون حياة المرء في دنياه بالذكر الحسن ، وبما يبقيه من خير ينفع الناس ويمكث في الأرض .

لقد كان الدكتور أحمد مطلوب الناصري التكريتي أحد أولئك الأعلام الذين خلّدوا ذكرهم بما تركوه من علم نافع ، وعمل صالح . .

لم يكن بيني وبينه رحمه الله لقاء ، ولكنني قرأت له ، وحين إنشاء مجمع اللغة في مكة ، هاتفته ، وعبّر عن سروره وإعجابه بإنشاء مجمع مكة ، وقال : إنّ مكة أحقّ به ، وسطّر في ذلك كلمة منشورة بمنتدى المجمع ، وفي العدد الأول من مجلة المجمع العلميّة المحكّمة ، ومما قاله فيها : ((إنّه ليملأ القلب فرحًا ، والنّفس غبطةً أن ينهض { رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ } ؛ ليؤسسوا مجمعًا في (مهبط الوحي) يقف مع المجامع العربية طودًا شامخًا... والمجمع العلميّ في بغداد ، إذ جاءه نبأ تأسيس مجمع لغويّ في (مهبط الوحي) يرجو أن يرى ثماره ، وأن يكون له صدى في المجتمع والمجامع الأخرى ، وما ذلك على المخلصين بعزيز)).

وكان (رحمة الله عليه) على تواصل دائم ، مراسلة ، وإهداء ، ونصحًا بواسطة الوفيّ المحبّ للجميع ، الدكتور محمد حسين العاني ، (حفظه الله) .

إنّ مجمع مكة باسمه ، وباسم رئيسه وأعضائه ومجلس أمنائه ليعزُّون أمّة الضاد في وفاته ، ويسألون الله له الرحمن والغفران .

ولقد سارع المجمع حين بلغه نبأ وفاة الدكتور مطلوب إلى إعداد ملف كامل عن سيرته ومسيرته ، وجمع طائفة من قصائد الرثاء ، وكلمات التأبين ، كما جَمَع من قبل ملفًا عن زوجه الدكتورة خديجة الحديثي – رحمها الله وغفر لها – وأحلّ عليها رضوانه ، وأخلف على أمة الضاد خيرًا .. وإنا لله وإنا إليه راجعون .

إضاءات في عطاء الفقيد

الأستاذة الدكتورة ليلى خلف السبعان

رئيسة المجلس العالمي للغة العربية / لبنان

أحمد مطلوب ... فتحت عيونك أم عيون العراق فتحت عام ١٩٣٦م

عام ٢٠١٨ أغمضت عيونك وأسهرت عيون العراق العرب حزنا ...

أسهرت عيون العراق والعالم بمؤلفاتك ... ببحوثك ورحلاتك العلمية والأكاديمية في طول العالم وعرض بلاد العرب ...

من ألمانيا محاضرا إلى القاهرة والجزائر وعمان والكويت ... وحاطا رحالك في الرياض مكرما..

شغلك في وطنك الصغير العراق المعاهد والجامعات ببريق علمك ، ووصلت لتكون مديرا ثم وزيرا للثقافة والفكر في بلد وصف أهله بالأكثر قراءة واطلاعا في دنيا العرب ...

كان للمجلس العالمي للغة العربية لفتة منك ، فحضرت في بعض مؤتمراته مترئسا لجلساته ... مناقشا ... مثريا ... مصوبا للباحثين الشباب ... تركت فينا عظيم الأثر، وقد كنا على موعدنا المتجدد معك في

مؤتمرنا الحادي عشر في بيروت حيث الحديث عن التحدي بين الأصالة والحداثة في لغتنا العربية ، لغة العلم والحضارة ... تركتنا متعجلا لقاء ربك ... فطوبى لك وحُسن مئات .

مع الدعاء بالرحمة لروحك الطاهرة .

الدّكتور أحمد مطلوب والدَّرس اللغويّ

الأستاذ الدّكتور طارق عبد عون الجنابيّ

عُرِفَ أحمد مَطلوب بلاغيًّا لا مشاحة في ذلكَ ، فعمَلاه الرّائدان : (البلاغة عند السَّكاكيّ) ، و (القزوينيّ وشروح التّلخيص) ، يُمثّلان تأريخًا للبَلاغةِ العربيّةِ ، وَفقًا مُتَعدِّد الرّؤى والاتجاهاتِ ، فإذا عرفنا السّيل من البحوثِ والدّراسات معَ التّدريسِ في هذا الميدان الرحيب : أدركنا الحصيلة الّتي يَختزنُها منَ المعرفةِ البَلاغيّةِ ، وسائرِ علومِ العربيّة .

إنَّ نظرَةً فاحصةً إلى التُّراث البلاغيّ العربيّ تَقِفُنا على حقائق :

١. أنّ البَلاغة بشَقّيها الأدبيّ الّذي يُمثّلهُ عبدُ القاهر الجرجانيّ – على نحوٍ غيرِ قليلٍ – . وضياء الّدين بن الأثير ، وَشقّها العقليّ الّذي يُمثّلهُ السَّكّاكيُّ ، وبشقّيهَا عند القزوينيّ ، ثُمّ عند شُرّاح التّلخيص ، أقولُ : إنّ البَلاغة تُمثّلُ منحى (تداوليًّا) ؛ بدليلِ عنايةِ المُعاصِرين من دُعاةِ التّداوليّةِ بها إذ يرجعُونَ إلى التُّراثِ البلاغيّ والنّقديّ القديمِ يفتّشون عن جذورِ (التّداوليّة) .

٢. وأنَّ البَلاغةَ بناءٌ نقديٌّ يتحرّى مواطنَ الجمال ، ويدخلُ العقلَ كما تدخلُ العاطفةُ في هذا التّحرّي ، وربّما يكونُ في ذلك تأثُّرٌ بفكرِ (أرسطو) فعل حازِم القرطّاجنيّ في (منهاج البلغاء وسراج الأُدَباء) .

٣. وأنَّ البلاغيّينَ قد خَدَمُوا اللغة ، وتحرّوا مواطِنَ الفصاحةَ ، وسلامة النّطق ، وصِحّة إخراج الأصوات ، وعنوا بمظاهِر التّأثيرِ في النّفوس .

وَمن ثمة نجدُ الدكتور أحمد مطلوب مهتمًا بالدّرس اللغويّ اهتمامًا يغبطهُ عليهِ أولو الشَّأن من اللغويين ، ولا سيما الجانب الاجرائيّ أو التنفيذيّ أو التطبيقيّ ؛ لأنَّهُ أقربُ إلى الاستعمالِ في ميادينِ الحياةِ ، في التّدريسِ والتّعريب ، وبناءِ المصطلح ، وسلامَةِ الأداء . وكلها تصبّ في خدمة العربيّة ، ورعايتها ، وإشاعتها في إطاري العلم والتعلّم سليمةً سديدةً .

وقد برّز الدكتور مطلوب في بناء المعجمات : الحضاريَّة منها والبلاغيَّة والمصطلحيَّة ، مسبوقةً ببحوثٍ شتّى في هذهِ الطريق ، وبذا حازَ بجدارةٍ على أوسمةٍ وجوائز ؛ لأنَّ اتّجاههُ المعرفيَّ قد توجّه نحوَ ترسيخ العربيّة : تاريخًا ووجودًا ، وبيان ما قدّمَهُ علماؤها ، وما تقدّمه من حضارتها السّابقة السّامقة ، وما يُنتظرُ لها بجهود المُخلِصين ، وفي الصَّدارةِ منهم هذا الرّجل الألمعيّ .

رُبّما لمْ يقفْ كثيرٌ من الدّارسين على كتابيه الأصيلين : (بحوثٌ لغويّة) و (بحوثٌ مصطلحيّة) ، وبينهما تسعة عشر عامًا ، وهما يضمّانِ جمهرةً من البحوثِ اللغويّة الرّصينةِ كانت قد نُشرَتْ من قبل في أوقاتٍ متفاوتةٍ ، وفيهما معًا إيجازٌ مُكثّفٌ للرؤيةِ اللغويّةِ الهادفةِ والواسعةِ للغة العربيّةِ ، ومستقبلها، وتضع صاحبَها المُبدعَ على الطريق اللاحب .

كانَ البحثُ الأوّلُ في (بحوث لغوية) قائمًا على رؤيتهِ في إعدادِ مناهج اللغةِ العربيّةِ ، وتدريسها في التّعليم الجامعيّ ، بيدَ أنّ ذوي الشأن لم يعيروا انتباهَهم له ، ولا لغيرهِ أمس واليوم ، وقد خلصَ في زبدةِ العملِ النبيل الجادّ إلى القول : ((إنَّ العنايةَ بالمناهج، واختيارَ الأساتذةِ ، والاهتمامَ بالكتبِ ، والاعتزازَ باللغة العربيّةِ ، وخلقَ ظروفٍ تساهمُ فيها المؤسّسات

المختلفة ، وفي مقدّمتها وزارةُ الثقافةِ ، والمجمَع العلمـيّ العراقيّ ، والجامعات ، ووزارة التربية ...)) ، ضرورة في حماية العربيّة، ورفع مستواها.

وفي البحثِ الثاني تحدّث عن خصائصِ العربيّةِ بروح علميّ رصين ، ولم يدع بابًا من أبوابها إلّا طرقه كاشفًا عن كنوزها ، وعن آراء من تحدّث عنها ، وفيهم : محمد المبارك ، والكرمليّ ، وجرجي زيدان ، وعباس محمود العقّاد ... وغيرهم ، ووقف عند نظام التركيب فيها ، ولا سيما التقديم والتأخير ، والمعاني التي يخرج إليها ، وختم رحلته تلك بالقول :((تلك بعض خصائص اللغة العربية ، وقد كان الوقوف عند التقديم والتأخير طويلًا ؛ لأنه أبرز السمات التركيبية في العربية ، وهناك خصائص كثيرة كالالتفات الذي هو أحد أبواب شجاعة اللغة العربية ، والفصل والوصل ، والتنكير والتعريف ...،)) ، وكل ذلك مما يعقد الصلة بين نظام تأليف الجملة العربية ، وعلم المعاني ، ويُظهر لنا مرونة العربية ، وقدراتها الإبداعية في التعبير والتوصيل والتأثير .

ووقف في تنمية العربية على الحقيقة اللغوية والحقيقة الشرعية ، وأبرز بوضوحٍ أهميّة التطور الدّلاليّ ، والاستعمال المجازيّ ، ومفهومات المصطلحات ، أو قل : الأسماء الإسلاميّة التي منحت دلالات أضفاها الشارع على المفردات التي تحمل معاني ودلالات وصفية ، أو استعمالية ، ثم انتقلت انتقالا حضاريا أضفته طبيعة حركة الحياة ، والفعل الحضاري الجديد في ظل سلطة الفكر الإسلامي ، وهكذا كانت ألفاظ العبادات إضافة وتنمية للعربية الّتي لا يقف تطورها عند حدٍّ ، وهو دليل على قدرة العربية وطاقتها على الاستيعاب ، قال الدكتور مطلوب)) : إن الوقوف على بعض

الأمثلة من الحقيقة الشرعية يمثل طاقة اللغة وقدرتها على استيعاب العلوم والفنون ، وفيما ورد بكتاب الله ، وجاء به الإسلام قدوة حسنة لمن يريد البحث والاستقصاء ، وتطوير اللغة العربية في هذا القرن وغيره من الأزمان)) ، ومن هنا كان اهتمامه بالمصطلح العلمي ؛لأنه ينقل اللفظ المحكي إلى دلالة حضارية ، ومفهوم متين يتصل اتصالا عقليًا بالفعل الحضاري ، فنظر بعين باصرة وذهن بصير في التأريخ الحضاري للأمة ، فوقف عند (مفاتيح العلوم) للخوارزمي ، وعرض مادة هذا الكتاب ليحصي طائفة من المصطلحات القديمة العربية والمعرّبة والأعجمية ، وقد حدا به هذا الكشف إلى الاهتمام الجاد بموضوع المصطلحات ؛ لأنه يتصل بالحياة العقلية العربية اليوم وغدا ، ويشعر ذوي الشأن بقدرة العربية على الاستجابة للتطور الحضاري ، ومقتضيات العصر ، ومواكبة الحياة العلمية ، وتعريب التعليم والعلوم ، وما نزال نتكلم في هذا الأمر طويلًا ولا نفعل شيئًا .

لقد حرص الدكتور أحمد مطلوب داخل الوطن وخارجه ، في الهيئات العلمية ، ولجان المجْمَع ودوائره ، واجتماعات المجامع العربية وندواتها ومؤتمراتها ، أقول : لقد حرص على المشاركة المختصة ، وعلى تقديم البحوث ، والإسهام في رسم رؤى صناعة المصطلحات للعلوم المختلفة ، وها هي ذي بحوثه وأعماله يضمها كتابٌ أضحى مرجعًا ، لو وُجِد من يرجع إليه .

ولأن أحمد مطلوب قد جمع إلى كونه بلاغيًا ، وناقدًا ، وشاعرًا أنّه صاحب إحساس لغويّ، فقد عُني – كذلك – بلغة الشِّعر ، ووقف طويلًا عند شعر نازك الملائكة رائدة الشِّعر الحديث في العراق ، وغاص في بحرها

النُّجيّ ، فحلَّلَ لغويًّا وفنيًّا أمثلةً شتّى من شِعرها الّذي يعكس صورة حياتها التي تتحول من الصّبا إلى الشباب فالكهولة ويتلوّن شِعرُها بحسب حالتها النفسية غير المستقرة ، وتأثرها بما قرأت لشعراء الغرب والشعراء العرب ، وما استعملت من ألفاظ تخالف أحيانًا قواعد اللغة المعروفة .

ولم يكن أحمد مطلوب بهذا مُنْقطعًا للماضي وللتُّراثِ ، فقد نظَرَ في جوانبَ من الفِكْرِ اللغويّ الجديدِ . فوَقفَ عندَ (دوسوسير) ووازنَ بينهُ وبين عبد القاهر الجرجانيّ في دراسةٍ تفصيليّة ، ورأى أنَّ التشابهَ يكمنُ في ثلاث مسائل :

الأولى : أنَّ اللغةَ مجموعةٌ من العلاقاتِ ، وليست ألفاظًا مُحَدَّدَةً .

والثانية : أنَّ الكلماتِ علاماتٌ اعتباطيَّةٌ ، وأنَّها تكتسبُ معناها من العلاقاتِ الّتي بينها .

والثالثة : أنَّ التفاوتَ لا يقعُ في اللغةِ ، وإنَّما في الكلامِ الَّذي هو مجالُ الدّراسَة والتَّحليل .

بيدَ أنَّ الباحثَ الكريمَ – رحمهُ اللهُ– لم يجعل (المنهج السوسيري) امتدادًا لنظريَّةِ عبد القاهر في النَّظم ؛ إذ بينَهما فروقٌ واضحةٌ ، فهما مختلفان فكرًا وزمانًا ، فعبد القاهر أسَّسَ لصنيعِ الزّمخشريّ في (الكَشّاف) ، ولأنظَارِهِ ، ثُمَّ اصطَدَمَ بالسّكّاكيّ والقزوينيّ ، وَشُرّاح تلخيصهِ في التَّحَوّلِ المنطِقِيّ ، في حين جَرَتْ تَحَوّلاتٌ شَتَّى وَسَريعة في الفِكْرِ اللغويّ الغربيّ .

وقد وَقَفَ الدّكتور أحمد مطلوب عندَ (التّداوليَّة) ، وهيَ بعضُ نتاجِ الفِكْرِ الفلسفيّ الغربيّ ، وَوَجَدَ لَهَا جذورًا في التُّراثِ البَلاغيّ العربيّ .

وَلَم يَغفَلِ المَجْمَعِيُّ الحَرِيصُ عَلَى العَرَبيَّةِ أنْ يَتَحَدَّثَ عَن (تعريب التّعليم العَالي في العراق) ، وَيَدعُو إلَى سَلَامَةِ العَرَبيَّةِ ، والأداء الفصيح مسؤولًا رَسميًّا ، أو أستاذًا جَامِعيًّا نَاجِحا ، أو مَجْمَعيًّا دَؤوبًا ، وَهوَ قبلَ هذا وبعدَهُ ذو منازِع ذاتيَّة وَتَأريخيَّة وَمُعَاصِرَة ، لم يَتَعَلَّقْ بالقَديمِ لِقِدَمِهِ ، فتلكَ نَظرَةٌ قَاصِرَةٌ ، وَلَم يُنْكِرِ الحَديثَ ؛ لكونِهِ غريبا في الغَالِبِ ، وَلكنَّهُ يَقرَأ ، وَيُنْعِمُ النَّظَرَ ، يَحدوهُ وَعيٌ لُغويٌّ حُرٌّ ، يقنع بأنَّ الحَيَاةَ ألوانٌ وأفكارٌ ، تختلفُ أو تَأتَلِفُ ، ولكنَّهَا عَلَى أَيَّةِ حَالٍ حركَةُ الوجودِ والمعرفةِ والإنسَانِ ، واللغةُ فِكْرًا وَأَدَاءً هيَ المُعَبِّرَةُ عَن هذا كُلِّهِ .

إنَّ أحمد مطلوب يَرتَقي بِجَدَارَةٍ مَكَانًا رَفيعًا في مَرَاتِبِ دَارِسي العربيَّةِ وَالذَّابِّينَ عَنهَا ، والدّاعينَ إلَى فهمِهَا ودراستِهَا وَتَعليمِهَا في أُطُرِ التّعليمِ العَام والجَامِعِيِّ ، وَفي مُؤَسَّسَاتِ الدّولَةِ ، والإعلامِ المَرئيِّ والمَسموع ،

وَمِن ثَمّةَ :

أدعُو إلَى مُرَاجَعَةِ آثارِهِ ، فهيَ غَنِيَّةٌ غنًى فيهِ من الشّبَعِ والرِّيِّ شيءٌ حَرِيٌّ بالنَّظَرِ العلميِّ ، والنّفعِ الجَزيلِ .

وَقَد يَسألُ سَائِلٌ : مَا مَنهجُ الدّكتور أحمد مطلوب في الدّرسِ اللغويّ ؟ وَيَأتي الجَوَابُ سَريعًا : إنَّهُ المَنهَجُ الأرفَعُ وَالأنفَع ، إذَا جَازَ مثلُ هذا التّعبير ، إنَّهُ (المَنهَجُ اللغويُّ التّطبيقيُّ) ، أو الإجرائِيّ ، أو التّنفيذيّ ، أو سَمِّهِ مَا شِئتَ .

وللدّكتور أحمد مَطلوب كلامٌ في العربيَّةِ جَميلٌ وَنَافِعٌ في صَدرِ كُلِّ عَدَدٍ شَهريّ من نَشرَةِ المَجمَع ، وأعمَال في فَصَاحَةِ العربيَّة ، وسلامتها ، إنَّهُ نَبعٌ لا يَنقَطِعُ سَلسبيلُهُ في رعَايَةِ العربيَّةِ – رحمهُ اللهُ – ، والحَديثُ يَطولُ .

هذهِ رَشحاتُ قَلَمٍ مَكدود ، وسطورٌ يعرفُ مَا بينَهَا مَنْ يَعرف .

أستاذي – العلاّمة – الفذّ أحمد مطلوب :
(سطور من الذاكرة)

الأستاذ الدكتور عبد الكريم راضي جعفر

(١)

لم أكنْ قد رأيتُ الرجل : الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب ؛ لأني في أقاصي الجنوب ، وهو في بغداد ، مع أن شهرته قد طبقت الآفاق العراقية والعربية ، أستاذًا رصينًا ، وأكاديميًا مرموقًا ، وبلاغيًا معروفًا .

كنتُ في منتصف الثمانينيات زائرًا لدائرة الشؤون الثقافية التابعة لوزارة الثقافة والاعلام .. الدار الثرية التي تطبع للشعراء والكتّاب والمثقفين .. سألتُ عن الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب ، وقد كان مستشارًا لمجلة (آفاق عربية) ، غير أنني لم أجده ، ولكنْ مدير التحرير أخبرني أن ثمة كتابًا رسميًا موجهًا لي من المستشار العلمي للمجلة .

هذا الكتاب الرسمي كان بتوقيع الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب تثمينًا لبحث أرسلته إلى (آفاق عربية) لنشره ، وقد كان بعنوان (ماهية الشعر عند السياب ووظيفته). كان تقريرًا متميزًا ، وفي صالح البحث ؛ غير إن الدكتور أحمد مطلوب – فيما يبدو – أراد أن يُنشر في مجلة (الأقلام) بوصفها مجلة تختص بالأدب الحديث ، فكان له ذلك .

(٢)

أشار أحدهم – وقد كنت معه في دار الشؤون الثقافية ، إلى أن الدكتور أحمد مطلوب قادم إلى مقر عمله مستشارًا لمجلة (آفاق عربية) ، حدجتهُ كان ذا هيبة ووقار ، بهيّ الطلعة ، واثق الخطوة ، كان ذلك في العام ١٩٨٩ ، وهو عام صدور كتابي الموسوم بـ (شعر عبد القادر رشيد الناصري ، دراسة تحليلية فنية) هو في الأصل رسالة ماجستير بإشراف العلاّمة الأستاذ الدكتور قصي سالم علوان .

تقدّمت إلى الأستاذ الدكتور مطلوب ، وعرّفتهُ بنفسي ، فانفتحت أساريره وفرح كثيرًا ، وقال لي : قرأت كتابك عن الناصري : كتاب ممتاز وسيجد طريقه إلى القارئ والمكتبات ، لاسيما انه مطبوع في مطابع دار الشؤون الثقافية .

قال لي : كم عمرك ؟ قلت : لم أكمل العام الثالث والأربعين ، فقال بصوت حازم : قدّم الدكتوراه ، فأنت في محاضرة (العُمر) صافحتهُ .. وأنا اسمع كلماته عن (العُمر) .

(٣)

أقول : تقدمت متنافسا ، في امتحان الدكتوراه ، منسجمًا مع رأي العلامة مطلوب ؛ لأكون في راس قائمة المقبولين .

بدأ الدوام ، وفي مواد هذا الدوام مادة (الشعرية) التي يدرّسها الدكتور مطلوب .. اعترف إنها مادة رصينة ، ودسمة شرّق وغرّب فيها ، فكانت في كرّاس أبيض مستلّ في مجلة المجمع العلمي العراقي : (الضاد) . علّق كثيرا ، وهو يستعرض (الشعرية العربية) من الفلاسفة المسلمين : الفارابي ، وابن رشد . وابن سينا ، ويعلّق تعليقات أحيانا ساخرة ينتقد فيها بعض الحداثويين الذين لبسوا عباءة الترجمة المغربية . فكانت (الرطانة) ... التي تحدث مثلها في (الشعرية) ، بكلمات غير مهضومة ، وبمعانٍ مغسولة ، مثيرة للضحك .

(٤)

توطدت العلاقة بيننا ، بين عالمٍ فذّ ، ومبتدئٍ فقير ، ما يزال في بداية الطريق الشاقة الطويلة .. كنتُ أراجعهُ لاختيار عنوان مناسب لأطروحة الدكتوراه .. فكان العنوان (البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق) ، وحين قرأ الخطة وافق عليها ؛ وعلّق على تأييده (انه من الموضوعات الصعبة ، وانّه لطالب قادر على لمّهِ والكتابة فيه) ، واقترح على رئاسة القسم ، أن يكون مشرفًا عليّ ، فكان له ذلك .

وللتاريخ أقول إنني اطلعتُ على دواوين الشعراء المقصودين ، وصوّرتها ، فكان يمدّني بأسماء جديدة غائبة عن الذهن ، أو غائبة بسبب حظها .

وللتاريخ أقول مرة أخرى : إنني أنجزت الكتابة في ستة أشهر ، لأنني أعرف طريقي ؛ غير إن التعليمات لا تجيز تلك المدة إلّا بالمدة

الأصغرية البالغة ثمانية أشهر ، فمحوتُ الفائض ، واستبعدت الشعراء (المرتبكين) .. وبذلك (راوحتُ) شهرين ، ثم تقدمت للمناقشة التي رأسها المرحوم العلامة الأستاذ الدكتور داود سلوم ، والمرحوم العلامة الأستاذ الدكتور علي عباس علوان ، والمرحوم الأستاذ الدكتور سالم الحمداني ، والأستاذ الدكتور – أطال الله عمره – جميل نصيف التكريتي ، فكانت النتيجة قبول الأطروحة بتقدير (امتياز) ، والتوصية بطبعها على نفقة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي .. كان ذلك في العام ١٩٩١ / كلية الآداب – جامعة بغداد .

أقول : احتضنني أستاذي المرحوم الفذ مطلوب ، واحتضنته .

(٥)

قلتُ : كنّا نذهب أيام الجمع ، إلى أستاذنا مطلوب ، أنا مع صديقي الناقد الأستاذ الدكتور ثابت الآلوسي ، واللغوي البارع الأستاذ الدكتور غالب المطلبي .

نتناقش مع أستاذنا في قضايا الأدب والشعر والنقد والثقافة ، وكان لتعليقاته طعم خاص من السخرية حين لا يعجب بقضية أدبية ، أو قصيدة شعرية .

انقطعنا من الذهاب .. لأسباب انشغالنا بالحياة ومصاعبها ، وانكبابنا على مستجدات الأبحاث والدراسات .

(٦)

وتمرّ الأيام تحمل لنا شيئا كثيفًا .. لأكون في حضرة أستاذي العلامة الفذّ الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب .. كان ذلك يوم الاثنين ٢٠١٧/١٢/١١ متأبطًا بعض كتبي . هدية لمعاليه .. وقد نشرت ذلك في صفحتي الفيسبوكية .

استبشر بما قدمتُ له من كتب ، فأهداني كتابين :

جذور الشعر الحر ، وصحف معجمية .. كتب كلمة إهداء في (جذور الشعر الحر) ، إلى تلميذي الباحث الفذّ .. قلتُ : الفذّ سيدي العزيز كبيرة عليّ .. قال بهدوء تام : ليست كبيرة عليك فأنت متأنّ في أبحاثك ودراساتك .

(٧)

هذه سطور لم تتحدث عن كتبه ، ولا أبحاثه ، فهي كثيرة ومتنوعة تشير إلى سعة إطلاعه ، ودقة معلوماته ، وسهر الليالي من أجل إقامة العدل على كتبه . لكنني أشير إلى كتابه الموسوم بـ (معجم النقد العربي القديم) الذي يشير إلى صبره ، ودقة معلومته ، وهو يبحث في المصادر القديمة التي تقدّم له المادة .

قلتُ له : يبدو انك لم تعثر على مصطلح (الشعر المغسول) في هذا الكتاب الجبار ..

انتبه ، فأشرت إلى أنني وجدت هذا المصطلح وسجلته في حاشية أحد أبحاثي (لا أتذكر في أي بحث) ..

تهلل وجهه ووعد أن يكتب هذا المصطلح في الطبعة الجديدة .

أستاذي العزيز العلامة الفذ :

احتفل بالطبعة الجديدة ، ونم في ظلال قبر قديم .

الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب

الأصالةُ وإرساءُ قواعدِ النَّظَريَّة

الأستاذ الدكتور جبير صالح القرغولي
الجامعة العراقيّة / كليّة الآداب

أبدأُ كلمَتي المتواضعة بسؤالٍ مفاده : أتكفي إطلالةٌ بسيطةٌ علَى البَحر لوصف كُلّ ما فيه من عَوالم ؟!

لا شَكَّ أنَّ الجواب سيكونُ : (لا) .

في عنوانِ الكَلمَةِ مُفردتان ، تلتقطهما أُذُنُ المُتلقي ذي الذَّائقَةِ الطَّيِّبَةِ بحساسيَّةٍ ، هُمَا : (الأصالة) و (النَّظَريَّة) ، وهمَا جوَازُ مُرورٍ إلَى عَالمِ المعرفَةِ الحقِّ في تأريخِ الإنسَانيَّةِ الفاعلة منذُ أوّلِ صفحاتِهِ ، وإنَّ لِكُلِّ منهُمَا مَكانَهَا المميّزَ حينَ نقفُ أمَامَ هذا الشَّامخِ الجَليلِ وتأريخه بخشوع لا بَديلَ عنهُ .

تتمثّلُ الأصالةُ في انطلاقِهِ من النَّبعِ المعرفيّ .. قرارِهِ وسَطحه ؛ إذ ألمَّ في بدءِ مَسيرَتِهِ ، وعَلى وفقِ نظرةٍ شاملةٍ بواقعِ اللغةِ العربيَّةِ تأريخًا وإبداعًا ثُمَّ اختَارَ طريقًا من عدَّةِ طُرقٍ ، صَرَفَ فيه جهدَهُ ، وترَكَ عَليهِ آثارًا خالدةً إنْ شاء الله ، ومثل هذه الانطلاقةِ المُباركة شرطٌ لازمٌ مفروضٌ علَى الباحثِ الّذي يسعَى إلَى الالتحَاقِ بركبِ الخَالدين .

وأمَّا النَّظَريَّةُ وإرسَاء معَالمها وأسسها فهيَ مهمَّةٌ أخرى تفوقُ الأولَى أهميَّةً ومَتانةً ، وهيَ ليست في متناول أيدي الجميع .. إنَّها مثل سمة القيَادَة

العُليَا في تنظيمِ الجيوشِ ، وَلَقَد تَرَكَ أُستَاذُنَا الجليلُ – رحمهُ اللهُ – في تُرَاثِهِ شَواهدَ تؤَكِّدُ إسهَامَهُ الفَاعِلَ في إرسَاءِ أسسِ النَّظَرِيَّةِ المنشودةِ في النَّقدِ العربيِّ الحديثِ ؛ بعدَ أنْ وعَى ملامحَهَا في نقدِنَا القَديم .

وَمِن نَافِلَةِ القَولِ الإشَارَةِ إلَى أنَّ أُستَاذَنَا – شأنَ أيِّ عالمٍ أصيل بامتيازٍ – لَم يَكُنْ مُنغَلِقًا دونَ تيَاراتِ المَعرفةِ الوافدةِ ؛ إذْ كانَ يرَى أنَّ العلمَ إرثٌ إنسانيٌّ مُتاحٌ لكلِّ ساعٍ إليه ، ومن هُنَا انطلَقَ جهدُهُ حَامِلًا هذهِ الرّوح ؛ إذ عَايَشَ تيَاراتِ النَّقدِ الأدبيِّ الوَافِدَة ، وَالتَقَطَ منهَا مَا يُلَائِمُ العقلَ والذَّائِقَةَ العَربيّين ، وَتستَوعِبُهُ خصَائِصُ لُغَتِنَا وَقَوانينها .

شَغَلَتْ منَاهِجُ النَّقدِ الغربيَّةِ نُقَّادَنَا المُحْدَثين ، فَجَرَّبُوهَا –تَنظيرًا وَتَطبيقًا– ، وَكَانَ أكثر هذه المناهج شيُوعًا النّقد الشّكلانيّ ، والنّقد البنيويَّ وَمَا بعدَ البنيويَّ ، كالظّاهراتيَّة والتّفكيكيَّة ، وَلَقَد تَعَصَّبَ لَهَا بَعضُهُم كُلَّ التَّعَصُّبِ ، فالدّكتور كمال أبو ديب يعدُّ البنيويَّة (ثالث حَرَكَات ثلاث في تأريخ الفكرِ الحديثِ ، يستَحِيلُ بَعدَهَا أنْ نرَى العالَمَ وَنُعَاينه كَمَا كَانَ الفِكرُ السَّابِقُ عَلَينَا يَرَى العَالَمَ وَيُعَاينه) ، هذا أنموذجٌ واحدٌ لطَرِيقةِ تَعَاطي المنَاهج الغَربيَّةِ ، وَمِثلُهُ كثيرٌ عَلَى مستَوَى التَنظيرِ ، أمَّا التَّطبيقُ فيصعبُ حصرُهُ ، وَيَتَعَذَّر وَصفُ المُنجَزِ فيه .

لقد أسهَمَ أُستَاذُنَا الرَّاحِلُ في رسمِ مَلامِحِ نَظَرِيَّةٍ للنَّقدِ العَرَبيِّ الحَديثِ ، إلَى جَانِبِ أعلامٍ كِبَارٍ من نُقَّادنَا الّذينَ تَرَكوا بَصَمَاتٍ قَويَّةً في هذا المِضمار الّذي تَعَثَّرَتْ فيهِ الخُطَى بسببِ الظّروفِ السّياسيَّةِ والواقِعِ الحَضَاريِّ والانتكاسَةِ العَربيّة عام ١٩٦٧م ، ثُمَّ انحسَارِ المَدِّ الحَضَارِيِّ العَرَبيِّ المتَتَالي الّذي بَلَغَ الذروةَ نهايةَ القرنِ العشرين ومطلع القَرنِ الحَادي والعشرين ، ولكنَّ

هذا التَرَدِّي لَن يحولَ دونَ السّعي إلَى النّهوضِ من جديد ، وَقَد يكونُ حافِزًا أشدّ أثرًا في الإسرَاعِ بالنّهوضِ ، وإعادَة بناء ما انهارَ وإعماره .

رَسَمَ أستاذُنا الجَليلُ مَلامحَ النّقدِ الأدَبيِّ في القَرنِ الحَادي والعشرين ،وحَدَّد إحدَى عشرةَ خطوةً تكفلُ الوفاءَ بالكَشفِ عَمَّا في النَّصِّ الأدبيِّ من قِيمةٍ علميَّةٍ وإنسَانيَّةٍ ، وَهذِهِ الخطواتُ – بحسب رأينا المتواضع – تحتاجُ إلى أخرَى تَتَّسمُ بِطَابعِ الأصَالَةِ نفسِهِ .

وَسَأقِفُ وَقفةً بسيطةً عندَ الخطوةِ الَّتي أرَى أنّها تستحقُّ الأسبَقِيَّةَ الأولَى ، وَهي (دراسَة مَا حَولَ النَصّ) .

شَاعَتْ بسببِ هيمَنةِ البنيويَّة في أوَاخِرِ القرنِ العشرين مقولةُ (مَوتُ المُؤلّف) الّتي أرساهَا رولان بارت بقولِهِ إنَّ : (ميلاد القارئ يجبُ أنْ يكون عَلَى حسَابِ مَوتِ المُؤلّف) رَافِضًا النّظرةَ الّتي تَرَى أنّ المُؤلّفَ أصلُ النّصِّ وَمصدرُ مَعنَاه والمرجعُ الوَحيدُ لتأويلِه ، مثلَما شَاعَتْ فكرةٌ أخرَى تسيرُ في الاتّجاهِ ذاتِه قَائِلَةً : (لا وجودَ لشيءٍ خَارجَ النّصّ) ، وَلَقَد حظيت هاتان المقولتَان باهتمامِ النُّقّادِ والدّارسينَ ، واستماتَ عددٌ غيرُ قَليلٍ منهم في تَبَنِّيها ، ثُمَّ اللياذ بهمَا في نشَاطِهم النّقديّ .

وَضَعَ أُستَاذُنا الجليلُ هَاتين المَقولتَين في حُسبانِهِ ، وهوَ يدعُو إلَى دراسَةِ مَا حولَ النّصّ ، وَيُؤَكّد عَلى الاهتمامِ بهِ مُشتَرِطًا عدمَ قطعِ الصّلَةِ بينَ داخلِ النّصِّ وَخَارجه ، مُلتَفِتًا إلَى :

١- زمان النَّص .

٢- بيئة الشَّاعِر ، والوقوف على مَا فيهَا من تيَّارات فِكريَّةٍ وسيَاسيَّةٍ واجتمَاعيَّة .

٣- مسيرة المُبدع ، وثقافته وعقيدته ونفسيته وسلوكه .

ولا يخفَى مَا لِهذهِ الوقفات من أثرٍ في إضَاءةِ النَّصِّ وكشف عالمه .

بقي أنْ نقولَ : إنَّ هذهِ الخطواتِ الفَاعِلَة حين تَقتَرِنُ بِتَوجُّهٍ حَضَاريٍّ قَائم على نشدانِ الحَقِّ والخير والجمال ؛ فإنَّهَا ستكونُ لبنَةً في صَرحِ النَّظريَّةِ النَّقديَّة الَّتي نسعَى إلَى إرسَائِهَا .

مواساة

الأستاذة الدكتورة ليلى محمد الحيالي

لاشك ان نشر النص الأدبي القديم او الحديث من التراث العربي الأصيل ، وبعثه الى نور الحياة من بين ظلمات الخزائن والمكتبات ونفض غبار الزمن عنه ، يعد عملا علميا وتاريخيا وفقهيا واجتماعيا وثقافيا ، واحياء للتراث ، وبعثا لمظاهر الجهود المخصبة التي قامت بها طلائع مبكرة في تاريخ الحضارة العربية العريقة ، وايقاد مشاعل النور والعلم الذي اضاء دروب الدارسين والباحثين على مر السنين .

فالفقيد الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب كان علما بارزا لا يجاريه احد من اعلام العصر الحديث ، في العناية بالبلاغة والفقه واللغة والأدب والتراث وتحقيق النصوص ونشر المخطوطات العربية التي شاركه في دراستها وتحقيقها زوجه المرحومة العالمة في اللغة والنحو والصرف الدكتورة خديجة الحديثي حين بذّلا جهودهما طيلة حياتهما بالبحث والدراسة وخدمة العلم والعمل الجاد والمستمر برغبة صادقة وعلم نافع بعد صدقة جارية لهما معا الى يوم الدين ، بسبب انتفاع الدارسين ، وافادتهم من تلك الينابيع العذبة في دراسة البلاغة ونشأتها وتطورها ودراسة نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني في كتابيه (دلائل الإعجاز) و (اسرار البلاغة) وما يتعلق بمعاني النحو وصلتها بعلم البيان وما يتصل باعجاز القرآن الكريم والعناية بدراسته فكان من اهم الينابيع التي نهل منها دارسو البلاغة والأدب كتابة كتابه القيم الذي نشرته جامعة بغداد ١٩٨٣ (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) ويضم ثلاثة مجلدات ضخمة في شرح المصطلحات البلاغية بأدق تفاصيلها وعمق معانيها فقد ضم الجزء الأول منه بحسب الترتيب الهجائي من الألف الى الياء ابتداء من مصطلح (الأئتلاف) وينتهي الجزء بـ (البيان) .

ويأخذ المصطلح بالتأصيل والتوضيح وسرد اراء العلماء والبلاغيين مثل الجاحظ والرماني والقزويني وغيرهم .

ويتألف هذا الجزء من ٤٠٦ صفحة من القطع الكبيرة .

أما الجزء الثاني من المعجم فيضم بين جنبيه مصطلحات البلاغة وبحسب حروف الهجاء التي تبدأ بحرف (التاء) وتنتهي بحرف (الحاء) .

اذ يشرح معنى التأسيس والتنكير في اللغة والمصطلح فيورد الأمثلة والنماذج المتعلقة به مع اراء العلماء والبلاغيين مثل العلوي (ابن طباطبا) والزركشي والطرطوشي . الى ان ينتهي هذا الجزء بمصطلح (الخيف) ومعانيه وهو احد فنون البلاغة .

ويضم هذا الجزء ٤٩١ صفحة من القطع الكبير .

أما الجزء الثالث من المعجم فيضم ما تبقى من المصطلحات وبحسب حروف الهجاء اذ يبدأ بحرف الدال (الدلالة) وينتهي بحرف الواو بمصطلح (وضع المضمر موضع المظهر) ويضم هذا الجزء الأخير ٣٩٠ صفحة بالقطع نفسه .

أما المعجم الضخم الأخير فهو معجم (مصطلحات النقد) وهو يتألف من جزءين كبيرين ايضا هذا فضلا عن كتاباته القيمة عن مؤسس علم البلاغة ومنظرها عبد القاهر الجرجاني وما يتعلق به من فنون مختلفة ، هذا فضلا عن ما حققه من كتب في الفقه والفلسفة مثل (التعريفات للشريف الجرجاني) وهو من علماء العصور المتأخرة .

وأخيرا فأني عرفت استاذي الدكتور احمد مطلوب في كتبه المنهجية عندما ألف كتاب القواعد في المرحلة المتوسطة وما يتعلق بالاعلال والابدال والمسند والمسند اليه وعرفته استاذا في المرحلة الجامعية وهو يدرس مادة البلاغة . واخيرا عرفته استاذا قديرا وهو يناقش طلبة الدكتوراه الذين اشرف عليهم وشاركت معه في مناقشات (ماجستير ودكتوراه) فكان عالما متواضعا متسامحا بالرغم من مكانته في الحفاظ على لجان سلامة اللغة العربية ورئاسة المجمع العلمي العراقي .

فتحية له ولزوجه الدكتورة خديجة وهو في عالم الخلود .

رحمهما الله تعالى

مرافىء الزَّمَن

نظرةٌ في كتاب (رفيقُ عُمري في كتابات الآخرين)

الأستاذ الدكتور محمّد حسين علي زعين

جامعة كربلاء – كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة

قسم اللغة العربيّة

هو : ((مؤمنٌ كلَّ الايمان بالاسلام ، وبالحريّة الملتزمة ، ومناهضٌ للحركاتِ الرّجعيّة ، والخرافات وأساطير الأوّلين ، ملتزمٌ كلَّ الالتزام في سلوكهِ وما تتطلّبه الأسرةُ والأعمالُ الإداريّة والعلميّة والمواعيد ، صريحٌ كلَّ الصّراحة ، ولم نداهنْ رئيسًا أو مسؤولًا كبيرًا ... لم يعرف الكُرهَ والحسدَ ، ولم يحقدْ على أحدٍ على الرّغم من حاسديه والحاقدين عليه ؛ لمنزلتهِ الرّفيعة في قلوب المنصفين ، وكلّ ما يفعلهُ إهمالُ شانئيه وعَدُّهم من سقْط المتاع ، ولكنّه على الرّغم من ذلك كان عونًا لكلِّ من يستغيثُ به وهذا ما كان عليه خلال السّنوات التي أمضينا فيها ، بكرهِ التّباهي والمتباهين ، وقد وصلَ إلى أسمى الرُّتب وأرفع المسؤوليّات الإداريّة والعلميّة ونالَ حبّ المنصفين في العراقِ والوطنِ العربيِّ الكبير)).

كلماتٌ سطّرتها أناملُ الأستاذة الدكتورة خديجة عبد الرّزّاق الحديثيّ (رحمها الله) في مقدّمة كتابها : (**رفيق عمري في كتابات الآخرين**) الّذي يضمّ أربعمائة وثماني صفحة من القطع المتوسّط قامت مطبعة جامعة ديالى بطباعته سنة ٢٠١٤م ، ولا شكّ أنّ العنوانَ كفيلٌ بمعرفةِ مَنْ هو رفيق عمر الدكتورة الحديثيّ ، إنّه زوجها الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب (رحمه الله) رئيس المجمع العلميّ العراقيّ السّابق .

الكلماتُ التي سُقناها في بداية كلامنا لم تكن من نسج عاطفة الدكتورة تجاه زوجِهِ ورفيقِ عمرها ، بل هي جزءٌ من شهاداتٍ وكلماتٍ قالَها الآخرونَ عنهُ ، وقد وظّفَتها في مقدّمة كتابِها جاعلةً شهاداتِ الآخرينَ وكلماتِهم وقصائدَهم الشعريّةَ وكتاباتِهم هي مَنْ تملأ مساحاتِ الكتاب ، على أنَّ ما دُوّن في صفحاتِهِ لم يكن كلَّ ما قيلَ عن الدّكتور أحمد مطلوب ، فكثيرٌ من تلكم الشهاداتِ والكتاباتِ قد فقدت بسبب حريقٍ أصابَ بيتَهم عام ٢٠٠٨م ، وما سلمَ من ذلك الحريقِ جُمعَ ليكونَ هذا الكتاب الّذي يؤرّخُ لمسيرةِ الدّكتور أحمد مطلوب منذ عام ١٩٥٤م وهو تأريخ زواجه برفيقة عمره حتّى نهاية عام ٢٠١٣م ، أي إنّه سيرةٌ شخصيّةٌ وعلميّةٌ ووظيفيّة لما يقرب من ستّينَ عامًا من حياة الدّكتور .

مقدّمةُ الكتاب حافلةٌ بالحديث عن بدايات المعرفة بين الرفيقين ، والحديث عن المعاناة وقسوة الحياة ، ولعلَّ طريقَ العلمِ والشهرةِ ليست معبّدةً بالورودِ ، بل هي وعرةٌ صعبةٌ تتخلّلها أشواكٌ وألم، ولكنْ :

مَنْ رامَ وَصْلَ الشّمس حاكَ خيوطَها سببًا إلى آماله وتعلّقا

وهكذا هي طريقُ هذين الزّوجَين مشياها بحلوها ومرِّها حتّى قضى الله أمرًا كانَ مفعولا ، فبعد رحلة معاناة وألمٍ وفراقٍ عن الوطنِ والأهلِ يعودُ رفيقا العُمرِ من بعثةٍ علميّةٍ في القاهرةِ حاملَين شهادتيهما العليا بتفوّق وبجدارةٍ على الرّغم ممّا عانياه هناك من ظروفٍ صعبةٍ وقاسيةٍ منها ماديّة ومنها معنويّة ، ولكنّ العزيمةَ كانت أكبر وأقوى من كلِّ التّحدياتِ ، وهكذا عادَ الفتى الطّموحُ إلى بلدِهِ ليتسنّمَ عدّةَ مناصب علميّة وإدارية رفيعة ليصلَ إلى ما وصلَ إليه بكفاحٍ وعزيمة وإصرار وتصميمٍ وثباتٍ من دونِ رضوخٍ لأحدٍ

ولا استكانةٍ ولا استجداءٍ ولا تملُّقٍ ، بل فرضَ نفسه بقوّة شخصيّته وعلمه وثبات عزيمته وصلابة جأشه وصراحة قوله ، لا تأخذه في الحقّ لومةُ لائم .

وممّا تضمنته المقدمةُ أيضًا الحديث عن نَيلِه جائزة الآداب في العراق سنة ١٩٨٧م ، وممّا جاء في قرارِ لجنة التّحكيم الّتي كانت برئاسةِ الأستاذ الدّكتور ناصر الدّين الأسد (وزير التّعليم العالي والبحث العلميّ في الأردن) : ((منح الأستاذ الدّكتور أحمد مطلوب جائزة الآداب في البَحث الأدَبيّ ؛ لتميُّزِ أعمالِه في البَلاغة والأدَب ، وصَبرِه عَلَيه في مَجال التّحقيق والدّراسةِ النَّظريّةِ ، وتصنيفِ المعاجم المُعينة عَلَى تَجليهِ جوانبه ، والاستفادة من كُلّ ذلك في دراسةِ النَّصّ ، وتبيين قضايا الأدب واتّجاهاته)) ، علمًا أنّ لجنة التّحكيم ضمّت أساتذةً عراقيّين وعربًا بلغ عددُهم عشرة ، فضلًا عن رئيس اللجنة الأستاذ الدّكتور ناصر الدّين الأسد . وكان عددُ المرشّحين للبحث الأدبيّ أربعةً وعشرينَ مُرشّحا . وهذا يدلّ على أنّ لجنة التّحكيم لم تخطيء الهدف ، وسلّطت المُقدّمةُ الضوءَ عَلى إطراء الصّحفِ والمجلّات العراقيّة والمصريّة على جهوده ونيله وسام الامتياز من الطبقةِ الأولى الّذي منحه إيّاه الرّئيس المصريّ الأسبق محمد حسني مبارك في عام ١٩٩٠م . وكذلك إطراء وكالات الأنباء والصّحف العربيّة ؛ لحصوله على جائزة الملك فيصل العالميّة سنة ٢٠٠٨م ، وتلقّيه التّهاني الشّخصيّة بهذه المناسبة من كبار الشخصيّات السياسيّة والثقافيّة في العراق والوطن العربيّ ، فضلًا عن تلقّيه أبياتًا شعريّة من شعراء عراقيّين وعرب للتهنئة بهذه المناسبة ، وجاء في قرار اختياره للجائزة : (قرّرت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالميّة للغة العربيّة والأدب هذا العام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م وموضوعها : قضايا

المصطلحيَّة في اللغةِ العربيةِ ، مُناصفة بين البروفيسور : أحمد مطلوب النّاصريّ – العراقيّ الجنسيّة – أستاذ البلاغة والنّقد ورئيس المجْمَع العلميّ العراقيّ ، والبروفيسور : رشاد محمّد الصّالح الحمزاويّ – التّونسيّ الجنسيّة – ، أستاذ اللغة العربيّة ورئيس قسم اللغة العربيّة في كُليَّةِ الآداب بجامعةِ قابوس – سابقًا – ، وقد مُنحَ البروفيسور أحمد مطلوب الجائزةَ تقديرًا لجهودِهِ المُتميِّزةِ في خدمة المصطلح العربيِّ من خلال علمِهِ الغزير بالمُصطلحات البلاغيَّة والنقديَّة ، ومعرفته الدَّقيقة بالنّصوص الأساسيَّة والثّانويّة من حيث خصائصها ، وطرق انتظامها ، وترابُطِ مُكوّناتِها المصطلحيَّة ، وأعماله الّتي تمثّل إنجازًا مَرجعيًّا مُهمًّا وأصيلًا في رصد تلك المُصطلَحات وتطوّرها التّاريخيّ مع تنظيمها وعرضها على وفق قواعد علميّة راسخة وواضحة المَعالِم) . ولم تَخْلُ المقدّمةُ من استعراض أهمّ ما قيلَ في (رفيق العمر) من كتاباتٍ صحفيّةٍ وكلماتٍ ارتجاليّةٍ في مناسباتٍ ومؤتمراتٍ متعدِّدَة .

وللدّكتور مواقفُ وعلاقاتٌ طيّبةٌ ومتميّزةٌ مع كثيرٍ من النّاس ، وقد ترجمها بعضُهم إلى شعرِ المديح معبّرين في أشعارهم عن شكرهم وامتنانهم لمواقفه ، معرِّجينَ في بعض المقطّعات الشعريّة للحديث عن علاقتهم الشخصيّة به أو الوظيفيّة أو الصداقة أو التّلمذة على يديه .

والكتابُ – بعد هذا – يضمُّ بينَ دفّتيه ما قيلَ عن (رفيق العمر) سواءٌ أكان ذلك عن طريق الشعر أم عن طريق الرسائل المباشرة أم عن طريق الصحافة والمجلات والإذاعات أم عن طريق الرسائل الجامعيّة والأطاريح أم عن طريق التعرّض لجهوده في مجالات الدراسات الأدبيّة

واللغوية . أم عن طريق الإطراء والمديح لنيله الجوائز والتكريم ... وقد تضمَّنَ العنواناتِ الآتية :

(ذكريات) و(رسالة) لعبد الإله الصائغ ، (البلاغة عند السكاكي) و(القزويني وشروح التلخيص) للدكتورة سهير القلماوي ، (القزويني وشروح التلخيص) لزهير أحمد القيسيّ ، (رفيف المنى) و(في ثبج البحر) للدكتورة خديجة الحديثيّ ، (رفيف المنى) و(في ثبج البحر) للدكتورة وسن عبد المنعم ياسين ، (الشاعر أحمد مطلوب) للدكتور داود سلّوم ، (الشاعر أحمد مطلوب) للدكتور فائز طه عمر ، (جدليّة البحث وموهبة الشعر – أستاذي الباحث الدكتور أحمد مطلوب في عيّنات من شعره –) لشكيب كاظم ، (أحمد مطلوب اللغويّ والأديب والشاعر والمفكّر) للدكتور محمد عبد مرزوك والدكتور جلال جميل سلمان ، (معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها) للأستاذ محمد بهجة الأثريّ ، (مصطلحات البلاغة العربيّة بين معجمين) للدكتور وليد محمود خالص ، (معجم الدكتور أحمد مطلوب) له قال محمد أمين ، (الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب – عظّم الله أجركم –) للدكتور عبد الكريم محمد حسين ، (مع الدكتور أحمد مطلوب ومعجم النقد العربيّ القديم) لإبراهيم خليل، (أحمد مطلوب وجائزة الملك فيصل العالميّة ١-٢) للدكتور حسن بن فهد الهويمل ، (الدكتور أحمد مطلوب موسوعةٌ متحرّكة) لصباح الأعظميّ ، (من هو أحمد مطلوب ؟) لحميد المطبعي ، (أعلام تكريت –الدكتور أحمد مطلوب–) لعلي الكناني ، (الدكتور أحمد مطلوب في سطور) لمحمد إبراهيم محمد ، (مع الدكتور مطلوب والدكتورة الحديثيّ – التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز

القرآن –) لقاسم الخطّاط ، (جهود الدكتور أحمد مطلوب في الحفاظ على اللغة العربيّة وتفعيل دورها) للدكتور إياد عبد الودود عثمان الحمداني و سعد جسعة صالح الدليميّ . (النقد الأدبيّ الحديث في العراق) من منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ، (عبد القاهر الجرجانيّ – بلاغته ونقده –) لحمّادي صمود ، (معجم النسبة بالألف والنون للدكتور أحمد مطلوب) للدكتور عبدالإله نبهان ، (عاشق بغداد) للدكتور رزّوق فرج رزّوق ، (عاشق بغداد) للدكتور عبدالله الجبوريّ ، (دراسات بلاغيّة ونقديّة) و (أحمد مطلوب وجائزة الملك فيصل العالميّة) و (في بيان نوفمبر الدكتور أحمد مطلوب الشعراء الثلاثة حملوا صوت أمّتهم وتغنّوا به) للدكتور جليل العطية ، (غربة الروح أو سيرة الشاعر من خلال شعره) لماجد السامرائيّ ، (عبد الخالق فريد شاعر الحب والجمال) لكوثر جاسم ، (الحفيدة إيناس أثير) ، (البيبة في صحيح مسلم) و(عزار نجد) و (الأرقام العربيّة) و (في المنهج النقديّ) و (التشريع اللغويّ) و (ألف ليلة وليلة) و (نازك الملائكة – دراسات في شعرها–) و (بحوث نقديّة وبلاغيّة) و (بديعيّون) لاخلاص محيي رشيد ، (عاشق بغداد) و (في المصطلح النقديّ) و (شخصيّات عراقيّة – أحمد مطلوب –) و (الدكتور أحمد مطلوب في سطور) و (فصول في الشعر) و (في المنهج النقديّ) و (المدينة في التراث) و (بحوث بلاغيّة) و (ألف ليلة وليلة – عروبتها ، لغتها ، شعرها –) و (فصول في العربيّة) و (بحوث تراثيّة) و (التشريع اللغويّ وبحوث أخرى) و (بديعيّون) و (بحوث مصطلحيّة) و (المدينة العربيّة والإسلاميّة في التراث) و (الدكتور أحمد

مطلوب – اعتدال وعطاء –) لمحمد ابراهيم محمد ، (أحمد مطلوب في العلم والأدب) لعبدالله اللامي . (يوم اللغة العربيّة العالميّ) لفارس الشمريّ .

ووصولاً إلى خاتمة الكتاب الّتي قالت فيها الدكتورة خديجة الحديثيّ (رحمها الله) : ((هذا ما عثرتُ عليه من (كتابات الآخرين) بعدَ الحريق الّذي شبَّ في الدّار يومَ الاثنين ٢٨نيسان٢٠٠٨ م– ربيع الثاني ١٤٢٩هـ فأتلفَ مُجَلَّداتِ المجلّات والجرائد العراقيّة والعربيّة الّتي كانت تضمُّ ما كُتِبَ عن (رفيق عمري) ، وما نُشِرَ له من قصائد ومقالاتٍ ومقابلاتٍ صحفيّةٍ ، وما ذكرتُهُ في أوّلِ الكتابِ كلُّ ما بقي – مع الأسف– فضلاً عن بعض عبارات الاطراء في المقابلاتِ الصحفيّة ، وآخر ما كانَ من اطراء ما حدث في مَجْمَعِ اللغةِ العربيّةِ في القاهرة ؛ إذ بعد أن ألقى خلاصةَ بحثهِ (اللغة العربيّة وتحديات العولمة) ألقى قصيدةً مؤثّرةً تعبّرُ عن شوقهِ إلى مصرَ بعدَ غياب عنها امتدَ الى ربعِ قرنٍ ؛ إذ كان فيها آخرَ مرّةٍ في نيسان ١٩٩٠م – رمضان ١٤١٠هـ ؛ إذ تسلّم من الرّئيس محمّد حسني مبارك وسامَ الامتياز من الطّبقةِ الأولى ، وتقطّعت السُّبلُ به ، وحين وطئت رجلاه أرض القاهرة يومَ الأحد ٢٣ آذار ٢٠١٤م – ٢٢ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ تحرّكَ الشّعرُ فنظمَ قصيدة (العودة) الّتي يقولُ فيها :

عُدتُ يا(مصرُ) فما أحلى رجوعي ... والمُنى بين صلاةٍ وخشوعِ
ربعُ قرنٍ وأنا أسألُ عن ... وطنٍ كان أزاهيرَ ربيعي
وأسلّي النّفسَ عن غربتهِ ... وهو في قلبي صباباتُ الولوعِ
ظمأً أورَدَني كأسَ الضّنى ... والتياعٌ شبَّ ما بين ضلوعي

وحنينٌ طالما أرّقني | في رؤى فجري وفي ليلِ هجوعي
إنّه (مصرُ) التي أعشقُها | عشقَ ليلى وابتهالات الخشوع
هذه الجنّةُ كم طفتُ بها | وأنا أرفلُ في الرّوضِ المريع
وتنسّمتُ أريجًا طالما | زادني حُبًّا بريّاه المضوع
عُدْتُ يا (مصر) وفي قلبي هوىً | صُنْتُهُ (سبعين)ما أحلى رُجوعي
عُدْتُ والفرحةُ تسري في دمي | والمُنى نشوةُ هيمانَ صريع
لا تقولي لستَ ممّن شفّهُ | ثَبَجُ النّيلِ وشُطآنُ القلوع
أنا من (بغداد) لكنَّ الهوى | عربيٌّ وهوى (مصرَ) نُزوعي
وطني (مصرُ) و (بغدادُ) وما | ضمّتِ (الضّادُ) من المجدِ الرّفيع
لغةٌ وحّدت العُرْبَ فمن | دولةٍ كبرى ، ومن صرْحٍ منيع
وطنُ الأحلامِ هل يُنكرُني | وضفافُ النّيلِ حُبّي وَرُبوعي ؟
وضفافُ النيلِ آمالُ الصّبا | عشتُها والعمرُ في أزهى ربيع
مشتِ السّبعون بي وارفةً | بهوىً كالفجرِ دفّاقَ الطّلوع
إيه يا(مصرُ) وإنْ طالَ المدى | رحمةً لوعةَ قلبي ودموعي
فأنا الصّبُّ الذي تيّمهُ | حُبُّ ليلاكِ فهل لي من شفيع ؟
عُدتُ يا(مصرُ) فما أحلى رجوعي | والمُنى بين صلاةٍ وخشوع

وأعجبَ بها الحاضرون ، لأنّها صادرةٌ عن روحٍ عربيّة ترى كلّ أرضٍ عربيّة موطنًا ، وكان من المعروف في المؤتمرات أن تناقشَ البحوث ، ولكنّ الأستاذَ الدّكتور محمّد حماسة عبد اللطيف (رحمه الله) نائب رئيس مجمع اللغة العربيّة في القاهرة ارتجلَ أبياتًا هي :

عِشتَ يا مطلوبُ ذا القلب الوديع | وَالبيانِ العذبِ والشعرِ البديع

إنّنا أبناءُ شعبٍ واحدٍ ... أنتَ فيه صاحبُ المجد الرّفيعِ

فإذا ما قلبُ بغداد شكا ... سارعَ النّيلُ مُعيناً بالدّموعِ

وَلقد حَيّيْتَنا في دارِنا ... والتّحايا جَبْرَةُ الشّعبِ الصّديعِ

إنّما النّيلُ فُراتٌ سائغٌ ... ماؤه يا سيدي مِلْكُ الجميعِ

وَكذا مَجْمَعُنا يجْمَعُنا ... وهو للضّادِ ذُرا الحصن المنيعِ

أنتَ للضّادِ وللنيلِ حِمى ... عِشْتَ فينا صاحبَ القلْبِ الوديع

وأردفها برسالةٍ هذا نصُّها :

سعادة العالم الجليل الأستاذ الدكتور احمد مطلوب المحترم

رئيس المجمع العلميّ العراقيّ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد شرفتُ بلقائكم الكريم في القاهرة ، وكان هذا أمنيةً طالما راودتني وتمنَّيتُها ، بل شرفتْ مصرُ كلُّها بلقائكم ؛ إذ حيّيتموها بقصيدتكم الصّادقة الّتي حرّكت القلوبَ وهاجت مكامنَ النفوس ، وما الأبياتُ التي قلتها إلّا صدى لصدق مشاعركم وعمق إحساسكم . وقد وزّعتُ قصيدتكم العصماءَ على أعضاءِ المَجْمَع المُوقَّر ومعها أبياتي تحبو في رحابها ، ويشرّفني أن أرسلَها إليكم حتّى تحظى بوقوعِ نظركم الكريم عليها ، وتقبّلوا صادقَ تحيّتي وعمق احترامي .

محمد حماسة عبد اللطيف

وحيّاهُ الشّاعِرُ المعروفُ فاروق شوشة (عضو مَجْمع اللغةِ العربيّةِ في القاهرة وأمينه العام) بهذه الكلمات . (العالم الجليل والشاعر البديع الأستاذ الدّكتور أحمد مطلوب – رئيس المَجْمَع العلميّ العراقيّ – : نحنُ الّذين نشكرُ حضورَكَ وتشريفَكَ ، وسعادتُنا بك غامرةٌ بعد انقطاعٍ طويلٍ ، نرجو أن تكونَ

بيننا دومًا بأبحاثِكَ العميقة وشِعرِكَ الَّذي ما يزالُ يتردَّدُ في وجداننا ، واسلم لِمَنْ يحبُّك ويقدّرك ... فاروق شوشة)

وحيّاه الأستاذ مجاور سيّد مجاور – كبير الباحثين في مَجْمَع اللغة العربيّة بالقاهرةِ والمدير اللغويّ لاتحاد المجامع – بهذهِ الكلماتِ : (الأستاذ الجليل والعالم الشّاعر والإنسان الدكتور احمد مطلوب ، عودٌ حميدٌ ، ولي [illegible] التّشرّفَ بلقائكم والاستزادة من علمكم في أسعد فرصةٍ بأروع لقاءٍ ، على أمل اللقاءِ ، محبّكم وتلميذكم مجاور سيّد مجاور) .

وبعد : لم أجمعْ هذه الصحائف ، ولم أقلْ ما قلتُ لأنّه (رفيق عمري) وإنّما هو شكرٌ لمن كتبوا عنه وقدّروه منذ كان في أوّلِ الطّريقِ ، ويكفي أنّهُ نالَ حبًا وتقديرًا ممَّنْ صحبوه وممَّنْ لم يصحبوه ، وما هذا إلا فضلٌ من الله الّذي قالَ : (ولا تبخسوا النّاسَ أشياءهم) الأعراف ٨٥ ، ولا أظنُّ أنَّ مَنَ كانَ مُنصِفًا يبخسُ أشياءَ النّاسِ ، ولا عبرةَ بِمَنْ أضلَّه الله وتخبَّطهُ شيطانُ الحقدِ ، ولا ينالُ الإنسانُ من الحياةِ الدُّنيا إلا ذكرَ الحسناتِ الّتي هيَ خيرُ ما يسعى إليه .

خديجة الحديثي / الدمبس – الأول من أيار ٢٠١٤م ، ٢ رجب ١٤٣٥هـ)) .

وَلي بعدَ ذلكَ أنْ أقول : إنَّ الكتابَ ومضاتٌ في مراقيء حياةِ الدّكتور أحمد مطلوب (رحمهُ اللهُ) ، وهو ذكرياتُ زمنٍ جميلٍ من الماضي القريب مُرورًا بشواهد من الحاضر ، ورسالةٌ إلى جيلِ المستقبلِ لمن أرادَ أن يتعلَّمَ من تجاربِ الكبارِ ...

(رفيقُ عمري) قصَّةٌ جميلةٌ أبدعَتْها أناملُ كثيرينَ عن رجلٍ واحدٍ ، وصاغَتْها أناملُ امرأةٍ واحدةٍ هي (رفيقة العمر) .

العلّامة أحمد مطلوب والأدب الموريسكي

الأستاذ المساعد الدكتور

قصيّ عدنان الحسيني

كليّة الآداب / الجامعة المستنصريّة

إنَّ حجم المنجز العلمي لا يُقاس بعامل الزَّمن ، ولا بعدد الأشخاص الَّذين يقفون عليه ، وإنَّما بنوع ذلك المنجز ، ومدى فائدته لبني البشر ، وأن اللحظة الَّتي يوفق فيها الباحث ليصل إلى خط النِّهاية في منجزه (مسيرته) العلمي ما هي إلَّا ومضة توفيق إلهي ، يختار الله سبحانه وتعالى نوعا من عباده ، قد أخلصوا النيّة في العمل ؛ ليهديهم سُبل الرَّشاد ، بُغية منفعة النّاس على اختلاف مشاربهم ، وتباين ألوانهم ، وتعدد أديانهم .

حين أشارت عليَّ الأستاذة الدكتورة الفاضلة لطيفة عبد الرسول / كلية الآداب ؛ بعرض مشروعي أمام أنظار العلَّامة الرَّاحل أحمد مطلوب ، وهو : (الأدب في العصر الموريسكي ٨٩٧ ـ ١٠١٨هـ / ١٤٩٢ - ١٦٠٩م) ، وهو الأدب الَّذي تركه لنا أواخر مسلمي الأندلس بعد تسليم غرناطة ، وحصر تلك الحقبة الزَّمنية بعصر جديد يُضاف إلى عصور الأندلس الأدبية والتاريخية ، بحيث أن (عصر بني الأحمر) من النصريين ، ليس هو آخر عصور الأندلس ، وإنَّما (العصر الموريسكي) هو آخر عصور الأندلس ، وحين مثلتُ أمام العلَّامة الفقيد ، وبحضور الزَّميل السيد عبد الهادي الساعدي . الَّذي لا أنسى كرم أخلاقه ، وحسن استقباله . ما أن أديت التَّحيَّة اللائقة بشخص العلَّامة مطلوب "رحمه الله تعالى" وبدأت أشرح له طبيعة مشروعي ، ما أذهلني في المشهد هو إنصاته لي ، وكبير احترامه وتوقيره لما أطرحه ، وكأنَّه بادلني الدَّور !

واستمر الحديث بهذا اللون من الإكبار والهيبة العلمية ، واطلعته على الاستشهادَين العلميين لعالمَين شهيرين من تونس يعملان في الدّراسات الأندلسيَّة والموريسكيَّة منذ ما يقرب من خمسين عاما ، وهما :

- العلّامة الدُّكتور عبد الجليل التَّميمي ، أستاذ متميز سابق في الجامعة التُّونسيَّة ، ورئيس مؤسسة التّميمي للبحث العلمي والمعلومات ، الَّتي ناف عمرها الحالي على الأربعين عاما من العطاء العلمي ، ومازالت إلى الآن .

- العلّامة الدُّكتور جمعة شيخة ، أستاذ متميز في جامعة منوبة في العاصمة تونس ، ورئيس مجلة دراسات أندلسيَّة .

إذ أكّدا على ريادتي للموضوع في ناحية المشرق العربي في (بلاد الشّام والجزيرة العربيَّة).

وإلى حضراتكم نصّ ما جاء في شهادة العلّامة الدُّكتور أحمد مطلوب رحمه الله تعالى :

((اطلعت على جهود الدُّكتور قصي عدنان الحسينيّ في الدّراسات الأندلسيَّة ، ولا سيما في العصر الموريسكي الَّذي أضافه إلى عصور الأندلس العربيّة ، وبذلك أصبحت العصور تسعة بعد ما كانت ثمانية .

إنّ هذا الجهد المبذول خطوة جديدة في سبيل الدّراسات الأندلسيَّة .

والله أسأله أنْ يوفق الباحث وأقرانه في خدمة الفكر العربي الإسلامي .

الأستاذ الدُّكتور أحمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي العراقي

١٧/٩/٢٠١٧)) أ.هـ

فإلى روحه الطاهرة ، ولجميع علمائنا الرَّحمة والرّضوان ، وليسكنهم الله تعالى في فردوسه الأعلى مع الصَّالحين ، وحسُن أُولئك رفيقا .